المحتويات

صفحة ٢ رسالة الاخ ابو عمار ، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ، في الذكرى الحادية عشرة لانطلاق الثورة الفلسطينية ، **عام التصدي والتحفز** .

٦ **قرار ادانة الصهيونية بالعنصرية : ماذا يعني على الصعيد العملي ؟** الدكتور كلوفيس مقصود .

١٢ **ملاحظات سياسية حول قرار ادانة الصهيونية بالعنصرية** ، الدكتور صلاح الدين الدباغ .

٢٠ **حول النزعات العنصرية في العقيدة والممارسة الصهيونية** ، صبري جريس .

٤١ **قراءة في الفسيفساء اللبنانية** ، مازن البندك .

٥٤ **الاثار السياسية والاقتصادية لمرور البضائع الاسرائيلية في قناة السويس** ، حسين ابو النمل .

٦٠ **خليل حاوي يكتب ملحمة الانسان والحضارة** ، ريتا عوض .

٨٥ **تعيين الحدود الشمالية لفلسطين في الاعوام ١٩١٨ — ١٩٢٠** . يان نيلسن .

٩٤ **حوار مع المر بيرغر** ، مصطفى كركوتي .

١٠٣ **النخبة السياسية ليهود فلسطين ايام الانتداب البريطاني** ، الدكتـــور تيسير الناشف . مع **تعقيب** لعبد القادر ياسين .

١٣٩ **الحقيقة حول الصهيونية** ، رومان برودسكي .

١٧٤ **المبادرات الجماهيرية ولجان الاحياء الشعبية خلال الاحداث في لبنان** ، غازي الخليلي .

١٨٠ **مراجعات** : الاسرائيليات في الغزو الفكري ، عبد المنعم المشاط . كاتبة يهودية اميركية في مصر ، فارس المنصوري . تعليم الفلسطينيين : الواقع والمشكلات ، (١) سمير ايوب (٢) سميح سمارة .

١٩٩ **اسرائيليات** : (١) اسرائيل واحياء الجبهة الشرقية ، يوسف حمدان . (٢) الازمة اللبنانية الرامية كما عالجتها اذاعة اسرائيل باللغة العبرية ، محمد نصر ، (٣) تخفيض الليرة الاسرائيلية ، حسين ابو النمل .

٢١٨ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني ، (٢) القضيـــة الفلسطينية دوليا ، (٣) المناطق المحتلة ، عيسى الشعيبي ، (٤) القضية الفلسطينية عسكريا ، الرائد الطيار حسين عويضـــة ، (٥) جـــدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية واخر بالعمليات التـــي اعترف بها العدو الصهيوني من ١/ ١١ حتى ١٩٧٥/١١/٣٠ ، غازي خورشيد .

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٥٤/٥٣ — كانون الثاني/شباط (يناير/فبراير) ١٩٧٦

شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

مدير التوزيع : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٨٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

صفحة ٤ **مرحلة اعادة النظر** ، شؤون فلسطينية .

٦ **فلسطين في الأمم المتحدة : قرارات تاريخية وخلفيات** ، سعدات حسن .

٢٢ **١٩٧٥ العربي واللبناني : عام الرهان على السلبيات** ، مروان ناصر .

٢٩ **اسرائيل والأزمة اللبنانية** ، يوسف حمدان .

٣٦ **اتفاقيـــة سينـــاء ومستقبل النزاع العربي ــ الاسرائيلي** ، الدكتور عدنان السيد .

٤٨ **سياسات النظام الاردني تجاه مسالة تقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة** ، غازي الخليلي .

٦١ **اليهود الاسرائيليون المعادون للصهيونية** ، شارلز غلاس .

٨٣ **تقنية المقاتل الفلسطيني** ، طارق الصواف .

٩٦ **توفيق زياد شاعر الواقعية المقاتلة** ، الدكتور فيصل دراج .

١٠٩ **مشكلات اللاجئين في مخيمات الاردن كما يراها ابناؤهم في معهد تدريب عمان التابع لوكالة الغوث** ، حياة ملحس ياغي .

١٢٧ **في الذكرى السنوية الاولى لمعركـــة كفرشوبا** : (١) بعض الصفحات المشرقة من تاريخ كفرشوبا والعرقوب ، نواف عبدالله . (٢) كفرشوبا : التاريخ ، الارض والناس ، فرحان الصالح .

١٤٠ **الحسيدية : احدى روافد الغيبية الصهيونية** ، الدكتور عبد الوهاب المسيري .

١٥٧ **الرأسمال الصهيوني في الاقتصاد الامريكي** ، سليم نصر .

١٨٢ **مراجعات** : حوار في ظل البنادق ، (١) يوسف شويري (٢) غازي الخليلي . الطريق الى رمضان ، محمد النصر . العمل والعمال في المخيم الفلسطيني ، عدنان الغول .

٢٠٣ **تقارير** : مؤسسد صامد : محاولة لبناء مؤسسة انتاجية ، فريال عبد الرحمن . الحرب في لبنان : خروج عربي آخر ، بعد مصر ، من استراتيجية الكفاح الفلسطيني المسلح ، ناشي طه . وفاة أول أمين عام للحزب الشيوعي الفلسطيني ، عبد القادر ياسين . في ضوء انتخابات الناصرة : المسؤولية السياسية لمنظمة التحرير تجاه العرب في اسرائيل ، عيسى الشعيبي .

٢٢١ **مناقشات : أطروحة شرق الاردن الفلسطينية** : مغالطة منهجية وتجاوز تاريخي ، موسى بريزات . محاولة ثانية في أطروحة : شرق الاردن الفلسطينية ، عصام سخنيني .

٢٤٠ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية دوليا . (٣) المناطق المحتلة . (٤) جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٩٧٥/١٢/١ — ١٩٧٦/١/١٥ ، غازي خورشيد .

مرحلة اعادة النظر

لقد كان طبيعيا أن تنعكس معايشة « شؤون فلسطينية » للأزمة التي سيطرت على لبنان طوال العام المنصرم ، ليس على موادها المكتوبة فقط ، بل على انتظام طباعتها . وقد بدا ذلك واضحا على تعثر مواعيد صدور المجلة . التي عرفت بانتظامها الدقيق ، الامر الذي نعتبره ، برغم كل شيء ، انتصارا على الظروف الصعبة ، لأننا في النهاية كنا نتمكن من ابقاء الصلة حية بين المجلة وقرائها .

وهذا العدد ، يحمل رقمي عددي كانون الثاني وشباط (يناير وفبراير) امتصاصا لشهر التأخير الذي حملناه من شهر الى شهر ، والذي نرجو أن تمكننا الظروف الطباعية الصعبة ، من عدم الوقوع في فخه مرة أخرى .

والحقيقة ان هذا الاضطراب صورة مصغرة عن المعنى العام لسنة ١٩٧٥ المنصرمة على الصعيد العربي العام ، ثم على الصعيدين اللبناني والفلسطيني .

فمع نهاية العام الماضي ، يكون قد مر عامان على حرب اكتوبر التي كانت — بغض النظر عن اختلاف التفسيرات — حدثا ضخما ، لا بد وان يعكس اثاره على كل شيء حوله .

وبديهي ان شكل هذه الاثار خاضع لعاملين اساسيين :

— الحقائق الموضوعية التي كشفتها الحرب ، والتي تتجاوز في حجمها وطبيعتها حتى ارادة او تصور القيادة السياسية التي اتخذت قرار الحرب .

— الارادات السياسية التي تريد ان تضع بصماتها على اثار حرب اكتوبر ، كل ارادة تشد في اتجاه ، وكل ارادة تسعى وراء الحد الاقصى من المكاسب .

وبكلمة اخرى فان الاحداث الكبيرة مثل حرب اكتوبر تجعل المنطقة التي تدور فيها هذه الاحداث كالحديد الساخن ، الذي يسعى كل طرف من أطراف الصراع الى أن يعطيه الشكل الذي يلائمه .

لقد افرزت حرب اكتوبر حقائق جديدة ، وما زلنا حتى الان نعيش مرحلة صراع الاطراف على اعطاء هذه الحقائق الشكل الاكثر ملاءمة للارادة السياسية لكل طرف .

حتى اميركا التي كان التوجه العام للحرب والمعاني العامة لنتائجها الاولية ، خسارة لها في المدى البعيد ، ارادت ان تسارع الى الاستفادة من نتائج الحرب ، فتفرض على حليفتها اسرائيل ـ باسم القوة العربية التي ظهرت في الحرب والتي لم يعد من مجال للتشكيك في وجودها وفي فعاليتها ـ السعي الى اغتنام الفرصة من أجل سلام دائم ، قبل ان تتضح الثمار العربية للحرب ، اي ثمار اكتشاف العرب للحجم الحقيقي لامكاناتهم ، فيزداد بذلك تمسكهم بأهدافهم الاستراتيجية ، وتتضاءل الفرص امام القوى العربية التي تدعو للتنازل .

وحتى داخل اسرائيل فان القوى المتصارعة داخليا تريد ـ كل على حدة ـ ان تفسر نتائج حرب اكتوبر كدليل على صحة توجهها العام ، سواء في ذلك دعاة اغتنام الفرصة للتفاهم مع العرب ، او دعاة التصلب في وجه العرب ، بعد أن اصبحوا قوة « لا يؤتمن لهـا » .

ضمن هذا الاطار انفجرت الازمة اللبنانية ، بكل متراكماتهـا التي اعادت بعض المذكرات السياسية الانعزالية جذورها الى منتصف القرن التاسع عشر .

ففرصة اعادة النظر في كل الاوضاع على ضوء اثار الحدث الكبير الذي وقع في اكتوبر عام ١٩٧٣ ، ارادت الانعزالية اللبنانية ان تنتهزها ليس فقط لاعادة النظر في الوجود الفلسطيني على ارض لبنان (اما لالغاء هذا الوجود او لشل حركته) ، بل لاعادة النظر حتى في الصيغة اللبنانية التي ولدت ، مع الاستقلال عام ١٩٤٣ ، باتجاه وصل في بعض المقترحات الانعزالية المتطرفة الى حد الدعوة الى فك الشراكة الوطنية التي ولدت مع الاستقلال .

لقد ادت سخونة مرحلة اعادة النظر في كل شيء الى بروز كمية ونوعية من الفكر الانعزالي في لبنان ، ما كان لنا ان نطلع على مثيلها في الظروف العادية خلال عقود من السنوات ، ومع ذلك فقد برزت كلها في شهور قليلة ... وتقف شؤون فلسطينية برهة عند هذه النقطة لتلفت الانتباه الى ضرورة تصدي الفكر الوطني اللبناني والقومي العربي لشلال الأدبيات الانعزالية الذي انبثق بغزارة نادرة في الشهور الاخيرة ، لدراسته دراسة سياسية واجتماعية وفكرية دقيقة ، تتساوى فيها رغبة الفهم العميق للواقع برغبة التصدي لسلبياته .

من هنا تكتسب المرحلة الحالية عربيا ولبنانيا وفلسطينيا الصفة الانتقالية البالغة الحساسية والاضطراب والسخونة ، ومن هنا فان « شؤون فلسطينية » تشعر بان مهمات جديدة قد اضيفت الى مسؤولياتها العامة في السنة الحالية ، نرجو ان نكون في مستواها ، صورة مصغرة للمهمات الخطيرة الملقاة على عاتق التيارات الوطنية الفلسطينية واللبنانية والعربية بصورة عامة .

شؤون فلسطينية

فلسطين في الامم المتحدة : قرارات تاريخية وخلفيات

سعدات حسن

في أعقاب مأساة حزيران ١٩٦٧ ، واجهت القضية الفلسطينية على صعيد الأمم المتحدة تطورين سلبيين : الأول يتمثل في صدور قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ . وهو القرار الذي أغفل ذكر فلسطين وشعبها وقضيتها واكتفى بالتلميح عنها في الفقرة التي تنص على ايجاد حل لمشكلة اللاجئين في الشرق الأوسط ، والثاني : استبدال اسم البند الذي كانت تعالج في اطاره كافة القضايا المتعلقة بفلسطين ومشتقاتها في مجلس الأمن وهو بند « قضية فلسطين » ببند جديد ، مر بدون مناقشة وسمي « مشكلة الشرق الأوسط » . وقد تم هذا الاستبدال بدون قرار رسمي من قبل مجلس الأمن وبدون أي اعتراض من أي عضو من أعضاء مجلس الأمن ، بما في ذلك الجانب العربي وأصدقاء العرب . ازاء ذلك ارتأى بعض الأخوة الفلسطينيين العاملين في الأمم المتحدة ضرورة العمل المكثف من أجل اعادة القضية الفلسطينية الى اطارها الصحيح في الأمم المتحدة ، كقضية شعب احتل وطنه وشرد من أرضه وحرم من ممارسة حقوقه .

وفي الدورة الثالثة والعشرين (١٩٦٨) بينما كانت المجموعة العربية تتباحث في مشروعات القرارات التي تريد عرضها على اللجان الخاصة التي تعالج المشاكل الناتجة عن قضية فلسطين وخاصة اللجنتين السياسة الخاصة واللجنة الثالثة (الاجتماعية والانسانية) . وأمام تعدد المشاريع المطروحة ارتأى وفد منظمة التحرير الفلسطينية ان الاستمرار في التجزئة التي ستكون نتيجة تعدد هذه القرارات وتشعبها ، سيؤدي الى التركيز على الفروع والمشاكل الجانبية واهمال أصل المشكلة وكون قضية فلسطين قضية تحرر . فقد كانت هناك مشاريع قرارات تعالج قضية اللاجئين وقضية النازحين منهم وقضية النازحين الجدد (وهم الذين لجأوا من المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ولم يكونوا لاجئين سابقا) وقضية القدس وقضية معاملة سلطات الاحتلال للسكان في المناطق المحتلة وغير ذلك من المشاريع . أمام هذا التعدد والتشعب شعرنا آنذاك أن الوقت قد حان لاتخاذ محاولة جديدة نعود فيها للتركيز على جوهر القضية بدلا من فروعها ومشتقاتها ، فطلب وفد منظمة التحرير ادخال مشروع قرار جديد أثناء مناقشة تقرير المفوض العام لوكالة الاغاثة في اللجنة السياسية الخاصة ، ينص على احترام الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني . وهناك عامل آخر حدا بنا الى الاقدام على هذا المشروع وهو استمرار محاولات الدول الغربية وانصار اسرائيل بالاصرار على بحث الموضوع من ناحيته الانسانية فقط ، وكأنه موضوع اغاثة واستيطان وحقوق فردية في أحسن الحالات . وعندما تقدم وفد المنظمة بهذا الاقتراح الجديد أبدت بعض الوفود العربية تخوفها من أن هذا القرار قد يكون مغامرة سياسية

اذ ربما سيفشل في اللجنة السياسية الخاصة . أما اذا نجح في اللجنة ، فمن المحتم انه سيفشل في الجمعية العامة اذ انه قد يطلب آنذاك بصفته قرارا مهمـا أن يحوز على أغلبية الثلثين . وجرى نقـاش طويل حسم عند تدخـل وفد المنظمة قائلا أن شعب فلسطين الذي خسر كل شبر من أرض وطنه لن يضيره أن يخسر قرارا في الأمم المتحدة خاصة ونحن نتقدم به لأول مرة . وأمام اصرارنا على ذلك عهد للجنة فلسطين الفرعية صياغة مشروع قرار حول هذا الموضوع الذي يعتبر نقطـة البداية في اعادة عرض قضية فلسطين في اطارها الصحيح على الأمم المتحدة .

وقد فاز مشروع القرار الذي تقدمت به الدول الصديقة ـــ اذ جرت العادة وبناء على ادراك من بعض الاخوة الفلسطينيين العاملين في الأمم المتحدة أن مثل هذه القرارات يجب أن لا تتقدم بها الدول العربية وانما يعهد بتقديمها الى أصدقاء لنـا من الدول الآسيوية او الافريقية ـــ عند مناقشته في اللجنة الخاصة بالأكثرية اللازمـة وبدأت الولايات المتحدة واسرائيل بالضغط على العديد من الدول لتغيير مواقفها في الجمعية العامة ، وطالبنا عن طريق كوستاريكا ـــ حليفتها التقليدية في تقديم مشاريع القرارات الاجرائية قبيل التصويت ـــ بأن مثل هذا القرار يحتاج الى ثلثي الأصوات لأنه قرار مهم . واحتياطا من الجانب العربـي تقدمت احدى الدول الصديقـة بمشروع قرار اجرائي ينص على أن هذا الموضوع رغم أهميته ، اصبح بعد الموافقة علـى ميثاق حقوق الانسان من المواضيع المسلم بهـا ولذلك لا يحتاج الا لأكثرية عاديـة . وبعد الاقتراع على توصية اللجنة السياسية الخاصة فاز القرار بأكثرية الثلثين . وكانت هذه آخر مرة تطلب فيها الولايات المتحدة أو اسرائيل أن القرارات المتعلقـة بفلسطين تحتاج الى أكثريةالثلثين ، اذ أدركنا ان العطف الدولي والتأييد للشعب الفلسطيني في الأمم المتحدة رغم محاولات الضغط منهما يستطيع أن يضمن أكثرية الثلثين وان لم يكن ذلك فالأكثرية البسيطة عند الاقتراع على المشاريع الاجرائية حول هذه النقطة ، اذ باستطاعة الدول العربية وحلفائها أن تجعل الجمعية العـامة للأمم المتحدة وهي صاحبة الحق المطلق في تحديد اللوائـح الاجرائية أن تتخذ القرار الـلازم حول هذا الموضوع . ومنذ ذلك الوقت وعرض قضية فلسطين في الأمم المتحدة في تصاعد مستمر فلم تعد القضية تبحث كمشكلة انسانية وكشعب بحاجة الى اغاثة مثلما كانت تعالج فيه سنة ١٩٥٢ ، عندما أسقط أيضا من جدول أعمال الجمعية العامة بند فلسطين واستبدل بتقرير المفوض العام لوكالة الاغاثة كبند على جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وفي الدورة الرابعة والعشرين للجمعية العامة (١٩٦٩) صعد القرار العربي الذي اتخذته الجمعية العامة باضافـة حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وقد تم التصويت علـى هذا القرار بأغلبيـة ٤٨ صوتـا مقابل ٢٢ . وامتناع ٤٧ دولة عن التصويت . وبعد الحصول على تأكيد للحقوق الوطنية الثابتـة للشعب الفلسطيني وعلى التركيز على حق هـذا الشعب في تقرير مصيره أسوة بكافـة شعوب العالم وانطلاقا من ميثاق الأمم المتحدة أصبح من الضروري معالجة الموضوع من اطار مختلف عن الاطار الذي كنا نعالج فيه قضية فلسطين وهو اطار تقرير المفوض العام . وفي أواسط سنة ١٩٧٠ اجتمع الاخوة الفلسطينيون في الأمم المتحدة واتفقوا علـى اثارة موضوع ادراج بند مستقل على جدول اعمال الجمعية العامـة في الدورة الخامسة والعشرين في أول اجتماع تعقده المجموعة العربيـة . وأجرى وفد منظمـة التحرير الفلسطينية الاتصالات المسبقة مع بعض أعضاء الوفود العربية قبل الاجتماع للحصول على تأييدهم في ذلك الموضوع . وبعد مناقشة طويلة دامت عدة جلسات ظهر تأييد

من قبل معظم الدول العربية لهذه الفكرة باستثناء ثلاث دول هي مصر والاردن ولبنان وكانت حجة هذه الدول في معارضة ادراج هذا البند المستقل رغم تسليمها بأهمية هذه المبادرة ، ان الولايات المتحدة بشكل مباشر أو عن طريق أعوانها واتباعها قد تتقدم بمشروع قرار مماثل لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ يصبح هو الأساس الوحيد لمعالجة هذه القضية في الأمم المتحدة وتضطر الدول العربية والتي لم يطلب منها أن تقبل أو ترفض هذا القرار بأن تقترع اما لصالحه أو ضده . اما وفد منظمة التحرير الفلسطينية فقد أصر على أن الوقت سانح لمثل هذه المبادرة وان المكاسب العسكرية التي أحرزها الشعب الفلسطيني بنضاله وتضحياته تتطلب ترجمة هذه الانتصارات الى انتصارات سياسية تليق بتضحيات الشعب الفلسطيني البطولية اذ لا يعقل استمرار معالجة القضية في اطار بند تقرير المفوض العام لوكالة الاغاثة .

ورغم توصية الأخوة الفلسطينيين في الأمم المتحدة رأت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بدافع الحرص على وحدة الصف العربي ولأسباب وجيهة أخرى عدم الادراج . ثم جاءت المفاجأة على الصعيد الدولي اذ أقدمت مصر والاردن على طلب نقل بند الشرق الأوسط من مجلس الأمن الى الجمعية العامة في الدورة الخامسة والعشرين . وفي اجتماع للمجموعة العربية انتقد وفد منظمة التحرير هذه المحاولة وأيدته في ذلك أغلبية الدول العربية الأعضاء واستشهد بالحجة التي استعملتها الدول العربية الثلاث عند معارضتها الادراج ، قائلة ان الولايات المتحدة أو احدى الدول التي تسير في فلكها قد تقدم مشروع قرار شبيه بقرار ٢٤٢ الذي ترفضه منظمة التحرير الفلسطينية وترفضه آنذاك معظم الدول العربية . وكانت احداث أيلول الاسود الدامية وما تكبده شعب فلسطين من خسائر في الاردن ، ولأول مرة في تاريخ المجموعة العربية في الأمم المتحدة عند الاقتراع على القرار المتعلق بأزمة الشرق الأوسط انقسمت المجموعة الى قسمين متساويين فاقترعت سبع دول منها مؤيدة وجهة نظر مصر متبنية مشروع قرار مبني على أساس ٢٤٢ واقترعت سبع دول أخرى ضد هذا القرار . ومارست مصر ضغطا على الدول العربية التي اقترعت ضد هذا القرار بشكل مكشوف ومفضوح تعرض له بعض سفراء هذه الدول .

واستمرت القضية الفلسطينية تناقش في اطار بند تقرير المفوض العام في الدورات المتعاقبة حتى كانت الدورة التاسعة والعشرون (١٩٧٤) . ففي أواسط شهر آب (أغسطس) وفي اجتماع للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية عقد في دمشق وحضره ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في نيويورك ، اتفق على ادراج قضية فلسطين كبند مستقل على جدول أعمال الجمعية العامة ، واتفق في ذلك الاجتماع أيضا على ورقة عمل تتضمن مشروع القرار الذي يراد اتخاذه . وأبرق هذا القرار الى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وطلبت منظمة التحرير الفلسطينية بحث هذا الموضوع في دورة جامعة الدول العربية في أوائل أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ . كما اتفق أيضا في لقاء مع رئيس اللجنة التنفيذية والقائد العام للثورة الفلسطينية على حضوره شخصيا دورة الأمم المتحدة اذا استطعنا التوصل الى الصيغة اللائقة .

لقد كانت بعض الوفود العربية مترددة حول الادراج بعضها عن طريق المزايدة للاستهلاك المحلي ، والبعض الآخر خشية بزوغ شمس منظمة التحرير الفلسطينية الأمر الذي من شأنه أن يقلص ما لهذه الدول من أثر على مشكلة فلسطين . وبعد لقاءات تمهيدية مطولة ومكثفة بين وفد منظمة التحرير الفلسطينية والوفود العربية تم الاتفاق على الادراج . وأمام اصرار منظمة التحرير الفلسطينية تم ادراج بند اسمه

قضية فلسطين وليس القضية الفلسطينية أو قضية شعب فلسطين كما حاول البعض وعلما بأن هناك فرقا واضحا بين هذه التسميات . فباصرارنا على ادراج بند قضية فلسطين نشكك مجددا في الأرضية التي يقوم عليها الوجود الاسرائيلي ، ونشكك أيضا في قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة نفسها كما نشكك في الوقت نفسه بكافة المحاولات الدولية لطمس معالم قضيتنا هذه . ثم جاء النقاش على مكان مناقشة هذا البند وهنا أيضا كان اصرارنا على أن مثل هذا الموضوع لا بد وان يناقش في اعلى هيئة دولية أي في الجمعية العامة نفسها وليس في احدى اللجان كما حاول البعض . وطلب من الاخوة الفلسطينيين اعداد المذكرة الايضاحية التي يطلب فيها من السكرتير العام ادراج هذا البند وفقا لاحكام المادة العشرين من النظام الداخلي للجمعية العامة .

وكانت بعض الدول العربية ترى أن يكتفى بتوقيع طلب ادراج هذا البند من قبل الدول العربية فقط . أما وفد المنظمة فأصر على أن يكون طلب الادراج من أكبر عدد ممكن من الدول وذلك لاظهار أهمية هذا البند ولاظهار أن قضية فلسطين ليست فقط قضية العرب وانما هي قضية عالمية . كما كانت لنا غاية اجرائية وهي معرفة مدى التأييد لمشاريع القرارات التي سنعرضها في الدورة ولكي تكون لنا فرصة اطلاع اكبر عدد ممكن من الدول عن طريق الاتصال المباشر معها عند الطلب من وفودها توقيع طلب الادراج على ورقة العمل التي تمثل ما نريد تحقيقه في القرارات السياسية . وكان طلب الادراج هذا قد قدم في ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ اي قبل بدء الدورة بأيام معدودة وقد تم ذلك كمسألة هامة وعاجلة .

ولما كان رئيس الجمعية العامة في دورتها التاسعة والعشرين هو وزير خارجية الجزائر السيد عبد العزيز بوتفليقة ولكي لا يقال اننا اغتنمنا فرصة رئاسته ، ولتسهيل مهمته وحمايته من مهاجمات أعدائه واعدائنا في المجموعة الغربية واسرائيل كنا باستمرار نحاول أن يكون هناك اكبر عدد من المتبنين لأي مشروع قرار يقدم أثناء مناقشة هذا الموضوع ، فعدد الدول التي تبنت طلب الادراج بلغ سبعة وخمسين وفدا وارتأت آنذاك بعض الدول الاشتراكية عدم توقيع المذكرة لأن في المذكرة التفسيرية اشارة الى قرار التقسيم الذي اتخذته الجمعية العامة سنة ١٩٤٧ وتنديدا به . وبما أن الدول الاشتراكية التي كانت أعضاء في الأمم المتحدة آنذاك قد اقترعت الى جانب قرار التقسيم اذلك فهي لا تستطيع أن تتبنى المذكرة الايضاحية وعلى ذلك تقدمت برسائل منفصلة تعلن فيها تأييدها لطلب الادراج .

وكان هناك موضوع آخر ناقشته المجموعة العربية وهو موضوع توقيت بحث قضية فلسطين . فقد حاول بعض الوفود العربية تأجيل نظر القضية الى ما بعد انتهاء مؤتمر القمة العربي الذي كان مقررا عقده في الرباط واما وفد منظمة التحرير الفلسطينية فأصر على أن تتم الدعوة لمنظمة التحرير بالمشاركة في المداولات الخاصة ببند قضية فلسطين قبل مؤتمر القمة وان يتخذ قرار الدعوة مباشرة بعد الانتهاء من المناقشة العامة وذلك في ١٤ أكتوبر ١٩٧٤ . وكانت وجهة نظرنا الحيلولة دون أن نترك لبعض الدول العربية أستخدام مؤتمر القمة كوسيلة ضاغطة على المنظمة بما يتعلق بموضوع تمثيل الشعب الفلسطيني وان تأتي الدعوة من قبل الأمم المتحدة التي تنص على أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل للشعب الفلسطيني . وقد حاول البعض حذف كلمة The من عبارة الممثل للشعب الفلسطيني أسوة بكلمة The

في قرار ٢٤٢ عندما ينص على انسحاب اسرائيل من الأراضي العربية . وينص قرار الدعوة على ما يلي :

الجمعية العامة ،
آخذة بعين الاعتبار أن الشعب الفلسطيني هو الطرف الرئيسي في قضية فلسطين ،
تدعو منظمة التحرير الفلسطينية ، الممثلة للشعب الفلسطيني ، للمشاركة في مداولات الجمعية العامة لقضية فلسطين .

وقد وقعت هذا الطلب سبعون دولة اي اكثر من نصف اعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد يكون هذا القرار أسوة بغيره من القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية من الوثائق النادرة التي تحمل تواقيع كل من الاتحاد السوفياتي وجمهورية الصين الشعبية ، اذ من المعروف أنهما لا يوقعان معا على اي مشروع قرار . وقد تحفظ الاردن على هذا القرار وانضمت الى تبني القرار دولتان جديدتان فأصبح عدد المتبنين اثنين وسبعين (٧٢) . وفي صباح يوم الاثنين الموافق ١٤ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٧٤ ولكثرة عدد الوفود التي أدرجت اسماءها للمشاركة في مناقشة الدعوة وكانت معظمها من الدول التي تؤيد الدعوة ، وللحيلولة دون تمييع هذا الزخم اذا ما استمرت المناقشة في الساعات المتأخرة من الليل ، (فقد يكون ذلك من المرات القلائل التي كان يطلب فيها من الدول ان تختصر في كلماتها أو أن تسحب اسمها) اضطررنا الى الطلب من أصدقائنا عدم الكلام ليتم التصويت قبل انتهاء جلسة بعد الظهر وفي وقت مناسب تكون فيه معظم الوفود موجودة في قاعة الاجتماعات . وقد تم التصويت على الدعوة في الساعة الخامسة مساء وفاز ذلك القرار بمئة وخمسة أصوات ضد أربعة وامتناع عشرين وفدا عن التصويت . وأصبح هذا القرار التاريخي يحمل الرقم ٣٢١٠ (الدورة التاسعة والعشرون) . وأما الدول الأربع التي عارضت القرار فهي الولايات المتحدة وبوليفيا والدومنيكان واسرائيل . وقد امتنعت معظم الدول الأوروبية الغربية عن التصويت الى جانب قرار الدعوة .

وقد اعتبرت جميع الوفود ومعظم الصحف ووسائل الاعلام في الولايات المتحدة فوز هذا القرار بهذا العدد الكبير من الاصوات نصرا كبيرا للمنظمة واعترافا دوليا بتمثيلها للشعب الفلسطيني . وفي ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ وعلى اثر انتهاء مؤتمر القمة العربي الذي اتفق فيه على أن يكون التمثيل العربي في الأمم المتحدة على أعلى مستوى ممكن والذي أعلن فيه ولأول مرة عن أن رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سيفتتح المناقشة العامة لقضية فلسطين ، شكلت المجموعة العربية لجنة صياغة مؤلفة من الأخوة الفلسطينيين العاملين في الأمم المتحدة لصياغة مشروع القرار ولوضع ورقة عمل بالتعاون مع بعض الأخوة العرب واتفق فيها على أن يكون يوم الاربعاء الموافق ١٣ نوفمبر ١٩٧٤ هو بدء المناقشة لبند قضية فلسطين وعلى أن تبدأ الجلسة في ساعة متأخرة نسبيا ليكون رئيس اللجنة التنفيذية هو المتحدث الوحيد فيها . واتفق أيضا على أن تشترك جميع الوفود العربية في المناقشة العامة وان تضمن مشاركة اكبر عدد ممكن من الوفود الصديقة في المناقشة العامة وعلى مطالبة الوفود الصديقة ان تتكلم بعد مندوب اسرائيل الذي سجل اسمه للحديث في كل جلسة من الجلسات المخصصة لمناقشة القضية الفلسطينية . وطلب أيضا الاتصال برئيس الجمعية العامة للبحث معه في صحة هذا الطلب الاسرائيلي واتخاذ الاجراءات اللازمة بشأنه على ضوء ما يستقر عليه الرأي . وكان موقف منظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة لذلك الموضوع هو أن نتكلم أيضا في كل جلسة اذا أصر المندوب الاسرائيلي على ذلك .

وقد يكون من الضروري في هذه المرحلة التحدث ولو قليلا عن الظروف المحيطة بحضور وفد منظمة التحرير الفلسطينية في الدورة التاسعة والعشرين وخاصة التطورات والملابسات المتلاحقة بالنسبة لموقف الوفد الامريكي ، اذ تتصل هذا الوفد في البداية من أية مسؤولية خاصة بما يتعلق بحماية الوفد الفلسطيني . وعندما اقترب موعد وصول الوفد وازداد الاهتمام به دوليا واعلاميا خاصة بسبب الحملات الاعلامية التي تعرض لها قرار دعوة المنظمة والاعتراف الدولي بها والهجوم على الأمم المتحدة من قبل المنظمات الصهيونية وبعض وسائل الاعلام الامريكية المتعاطفة مع اسرائيل والحركة الصهيونية أخذ الوفد الامريكي يبدي اهتمامه بالموضوع وخاصة عندما اتضح لهم أن الأخ ياسر عرفات سيراس وفد منظمة التحرير الفلسطينية . وفي اجتماع عقد من قبل المسؤولين عن الأمن في واشنطن والوفد الامريكي لدى الأمم المتحدة وكبار رجال الشرطة في مدينة نيويورك للبحث في تدبير الحماية الكافية للوفد اثناء اقامته ذكر أحدهم أن اهتمامهم بالموضوع ناتج من تخوفهم من قيام عدوان من احدى جهتين الاولى هي من اتباع الحركة الصهيونية وانصار اسرائيل والثانية من عناصر فلسطينية غير راضية عن مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية في اجتماعات الأمم المتحدة ، وان لديهم معلوماتبأن بعض هذه العناصر قد تكون موجودة في نيويورك . اكدت آنذاك لهؤلاء المسؤولين أن الجهة الثانية التي يتخوفون من اقدامها على مثل هذه الاعمال غير واردة اذ لا يعقل أن يقدم اي فلسطيني على الاعتداء على وفد منظمة التحرير الفلسطينية ، وان الخلافات بين فصائل الحركة الفلسطينية لم ولن تصل الى درجة يستعمل فيها العنف على هذا المستوى وان اي خلاف فلسطيني يحل عن طريق الحوار واللقاءات المستمرة بين كافة الاطراف وان تخوفات الوفد الامريكي من العناصر الصهيونية الموجودة في نيويورك هي مسؤولية السلطة الامريكية بصفتها الدولة المضيفة للأمم المتحدة ونحن لا نطلب حماية خاصة ولا عناية زائدة . واقترح الوفد الامريكي ان تفرز أماكن لاقامة الوفد الفلسطيني في ناد للضباط في احد المعسكرات الحربية وعلى الفور رفضت هذا العرض لما ينطوي عليه من اساءة مقصودة بحجة الحماية واقترح الوفد الامريكي فيما بعد أن يقيم الوفد في جزيرة اسمها جوفرنرز ايلند Governer's Island وأن يتم نقل أعضاء الوفد الفلسطيني عن طريق الزوارق الحربية أو الهيلوكبتر ورفض هذا الاقتراح ايضا على الفور وان كانت حجته الأمن ، وقلنا لهم آنذاك ان رصاصة قناص على سطح أي عمارة تستطيع أن تصيب الهيلوكبتر او أن تلحق الأذى بالزورق عدا عن كون هذه الفكرة مرفوضة لأنه لا يعقل أن نطلب باستمرار للذين يريدون الاتصال بالوفد الفلسطيني أخذ اذن مسبق عن طريق التحكم بوسائل النقل من الوفد الامريكي . وأمام تشنج الموقف الامريكي وفي مقابلة مع السكرتير العام الذي ابدى اهتماما مرضيا ومريحا بهذا الموضوع قلت له أن هناك ثلاثة احتمالات لا رابع لها :

أولا : ان يصر على الوفد الامريكي باختيار مكان مناسب قريب من الأمم المتحدة يتولى الوفد الامريكي تقديم الحماية الكافية لمشاركة وفد منظمة التحرير الفلسطينية .

ثانيا : نقل مناقشة بند قضية فلسطين الى أي مكان آخر في العالم خارج نطاق السلطة الامريكية .

ثالثا : السماح لوفد منظمة التحرير الفلسطينية بالاقامة في مقر الأمم المتحدة ولو أدى ذلك الى نصب خيام في حديقة الأمم المتحدة . وابدى السكرتير العام اهتماما بالغا بموضوع اقامة الوفد وحمايته وعرض تخليه عن أحد طوابق السكرتارية لاقامة الوفد الفلسطيني اذا لم يوفر الوفد الامريكي مكانا مرضيا لنا . وبعد المقابلة اتصل

الوفد الامريكـي وعرضوا ثلاثـة احتمالات أولا : ان تكون الاقامـة في احد الفنادق الضخمة التي يسهل حراستها من قبل رجال الشرطة الفدرالية ورجال شرطة مدينة نيويورك أيضا .

ثانيا : أن تكون الاقامة في بيت من طوابق معدودة يسهل أيضا حراسته .

ثالثا : في طابقين بعمارة قريبة من الأمم المتحدة .

وفي كل مرة كان الوفد الامريكي يتكلم عن موضوع الحمايـة كـان موقفنا هو ان الحماية من مسؤوليات الدولة المضيفة واذا كانت هي لا تريد ممارسة مسؤوليتها فنحن على استعداد ان نوفر الحماية لوفدنا اذا سمحت لنـا بأن تقوم عناصر مسلحة من منظمة التحرير الفلسطينية بهذا العمل . وفي النهايـة استقر الرأي علـى أن تكون الاقامة في أحد الفنادق المعروفة .

ومن المعروف أن الحراسة التي اتخذتها السلطات الامريكية في نيويورك لم يسبق لها مثيل وخاصة يومي مجيء الأخ ابو عمار ويوم مغادرته الى هافانا .

ولعبت الحملة الاعلامية المسعورة الاسرائيلية الصهيونية دورا اساسيا في تسليط الاضواء على الوفد الفلسطيني ومجيئه الى الامم المتحدة كمـا جاءت المحاولات الرسمية الامريكية سواء منها الاصرار على تخفيض أعضاء الوفد الفلسطيني وخاصة ما سمي بالوفد الاعلامي او الحصار الجغرافي لتنقل اعضاء الوفد في دائرة نصـف قطرهـا لا يتعدى خمسة وعشرين ميلا مـن وسط المدينة عـاملا أساسيا آخر خلق جوا من الاهتمام بالامم المتحدة وجلساتها قلما شهدت مثله منذ قيامها . وكانت هناك محاولات جانبية اخرى ساهمت في خلق ذلك الجو منها الاعتداء على مكتب المنظمة في نيويورك في تلك الفترة من قبل عناصر صهيونية معروفة والتهديد العلني السافر في مؤتمر صحفي من قبل احد المسؤولين في ما يسمى بـ « عصبة الدفاع اليهودي » بالعمل على محاولة اغتيال رئيس الوفد الفلسطيني اثناء اقامته في نيويورك . وكانت هناك أيضا محاولات اعتداء من قبل محتالين أميركيين تعرض لهـا مكتب المنظمة في نيويورك اكثر من مرة والقي القبض عليهم من قبل الشرطة المحلية ولكن حتى الان لم تصدر الاحكام ضدهم . هذا الجو الذي رافق عرض القضية الفلسطينية لـم يخدم اهداف اعداء هذه القضية بل بالعكس ادى الى ازدياد التعاطف معها بالاضافة الى القرارين السياسيين الصادرين عن الجمعية العامة . فهذان القراران اصبحا ركيزة اساسية ينطلق منها العمل الدبلوماسي الفلسطيني ، وأديا الى عزل اسرائيل عن المجتمع الدولي والى الاعتراف المتزايد بمنظمة التحرير الفلسطينية رغم كـل محاولات الولايات المتحدة لضرب منظمة التحرير الفلسطينية عن طريق الامم المتحدة ذاتها . فعلى اثر عملية ميونيخ عام ١٩٧٢ حاولت الامم المتحدة منجرة وراء اهواء الولايات المتحدة الاميركية وبناء على طلب من سكرتيرها العام ادراج بند في جـدول اعمال الجمعية العامة كموضوع هام وعاجل سمي بند « الارهاب الدولي » . وكان الهدف منه توجيه ضربة في الصميم الى الثورة الفلسطينية واظهارها كحركة ارهابية وليس كحركة تحرر وطني لهذا الشعب المناضل . ولكن في هـذه الدورة وبعد ثلاثة اعوام من ذلك المشهد رأت الجمعية العامة ذلك المشهد الرائع الذي لم يسبق له مثيل ، حتى عندما استعادت الصين الشعبية حقوقها في الامم المتحدة . فعندما كان رئيس اللجنة التنفيذية يخطب في الجمعية العامة استقبل بالتصفيق والهتافات بشكل لم يسبق له مثيل وعلى الرغم من انه لم يسمح للضيوف دخول القاعة بحجة الأمن ، لم

يكن هناك اي مقعد خال بسبب الحضور الكثيف لاعضاء الوفود وللعاملين في الامانة العامة للامم المتحدة .

في الوقت نفسه كان اقطاب اسرائيل والحركة الصهيونية واتباعهم من اعضاء مجلس الشيوخ يخطبون في مظاهرة خارج مقر الامم المتحدة جروا اليها الاف الطلبة والاطفال من مدارسهم في نيويورك وغيرها من المدن الاميركية .

أما بالنسبة للقرارين : فكان القرار الاول المتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني والذي عرف فيما بعد بقرار ٣٢٣٦ (الدورة ٢٩) مبنيا على الاسس التي حددتها اللجنة التنفيذية في اجتماعها في دمشق ، والذي أبرقت به الى مجلس جامعة الدول العربية وتبناها مؤتمر القمة في الرباط . غير انه تعرض لتعديلات ، بعضها من قبل دول عدم الانحياز والبعض الآخر من قبل وزراء الخارجية العرب انفسهم وقد كان هناك اتجاهان اثناء البحث في فحوى القرارين . الاتجاه الاول يدعو الى صياغة مشروع قرار يحصل على اكبر عدد من الاصوات في محاولة للحصول على تأييد بعض الدول الاوروبية الغربية . ويدعو اصحاب هذا الاتجاه الى تضمين مشروع القرار الاشارة الى قرارات الامم المتحدة السابقة . والاتجاه الثاني يدعو الى صياغة مشروع قرار لا يخرج عن المبادىء الاساسية ويعكس حاضر الثورة الفلسطينية ، وينص على الحقوق والحفاظ عليها . وكان موقف المنظمة باستمرار هو ضرورة التأكيد على الحقوق في قرار متين منسجم مع اماني الشعب الفلسطيني ورغباته حتى ولو لم يحصل على العدد من الاصوات التي قد يحصل عليها قرار هزيل كالذي حاول بعض الاطراف استصداره . وحتى في الوقت الذي سبق عرض مشاريع القرارات وقبل انعقاد مؤتمر القمة العربي في الرباط ، كانت بعض الاوساط العربية تلمح الى وجود مشروع قرار يدعو لاقامة وطن للفلسطينيين . فكان جوابنا لهم ان للشعب الفلسطيني وطنه وهو ليس شعبا بلا وطن . فالمطلوب اذن هو عودة الشعب الفلسطيني الى وطنه وليس التفتيش عن وطن له . ومن هنا كان اصرارنا آنذاك على أن تشمل الحقوق التي نص عليها القرار حق الفلسطينيين في العودة الى بيوتهم وممتلكاتهم التي اجلوا عنها وأقتلعوا منها منذ عام ١٩٤٧ والدعوة الى عودتهم في اقرب وقت ممكن . واهمية هذه الفقرة الجديدة التي نص عليها القرار رقم ٣٢٣٦ والتي تعتبر التفسير المنطقي الوحيد لقرارات الأمم المتحدة المتعاقبة منذ سنة ١٩٤٩ — عندما تبنت الجمعية العامة قرارها رقم ١٩٤ في الدورة الثالثة ، وخاصة الفقرة ١١ التي تنص على حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة أو التعويض — هي أنها قد اعطت المفهوم المنطقي المبني على الحقوق المعترف بها دوليا ، وهي حق الانسان في العودة الى بيته وممتلكاته وأن هذا الحق هو حق وطني ثابت وليس فقط حقا انسانيا .

واما القرار الثاني المتعلق باعطاء صفة المراقب لمنظمة التحرير الفلسطينية والذي يعرف بقرار رقم ٣٢٣٧ ، فقد انتزعناه رغم معارضة عدد كبير من الدول العربية نفسها ومن الدول الصديقة التي كانت تخشى ان يشكل ذلك سابقة بالنسبة لحركات تحرر قد تنشأ بين افراد شعبها ولهذا القرار خلفيات تعود لاكثر من سنتين قبل استصداره وكنا نربط مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية مع مشاركة حركات التحرر الافريقية في مثل هذه القرارات لسببين رئيسيين ، احدهما مبدئي وهو ايماننا بوحدة قضايا التحرر وبالارتباط العضوي القائم بين حركات التحرر في العالم والسبب الاخر اجرائي يرمي لضمان مساندة الدول الافريقية لهذا القرار . وفي مؤتمر قانون البحار الذي انعقد في كاراكاس عاصمة فنزويلا اتخذ قرار بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية

مع دعوة منظمات التحرير الوطنية المعترف بها من قبل منظمة الوحدة الافريقية . وكان للصعوبات والعقبات التي اعترضت مسعى الوفود الشقيقة والصديقة في كاراكاس اثر ايجابي على التفكير بضرورة اتخاذ قرار شامل وعام لتحاشي مثل هذه الصعوبات ولاستبعاد اي اغفال او نسيان قد يحدثا عند اتخاذ القرارات الاساسية التي تتطلب مشاركة من قبل م.ت.ف . ولكي لا نقدم على خوض معركة في كل مناسبة رأى الاخوة الفلسطينيون العاملون في نيويورك ضرورة تأمين دعوة منظمة التحرير الفلسطينية ومشاركتها في جميع المؤتمرات الدولية التي تعقد تحت رعاية الجمعية العامة باستصدار قرار أعطاء م.ت.ف صفة مراقب دائم في الدورة التاسعة والعشرين . وهنا لا بد من الاشارة الى الدور الخاص الذي قام به وفد دولة الامارات العربية بشكل عام ودور الدكتور برهان حماد المستشار في وفد دولة الامارات واحد الاخوة الفلسطينيين الذين اشرت لهم اكثر من مرة في هذا الحديث .

وقد جرى لقاء بين وفد م.ت.ف وكافة وفود حركات التحرر الافريقية التي كانت تحضر ذلك الاجتماع وشارك في اللقاء مندوب منظمة الوحدة الافريقية واتفق على ضرورة التنسيق الا ان منظمة الوحدة الافريقية ، لاسباب خاصة ، ارتأت فصل القرارات المتعلقة بالدعوة لحركات التحرر المعترف بها ، وقال اكثر من مسؤول فيها ان منظمة التحرير الفلسطينية لها وضع متطور خاص وليس من العدل ان تعامل اسوة ببعض حركات التحرر الافريقية . وبدافع الحرص على وحدة الصف العربي الافريقي كنا على استعداد للاتفاق على اية صيغة اجرائية معقولة . اما عن طريق بند جديد يضاف على جدول الاعمال في دورتها التاسعة والعشرين تحت عنوان دعوة منظمات التحرير الوطنية المعترف بها من قبل منظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية ، للحضور كمراقبين في جميع دورات الجمعية العامة والمؤتمرات الدولية التي تعقد تحت اشراف الامم المتحدة . او عن طريق استصدار قرار بدعوة هذه المنظمات يدخل ضمن احد البنود الواردة على جدول اعمال الجمعية العامة . وقد حاول بعض الاخوة العرب أمام اصرارنا على تقديم مشروع قرار منفصل ، ادخال فقرة خاصة بالدعوة ضمن مشروع القرار السياسي المتعلق بالحقوق الفلسطينية الثابتة ، عند بحث قضية فلسطين . وكانت هناك خشية لدى دول عربية وصديقة بأن هذا القرار قد يؤثر بشكل سلبي على القرار السياسي الذي اتفقنا عليه ، وانه من الافضل الاكتفاء بقرار واحد وكان البعض يصر على ان هذا القرار لن ينجح وقد لا يحصل الا على اصوات قليلة ستقلل من اهميته . وذهب البعض الى حد التهكم قائلا بأن دعوة المنظمة كمراقب سيجعلها تتصرف كحكومة ، وليس كحركة تحرير ! وكنا باستمرار نواجه هذه الاعتراضات بالحجج والبراهين وقلنا ان مثل هذا القرار هو تجسيد للانتصارات السياسية والعسكرية التي احرزها نضال شعبنا وانه في الوقت نفسه تجسيد عملي للقرار السياسي المتعلق بالحقوق الثابتة . والغريب في الامر ان الذين عارضوا دعوة المنظمة كمراقب هم اكثر الناس اندفاعا في الضغط على المنظمة لاقامة حكومة فلسطينية مؤقتة . وقد ثبت بالتجربة عندما اشتركت المنظمة في الماضي في المؤتمرات الدولية والاقليمية انها لم تتصرف كدولة وانما كحركة تحرر وطني مسؤولة . ولكنهم تجاهلوا هذه الحقيقة . وبقي مشروع هذا القرار يتأرجح بين القبول وعدم القبول حتى ساعة متأخرة من مساء يوم الخميس الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٧٤ عندما اقرته المجموعة العربية بعد ان طال بها النقاش حول القرار السياسي المتعلق بالحقوق الوطنية الثابتة وقدمت هذا الطلب ستة وثلاثون دولة وقد حاز لدى التصويت على خمسة وتسعين صوتا اي ستة اصوات اكثر مما حاز عليه القرار ٣٢٣٦ المتعلق بالحقوق الثابتة .

ونشطت الجهود العربية لاجل استقطاب اكبر عدد من الدول الاعضاء الى جانب القرارين ، ولم تبق هناك دولة من اعضاء الأمم المتحدة باستثناء اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية لم يجر الاتصال بها من قبل اكثر من وفد عربي ، وبالطبع من وفد منظمة التحرير الفلسطينية . وكنا على ثقة بأن مشروعي القرارين سيحصلان على اصوات قريبة من العدد الذي حازا عليه ، لاننا كنا مدركين لمواقف هذه الدول . وكانت هناك حملة مركزة من التشكيك بالنسبة للقرار الثاني الخاص بمنح المنظمة صفة المراقب ، فقال لنا البعض ان دولا صديقة ستصوت ضد القرار . وجاءنا البعض راجيا سحب مشروع القرار وعدم طرحه على التصويت محملا اياانا مسؤولية تقديم ذلك المشروع . ولكننا كنا نقول لهم باستمرار ان اتصالاتنا بالوفود هي التي تدعونا الى التأكيد بان هذا القرار سينجح .

ومنذ ذلك الوقت تمارس منظمة التحرير الفلسطينية تمثيلها للشعب الفلسطيني في الامم المتحدة وكافة لجانها وكافة المؤتمرات المنبثقة عنها والمنعقدة تحت اشرافها ، عن طريق تلك الصفة التي اكتسبتها كمراقب في تلك الدورة التاريخية . ووجود منظمة التحرير الفلسطينية كمراقب في الامم المتحدة يختلف عن المراقبين الاخرين من الدول غير الاعضاء ، فهؤلاء المراقبون يدعون عن طريق السكرتير العام للامم المتحدة وحقوقهم مختلفة عن الحقوق التي يمارسها وفد منظمة التحرير الفلسطينية . فمثلا يستطيع ممثل فلسطين ان يطلب الكلمة وان يشترك في اية مناقشة ، ليس فقط في القضايا التي تتعلق به وبقضيته وانما في اي موضوع مدرج على جدول الاعمال دون اذن مسبق من اللجنة التي يتكلم امامها . كذلك من حقه ان يمارس الرد بدون ان يخضع ذلك لموافقة مسبقة . وقد لخص الحقوق التي سيحصل عليها وفد منظمة التحرير الفلسطينية قبل التصويت على ذلك القرار ، سفير بريطانيا سير ريشاردز عندما حذر الجمعية العامة من الموافقة على القرار قائلا : ان هذا سيعطي المنظمة كافة الحقوق التي يتمتع بها العضو ما عدا حقي التصويت وتقديم مشاريع القرارات . وسئلت فيما بعد ان كنت اتفق مع هذا التفسير وكان ردي : هناك حق آخر لم يتطرق له المندوب البريطاني وهو الاستفادة من اجهزة الأمم المتحدة دون ان نساهم في ميزانيتها .

تنفيذا للقرار الذي منح منظمة التحرير الفلسطينية صفة المراقب ، كان من حق منظمة التحرير الفلسطينية ان تشترك في كافة اعمال الجمعية العامة واللجان المنبثقة عنها منذ بداية الدورة وحتى نهايتها ، ليس فقط بالنسبة للقضايا التي تتعلق بقضية فلسطين ، وانما بالنسبة لكافة البنود المدرجة على جدول اعمال الجمعية العامة . غير ان وفد المنظمة لم يشترك الا في مناقشة القضايا المتعلقة بقضية فلسطين . وهذه القضية مدرجة بناء على الفقرة الاخيرة (رقم ٩) في قرار ٣٢٣٦ التي تنص على : « تقرر ان يدرج البند المعنون : قضية فلسطين ، على جدول اعمال مؤقت لدورتها الثلاثين » . وكان اول متحدث في مناقشة هذا البند الاخ فاروق القدومي رئيس وفد منظمة التحرير الفلسطينية في الدورة الثلاثين والذي افتتح المناقشة العامة . وتجدر الاشارة الى ان افتتاح المناقشة من قبل ممثل فلسطين لها مدلول سياسي ودبلوماسي ، اذ جرت العادة في الامم المتحدة ، ان يبدأ مناقشة اي بند على جدول الاعمال صاحب تلك القضية . وهذا يعني ان الشعب الفلسطيني ، على الصعيد الدولي ، قد خرج من الوصاية التي كانت مفروضة عليه ، بسبب حرمانه من حقه في ابداء رأيه والتعبير عن مشاعره بالنسبة لقضيته من أعلى المنابر الدولية. ونستطيع القول ان اشتراك الكثيرين من اعضاء الدول في التحدث في الجمعية العامة

اثناء مناقشة بند قضية فلسطين هو دليل على الاهتمام الدولي المتزايد بهذه القضية التي اصبحت كافة الدول الاعضاء تدرك انها صلب النزاع في الشرق الاوسط وانها مفتاح الحرب أو السلام في المنطقة ان لم تكن في العالم .

وفي مناقشة هذا البند ركز الجانب الفلسطيني على استصدار قرار اساسي واحد هو القرار رقم ٣٣٧٦ (الدورة الثلاثون) الذي تبنته اثنتان وخمسون دولة وينص على ما يلي :

الجمعية العامة ،

اذ تستذكر قرارها رقم ٣٢٣٦ (الدورة التاسعة والعشرون) ، بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٧٤ ،

واذ تأخذ علما بتقرير السكرتير العام حول تنفيذ هذا القرار ، تعرب عن قلقها العميق من أن حلا عادلا لمشكلة فلسطين لم يتحقق بعد ،

واذ تعترف بأن مشكلة فلسطين مستمرة في تهديد السلام والأمن الدوليين :

١ ـ تؤكد قرارها رقم ٣٢٣٦ (الدورة التاسعة والعشرين) ؛

٢ ـ تعرب عن قلقها العميق من عدم حصول أي تقدم نحو :

أ ـ ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة في فلسطين بما في ذلك حق تقرير المصير من دون تدخل خارجي ، وحقه في الاستقلال والسيادة الوطنيين ؛

ب ـ ممارسة الفلسطينيين لحقهم الثابت في العودة لبيوتهم وممتلكاتهم التي انتزعوا منها وأرغموا على النزوح عنها ؛

٣ ـ تقرر تشكيل لجنة متابعة لممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة ، مؤلفة من عشرين دولة تنتخب من قبل الجمعية العامة في هذه الدورة ؛

٤ ـ تطالب لجنة المتابعة هذه ان تعد برنامجا للتنفيذ ، وان تتقدم به كتوصية للجمعية العامة ، من أجل تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه المعترف بها في الفقرتين ١ و ٣ من قرار الجمعية العامة رقم ٣٢٣٦ (الدورة ٢٩) وان تأخذ في الحسبان أثناء صياغة توصياتها بتنفيذ هذا البرنامج ، كافة السلطات التي خولها الميثاق لأجهزة الأمم المتحدة الرئيسية ؛

٥ ـ تخول اللجنة للقيام بواجباتها اجراء الاتصالات ، وتسلم الاقتراحات ومشاريع القرارات والبحث فيها مع أية دولة أو أية منظمة دولية اقليمية ومع منظمة التحرير الفلسطينية ؛

٦ ـ تطلب من السكرتير العام أن يضع تحت تصرف اللجنة كافة التسهيلات الضرورية للقيام بمهماتها ؛

٧ ـ تطالب اللجنة أن تقدم تقريرها وتوصياتها الى السكرتير العام بتاريخ أقصاه (حزيران ١٩٧٦) وتطلب من السكرتير العام أن ينقل هذا التقرير لمجلس الأمن ؛

٨ ـ تطالب مجلس الأمن أن ينظر بأسرع وقت بعد تاريخ (حزيران ١٩٧٦) ، في موضوع ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية الثابتة المعترف بها في الفقرتين الاولى والثانية من قرار الجمعية العامة رقم ٣٢٣٦ (الدورة التاسعة والعشرون) ؛

٩ ـ تطلب من السكرتير العام أن يخبر اللجنة بالعمل الذي يتخذه مجلس الأمن وفقا للفقرة الثامنة أعلاه ؛

١٠ ـ تخول اللجنة ، آخذة بالاعتبار ما يتخذه مجلس الأمن من خطوات أن تقدم للجمعية العامة في دورتها الحادية والثلاثين تقريرا يحتوي على توصياتها وملاحظاتها ؛

١١ ـ تقرر أن تدرج بندا بعنوان قضية فلسطين على جدول أعمالها المؤقت للدورة الحادية والثلاثين (١)

(١) تقرير رقم A - 10265 ٦٥

يتضح من نص هذا القرار اننا قد انتقلنا الى مرحلة جديدة في العمل في الامم المتحدة ، وهي مرحلة العمل على تطبيق القرار التاريخي الذي اتخذته الجمعية العامة

في الدورة التاسعة والعشرين والخاص بالحقوق الوطنية الثابتة . ومع ادراكنا ان صعوبات جمة تعترض مسعى هذه اللجنة منذ اتخاذ هذا القرار نتيجة لتشنج بعض الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة ، ونتيجة للموقف الاسرائيلي المعروف حول عدم تعاون دولة الاحتلال مع اية لجنة تنبثق عن الامم المتحدة . الا ان تكوين هذه اللجنة ضروري للتركيز على الحقوق الثابتة وعلى اصل القضية الفلسطينية وليس على فروعها كما كان يحدث في الماضي . كما ان تشكيل مثل هذه اللجنة سيساهم في استمرارية عملية التعرية التي نقوم بها بالنسبة لاسرائيل وللحركة الصهيونية ليس عن طريق حكم عربي وانما عن طريق لجنة دولية تمثل الجمعية العامة للامم المتحدة .

واثناء البحث والتفكير في الدول التي يجب ان تتشكل منها هذه اللجنة ، كان وفد منظمة التحرير الفلسطينية يسعى لان تكون اللجنة ممثلة للمجموعات الجغرافية الموجودة في الامم المتحدة . فاجريت اتصالات مع العديد من الدول في المجموعات اللاتينية والاوروبية الغربية والافريقية والاسيويه والاشتراكية . الا ان معظم دول المجموعة الاوروبية رفضت المشاركة في هذه اللجنة مدعية انها ستقبل فقط اذا طلب منها بعد قرار بالموافقة من قبل المجموعة الاوروبية . كما اعتذر بعض الوفود عن المشاركة في تنفيذ القرار ٣٢٣٦ بحجة أنهم لم يقترعوا لصالح هذا القرار في الدورة التاسعة والعشرين ولذلك ليس من المعقول على حد زعمهم المشاركة في تنفيذ قرار كانت عندهم تحفظات عليه ، وكانت هذه حالة بعض الدول اللاتينية . وحرص وفد منظمة التحرير الفلسطينية على ان تكون بعض الدول التي لا زالت لها علاقة دبلوماسية مع اسرائيل ممثلة في هذه اللجنة ، لكي لا تستغل اسرائيل حجة عدم وجود تمثيل دبلوماسي بينها وبين الدول الاعضاء في اللجنة ، كما حدث بالنسبة للجنة الثلاثية التي شكلتها الجمعية العامة سنة ١٩٦٨ للبحث في الممارسات الاسرائيلية بالنسبة للمواطنين في المناطق المحتلة ، وفي مخالفة اسرائيل لاتفاقية جنيف المتعلقة بحقوق الانسان ، اذ ما برحت اسرائيل تطعن في عضوية هذه اللجنة المؤلفة من يوغسلافيا والسنغال وسيرالانكا برئاسة سفير سيرالانكا شيرلي اما راسينغي ، وتقاطعها بحجة ان هذه الدول ليست لها علاقة مع اسرائيل . لذلك حرصنا مثلا على ان تكون رومانيا وهي الدولة الاشتراكية التي ابقت على علاقات دبلوماسية مع اسرائيل وكذلك مالطا وقبرص اعضاء في اللجنة .

وانتخبت الجمعية العامة هذه اللجنة من الدول الاتية لتنفيذ هذا القرار : افغانستان ، كوبا ، قبرص ، جمهورية المانيا الديمقراطية ، غينيا ، المجر ، الهند ، اندونيسيا ، لاوس ، مدغشقر ، ماليزيا ، مالطا ، باكستان ، رومانيا ، السنغال ، سيراليون ، تونس ، تركيا ، الاوكران ويوغسلافيا .

ويعتبر هذا القرار ايضا محاولة للضغط على مجلس الامن لاتخاذ الخطوات الفعالة والاجراءات اللازمة لتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه الوطنية الثابتة بالنسبة لحق تقرير المصير والاستقلال والسيادة الوطنيين ، وحق الفلسطينيين في العودة لبيوتهم وممتلكاتهم التي اجبروا على النزوح عنها منذ سنة ١٩٤٧ . كما يعتبر هذا القرار محاولة لحمل مجلس الامن بصفته الجهاز المكلف من الامم المتحدة بالمحافظة على السلام والامن الدوليين بالنظر الى طبيعة القضية الفلسطينية وكونها المحور الاساسي في الصراع في الشرق الاوسط ، والتي من شأنها ان تستمر في تهديد السلام والامن الدوليين . ومع ادراكنا منذ البداية أن الموقف العدائي الذي تتخذه

الولايات المتحدة بالنسبة للشعب الفلسطيني وقضيته ، ليس فقط في الجمعية العامة، وانما في مجلس الامن ايضا ، فمن المؤكد ان تستعمل الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) ضد اية محاولات يمكن ان يتخذها معظم اعضاء مجلس الامن حول تنفيذ هذه الحقوق . الا ان هذا القرار الذي هو بشكل توصية لمجلس الامن يساهم في الضغط على الولايات المتحدة والتشهير بموقفها العدائي في وقت تدعي فيه بانها جادة لاقامة صداقات مع الدول العربية .

وأما القرار الثاني الذي اتخذ في الدورة الماضية اثناء مناقشة قضية فلسطين ، فهو القرار بعنوان « دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في كافة الجهود من اجل السلام في الشرق الاوسط » ، وهذا القرار جاء نتيجة الكلمة التي القاها رئيس جمهورية مصر العربية السيد محمد انور السادات في الجمعية العامة للامم المتحدة ، قبل البدء بمناقشة بند قضية فلسطين ، والتي دعا فيها الى ضرورة مشاركة م.ت.ف في مؤتمر جنيف . فمنذ وصول الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة ولاسبوع كامل ، اثناء مناقشة بند قضية فلسطين ، كان جهدنا الرئيسي منصبا على كيفية الخروج من تلك الأزمة التي فاجأنا بها الرئيس السادات . فقد حاولنا أن لا يصدر هذا القرار تحت بند قضية فلسطين ، اذ لم يتكلم سيادة الرئيس أثناء مناقشة هذا البند ، وانما من الممكن ان يصدر هذا القرار عند مناقشة بند ازمة الشرق الاوسط المدرج على أعمال الجمعية العامة . وقد حاولنا ايضا التركيز في اكثر من مناسبة خلال اجتماعات المجموعة العربية ، على العمل من أجل توحيد الصف العربي الذي كاد يكون معدوما قبل وصول وفد منظمة التحرير الفلسطينية . وادراكا منا بان المواضيع الفلسطينية الاساسية ، سواءا مشروع القرار المتعلق باقامة لجنة لتنفيذ الفقرتين الاولى والثانية من القرار ٣٢٣٦ (الدورة ـ ٢٩) ، أو القرار التاريخي الذي تبنته اللجنة الثالثة « الانسانية والاجتماعية المتعلق بتعريف الصهيونية كحركة عنصرية ، قد يتعرضان للخطر في هذه الدورة نتيجة عدم الاتفاق العربي ، ونتيجة الشلل الذي تعرضت له المجموعة العربية وللارتجال والانفراد بتقديم قرارات لم يسبق ان اتفق عليها ، مثل مشروع القرار الداعي لاشتراك م.ت.ف في مؤتمر جنيف . فقد عمل الوفد الفلسطيني بكل جهد لراب الصدع في الصف العربي ولاقامة جو بعيد عن التراشق بالتهم والمزايدات والمناقصات محاولين بذلك الخروج باجماع عربي حول كافة المواضيع والقرارات ، ومدركين ايضا انه لا يمكن لوفد م.ت.ف ان يقبل باي قرار يكون مخالفا لقرارات المجالس الوطنية الفلسطينية ، وان أي مؤتمر من أجل السلام لا يمكن أن تحضره م.ت.ف اذا كان مبنيا على القرار رقم ٢٤٢ ذلك القرار الذي يجسد الاحتلال الاسرائيلي للقسم الاكبر من الوطن الفلسطيني ويعتبر قضية الشعب الفلسطيني « مشكلة لاجئين في الشرق الأوسط » . وكانت ثلاثة عوامل أساسية تحكم تصرف وفد م.ت.ف بالنسبة لهذا الموضوع :

أولا : ان لا يكون في اي قرار يتخذ بالنسبة لدعوة م.ت.ف للمشاركة في جهود السلام في الشرق الاوسط اي نص او تلميح لاي قرار سابق اتخذته الجمعية العامة او مجلس الأمن القرار رقم ٣٢٣٦ . وان تكون المشاركة مبنية على أساس تنفيذ هذا القرار وليس على اي اساس اخر وذلك للمحافظة على وحدة الصف الفلسطيني الذي هو في النهاية اهم من اي اعتبار اخر .

ثانيا : المحافظة على وحدة الصف العربي والخروج بقرار مقبول من كافة الاطراف العربية وذلك للمحافظة على قدرة المجموعة العربية في ان تتحرك في اوساط الامم

المتحدة بالشكل الذي جرت عليه العادة ، وخاصة في الدورة التاسعة والعشرين عندما كانت وحدة الصف العربي والتنسيق بين كافة الاعضاء فيها مثلا يحتذى به ولكون هذا الاجماع العربي عاملا أساسيا في المحافظة على أكبر عدد ممكن من المؤيدين والاصدقاء على الصعيد الدولي . اذ ان اي خلاف في داخل المجموعة العربية يعكس نفسه باستمرار على عدد مؤيدينا ومؤيدي قضيتنا ، ونحن في امس الحاجة لتأييدهم بالنسبة للقرار المتعلق بالصهيونية .

ثالثا : المحافظة على الاسس والمبادىء التي نعتقد انها حجر الاساس بالنسبة للقضية الفلسطينية والتي لا يجوز المساس بها من قريب او بعيد ، اذ لا بد من التركيز على هذه الاسس والمبادىء بدلا من ارضاء المحاولات التي قد يلجأ اليها البعض باسم « التكتكة » او باسم ما يمكن الحصول عليه في مرحلة معينة نتيجة ظروف معينة . فمن البديهي مثلا ان تكون اتفاقية سيناء الاخيرة قد اثرت على مجرى الاحداث في المجموعة العربية في الامم المتحدة وعلى مناقشة بند قضية فلسطين ، وقد يكون لهذه الاتفاقية أثر أساسي في جعل رئيس جمهورية مصر العربية يقدم على تقديم ذلك الاقتراح بالنسبة لدعوة المنظمة للمشاركة في مؤتمر جنيف . ومن هنا ، كان اصرار الوفد الفلسطيني عندما فشل طلبنا بالغاء تقديم مشروع القرار (اذ كان من العسير على وفد جمهورية مصر أن يسحب هذا الاقتراح بعد أن تقدمت به أعلى سلطة في البلد وأمام الجمعية العامة) هو العمل على أن لا يتم تقديم هذا القرار تحت بند قضية فلسطين ، وان نحاول التوصل الى صيغة تشكل أقل ضرر ممكن بالأسس والمبادىء والمنطلقات التي ذكرتها سابقا . وبمجرد مقارنة بسيطة بين ورقة العمل الاولى التي تقدم بها وفد مصر وبين القرار الذي حمل رقم ٣٣٧٥ كما تبنته الجمعية العامة في صيغته المعدلة ، نلاحظ أهمية الفرق بين الاثنين . فقد نصت ورقة العمل التي اقترحها وفد جمهورية مصر العربية على :

الجمعية العامة ،

وقد درست البند المتعلق بالمسألة الفلسطينية واذ تقرر بضرورة التوصل الى سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط بأسرع ما يمكن ،

واذ تؤمن بأن تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني طبقا لمبادىء الميثاق وأهدافه هو شرط ضروري للتوصل الى سلام عادل ودائم في المنطقة ،

واذ تأخذ في الاعتبار ان انعقاد مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الأوسط يجب أن يتم في القريب العاجل – بحضور كافة الأطراف المعنية – لمعالجة مشكلة الشرق الأوسط من كافة جوانبها بهدف التوصل الى تسوية عادلة ودائمة ،

١ – تدعو الى اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطيني في أعمال مؤتمر جنيف للسلام على قدم المساواة مع بقية الأطراف المشتركة في المؤتمر ،

٢ – تكلف السكرتير العام بابلاغ هذا القرار الى رئيس مؤتمر جنيف للسلام واتخاذ كافة الخطوات التي تؤمن اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في أعمال المؤتمر ،

٣ – تطلب من السكرتير العام تقديم تقرير في هذا الشأن الى الجمعية العامة في أقرب وقت .

وأما صيغة القرار المعدلة التي تبنتها الجمعية العامة (القرار رقم ٣٣٧٥) فينص على :

الجمعية العامة ،

بعد ان نظرت في البند المعنون قضية فلسطين ،

مستذكرة قرارها رقم ٣٢٣٦ (الدورة التاسعة والعشرون بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٧٤) الذي اعترف بالحقوق الوطنية الثابتة لشعب فلسطين ،

معترفة بضرورة تحقيق سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط في أقرب وقت ممكن ،

معتقدة أن تحقيق الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني وفقا لأهداف ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة هو شرط مسبق لتحقيق سلام عادل ودائم في المنطقة ، ومقتنعة أن مشاركة الشعب الفلسطيني ضرورية في أية مجهودات ومداولات تهدف الى تحقيق سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ،

١ ـ تطلب من مجلس الأمن أن يبحث وان يتخذ القرارات والاجراءات الضرورية من أجل تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه الوطنية الثابتة طبقا لقرار الجمعية العامة رقم ٣٢٣٦ (الدورة التاسعة والعشرون) ٠

٢ ـ تدعو الى دعوة منظمة التحرير الفلسطينية ، الممثلة للشعب الفلسطيني للمشاركة في كافة الجهود والمداولات والمؤتمرات حول الشرق الأوسط ، والتي تعقد تحت اشراف الأمم المتحدة ، على قدم المساواة مع كافة الأطراف ، طبقا للقرار ٣٢٣٦ (الدورة التاسعة والعشرون) ٠

٣ ـ تطلب من السكرتير العام أن يخبر رئيسي مؤتمر السلام في الشرق الأوسط بهذا القرار الحالي وأن يتخذ الخطوات الضرورية لضمان دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في أعمال المؤتمر وفي كافة الجهود الأخرى من أجل السلام ٠

٤ ـ تطلب من السكرتير العام أن يقدم تقريرا حول هذا الموضوع الى الجمعية العامة في أسرع وقت ممكن ٠

ولم يأت النص النهائي دفعة واحدة وبدون اجتماعات مطولة ومكثفة ومحتدة النقاش في بعض الحالات ، فكان من الصعب مثلا أن نحول دعوة المشاركة في جنيف الى دعوة المشاركة لتنفيذ القرار ٣٢٣٦ ٠ كما كانت هناك مناقشات طويلة بين وفد منظمة التحرير الفلسطينية ووفد الجمهورية العربية السورية من جهة، ووفد مصر من جهة أخرى ٠ فقد تقدمت سوريا باقتراح مشروع قرار على المجموعة العربية كان من المستحيل ان ينجح في الامم المتحدة ٠ وقد قال مندوب سوريا الدائم لدى الامم المتحدة السيد موفق العلاف ان ورقة العمل هذه هي نتيجة اتفاق سوري ـ فلسطيني على اعلى المستويات ٠ ومع تحبيذنا لورقة العمل هذه الا أنه كان من غير الممكن التفكير بها في هذه الدورة وفي ظروف المعطيات الدولية والعربية القائمة ، ولانها بالاضافة الى ذلك جاءت متأخرة من حيث التقديم ٠ وقد قامت اتصالات مكثفة ونقلت الخلافات العربية من داخل المجموعة الى مجموعة عدم الانحياز ومجموعة الدول الاسلامية مما خلق بلبلة وعدم وضوح كان لهما أثر سيء على العمل العربي في الدورة الماضية ٠

وعندما تم الاتفاق على صيغة مقبولة نسبيا مع تحفظ وفد م.ت.ف على الفقرة الثانية من المشروع المعدل (لان وفد منظمة التحرير لا يمكن له ان يتصرف في موضوع من دون العودة للمجلس الوطني الفلسطيني) قبلت مصر بالصيغة النهائية المعدلة بعد ان كانت قد قدمت مشروع قرارها تؤيدها في ذلك دولتان عربيتان فقط هما السودان وعمان ٠ وتبنت مشروع القرار المعدل غالبية الدول العربية باستثناء ليبيا والعراق وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٠ وتم التصويت على هذا القرار في ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ ٠

وأما القرار التاريخي الذي سبق للجنة الثالثة ان اتخذته في ١٩٧٥/١٠/١٧ والذي تم التصويت عليه ايضا في ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ المتعلق بادانة الصهيونية بكونها شكلا من أشكال العنصرية ومن التمييز العنصري فقد كان له أيضا مجال واسع من الاخذ والرد في داخل المجموعة العربية التي اجتمعت أكثر من مرة سواء كان ذلك بكافة اعضائها او بلجنة فلسطين الفرعية المصغرة ٠ وقد كان البعض يسعى لادخال تعديلات على هذا القرار تنبثق من مواقف اما مبدئية عند البعض وأما نتيجة ارضاء

بعض الدول الغربية التي كانت تصر على ضرورة ادانة اللاسامية في نفس القرار . وكان موقفنا من هذه المحاولة أنـــه ليس لدينا أي مانع في ادانة اللاسامية في أي قرار منفصل تستصدره الجمعية العامة ويقيننا ان كافة الدول العربية ستصوت لصالح هذا القرار اما محاولة ربط موضوع اللاسامية بموضوع ادانـــة الصهيونية ووصفها بالعنصرية في هذا الوقت وبالشكل المقترح فأمر مرفوض جملة وتفصيلا . وقد نال هذا القرار اعتناء خاصا نظرا لاهميته التاريخية ونظرا للضغط التي مارسته كل مـــن اسرائيل والولايات المتحدة الى حد أن حكومة الولايات المتحدة اعتبرت الاقتراع لصالح مثل هذا القرار موجها ضدها بشكل خاص . فكان التهديد والوعيد ، وكان الضغـــط والتشكيك الى درجة أننا كنا نتخوف من أن تفلت مجموعة الدول التي ايدتنا نتيجـــة الضغط هذا ونتيجة الانقسام العربي والبلبلة التي عانت منها بعض الوفود العربية. وأمام محاولات الدول الغربية لتأجيل النظر في هذه التوصية والتهديد بقطع مساعداتها عن الدول الافريقية في العقد المخصص لمكافحة سياسة الابارتايد (Apartheid) ولازالة كافة أشكال التمييز العنصري ، فقد جاء أكثر من مسؤول افريقي يطلب منـــا القبول بالتأجيل وقد جاء من يحاول تأجيل كافة توصيات اللجنة الثالثة الى موعد اخر أو حتى الى الدورة القادمة. ولكن الموقف العربي بعد أن تبلور وانسجم مع موقف م.ت.ف لعب دورا في الحيلولة دون التأجيل . ووقفت الدول التي صوتت لصالح التوصية في اللجنة الثالثة في معظمها صفا واحدا وصلبا . وقد علمنا من أكثر من مصدر بأن بعض الدول التي اقترعت لصالح القرار في اللجنة الثالثة ستمتنع عن التصويت وذكر منها شيلي ، فكان تعليقنا ان اقتراع حكومة شيلي الحالية لصالح القرار كان احراجا لمنظمة التحرير الفلسطينيـــة .

ومما لا شك فيه ان هذا القرار جاء مكملا للقرارات التي اتخذت في الدورة السابقة بالنسبة لحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية الثابتة وبالنسبة لمنح م.ت.ف صفـــة المراقب .

وهذا القرار الذي اعترف زعماء اسرائيل والحركة الصهيونية بخطورته ، وبكونه من الناحية الايديولوجية « حكمـــا بالاعدام » ضد اسرائيل ، سيكون منطلقـــا فكريا وتاريخيا لا بد من الاعتماد عليه لتعرية الكيان الصهيوني العنصري وفضحه ، تمهيدا لحرمانه من ممارسة حقوقه في الجمعية العامة على غرار ما حدث للكيان العنصري في جنوب افريقيا .

١٩٧٥ العربي واللبناني :
عام الرهان على السلبيات

مروان ناصر

ربما سجل تاريخ هذا القرن العشرين أن عروبة لبنان لم تتثبت وتتأكد في يوم من الايام أكثر مما تثبتت وتأكدت من خـــلال أشرس محاولـــة للانعزالية اللبنانية لاثبات العكس وتكريسه .

فليس من قبيل الصدفة أبدا أن تجد أزمة انحسار النضال العربي (التي وصلت في عام ١٩٧٥ الى درك بارز من دركاتها) في لبنان ميدانا تنفجر فيه ، وتصيب بشظاياها الوضع العربي بأسره .

ربما لعبت الظروف دورها في التوقيت فقط ، فقد كان بوسع الأزمة القومية ان تجد لنفسها ميدانا عربيا آخر تنفجر فيه ، لولا أن الظروف تجمعت لتجعل من لبنان في عام ١٩٧٥ ـــ كما يبدو ـــ أضعف حلقات السلسلة العربيـــة ، وأكثرها استعدادا لتلقي الجرثومة . ولعل هذا ما دفع أحد الدبلوماسيين الاجانب في بيروت الى القول بأنه اذا كان لا بد مـــن التسليم بأن لبنان قد أصبح الرجل المريض في المجموعة العربية ، فان الخوف في أن يكون مرضه سار يا .

بين النكبة والنكسة

ان تشخيص معالم المرض والصحـــة في النضال العربـــي ، وامكانية الخروج من التعقيد الحالي بوضع اليد على المفتاح الأساسي الذي يحرك الاحداث العربية والذي يحدد مسيرة هذه الاحداث ، كل ذلك يكمن في المقارنـــة التاريخية بين حدثين عربيين بارزين ، متشابهين في الشكل الـــى حد التطابق ، مختلفين في الجوهر الـــى درجة التناقض ، وهما نكبة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧ .

ومع ان نكبة ١٩٤٨ قد أودت بجزء كبير من أرض فلسطين ، وأودت نكسة ١٩٦٧ بالجزء الباقي منها ، فان هذين الحدثين يظل كل منهما رمزا للتناقض الذي يتجاذب السياسة العربية في العصر الحديث ، والذي يتركز على نقطة محورية هي تحديد نوع العلاقة بين المنطقة العربية والقوى الخارجية الكبرى ، خاصة تلك التي تملك تطلعات عربية ، وتملك تراثا من الانجذاب نحو المنطقة العربية .

ولو نحن محصنا قليـــلا في تفاصيل الزواج بين الحلـــم الصهيوني بانشاء دولة اسرائيل وبين المطامع الاستعمارية في المنطقة العربية (هذا الزواج الذي تم من خلال وعد بلفور) لوجدنا أن ابرام التعهد الاستعماري بانشاء دولة اسرائيل قد مر بمراحل

شد وجذب ، تحسبا للأضرار التـــي يمكن أن يسببها هـــذا المشروع لسكان البلاد الأصليين ، ولردود فعل الفلسطينيين والعرب على هذه الأضرار .

وكالعادة في مثل هذه الاحوال انقسم الرأي في الاوساط السياسية الاوروبية التي التي كانت تساهم في طبخ صيغة وعد بلفور بين معتدل يحذر من ردود الفعل العربية وضرورة مراعاتها ، ومتطرف يستخف بردود الفعل العربية .

ومع أن صيغة الوعد قد حملت لمحة من لمحات الحذر من ردود الفعل العربية ، الا ان عملية التنفيذ بعد ذلك ، قد اندفعت تحقق المشروع مرحلة وراء مرحلة ، تتوقف كلما قويت ردود الفعل ، وتندفع كلما همدت .

ولو القينا نظرة شاملة على السنوات الاخيرة التي سبقت انشاء دولة اسرائيل ، والتي تفصل بين اخماد ثورة ١٩٣٦ الكبرى ونكبة ١٩٤٨ ، لرأينا أن مشروع انشاء دولة اسرائيل لم يندفع نحو مرحلته الحاسمة ، الا بعد أن تكون وضع عربـــي عام (بفعل طبيعة الأنظمة العربية في تلك الفترة) يتبنى موقف مهادنة الاستعمار وملاينته ، بل والائتمار بأوامره على بعض المستويات العربية .

وهكذا بنيت نكبة ١٩٤٨ علـــى أساس عدم الايمان بقدرة الامكانات العربية على مواجهة التحدي ، فخسرنا المعركة من غير أن نخوضها .

نكبة عام ١٩٤٨ كانت اذن استغلالا استعماريا لرفض الأنظمـــة العربية التحدي الاستعماري المفروض عليها ، وانصياعها له ، امـــا نكسة ١٩٦٧ ، فقد كانت على العكس من ذلك تماما عقابا للعرب على اصرارهم هذه المرة على قبول التحدي ، ثم كسرا لشوكة الانتصارات الواضحة التي سجلوها وهم يخوضون حلبة التحدي ، وهي الانتصارات التي ما كانت القوى الاستعمارية تطيق تحمل آثارها ونتائجها ليس على المستوى العربي فحسب (وهو بحد ذاته منطقة حساسة بالنسبة للاستعمار القديم والحديث) بل على مستوى العالم الثالث أيضا .

الموقف من أميركا

ولعل اهم المواقع الحساسة التـــي يمكن ان نراقب فيهـــا عملية المد والجزر بين منطق قبـــول التحدي ومنطق الاستسلام أمامـــه ، هو موقع العلاقـــات العربية — الاميركية ، خاصة وان التحدي الخارجي الرئيسي الذي أصبح العرب يواجهونه بعد معركة السويس وانحسار النفوذين الفرنسي والبريطاني ، هو تحدي النفوذ الاميركي.

ان احدى الحجج الرئيسية التي يبرر بها النظام المصري الحالي عملية اعادة النظر والتراجع التي يخوضها بالنسبة للمرحلة الناصرية هي ان تلك المرحلة لم تكن تعترف في حسابات ادارة الصراع بحجم الثقـــل الاميركي في الصراع ، وان هـــذا الخطأ في الحسابات كلفنا هزيمة ١٩٦٧ ، وكاد يكلفنا هزيمة جديدة في عام ١٩٧٣ لولا مسارعة القاهرة الى توقيع اتفاقية وقف اطلاق النار ، وان الفارق بين حسابات المرحلة الجديدة في مصر والمرحلة السابقة هو الفارق بين الواقعية واللاواقعية .

وخلاصة المنطق السياسي المبني على مثل هذه الحجج يقول انه « ما دام صراعنا مع الاستعمار الاميركي حول القضية الفلسطينية قد أدى بنا الى نكسة ١٩٦٧ ، فلتحل المشكلة بالتصالح أو بالتفاهم ، بدل الصراع » .

والرئيس السادات بالذات واضح جدا حول هذه النقطة ، لا يخدع نفسه ولا يخدع أحدا ، فهو عندما يتحدث عن أن التفاهم مع أميركا حول قضية الصراع مع اسرائيل هو الطريق الوحيد للحل ، « لأن في يد أميركا كل أوراق اللعبة » ، لا ينفي أبدا أن أميركا هي العدو الأول ، بل هو يؤكد هذه الصفة ثم يستنتج معلقا : « أنا لا أقدر على محاربة أمريكا » (راجع نصوص العديد من الخطابات التي استعاد فيهـا الرئيس السادات أكثر من مرة ظروف اقدامه على اتخاذ قرار وقف اطلاق النار في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، حين يؤكد أن ذروة اقتناعه بضرورة التفاهم مع أميركا حول الحل ، ولدت مع ذروة اكتشافه لمدى تورط أميركا في معاداتها للعرب ودعمها لاسرائيل) .

في هذه النقطة الشديدة الوضوح والرمزية ، يكمن المنطق السياسي الذي يسيطر على المنطقة العربية بشكل رئيسي في هذه المرحلة ، ومن الواضح تماما أن الولايات المتحدة هي في مقدمة الدول المتنبهة لهذا المنطق ، وفي مقدمة الدول والقوى القادرة على الاستفادة منه .

لقد قفز النفوذ الاميركي في أعقاب معركة السويس عام ١٩٥٦ ، يحاول أن يسترد الفرصة التي أضاعها بحساباته الخاطئة التي بناها ، على طرح تحدي رفض تسليح الجيش المصري ورفض تمويل مشروع السد العالي (متأكدا من عدم قدرة مصر على قبول التحدي) فأطلق دالس المشروع الشهير باسم «مشروع ايزنهاور» لملء «الفراغ» الذي خلفه انهيار النفوذ الانجليزي ــ الفرنسي ، بالوجود الاميركي . وكانت الحسابات الاميركية هذه المرة تعتمد على انـــه اذا كانت مصر قد قبلت التحدي علـــى أرضها في موضوعي التسلح والسد العالي ، فلن يكون في وسعها قبول التحدي عندما يكون على مستوى الارض العربية .

ولكن مصر قبلـــت التحدي مرة اخرى ازاء مشروع « مـــلء الفراغ » الاميركي ، ومشروع حلف بغداد ، ولم يكن من نتائج معركة التحدي هذه فقط هزيمة جديدة للنفوذ الاميركي في المنطقة ، وفشلا للمخططات الاميركية ، بل كانت له أيضا نتيجة مضاعفة بالغة الأهمية هي بلورة الدور القومي لمصر ووصول هذا الدور الى احدى ذراه بتحقيق الوحدة مع سورية عام ١٩٥٨ .

وعلى قدر ما كان التحدي كبيرا ، وعلى قدر ما كانت الجرأة في قبول التحدي كبيرة ، جاء الانتقام ــ او العقاب ــ كبيرا هو الآخر ، وكانت عملية الانفصال التي كان فيها للنفوذ الاميركي دور بارز لا يمكن أن تخفيه أو تخفف من أهميته الصعوبات والاخطاء الاكيدة التي مرت بها عملية تطبيق الوحدة .

ولكن الاختيار ، في مرحلة عبد الناصر ، كان نهائيا وكان استراتيجيا ، ولذلك كان لا بد لحركة مصر القيادية في الوطن العربي من أن تخضع لمنطق موحد .

لذلك كان منطقيا جدا أن تتسع رقعة الاستجابة للتحدي كلما اتسعت رقعة التحدي نفسه ، وأن تتطور أساليب المواجهـــة وأدواتها ، بتطور أساليب التحدي المطروح وأدواته ، وكانـــت حرب اليمن ذروة من ذرى هـــذا التحدي ، حـــين انتقلت ارادة الاستقلال العربي ووحدة المصير العربي لتدافع عن نفسها على الطرف الغربي الجنوبي من الجزيرة العربية (اليمن) التي تحضن في جوفها أكبر ثروة اقتصادية عربية .

وعند هذا الحد ، ومع جرأة عملية الانتقال العسكري المصري الى اليمن ، ومع حساسية الجوار اليمني ، أدرك الاستعمار الاميركـــي أن مصر اذا استمرت في الشب

عن الطوق وفي تسجيل نجاحات على هذا الطريق ، فلن تكون النتيجة فقط خروج مصر نهائيا من منطقة النفوذ الاميركي بل خروج الوطن العربي كله بالتدريج ، وقلب ميزان القوى نهائيا في المنطقة ، بما في ذلك اعادة النظر جديا في الوجود الاسرائيلي برمته .

ولم يكن صدفة في تلك الأيام (منتصف الستينات) أن تتحرك الشراسة الاستعمارية الاميركية ، فشهد العالم الثالث سلسلة من الانقلابات في أهم مواقع حركات التحرر الوطني فيه مثل غانا واندونيسيا والكونغو ، كما بدأ التورط الاميركي في فيتنام الجنوبية يتخذ حجما متناميا .

واذا كانت حرب ١٩٦٧ تتويجا لهذه الهجمة الاميركية في العالم الثالث ، فقد انقسمت الآراء حول استخلاص العبرة السياسية من هذه النكسة :

ـ الأنظمة والتيارات الرجعية التي كانت تنتظر دورها في السقوط امام الموجة التحررية العارمة المعتمدة على منطق منازلة النفوذ الاستعماري وتأليب الامكانات العربية ضده ، أرادت أن تعتبر النكسة دليل فشل نهائي لهذا الخط ، وضرورة اعادة الاعتبار لمنطقها السياسي .

ـ الأنظمة والتيارات الوطنية ادركت ان اختلال الميزان بين امكانات التحدي وبين حجم التحدي هو المسؤول عن التراجعات ، وليس قرار قبول التحدي بحد ذاته . من هنا انطلقت في مصر بالذات ـ مركز الثقل العربي ـ عملية اعادة بناء القوات المسلحة على أسس عصرية جدية ، مع التشدد ازاء كل عمليات التسيب والتراخي والترهل التي رافقت المراحل السابقة لبناء القوات المسلحة المصرية ، والتي ظهرت آثارها بشكل فاضح ومخز ليس في هزيمة ١٩٦٧ فقط ، بل في حجم هذه الهزيمة ، والسهولة الفظيعة التي تمت بها .

واذا كان الجيش المصري قد انجز في عام ١٩٧٣ عملا عسكريا فذا بعمليتي عبور قناة السويس واقتحام وتدمير خط بارليف الدفاعي العصري الالكتروني ، فقد كان واضحا أن هذا العمل هو ثمرة منطق قبول التحدي ، والارتفاع بالامكانات العربية الى مستواه ، ولم يكن هذا العمل ابدا ـ كما حاول الكثير من الساسة العرب بعد ذلك تفسيره ـ ثمرة منطق التفاهم مع الاستعمار والاقرار بعدم القدرة العربية على تحدي الولايات المتحدة .

فتح الملفات الاستعمارية القديمة

عندما ولدت فكرة الوعد الأوروبي لليهود بوطن قومي في فلسطين ، كان هناك بين الساسة الأوروبيين ـ كما ذكرنا ـ تياران ، أحدهما يدعو الى التنبه لردود الفعل العربية ، والآخر يدعو لعدم الاكتراث بها .

وعندما كان أحد كبار الصحفيين المصريين يحاور السياسي الفرنسي البارز كوف دي مورفيل حول رأيه في الحلول الممكنة لأزمة الشرق الاوسط (كان ذلك عام ١٩٧١) قال دي مورفيل أن العرب اذا لم يسخنوا قضيتهم ويفرضوا موقفهم على ساحة المعركة ، فان أيا من القوى الكبرى لن يتحرك للمساهمة في ايجاد حل .

وعندما انطلق الرئيس السادات في أكثر من خطاب يحاول تبرير موقف التصالح مع الولايات المتحدة في ذروة انكشاف موقفها العدائي تجاه العرب ، استشهد بحوار

سياسي بينه وبين وزير الخارجية الاميركي كيسنجر (قبل حرب اكتوبر) ، ونقل كلاما على لسان كيسنجر معناه أن أميركا لا تستطيع أن تفعل شيئا وتضغط على اسرائيل « اذا لم يثبت العرب انهم بشر » .

واضح جدا من هـذه الأمثلـة السريعة ان حركـة الاستعمار الاميركي ـ واي استعمار ـ نحو تنفيذ مشاريعه تكون محكومة بعدة اعتبارات ، أهمها بالطبع طبيعة المشروع الاستعماري ومـدى ملاءمته للمصالح الاستعماريـة ، ثم طبيعـة الارض السياسية التي سينفذ عليها المشروع ، وطبيعة القوى السياسية المتحركة على هذه الارض ، ومدى قبولها أو رفضها للمشروع ، ومدى امكاناتها على الرفض .

ولو نظرنا الآن الى اتفاقيـة سايكس ـ بيكو التـي اقتسمت بموجبها بريطانيا وفرنسا مناطق النفوذ في البلاد العربية ، لرأينا أن الجرأة الاستعمارية في رسم مثل هذا المشروع لا يوازيها الا مستوى التفكك والضعف الذي كانت عليه الأوضاع العربية عند انهيار الامبراطورية العثمانية ، لدرجة أن المشروع ، الذي ربمـا وجد في ذلك الوقت سياسيون أوروبيون يعتبرونه أجرأ مـن امكانيات التنفيذ الواقعيـة ، قد مر بسهولة نسبية ، وبرغم الوعد البريطاني لشريف مكـة بالاستقلال العربي ، مكافأة لدعم العرب للحلفاء في الحرب العالمية الاولى .

طبعا كان من مصلحة القوتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا بعد ذلك محاولة كبت موجة اليقظة القومية العربية التـي فتحت عيونهـا بعد انهيار الامبراطورية العثمانية ، والتي صدمت بالوعد البريطاني ... من هنـا ولدت في خزائن وزارات الخارجية الاوروبية مشاريع الدويلات الطائفية المكملة لمشروع الدولة اليهودية في فلسطين ، والكفيلة في حال تحقيقها ، باستبدال العصبية القومية العربية التي تغطي الرقعة الشاسعة من المحيط الأطلسي الى الخليج العربي ، بعصبيات طائفية مجزأة مستضعفة ، متناحرة فينفس الوقت بما يكفي القوى الاستعمارية مؤونـة ضبطها وتسكين انتفاضاتها الممكنة .

ليس هناك أمامنا مرجع شامل ودقيق ونهائي لكل هذا النوع من المشاريع ، ولكن تاريخ الاستعمار البريطاني والفرنسي في المشرق العربي بالذات رافقته أجواء سياسية مكشوفة عن مشاريع اقامة الاوطان الطائفية ، بل وتعدى الأمر ذلك الـى محاولات مكشوفة في سورية لاقامة دويلة علوية وأخرى درزية وثالثة سنية ، بالاضافة الـى التلويح المتكرر بوطن قومي مسيحي في جبل لبنان ، وبالاضافة الى التأسيس الفعلي للوطن القومي اليهودي في فلسطين .

واذا كانت الاحاديث عن مثل هذه المشاريع المجنونة قد انحصرت طيلة فترة المد الوحدوي التقدمي في الوطن العربي ، في الاهتمام بتاريخ الاقطار العربية في النصـف الأول من القرن العشرين ، واذا كانت المحاولات الاسرائيلية لعزل الدروز العرب في اسرائيل عن المجموعة العربية وجعلهم يكونون مجتمعا عربيا منفصلا ، تبدو لنـا في فترات المد الوحدوي التقدمي محاولات سقيمة ومضحكة ومستحيلة ، فان كل هذا الجو المجنون والمتخلف من المشاريع الاستعمارية يطل علينا اليوم من خلال الازمة اللبنانية المستعصية ، حتى أن أحد كبار المسؤولين العراقيين الذي قدم الى لبنان لمحاولة فهم أدق للأزمة اللبنانية ، تحدث للمسؤولين اللبنانيين الذين قابلهم (كما نقلت الصحف) عن وجود محاولات لتقسيم العراق .

ولو نحن قارنا بين ذروة من ذرى المد الوحدوي التقدمي ، عندما كانت الوحدة بين

كل من مصر وسورية والعراق تبدو وشيكة الحدوث في نيسان (ابريل) من عام ١٩٦٣ على أثر الانقلاب السوري على الانفصال والانقلاب العراقي على عبد الكريم قاسم ، وبين درك من دركات التراجع الوحدوي التقدمي الذي نعيشه اليوم والمتمثل في امكانية زوال وطن عربي من الخريطة السياسية (لبنان) وتحوله الى دويلتين طائفيتين ، اذا امتدت الأزمة الى منتهاها ، لأدركنا بوضوح شديد أن المشاريع الاستعمارية المجنونة لتفتيت الوطن العربي اكثر مما هو مفتت الآن لم تزل موجودة في ملفات وزارات خارجية الدول الاستعمارية ، وان بقاء هذه الملفات تحت ستار الغبار أو احتلالها موائد عمل ساسة هذه الدول مسألة متعلقة بنا نحن العرب ، وبنوعية المناخ السياسي الذي نفرضه على منطقتنا ، فهل كان لاحد ان يتخيل مجرد الحديث عن تقسيم لبنان عندما كان مشروع الوحدة المصرية ــ السورية ــ العراقية وشيك التنفيذ عام ١٩٦٣ ؟

★★★

لقدتميز عام ١٩٧٥ والعام الذي سبقه بحدث رئيسي على الصعيد العربي هو خروج مصر من منطقة قبول التحدي ودفع كل الامكانات المصرية والعربية الى هذه المنطقة ، ودخولها (مصر) الى منطقة التفاهم مع الاستعمار الاميركي لحل مشاكلنا الكبرى « ما دامت في يده الاوراق الرئيسية للعبة » ...

الأمر البديهي الذي يغيب عن ذهن الساسة الذين يحملون مثل هذا المنطق هو ان للاستعمار هو الآخر مشاكله التي يريد حلها بما يلائم مصالحه ، وان الاستعمار ينتظر دائما الفرص السانحة لتأمين الحد الاقصى من مصالحه ، وهذه المصالح الاستعمارية هي العامل الرئيسي الذي يحدد طبيعة وحجم اي حركة يمكن ان يقوم بها مسؤول اميركي .

صحيح أن في كل نظام سياسي تيارات متعددة ، ولكن من السذاجة المراهنة على أن تنازلنا عن مقارعة التحدي المفروض علينا ، سيقوي شوكة الساسة المعتدلين في المعسكر الاستعماري . ان تيارات الاعتدال في الانظمة الاستعمارية لا تظهر على السطح عادة ولا تنتقل الى مواقع النفوذ في بلادها الا كلما ارتفعت موجات نضال الشعوب ضد المشاريع الاستعمارية هنا وهناك ، أما التراخي والتراجع امام التحدي الاستعماري ، فلا يصاحبه عادة الا بروز الاجنحة المتصلبة في السياسات الاستعمارية ، وسيادة منطقها الذي يقول ان نضالات الشعوب الصغيرة لا داعي لأخذها بعين الاعتبار ، لأنها أضعف من أن تقف في وجه اي مشروع استعماري لدولة كبرى .

لقد امتلأت كل أحاديث المبادرات العربية ازاء الأزمة اللبنانية بالكلام عن وجود مؤامرات خارجية على لبنان ، والحقيقة أن هذه المؤامرات لم تتوقف يوما عن ان تكون موجودة ، لا بالنسبة للبنان ولا بالنسبة لأي قطر عربي ، ولكن تبقى الظروف التي تتيح نحن للمؤامرات أن تمر من خلالها أو لا تتيح .

ومنذ أن خرجت مصر من ساحة التحدي الاستعماري المطروح على الأمة العربية ، ومنذ أن تخلى حكام مصر الحاليون عن الرهان على الايجابيات العربية ، وانتقلوا الى الرهان على السلبيات العربية ، بدأت كل هذه السلبيات وكل نقاط الضعف في الوطن العربي تنتقل الى السطح والى دائرة الضوء ، وخرجت من جحورها كل ملفات

المشاريع الاستعمارية القديمة ازاء كل منطقة عربية حساسة (ايران تحتج بعنف على اسم « وكالة أنباء الخليج العربي » وتسحب سفراءها من سبع دول عربية) فما دامت الأمة العربيـــة ، بلسان مركز الثقل فيها ، قد أعلنـــت الهدنة مـــع الاستعمار ، بل والتصالح معه ونقله من موقع الخصم الى موقـــع الحكم النافذ الكلمـــة والمشورة ، فلماذا نريد لتيارات الطموح الاستعماري في كل شبر من أرضنا العربية أن تهدأ وان لا تكشر عن أنيابها ، وأن لا تنتقل من التلميح الى أطماعها ، الى التصريح الواضح بها ؟

عام ١٩٧٥ (كالعام الذي سبقه) كان عام الرهان على السلبيات العربية وعلى الضعف العربي امام التحدي ... ليت المبادرات العربية لحل الأزمة اللبنانية تتوجه نحو هذه المشكلة الأساسية ، وليت الحكم المصري الذي يبدي في الفترة الأخيرة تخوفا حقيقيا من انعكاسات الأزمة اللبنانية على الصراع مع اسرائيل ، ليته يرى صلة النسب بين هذه الثمرة وبين بذور المهادنة التي طرحها في كل الارض العربية .

اسرائيـل والازمة اللبنانيـة

يوسف حمدان

يجمع الكثيرون على أن الأزمة اللبنانية الناشبة منذ نيسان ١٩٧٥ ليست مجرد أزمة محلية . ولكن هناك اختلاف ولبس حول الاطراف الخارجية الضالعة في الأزمة وحقيقة ادوارها واهدافها . والملاحظ ان هناك أطرافا محلية في الصراع الداخلي توجه اتهاماتها الى هذا الطرف الخارجي أو ذاك ، بينما هدفها من ذلك : البلبلة والتمويه عن الاطراف الخارجية الحقيقية التي تخطط للصراع وتشارك فيه ، من أجل المساعدة على الاستمرار في تنفيذ المخطط .

فاذا ما وضعنا هذا الصراع في اطاره الصحيح لا يسعنا الا نرى فيه ، وبنظرة شمولية ، جزءا من الهجمة الامبريالية ـ الصهيونية متعددة الاساليب والجبهات الموجهة ضد حركة التحرر الوطني العربية في المرحلة الراهنة . هذه الهجمة التي هي حلقة جديدة في الصراع التاريخي بين قوى التحرر في العالم والقوى الامبريالية التي تحارب بشراسة ، رافضة التخلي عن مصالحها الاستعمارية في دول العالم الثالث ، المتمثلة باستغلال شعوبها وثرواتها ، والمتحالفة تاريخيا مع الصهيونية والرجعيات المحلية ، المستفيدة من خدمة هذه المصالح الامبريالية ، وهكذا نرى ان حروب الشرق الاوسط المتوالية ، وحرب الفيتنام التي انتهت مؤخرا بفوز حركة التحرر الوطني الفيتنامية ، والحرب الدائرة في انغولا وفي لبنان الآن ، والحرب التي قد تنشب في كوستاريكا أو ليبيريا غدا هي جبهات مختلفة في حرب واحدة . انها حرب واحدة في الجوهر ولكن لكل منها تفاصيلها الخاصة .

ويجب ان نذكر ان الامبريالية الاميركية لم تنه حروبها الاستعمارية بانتهاء حربها الخاسرة في فيتنام . لقد كانت اسرائيل تقف علنا ضد الانسحاب الاميركي من جنوب شرق آسيا . ولكن بعد أن وقعت الهزيمة كانت تعزية اسرائيل التي عبرت عنها صحفها في العام الماضي ، هي ان الولايات المتحدة ستوجه اهتمامها الآن الى مناطق اخرى في العالم والأرجح أن تختار منطقة الشرق الاوسط خاصة وان حرب تشرين أكدت حيوية هذه المنطقة بالنسبة لها .

ويجب ان نذكر أيضا ان الصهيونية ما تزال أفضل أداة لخدمة المصالح الامبريالية في المنطقة . وان للصهيونية أهدافها « القومية » الخاصة بها التي يتناقض وجودها مع وجود القومية العربية . وانها دائما رأت في لبنان « أضعف حلقة في الجامعة العربية » على حد تعبير دافيد بن غوريون .

ان كون ما يجري في لبنان بدأ خلال عملية صنع اتفاقية سيناء واستمر بعدها يدل على أن هناك لقاء بين الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ، حول خطة شاملة في الوطن العربي كله . وكما ان ما حدث في مصر لا يمكن عزله عن بقية أجزاء العالم العربي ، فان ما يحدث في لبنان أيضا لا يمكن حصره في حدود الارض اللبنانية . ولمحاولة فهم أبعاد هذه المؤامرة لا بد من فهم ابعاد الدور الصهيوني في الحرب اللبنانية .

من تقسيم فلسطين الى تقسيم لبنان

ان استمرار المعارك في لبنان لمدة تسعة أشهر ، بدون أن يستطيع أحد أن يحدد متى ستنتهي . وفظاعة أساليب هذه المعارك . ثم ان حجم تكاليف هذه المعارك (يقدر البعض تكاليفها العسكرية فقط بحوالي مليون ليرة لبنانية يوميا !) كل ذلك يدل على ان وراء الثمن الباهظ أهداف خطيرة لا تقتصر على لبنان وحده بل تتعداه الى حدود الوطن العربي . واذا كانت فكرة تقسيم لبنان التي بدأت تطرح بصورة أكثر جرأة تبدو فكرة ساذجة ، فيجب النظر اليها بكل جدية ليس فقط كخطوة تهدد لبنان مرحليا ، بل ايضا كخطوة استراتيجية تهدد حركة التحرر العربية والوطن العربي ككل .

لقد وافق زعماء الحركة الصهيونية في حينه على اقتراح « لجنة بيل » بتقسيم فلسطين ليس لأنهم كانوا يريدون الاكتفاء بذلك الجزء من فلسطين ، بل من أجل اتخاذه كقاعدة انطلاق الى الخارطة الصهيونية المرسومة كما عبر عن ذلك دافيد بن غوريون ومن بعده موشي دايان . وكما ثبت عمليا بعد حرب ١٩٦٧ .

اننا ونحن في مواجهة فكرة تقسيم لبنان الى دويلات طائفية ، يجب ان نعود ونقرأ بكل انتباه وتيقظ ، ما قاله دافيد بن غوريون حول خطة تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧ ، وحول ما قاله عن لبنان بالذات في معرض « تبريره » للموافقة على تلك الخطة .

ففي ٢٩ تموز (يوليو) ١٩٣٧ خطب بن غوريون في مدينة زوريخ ، أمام مؤتمر حزب العمل الصهيوني الموحد ، عشية انعقاد المؤتمر الصهيوني العشرين في نفس المدينة ، ومما قاله حول خطة التقسيم :

« ... ان تقرير لجنة بيل لا يضع كل سهول فلسطين داخل حدودنا بل معظم هذه السهول ... وكما أن السهول مهمة بالنسبة لنا من وجهة نظر استيطانية فهكذا جبال الجليل من وجهة نظر سياسية . ان احدى المزايا الاساسية في الخطة هي أنها تجعل لنا حدودا مشتركة مع لبنان . فعدا عن الاهمية التاريخية لجبال الجليل وأهميتها العملية بالنسبة لسلامتنا القومية هناك أهمية سياسيه عظيمة لكون لبنان جارا لنا . ان لبنان هو الحليف الطبيعي لفلسطين اليهودية . ان وضع المسيحيين يشبه الى حد كبير وضعنا في فلسطين . والفرق بيننا هو أنهم لا يستطيعون التوسع عن طريق الهجرة بينما نحن نستطيع : لبنان أيضا محاط مثلنا ببحر اسلامي . وهو مثلنا جزيرة حضارية في صحراء بدائية . لبنان في حاجة الى دعمنا وصداقتنا بالدرجة نفسها التي نحن في حاجة لدعمه وصداقته ، ليس كل سكان لبنان مسيحيين ، وليس كل المسيحيين فيه ينتمون الى طائفة واحدة . الماروئيون مع أنهم المسيطرون هم أقلية . وبدون اليهود كجيران سوف لن يكون لهم (الماروئيون) مستقبل مستقل . ان الدولة اليهودية بقوتها وامكانياتها سوف تحصل على صداقة كل جيرانها العرب مع ان هذه الصداقة لن تخلق في يوم واحد ، ولكن الدولة اليهودية سوف تجد في لبنان كجار لها ، حليفا وفيا منذ اليوم الاول لوجودها ولن يكون من المستبعد اننا عبر الحدود اللبنانية سوف نملك الفرصة الاولى لتوسيع عملنا ونيل التعاون الكامل والنية الحسنة من جيراننا* » .

---

* David Ben - Gurion , The Peel Report And The Jewish State , P.L.S. London , 1938 , P. 61.

وفي عام ١٩٥٤ ظهر أن فكرة تقسيم لبنان ظلت تعتمل في مخيلة بن غوريون . فقد نشرت دافار (١٩٧١/١٠/٢٩) ضمن مذكرات الياهو ساسون رسائل متبادلة بين بن غوريون وموشي شاريت والياهو ساسون ، موقعة في عام ١٩٥٤ **يقترح فيها بن غوريون العمل على اقامة دولة مارونية مستقلة في لبنان لمصلحة الصهيونية وان الفرصة مؤاتية لذلك** . واما شاريت فعارض الفكرة واما ساسون فلم يعارض ولكنه أبدى شكوكه في وجود أمكانية عملية لذلك .

ان هذا الكلام الصادر عن مؤسس الدولة الصهيونية قبل تأسيسها باحدى عشر سنة ثم بعد تأسيسها بخمس سنوات ينطوي على معاني كثيرة وخطيرة منها :

١ ــ خطة تقسيم لبنان ليست جديدة وليست نابعة من أرض لبنان وليست لمصلحته ، **بل هي خطة قديمة حواها مخطط صهيوني عنصري استعماري توسعي لخدمة أهدافه هو** .

٢ ــ بن غوريون وزملاؤه في الحركة الصهيونية وتلامذتهم اليوم ، لا ينظرون الى لبنان وغيره من الاقطار العربية كشعوب عربية ، بل ينظرون الى كل قطر عربي كمجموعة طوائف لكل منها تصنيف خاص وفقا للمصلحة الصهيونية . وبالتالي فان الأمة العربية والقومية العربية ، مشطوبة في كل القواميس الصهيونية ، وفي كل كتب التدريس في المعاهد الاسرائيلية . وهذا ينسجم مع تقسيم الدوائر الرسمية في الكيان الصهيوني لسكان اسرائيل ، ليس على أنهم يهود وعرب بل ! « يهود وأقليات » !

٣ ــ حتى في سنة ١٩٣٧ وقبل تقسيم فلسطين وانشاء الدولة الصهيونية ، كانت اسرائيل العتيدة تخطط لجعل لبنان « ممرا » لبقية الجيران من أجل « توسيع العمل » الصهيوني بين ظهرانيهم وكسب « حسن نيتهم » فكيف بها اذا تحقق فعلا حلمها بتقسيم لبنان ؟!

٤ ــ ان الدولة الصهيونية ككيان عنصري طائفي غريب في المنطقة ، لا يستطيع التوسع ، ولا حتى مجرد الوجود ، في مواجهة حركة تحرر وطنية عربية . ولكنه قد يتعايش مع مجموعة كيانات طائفية متناقضة تذوب فيها القومية العربية .

٥ ــ اذا كان لبنان هدفا للمخطط الصهيوني في ظروف الثلاثينات من هذا القرن ، فكيف به الآن وهو يستضيف المقاومة الفلسطينية ، التي تحقق الانتصارات العسكرية والسياسية كل يوم ، وكيف به الآن ، والمنابر الصهيونية المختلفة تشكو منذ حرب تشرين ١٩٧٣ ، من تعاظم القوى الوطنية فيه ، وكيف به الآن والدوائر الاسرائيلية تبدي منذ تلك الحرب « قلقها » عليه من سوريا المجاورة ، التي أصبحت قوة جذب قريبة ، بعد ان ظهرت عدا عن كونها قاعدة صلبة للقومية العربية ، كقوة عسكرية وسياسية يحسب حسابها . وتعمل على أنشاء جبهة شمالية ــ شرقية ليس فقط ، تستطيع مواجهة اسرائيل وحدها ، وبدون مصر ، بل تستطيع اذا قامت أن تعيد مصر الى مكانها الطبيعي ، ملغية ما تحقق فيها بواسطة الامبريالية واسرائيل حتى الآن ؟!

أهداف سياسية واستراتيجية

بعد حرب تشرين عبرت الصحف الاسرائيلية عن قلقها من تحول لبنان الى دولة مواجهة ، خاصة بعد الخطوات التي اتخذت لاقامة قيادة سورية ــ فلسطينية موحدة

ولارساء التعاون العسكري السوري ـ الاردني ، في اطـار التحرك لاقامة الجبهة الشرقية . في نفس الوقت شكت الدوائر الاسرائيلية من عمليات المقاومـة الفلسطينية في منطقة الجليل التي أصابت المستوطنات فيه بالشلل تقريبا ، وأدت الى نزوح العديد من مستوطنيه الصهاينة . وشكت أيضا من الفكر الثوري الذي تنشره الصحف اللبنانية ومن نمو الحركة الوطنية فيـه ، ومن ظهور أصوات لبنانية تطالب بادخال أسلحـة سوفييتية الى أرض لبنان .

ازاء ذلك ظهرت دعوات محمومة في اسرائيل تدعو لضرب « المخربين » في لبنان . ولكن من ناحية ثانية ظهرت أصوات أخرى ، حذرت من أن ضرب المقاومة عبر الحدود اللبنانية بالوسائل العسكرية التقليدية ، لن يحل المشكلة بل سيؤدي الـى العكس تماما . وكان من أبرز هؤلاء **حايم هرتسوغ** رئيس المخابرات الاسرائيلية سابقا ، وأبرز المحللين العسكريين في اسرائيل خلال حرب تشرين ، ومندوب اسرائيل في الأمم المتحدة اليوم .

ففي بداية عام ١٩٧٥ ، وقبل انفجار « الأزمة اللبنانية » بثلاثة أشهر وبالتحديد في ٧٥/١/١٥ ، قال هرتسوغ للاذاعة الاسرائيلية : « هناك شعور بأن النشاط العسكري الاسرائيلي في جنوب لبنان لا يعمل بالضبط في صالح اسرائيل ذلك أنها تريد من جهة ، ان لا تمكن المخربين من السيطرة على المنطقة والتمركز فيها ، ومن الجهة الاخرى على اسرائيل أن تحذر الوقوع في اللعبة وفقا لتخطيط المخربين الذين يكسبون وحدهم من هذا الوضع ... ان السؤال الذي يواجـه الحكومة هو كيف تقرر عمليـات للمدى القصير وسياسة للمدى البعيد ، وكيـف توفق بـين احتمالات مشاكل الامن الجاري والاحتمالات بالنسبة لحرب شاملة محتملة في المستقبل . ان القرار يجب ان يتخذ مع مراعاة مجموعة من وجهات النظر بما في ذلك وجهة النظر السياسية والاستراتيجية وليس فقط وجهة النظر العسكرية الضيقة » (ر أ أ ، ٧٥/١/١٥) .

فاذا كانت الهجمات العسكرية الاسرائيلية على المقاومة في الجنوب لا تفيد اسرائيل بل تضرها ، وتفيد المقاومة ، كان لا بد لاسرائيل من البحث عن «وسائل غير تقليدية» لمحاولة ضرب المقاومة وحلفائها في لبنان . وكما ذكرت صحيفة هآرتس (٧٥/١/١٠) كان « يجب ان ندرس الطرق الفعالة لدفع نظام الحكم في بيروت الى العمل على تقليص عمليات المخربين من أراضيه . وبالاضافة لذلك يجب ان ندرس من جديد الطرق الكفيلة باعادة الثقة بقدرة اسرائيل ، والاستعداد للعمل ضد سوريا في حـال تغيير الوضع الراهن من جانبها في جنوب لبنان » .

وفعلا بعد ثلاثة أشهر بدأت « الحرب اللبنانية » ، وظهر بعد ذلك خلال المعارك الدائرة أن اسرائيل « صدّرت » الـى لبنان رصاصا يحمل ماركـة المصانع الحربية الاسرائيلية الى جانب فكرة التقسيم القديمة ودولة بن غوريون « المارونية التـي لن يكون لها مستقبل مستقل بدون مساعدة اليهود » !

لقد قال ابا ايبن وزير الخارجية الاسرائيلي السابق على أثر جريمة فردان في نيسان ١٩٧٣ ان لبنان هو « ماخور الدبلوماسية الدولية » . وقال أحد الخبراء في الشؤون العربية في صحيفة دافار شبه الرسمية في منتصف عام ١٩٧٥ أن أمرا يصدره ضابط اسرائيلي صغير ، يستطيع أن يحدث زوبعة في لبنان ! . أي ان اسرائيل تستطيع أن تعبث بلبنان كما تريد طالما ان هذا القطر يشكل ثغرة أمامها في الشرق العربي .

فهل بعد ذلك يمكن القول ان « حرب اسرائيل » في لبنان مستترة ومجهولة المعالم . ان تدخلها المادي والعسكري قد يكون خفيا ، ولكنها تشارك في الحرب اعلاميا بشكل مفضوح . فقد هللت لقيام حكومة « الويك أند » العسكرية مع المهللين ، وحرضت ضد رئاسة رشيد كرامي للحكومة مع المحرضين . وعارضت قيام هيئة الحوار الوطني مع المعارضين . وعلى سبيل المثال قالت افتتاحية هآرتس في ٧٥/٩/١٨ بخيبة أمل : « **ان دعوة بيار الجميل ، أبرز الزعماء الوطنيين التي وجهها ودعا فيها لوضع حد للاخلال بالنظام ، وحفظ السيادة ، قوبلت بعدم التجاوب . لقد أعلن عن قيام لجنة حوار وطني لن يكون بمقدورها حل المشكلة . ان هناك حلا واحدا فقط : وهو ان يفرض الجيش اللبناني بمساعدة قوى الامن والميليشيات القومية المخلصة للدولة ، النظام في البلاد والأهم من كل شيء آخر ان تقضي على الوجود المسلح المخربين (المقاومة) الذين هم مصدر كل مصائب لبنان ... ان لجنة الحوار الوطني ما هي الا جواب مائع لدعوة بيار الجميل ... » !!**

نعم هذا الكلام نشر في هآرتس الاسرائيلية ولم نسجل هذا الاقتباس من أي صحيفة لبنانية ! .

هكذا ذهبت اسرائيل الى حد تنصيب نفسها طرفا في النزاع السياسي الدائر في لبنان أو حليفا لطرف فيه ، منطلقة من موقف طائفي مفضوح . فمثلا قالت صحيفة معاريف (٧٥/٩/١٢) : « قبل ٧٠ يوما ، خضع سليمان فرنجية لمطالب الاوساط الاسلامية بتعيين رشيد كرامي رئيسا للحكومة . والآن خضع مرة أخرى عندما وافق على خلع قائد الجيش اسكندر غانم » ! ولكن هذه الصحيفة لم تشأ الا ان تكشف عن أهدافها الحقيقية عندما أضافت : « في أشتباكات الشمال ، عرف المخربون (فصائل المقاومة) كيف يحافظون على صورة غير المتدخل ، بل بالعكس ظهروا على أنهم يساعدون على حفظ الامن في طرابلس **ولكن اذا استمرت الاشتباكات فسلا بد أنهم سيتدخلون الى جانب اليسار** » .

وفي الوقت الذي أخذ المسؤولون ورجال الاعلام في أسرائيل « يستصرخون » الرأي العام الغربي « لنجدة المسيحيين في لبنان » استمروا في التعبير عن رغبتهم ، في اظهار المقاومة وسوريا على أنهما يتدخلان عسكريا ، وعن رغبتهم في استمرار المعارك لكي تضطران الى التدخل ، من أجل اتاحة الفرصة أمام اسرائيل بالتدخل المكشوف عندما تكون الظروف قد تهيأت لذلك ، وفضح النائب أمنون لين (ليكود) نوايا اسرائيل عندما ادعى انه حسب معلوماته « قد يسيطر السوريون على لبنان ، أو على الاقل في المناطق المجاورة للحدود الاسرائيلية ، مما سيغير وضعنا الأمني . علينا ان نعمل بسرعة لخلق حقائق قائمة على حدودنا ، ولمنع احتلالها بواسطة قوات سورية فلسطينية ، يجب أن نفعل ذلك **تحت الشعار الاخلاقي وهو مساعدة مسيحيي لبنان** » (ر أ أ ، ٧٥/١١/٣) وأكد على ذلك سمحة دينيتس ، سفير اسرائيل في واشنطن ، عندما قال : « اسرائيل ستدرس بجدية القيام بعملية عسكرية اذا تدخلت في لبنان أية دولة عربية . ان اسرائيل لا ترغب في أن تصبح حدود لبنان حدود مجابهة » (المصدر نفسه) .

ان اسرائيل ترغب ، ولا ترغب بأشياء كثيرة في لبنان منها ما هو آني ومنها ما هو استراتيجي :

١ — اسرائيل تريد أن تسحب الارض اللبنانية سياسيا وعسكريا من تحت أقدام

المقاومة الفلسطينية ، قبل ان تنجح الثورة الفلسطينية باقامة سلطتها الوطنية على جزء من فلسطين ، لأن اقامة السلطة الوطنية لا يعني فقط ايقافا للمد الصهيوني ، بل بداية تراجع له ، وهي تعتقد أن بداية التراجع بالنسبة للمشروع الصهيوني سيقود الى انهاء دوره ، وبالتالي الى انهاء وجوده .

٢ ــ أن استمرار المد الصهيوني لا يمكن ان يتم الا على حساب المد الوطني العربي. لأجل ذلك فهي ترى أمرا ملحا ، ضرب الثورة الفلسطينية في قاعدتها الرئيسية ، حيث أنها تعتبرها « رأس الحربة » لحركة التحرر الوطني العربية ، وترى كذلك وجوب ضرب الحركة الوطنية في لبنان ، كأقرب حليف للمقاومة وكجزء من حركة التحرر الوطني العربية .

٣ ــ اطالة عمر الأزمة اللبنانية . وفشل حلها لبنانيا . ثم محاولة حلها عربيا بهدف الفشل ، مع محاولة ابقاء وتكريس الصبغة الطائفية للصراع . قد يؤدي الى التدويل ، الذي قد يتمخض عن ايفاد « لجنة بيل » جديدة الى لبنان ، قد تعد تقريرا ، تقول فيه انها وجدت بعد الدراسة وتقصي الحقائق لدى مختلف الاطراف ان « التقسيم شر لا بد منه » . وهكذا يكون التقسيم الطائفي اذا حصل ، لطمة لحلم الوحدة العربية. **فبدلا من أن تتم خطوة نحو الوحدة تتم خطوة نحو التفكك** . ويكون **ذلك سابقة خطيرة بالنسبة لاقطار عربية أخرى** وكسب خطير للصهيونية والامبريالية .

٤ ــ ان الجواب الطبيعي لمحاولة عزل مصر عن جبهة القتال مع العدو ، هو العمل على اقامة جبهة شرقية متماسكة تستطيع بصمودها الغاء التراجع المصري ، وافشال مخطط السيطرة الامبريالية الصهيونية على المنطقة . وتفجير لبنان من الداخل لا بد ان تكون له انعكاسات خطيرة على امكانية اقامة جبهة واحدة مؤلفة من دول المشرق العربي .

٥ ــ لاسرائيل اطماع قديمة بمياه الليطاني . وبعد يومين فقط من انفجار الأزمة اللبنانية في ٧٥/٤/١٣ . طالبت صحيفة **دافار** (٧٥/٤/١٥) بضخ مياه الليطاني في الاردن لاقتسامه بين اسرائيل ولبنان والاردن « رغم ان القانون الدولي لا يعترف بحق اسرائيل في هذا النهر » . هذا بالاضافة الى أن اتاحة الفرصة امام اسرائيل للسيطرة على جنوب لبنان ستكون له انعكاسات خطيرة بالنسبة لأمن المقاومة وسوريا .

٦ ــ اسرائيل ما زالت تعاني بصورة خطيرة من نتائج حرب تشرين على كل المستويات . واحداث لبنان تضع البلسم على جراحها، وعلى سبيل المثال ذكرت صحيفة هآرتس (٧٥/١٠/١٤) ان « حركة السياحة الى اسرائيل شهدت انتعاشا ملحوظا منذ احداث لبنان . وبلغت نسبة شغل الفنادق في اسرائيل ٧٥ ــ ٩٠٪ بدلا من ٥٠ ــ ٦٠ ٪ » .

٧ ــ ان احداث لبنان المؤسفة اتاحت لحايم هرتسوغ الذي سبق وان دعا الى تفجير لبنان من الداخل قبل ان يصبح سفيرا في الأمم المتحدة ، لان يذرف دموع التماسيح على مسيحيي لبنان ، عندما دمغت الجمعية العامة للأمم المتحدة الصهيونية بالعنصرية . وهو وغيره من الرسميين الاسرائيليين قالوا للعالم : « فكرة الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين لا يجوز ان تخرج الى حيز التنفيذ . انظروا الى ما يجري في لبنان » !! .

٨ ــ قال رئيس الأركان الاسرائيلي **مردخاي غور قبل** شهرين « **لا يكفي أن ينتصر الجيش الاسرائيلي في الحرب المقبلة ، بل يجب خلق وضع جغرافي سياسي** جديد ومنع العرب من أمكانيـة التهديد باستئناف الحرب كمـا فعلوا بعد حرب يوم الغفران » (معاريف ، ٧٥/١٠/٣١) .

أوليس ما يجري في لبنان جزء من عملية التحضير لخلق هـذا الوضع الجغرافي السياسي الجديد ، الذي تأمل اسرائيل ان يحقق لها أكثر من النصر العسكري ؟ !

ان وعي الحركة الوطنية في لبنان والوطن العربي لابعاد هذه المؤامرة الخطرة ، كفيل باحباطها . اما الذين ينفذون سياسة اسرائيل في لبنان فهل يعون حقا حقيقة وابعاد الدور الذي يؤدون ؟؟!!

اتفاقية سيناء
ومستقبل النزاع العربي ــ الاسرائيلي

الدكتور غدنان العمد

منذ توقيع مصر لاتفاقية سيناء في سبتمبر ١٩٧٥ * تعرضت عدة دراسات ومقالات لجميع جوانب الاتفاقية واثارها على العلاقات العربية والقضية الفلسطينية وسياسات الدول الكبرى تجاه المنطقة وقد ركزت معظم الدراسات تركيزا مقصودا اما على ايضاح مبررات الاتفاقية وفوائدها او على ابراز نقائصها واخطارها حسب الموقع السياسي والايديولوجي للمحلل والباحث كما قدمت هذه الدراسات انعكاسا صادقا للتيارات السياسية والايديولوجية المتفاعلة في العالم العربي حول القضية الفلسطينية . ان هذا البحث هو محاولة لفهم مستقبل النزاع العربي ــ الاسرائيلي على ضوء مضمون الاتفاقية السياسي والعسكري .

اولا : مضمون الاتفاقية **

في تقديمنا لمضمون الاتفاقية رأينا التقيد قدر الامكان بالنص الحرفي لموادها . تتضمن الاتفاقية تسعة مواد تشكل محور الاتفاق بين مصر واسرائيل حول مسائل سياسية وعسكرية واجرائية .

تنص المادة الاولى من الاتفاقية على ان النزاع بين مصر واسرائيل لا يتم حله بالقوة المسلحة وانما بالوسائل السلمية . ويتفق الطرفان (المادة الثانية) على عدم استخدام القوة او التهديد بها او الحصار العسكري في مواجهة الطرف الاخر . وتحدد المادة الثالثة الوسائل التي سيلجأ اليها الطرفان للحفاظ على التعهدات التي تنص عليها المادة ١ و ٢ وتنص على أن الطرفين سوف يستمران في ان يراعيا وقف اطلاق النار في البر والبحر والجو والامتناع عن اي اعمال عسكرية او شبه عسكرية ضد الطرف الاخر كما يقران ان الالتزامات الواردة في ملحق الاتفاقية والبروتوكول الخاص بها سيكونان جزءا لا يتجزأ منها .

تهتم المادة الرابعة بمسائل تحريك القوات المسلحة للطرفين وخطوط انسحاب القوات الاسرائيلية وتقدم القوات المصرية الى المواقع المتفق عليها وكذلك تحديد المناطق العازلة والمناطق المحددة للقوات واستمرار قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة بالقيام بوظائفها بموجب الاتفاقية المصرية الاسرائيلية المعقودة في ١٨ يناير ١٩٧٤ .

---

* تم توقيع الاتفاقية بالاحرف الاولى من قبل مصر واسرائيل في اول سبتمبر ١٩٧٥ وجرى توقيعها وتصديقها فيما بعد .

** على اساس النص المنشور في « الاهرام » ١٩٧٥/٩/٢ و « فلسطين الثورة » العدد ١٥٩ في ١٩٧٥/٩/٧ ووثيقة الامم المتحدة الصادرة عن مجلس الامن رقم S/11818. Adol 1-2 Sept. 1975

وتؤكد المادة الخامسة الدور الاساسي لقوات الطوارىء الدولية وتجديد مدتها سنويا . وتنص المادة السادسة على انشاء لجنة مشتركة بين الطرفين اثناء سريان الاتفاقية تعمل تحت رئاسة المنسق العام لعمليات الامم المتحدة للشرق الاوسط وتنظر في اي مشكلة تنجم عن الاتفاقية وتعمل وفقا للاجراءات الواردة في البروتوكول * .

تنص المادة السابعة على السماح بمرور الشحنات غير العسكرية المتجهة الى اسرائيل ومنها عبر قناة السويس .

أما المادة الثامنة (وهي كالمواد الثلاث الاولى من الاتفاقية تبحث في النواحي السياسية) فتنص على ان الطرفين يعتبران الاتفاقية خطوة هامة نحو سلام دائم وعادل وانها ليست اتفاق سلام نهائي وان الاطراف ستواصل بذل الجهود للتوصل بالتفاوض الى اتفاق سلام نهائي في اطار مؤتمر جنيف للسلام وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ .

وتنص المادة التاسعة (الاخيرة) على ان الاتفاقية تسري بعد توقيع البروتوكول وتبقى سارية المفعول حتى تحل محلها اتفاقية جديدة .

لقد قامت مصر بتوقيع البروتوكول بجنيف يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٧٥ بينما وقعته اسرائيل يوم ١٠ اكتوبر ١٩٧٥ وعليه فان الاتفاقية وملحقاتها اصبحت سارية المفعول للطرفين ابتداء من يوم ١٠ اكتوبر ١٩٧٥ .

ثانيا : خلفية الاتفاقية **

ان كل اتفاقية هي محصلة لوضع قائم وانعكاس للاحداث التاريخية كما هي تصوير دقيق لموازين القوى بين الاطراف المتنازعة . وفي اطار التسوية السلمية تبدو اي اتفاقية خطوة منطقية ، فبعد حرب يونيو ١٩٦٧ وافقت مصر على قرار مجلس الامن ٢٤٢ الذي وضع المبادىء العامة لتسوية سلمية للنزاع العربي — الاسرائيلي كما وافقت مصر على مهمة الوسيط الدولي يارينج لاجراء مفاوضات بين أطراف النزاع ضمن اطار قرار مجلس الامن وفيما بعد وافقت على مشروع وزير الخارجية الامريكي روجرز الذي تضمن برنامج عمل لوضع قرار مجلس الامن موضع التنفيذ تحت اشراف الولايات المتحدة . وكان محور جميع هذه المحاولات هو حصر النزاع في الاراضي العربية المحتلة من مصر وسوريا والاردن وانتزاع اعتراف عربي تدريجي باسرائيل وانهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل ورفع المقاطعة الاقتصادية العربية عن الكيان الاسرائيلي ورفع الحصار البحري والسماح للبضائع والسفن الاسرائيلية بالمرور في المياه الاقليمية العربية. من الناحية السياسية كانت جميع هذه المحاولات تعالج القضية الفلسطينية بعيدا عن جذورها التاريخية وتدفعها الى زاوية هامشية من زوايا النزاع كمشكلة لاجئين يمكن حلها اقتصاديا واجتماعيا . ومن الناحية العسكرية كانت اي تسوية قائمة على هذه المحاولات تعني مباشرة منع الاعمال الفدائية وتجميد المقاومة الفلسطينية المسلحة . وبالنسبة لدول المواجهة العربية كانت التسويات التي طرحت بعد حرب يونيو ١٩٦٧ تحمل تنازلات سياسية وعسكرية واقليمية تمثل حجم النصر العسكري الاسرائيلي مضافا اليه حجم التدهور والانهيار الذي اصاب البنيان العسكري والسياسي للدول والانظمة

---

* تم وضع هذا البروتوكول في محادثات اللجنة المشتركة بجنيف من ٥ — ٢٣ سبتمبر ١٩٧٥ بحضور لجان عسكرية عن مصر واسرائيل وتحت اشراف المنسق العام لعمليات الامم المتحدة للشرق الاوسط .

** انظر ملحق هذا البحث لتواريخ ووقائع الاحداث منذ اكتوبر ١٩٧٣ .

العربية التي تعرضت للهجوم الاسرائيلي والاحتلال الذي تلاه .

في السنوات التي تلت حرب يونيو ١٩٦٧ دخل الفكر السياسي العربي في عملية اعادة نظر في المفهوم العربي للنزاع مع اسرائيل والاستعمار وكان قبول مبدأ التسوية يشكل العنصر الجديد في هذه العملية وكان هذا العنصر يعني منطقيا قبول مبدأ وجـــود دولة صهيونية في المنطقة دون الغاء امكانية مواجهتها بالقوة في المستقبل . وقد اطلقت الانظمة العربية على سياستها تجاه النزاع في هذه الفترة تعبير « ازالة اثار العدوان » بينمـــا اطلق عليها المنظرون السياسيون تعبير العقلانية والامر الواقع على اساس التعامل مع النزاع كما هو قائم وترك مسألة حسمه الى المستقبل عندما تتكامل عناصر الثـــورة العربية . وكان على هذا النوع من التفكير ان يقر تلقائيا بحقيقتين :

الحقيقة الاولى : ان حل النزاع ضمن الشرعية الدولية يتطلب تنفيذ قرارات الامـــم المتحدة بدءا بالقرار ٢٤٢ وانسحابا الى قرارات اخرى مثل عودة اللاجئين الفلسطينيين وقرار التقسيـــم .

الحقيقة الثانية : ان حل النزاع بموجب الشرعية الدولية يتوجب عليه الاقرار بتنازلات من قبل الطرفين وان حجم هذه التنازلات يحدده المركز العسكري والدعم الخارجـــي والرأي العـــام العالمي تجاه الطرفين .

بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ وعلى الرغم من الدفعة الايجابية التي احدثتها هذه الحرب على مستوى القيادات السياسية والجماهير العربية فان « فكر التسوية » ظل هو المهيمن على مستوى القيادات العربية التي في يدها قرارات ادارة النزاع . وبينما كان فكـــر التسوية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ يستمد مبرراته من عناصر الهزيمة العسكرية والمعنوية التي عمت الوطن العربي فان هذا الفكر بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ بدأ يستمد عناصر مبرراته من مصادر الايجابيات التي برزت على الساحة العربية ، وهي ارادة التحرير التي بثتها المقاومة الفلسطينية المسلحة في الشعوب العربية ، والانتصارات العسكرية التي حققتها الجيوش العربية في المعارك الاولى في سيناء والجولان ، وقوة البترول والمال العربي وامكانية استعمالها لتحقيق المطالب العربية . وفيما حاولت القوى العربيـــة المعارضة للتسوية القائمة على القرار ٢٤٢ وضع هذه المصادر في خدمة هدف استمرار المعركة الى ان يتم تحقيق سلم حقيقي عملت القوى العربية المؤيدة لتسوية قائمة على القرار ٢٤٢ على وضع هذه المصادر في خدمة هدف مرحلي كانت خطوطه العريضـــة قد تم وضعها في اواخر عام ١٩٦٧ وقبل ذلك .

انه مما لا شك فيه ان حرب اكتوبر اوجدت تغيرا في استراتيجية النزاع لدى جميـــع الاطراف بما فيها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ولكن ما يهمنا هنا هو التغير الذي طرأ على استراتيجية الجانب العربي وهو التغير الذي يفسر اكثر من غيره الخلفية التي قامت عليها اتفاقية سيناء . في قلب هذا التغيير تقع حقيقة تسرب الاقتناع بقبول اسرائيل كواقع سياسي واقليمي من اوساط القيادات السياسية الحاكمة في الدول العربية الـــى اوساط الجماهير العربية وخاصة القيادات الفكرية لهذه الجماهير وهي الطبقة المتنورة التي تتبوأ مراكز ادارية وتنفيذية في المؤسسات الرئيسية . ففي مصر ودول عربية اخرى اصبحت التسوية الممكنة فلسفة يومية يتغذى منها الراي العـــام العربي واصبحت شعاراتها واطروحاتها متداولة رسميا وشعبيا على موجات مختلفة . ومع اقتـــراب محاولة وزير خارجية الولايات المتحدة كيسنجر الثانية لتحقيق اتفاق بين مصر واسرائيل كانت القناعات بالتسوية داخل مصر قد اكتمل تبلورها حول محورين :

المحور الاول : ان النزاع العربي ـــ الاسرائيلي يمكن ان يتخذ شكلا سلميا تلعب فيه السياسة والدبلوماسية دورا اهم من دور الحرب والقوة العسكرية اي ان المواجهـــة

العسكرية يمكن ان تنتهي ويحل مكانها مجابهة حضارية بين الكيان الاسرائيلي والكيانات العربية المحيطة به .

المحور الثاني : الافتراض بان العلاقة السلمية مع الكيان الاسرائيلي يمكن ان تحمل معها المنعطف التاريخي لهذا الكيان حيث ستزول عنه صفة الصهيونية والعدوانية والتوسعية ويمكن انذاك امتصاصه تدريجيا في الكيانات العربية .

هذه هي الخلفية السياسية الفكرية التي تم من خلالها صناعة اتفاقية سيناء وكان لا بد من استعراض معالمها تمهيدا لاستنتاج ابعادها السياسية والعسكرية على مستقبل النزاع .

ثالثا : الاثار السياسية للاتفاقية :

يقع مركز الثقل السياسي في صياغة الاتفاقية بشكل خاص على المواد الاولى والثانية والثالثة والثامنة والتاسعة بينما تعتني المواد الباقية بنواح عسكرية وفنية لا يمكن تحديد ابعادها ضمن اطار هذا البحث الا بالقدر الذي يخدم أغراضه . ان محور المواد السياسية في الاتفاقية يدور حول اسقاط احتمال استعمال القوة العسكرية لحل النزاع: اتفاقية سلام نهائي ، اي ان المادة الثامنة تنفي انهاء حالة الحرب عامة . وتؤكد المادة الثامنة بان الاطراف الموقعة تعتبر الاتفاقية خطوة هامة نحو سلام دائم وعادل وليست اتفاقية سلام نهائي اي ان المادة الثامنة تنفي انهاء حالة الحرب عامة . وتؤكد المادة التاسعة هذا المفهوم فتربط سريان الاتفاقية بحلول اتفاقيات جديدة محلها . ولكن اي تفسير للاتفاقية مهما كان مرنا وواسعا وصادقا مع روح النص ، لا يمكن ان ينفي بان الاتفاقية بمجملها تضع قيودا عسكرية وسياسية على حرية مصر في استعمال جميع الوسائل المتوفرة في حالة الحرب مثل الحصار العسكري واستعمال القوة العسكرية برا وبحرا وجوا واللجوء الى المقاطعة الاقتصادية ومنع مرور سفن العدو في المياه الاقليمية . ان ملحق الاتفاقية وبروتوكولها الخاص والاتفاقيات الثنائية التي تم توقيعها على ضوئها بين الولايات المتحدة واسرائيل وبين الولايات المتحدة ومصر تحتوي على تفاصيل اكثر على كيفية ضمان عدم استعمال القوة بين الطرفين ، ومثال على تلك الضمانات اجهزة المراقبة وتواجد القوات الدولية والمناطق العازلة ومرابطة الفنيين الامريكيين .

اذا نظرنا الى الاتفاقية من زاوية تبادل التنازلات فان الانسحاب الاسرائيلي تم الى خطوط متفق عليها تعاقديا مقابل تعهد مصر بعدم البدء باستعمال القوة مما يؤدي الى الانطباع بان اسرائيل دفعت ثمنا عسكريا لا يتناسب مع حجم مكاسبها العسكرية منذ ١٩٤٨ في الوقت الذي دفعت فيه مصر ثمنا سياسيا لا يتناسب مع القوة والمركز الذي تحتله في المجموعة العربية ، فقد قدمت مصر التزاما بعدم استخدام القوة في نزاع تبدو فيه نسبة القدرة على الحسم بالاساليب السياسية ضئيلة جدا * .

ان التفسير السياسي الموضوعي لاثار الاتفاقية على مستقبل النزاع يعتمد على رغبة وارادة الاطراف الموقعة ، ورغبة الدول في السياسة لا تخرج عن حصيلة مصالحها وعليه فاننا اذا اعتبرنا الاتفاقية عسكرية (فك ارتباط ثان مثلا) فان الاثر المترتب عليها يبقى محدودا ويمكن بالتالي النظر اليها تماما كالنظر الى اتفاقيات الهدنة العربية —

---

* اتفقت عدة تحليلات عسكرية واستراتيجية (عربية واجنبية) على ان الالتزام الذي قدمته مصر « بعدم اللجوء الى القوة » يفوق بقيمته السياسية ما قدمته اسرائيل من « انسحاب رمزي » وان الالتزام بعدم استعمال القوة كان يمكن اعتباره في حالة توقيع معاهدة صلح عامة .

الاسرائيلية لعام ١٩٤٩ اي انها تجميد مؤقت للاعمال الحربية ومحاولة لكسب الوقت لحل النزاع بالوسائل السلمية داخل اطار قرارات الامم المتحدة مع ان الاتفاقية لا تذكر من هذه القرارات سوى القرار ٣٣٨ (القائم على تنفيذ القرار ٢٤٢) . ان اتفاقية سيناء كما تقف حاليا بموادها التسع يمكن حصر نتائجها على ضوء ما تقدم بالنقاط التالية (وهنا تتداخل النتائج السياسية والعسكرية ولا يمكن فصل احدها عن الاخر) :

١ ــ تجميد الوضع العسكري على الجبهة المصرية وازالة ضغط هذه الجبهة عن اسرائيل .

٢ ــ حصر الضغوط على اسرائيل بالوسائل الدبلوماسية وهي غير متوفرة لغير امريكا .

٣ ــ استراتيجيا ــ وقد ثبت من خلال ثلاث حروب (١٩٤٨ ، ١٩٦٧ و ١٩٧٣) ان لا سوريا تستطيع لوحدها ولا مصر تستطيع لوحدها ان تقوم بعمل عسكري فعال ضد اسرائيل مما يعني ان تجميد اي جبهة من الجبهتين المصرية او السورية يؤدي تلقائيا الى تجميد الجبهتين ومن هنا يمكن فهم التصريحات المصرية بان سوريا لا تقل رغبة عن مصر في الدخول بمفاوضات تؤدي الى اتفاقية سورية ــ اسرائيلية لا تختلف عن اتفاقية سيناء .

٤ ــ تتعهد مصر بواسطة الاتفاقية وملحقاتها (والاتفاقيات الثنائية الجانبية مع الولايات المتحدة) بان لا تدخل الحرب مباشرة اذا بدأ فيها طرف عربي ولا تتطرق الاتفاقية الى ما يمكن ان تقوم به مصر لو ان الطرف الاسرائيلي قام بالهجوم ... واذا تركنا جانبا الالتزام المصري العام بمبدأ التضامن والدفاع العربي المشترك فان اسرائيل تعتبر مصر بموجب الاتفاقية خارج نطاق المواجهة العسكرية مع انه من السذاجة السياسية اخذ الاعتبار الاسرائيلي مأخذ الجد على المدى البعيد .

٥ ــ ان الخطر الاكبر الكامن في الاتفاقية يقع في ما توفره لاسرائيل من وضع عسكري وسياسي مريح بعد الانهيار والتآكل الذي بدأت تعانيه من جراء الضربة التي انزلتها بكيانها ومؤسساتها الجيوش العربية والمقاومة الفلسطينية خلال حرب اكتوبر ، وبموجب الاتفاقية لم تقدم اسرائيل اي تنازل مقابل منحها هذا الوضع المريح فانها لم تنسحب من شرم الشيخ او شمال سيناء وهي مواقع مصرية في غاية الاهمية ، هذا اذ لم نعدد غزة والضفة الغربية والجولان باعتبار حرب اكتوبر جزءا من معركة عربية قومية مع الكيان الصهيوني .

٦ ــ ان مصر بعد توقيع الاتفاقية لم يبق بيدها سوى ورقة الضغط الامريكي بعد ان ادت سياسة التسوية على اساس ثنائي الى ابعاد الاتحاد السوفياتي عن لعبة الضغوط الدبلوماسية ، كما عزلت الساحة السورية والساحة الفلسطينية ، اما الساحة الاردنية واللبنانية فقد انتهى دورها وضعف تدريجيا منذ عام ١٩٦٧ ولم يتبق من اداة البترول والمال العربي سوى الضجة الاعلامية والعامل النفسي . ولمعرفة مدى ضعف الاعتماد على الموقف الامريكي تجدر الاشارة الى ان الاتفاقية الامريكية ــ الاسرائيلية * التي تتضمن ضمانات امريكية عسكرية واقتصادية ومالية لاسرائيل تفوق جميع الضمانات التي كانت قائمة قبل توقيع الاتفاقية .

---

* نشرت نصوص هذه الاتفاقية في الواشنطن بوست والهيرالد تريبون ١٩٧٥/٩/١٦ ومجلة US News and World Report وصدرت في اعلان رسمي عن الكونجرس الامريكي .

٧ ــ لا يمكن اعتبار الاتفاق بين مصر واسرائيل خطوة في سبيل السلام كما تنص الاتفاقية اذ انه بالنسبة لحجم النزاع لا يحل اي مشكلة بل يميل الى جعل النزاع اكثر خطورة بمنحه اسرائيل اسبابا اضافية للتمسك بسياسة الاحتلال والغاء مفعول قرارات مجلس الامن ٢٤٢ ــ و ٣٣٨ وقرار الامم المتحدة رقم ٣٢٣٦ بجانب الغاء دور الاتحاد السوفييتي في مؤتمر جنيف ، فاتفاقية سيناء ابتعدت عن هدف الوساطة الدولية لاحلال السلام فهي اتفاقية ثنائية لم تشترك فيها جميع الاطراف المعنية . ومن الناحية العسكرية المجردة فقد منحت الاتفاقية اسرائيل حرية القيام بالهجوم على اي طرف يعارض ارادتها بينما منحت امريكا فرصة جديدة لاحتواء المكاسب التي حققتها سياسة الاستقلال والتحرير في المنطقة .

هذه النقاط السبع كافية لتبرير ردة الفعل العربية والفلسطينية المضادة للاتفاقية دون الحاجة للدخول في المناورات والمزايدات التي دارت وتدور حول الاتفاقية .

رابعا : الاتفاقية ومستقبل القضية الفلسطينية

لما كانت القضية الفلسطينية تشكل الجوهر الانساني والمدار القومي والتاريخي للنزاع العربي الاسرائيلي فان اتفاقية سيناء سيكون لها (عربيا ودوليا) ابعد الاثار على هذه القضية . فاذا اخذنا مضمون الاتفاقية حسب نصوص موادها فانه لا يبدو ان للقضية الفلسطينية اي علاقة بما تم الاتفاق عليه بين مصر واسرائيل سوى الاشارة في المادة الثامنة الى بذل الجهود للتوصل الى اتفاق نهائي في اطار مؤتمر جنيف . اما بالنسبة لاعتماد القضية الفلسطينية عربيا على المجهود العسكري العربي الذي تمثل فيه مصر الدور الاكبر والاكثر فعالية فان معركة تحرير فلسطين (الشعار الذي التف حوله العرب منذ ١٩٤٨) يمكن اعتبارها تجمدت بعد تقليص وتقييد دور الجيش المصري فيها . واذا استعدنا تعداد الخطوات السلبية والايجابية التي اقدمت عليها الدول العربية بصدد القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٧ فاننا لا نجد خطوة اقدمت عليها دولة عربية تجاه القضية يمكن اعتبارها اكثر خطورة ، وهذا ما يفسر وصف منظمة التحرير الفلسطينية لخطوة مصر الاخيرة بانها انسحاب من المعركة لا يقابله من الجانب الاسرائيلي اي التزام واضح بحقوق الشعب الفلسطيني * واذا كانت مصر بتوقيعها الاتفاقية ترمي الى تأجيل البحث في القضية الفلسطينية الى مفاوضات مقبلة والى مرحلة يتم فيها توقيع صلح شامل مع اسرائيل فان الاتفاقية الحالية لا تحتوي على اي شروط او تعهدات ملزمة بطرح القضية الفلسطينية طرحا يتناسب مع المكان الذي تحتله داخل النزاع . فبنظر الفلسطينيين ــ منظمة التحرير الفلسطينية ــ فان الاتفاقية تحمل بين بنودها جميع اسباب وشروط الصلح بين بلدين متحاربين بحيث تبدو الدعوة الى مواصلة الجهود مجرد اشارة الى هوامش وهنا تكمن بعض مواقع الخلاف بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين مصر . فالاولى تنظر الى الاتفاقية كنهاية لمرحلة المواجهة دون ان تكون هذه المواجهة قد حققت ايا من اهدافها بينما تنظر مصر للاتفاقية كمرحلة تمهيدية تضع المواجهة بمجملها في اطار بعيد عن احتمالات استعمال القوة. فالاتفاقية بالنسبة لمصر هي تجربة تاريخية لا بد للنزاع ان يمر بها قبل ان يدخل مرحلة الاعداد للتعايش السلمي . وبنظر منظمة التحرير الفلسطينية فان الدخول الى هذه المرحلة لا يمكن ان يتم قبل ان يحقق الجانب العربي عامة والفلسطينيون خاصة استعادة الحد الادنى من مطالبهم وحقوقهم في الارض الفلسطينية وانه لا يمكن التوصل الى هذه المطالب تحت ظروف

---

* في بيان لحركة فتح صادر في ١٩٧٥/٩/٥ اعلنت الحركة ادانتها للاتفاقية واعتبرتها تجميدا للصراع وتجزيئا للقضية الواحدة ــ نشر البيان في « فلسطين الثورة » عدد ٧ ايلول ١٩٧٥ (رقم ١٥٩) .

الاحتلال الاسرائيلي وميزان القوى العسكري القائم . ان الموقف الفلسطيني كان دائما شديد الحساسية تجاه اي تحرك عربي نحو التسوية على اساس الوضع القائم وذلك لان اي اعتراف ضمني بشرعية الكيان الاسرائيلي وامكانية التعامل معه (كواقع سياسي قائم) على غير اساس حالة الحرب — اي انهاء حالة الحرب معه ولو مؤقتا — يشكل خطرا حقيقيا على مبدأ السيادة القومية سواء على فلسطين او على الاراضي العربية المحتلة من مصر وسوريا ، كما يشكل اختلالا في توازن القوى العسكري الذي استطاعت الدول العربية المحافظة عليه بعد حرب ١٩٤٨ وحتى بعد حرب يونيو ١٩٦٧ . ان الاتفاقية من هذه الزاوية تضع قضية فلسطين لاول مرة امام امتحان تاريخي لم تتعرض لمثيل له منذ وعد بلفور ١٩١٧ : اذا استطعنا التفسير المرحلي للاتفاقية واخذنا بالتفسير التاريخي فان الاتفاقية تقدم مفهوما ضيقا للنزاع حيث تلغي عنصره الرئيسي — القضية الفلسطينية .

خامسا : مستقبل النزاع بعد الاتفاقية — ملاحظات واستنتاجات

١ — كما شكلت اتفاقيات الهدنة العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٩ انعطافا جوهريا في تطور النزاع العربي — الاسرائيلي فان اتفاقية سيناء (ومن قبلها اتفاقيات فك الارتباط بين مصر واسرائيل ١٩٧٣ وبين سوريا واسرائيل ١٩٧٤) تشكل الانعطافة التاريخية الثانية لهذا النزاع في اتجاه حله خارج اطار المواجهة العسكرية مما سيترتب عليه نتائج تاريخية هامة على قضايا عربية مصيرية مثل قضية تحرير فلسطين ، والوحدة العربية ، والعلاقات العربية الدولية ومسألة التنمية والتطور في العالم العربي . مما لا شك فيه ان التزام مصر بقيادة الجبهة العسكرية العربية ضد اسرائيل كان يعطي حركة الوحدة العربية التماسك والدعم الكافي لجعلها محور النشاط السياسي في العلاقات العربية ، بينما ستؤدي حالة الركود العسكري على الجبهة المصرية الى تقوية مركز اسرائيل كحاجز جغرافي وسياسي ونفسي امام تحقيق اي وحدة عربية على المدى القريب بل وربما يؤدي هذا الركود الى تغير جذري في مضمون الوحدة بحيث لا يشمل مصر على المدى القصير .

٢ — على صعيد العلاقات العربية الدولية ابرزت الاتفاقية سياسة التقارب المصري الامريكي مع قبول مبدأ الالتزام الامريكي بحماية اسرائيل وسياسة الاحتلال والتوسع التي تمارسها في الوطن العربي . وقد وضعت الاتفاقية حدا لسياسة التقارب المصري السوفييتي وهي السياسة التي ثبت من التجربة انها افسدت المخطط الامريكي للسيطرة على العالم العربي بواسطة اسرائيل بالرغم من اتخاذ الاتحاد السوفييتي هذه السياسة فرصة لاختراق سياسة الاحتواء الامريكي خلال الخمسينات . ان التقارب المصري الامريكي بعد الاتفاقية يجعل من سياسة امريكا المزدوجة في حماية اسرائيل وحماية مصالحها — اي امريكا — في المنطقة تبدو سياسة متكاملة ومنسجمة بحيث يختفي التناقض بين هدف تنمية الوطن العربي وهدف ربط هذه التنمية بعودة النفوذ الاجنبي الى المنطقة .

٣ — ان جميع التوقعات العربية بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ كانت تدور حول وجود فرصة لتحقيق السلم بشروط عربية الى ابعد الحدود ولكن هذه التوقعات سرعان ما ثبت خطأها اذ انه كما تبين بعد الانتصار الاسرائيلي عام ١٩٦٧ من انه انتصار مؤقت لا تبرره موازين القوة الحقيقية عسكريا وبشريا واقتصاديا فان الانتصار العربي في حرب اكتوبر ١٩٧٣ لم يؤد الى تغيير حقيقي وملموس لميزان القوى العسكري محليا ودوليا وهكذا عاد النزاع بعد ايام قليلة من حرب اكتوبر الى توازنه التقليدي بين مجموعة دول عربية ذات نسب متفاوتة من الانهماك في النزاع وبين المركز الاسرائيلي المستند الى ترسانة التسلح الامريكي والدعم السياسي المطلق لاصحاب هذه الترسانة . ان كل ما اوجدته

حرب اكتوبر بجانب شعور النصر والكرامة لدى العرب هو تغيير قاعدة النزاع من صراع بين قوى غير متكافئة في الاداء العسكري الى قوى اقرب الى تكافؤ الفرص في امكانية انزال احدها ضربات مؤلمة بالاخر . وقد اعطت هذه القاعدة القيادة المصرية حجة سياسية لتبرير التفاوض من مركز القوة وهو ما افتقدته القيادات العربية التي تمت على يدها حرب يونيو ١٩٦٧ . فبالنسبة لمصر اليوم تبدو التسوية وكأنها نتيجة للنصر بعد ان ادت الضربه التي انزلتها القوات المصرية بجيش اسرائيل تحطيم أسطورة التفوق العسكري الاسرائيلي في كل زمان ومكان واستطاعت مصر في مرحلة تحركها السياسي الدولي ضمان اعادة قناة السويس وابار نفط سيناء كما اعادت بعض الثقة الى الاقتصاد المصري وخفضت عنه الضغوط المالية واوجدت التفافا داخليا حول النظام ووحدة وطنية حول القيادة السياسية كما خفضت قليلا من ضغط الاحتلال الاسرائيلي على الوضع الداخلي للنظام في مصر .

٤ — في العمل الدولي وداخل الامم المتحدة لا زالت مصر تشترط ان لا يتم الحل الشامل دون منح الفلسطينيين « حقوقا مشروعة » ولكن اسرائيل لا زالت تعارض مثل هذا الحل ولا زالت تحتفظ باكثر من ٩٥ ٪ من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ ولا زال اكثر من مليون ونصف عربي يعيشون تحت سيطرة سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، كما استطاعت اسرائيل لغاية الان مقاومة جميع الضغوط الدولية بما فيها الضغوط الامريكية . ان حجم المكاسب التي لا زالت اسرائيل تحتفظ بها كنتيجة لحرب يونيو ١٩٦٧ كافية لتبرير شروطها برفض انهاء النزاع على اساس قرارات الامم المتحدة اي انها كافية لتبرير احتفاظها بمعظم الاراضي المحتلة واصرارها على عدم تضمين المفاوضات مواضيع مثل القدس ، والمستعمرات الاسرائيلية في الضفة الغربية والجولان وسيناء .

٥ — ان موقف مصر من النزاع كان هو دائما الذي يملي موقف سوريا والاردن وهو لا يزال كذلك وان كان قد تعرض للهجوم والتشكيك بعد توقيع الاتفاقية . وفيما ترمي سياسة مصر الان الى اعادة الوضع الاقليمي كما كان عليه قبل حرب يونيو ١٩٦٧ مع قبول مبدأ تسوية النزاع دون المساس بجوهر القضية الفلسطينية ، فان اسرائيل ترمي الى اعادة الوضع الى ما كان عليه قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ وتتصرف سياسيا وعسكريا على هذا الاساس . انه اذ لم يتم اجراء مراجعة جذرية ضمن اطار عربي للموقف المصري الجديد من النزاع واذ لم يتم وضع حد لسياسة اسرائيل في استعمار وضم الاراضي العربية المحتلة فان اي تسوية شاملة ودائمة ونهائية للنزاع ، ستظل المناقشة مجرد مناقشة اكاديمية .

٦ — تتميز اتفاقية سيناء بأنها جاءت نتيجة لمبادرة ومجهود امريكي خارج اطار المشاورات السوفييتية — الامريكية وخارج نطاق المجهودات الدولية داخل الامم المتحدة ، وتعتبر الاتفاقية من هذه الزاوية احدى نقاط النجاح في سياسة كيسنجر الخارجية والثمرة الرئيسية لسياسة التقارب المصري — الامريكي . ومما يدعو الى الاستغراب ان يحدث هذا التقارب في الوقت الذي تجدد فيه الولايات المتحدة التزاماتها السابقة لاسرائيل وتضيف عليها التزامات جديدة وان يتم كل هذا خلال عملية اعادة ترتيب المصالح الاستراتيجية والاقتصادية للولايات المتحدة في المنطقة وذلك على اثر انحسار النفوذ الامريكي في جنوب شرق اسيا بعد انسحاب القوات الامريكية من فيتنام وكمبوديا . ان المعادلة الجديدة للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط بعد الاتفاقية اصبحت تقوم على الدعائم التالية :

— تجديد الالتزام بحماية اسرائيل وانعاش دورها التقليدي في رعاية ومراقبة المصالح الامريكية في المنطقة .

— مراعاة التطورات الجديدة التي فجرتها حرب اكتوبر في العالم العربي (قوة

البترول والمال العربي ، سياسة التنمية الذاتية وبناء قوة اقتصادية عربية) ومحاولة احتواء هذه التطورات وابطال مفعولها على النـــزاع .

ـــ ابقـــاء ميزان التسلح لمصلحـــة اسرائيل .

ـــ حصر ظاهرة المقاومة الفلسطينية المسلحة في اضيق نطاق ممكن ومحاولة عـــدم تعميمها كاسلوب ناجح لترجيح النزاع لمصلحة قوى التحرر والتقدم في العالم العربي .

ـــ الضغط على الدول العربية لتوقيع معاهدة صلح على اساس الوضع القائم .

ـــ تقوية اسس التقارب المصري ـــ الامريكي والابقاء على دور الوسيط الامريكـــي كطرف مقبول به من الجانب العربي في محاولات حل النزاع نهائيا في المستقبل .

٧ ـــ تجدر هنا الاشارة الى دور الاتحاد السوفييتي في مستقبل النزاع على ضـــوء الاتفاقية . ان توقيع الاتفاقية قد تم بعيدا عن اي اثر للاتحاد السوفييتي فقد ادى التقارب المصري ـــ الامريكي الى ادخال السياسة السوفييتية في الشرق الاوسط في مازق لـــم تواجهه من قبل . فالاتحاد السوفييتي الذي ظل يلعب دورا رئيسيا في المنطقة منذ عـــام ١٩٦٠ شعر نفسه بعد حرب اكتوبر١٩٧٣ وكأنه دفع ثمن صفقة خاسرة مرتين ، مـــرة عند هزيمة شريكه الاصيل عام ١٩٦٧ ومرة عند تحول هذا الشريك الى الفريق المنافس عند ظهور اول بادرة تعويض عن الخسارة الاولى (انتصار السلاح السوفييتي في اكتوبر ١٩٧٣ . ان الاتحاد السوفييتي امام تدهور علاقاته مع مصر عبر عن عدم موافقتـــه رسميا على الاتفاقية وذلك بغياب مندوب عنه في جلسات اللجنة العسكرية المشتركـــة التي اجتمعت بجنيف لصياغة البروتوكول الخاص بالاتفاقية ، كما دلت التصريحـــات السوفييتية الصادرة بعد توقيع الاتفاقية بان السياسة السوفييتية تحبذ عدم بحث ايـــة تسوية للنزاع خارج اطار مؤتمر جنيف وبحضور جميع الاطراف ، ويصر الاتحـــاد السوفييتي ان تكون منظمة التحرير الفلسطينية طرفا رئيسيا بجميع المحادثات المقبلـــة حول النزاع . ان هذا الموقف يبدو اكثر انسجاما مع موقف سوريا ومنظمة التحريـــر الفلسطينية كما انه يعني ان الاتحاد السوفييتي لا زال ينطلق في سياسته نحو النزاع من نفس المبادىء وباعتماد نفس الاستراتيجية التي املتها مصالحه وقناعاته قبل عـــام ١٩٦٧ ، وان ابتعاد مصر عن الخط السياسي للسياسة السوفييتية لم يؤثر فعليا على الدور الذي حددته القيادة السوفييتية لنفسها في النزاع خاصة وان مراكز القوة وموازين القوى في المنطقة تجعل من السهل على الدول الكبرى تبديل الحلفاء وتعويض الاصدقاء ضمن فترات قصيرة .

٨ ـــ يعتبر موقف اسرائيل من الاتفاقية وملحقاتها وبروتوكولها حجر الزاوية في اي عملية تقييم لاثارها ونتائجها على مستقبل النزاع . فكما وضعت الحركة الصهيونية جميع الاتفاقيات والعهود السابقة (الهدنة ، ايقاف اطلاق النار ، فك الارتباط) في خدمـــة الاهداف الصهيونية الرئيسية ـــ الاستيطان والضم والتهويد ـــ فانه ليس في سياسة اسرائيل ونظرتها للاتفاقية ما يدل على انها تزحزحت قيد شعرة عن مفهومها التقليـــدي لاي اتفاق دولي او ثنائي بشأن النزاع . وبناء على السوابق المتوفرة لاختبارات العرب بالمواثيق التي وقعت عليها القيادات الصهيونية والحكومات الاسرائيلية المتعاقبة فـــان اتفاقية سيناء يمكن اعتبارها اداة اضافية بيد اسرائيل لتحقيق الاهداف التالية :

ـــ بالنسبة لمفهوم اسرائيل للحدود الامنة تعتبر الاتفاقية اول اتفاق ثنائي مع طرف عربي يحتوي على صياغة قانونية ومضمون سياسي لموضوع الحدود وعليه فان هـــدف اسرائيل سيظل المحافظة على الوضع الجديد للحدود ضمن مفهوم الامن الاسرائيلي .

ـــ ستتخذ اسرائيل من الاتفاقية اداة لعرقلة الاستراتيجية العربية للسلام القائمة على

ازالة الاحتلال واقامة وطن فلسطيني ضمن حدود الشرعية الدولية ، وكانت اسرائيل قد تمكنت من خلال اتفاقيات فك الارتباط من ايجاد شرخ عميق في الاستراتيجية العسكرية العربية ، فانقسم الجانب العربي من مؤيدي استمرار المعركة عسكريا ومؤيدي الاعتماد على التحرك الدبلوماسي .

— منحت الاتفاقية اسرائيل مادة كافية لتصعيد حربها النفسية على الرأي العام العربي. فقد استطاعت الحكومة الاسرائيلية اخراج النقاش الذي دار بين احزاب اليمين الاسرائيلي وفريق الحكومة حول الاتفاقية للايحاء للرأي العام العربي (والعالمي) بان اي انسحاب اسرائيلي مهما كان حجمه رمزيا يعتبر من القضايا « المقدسة والممنوع لمسها » بالنسبه لامن اسرائيل وبقائها بحيث تبدو جميع الخطوات المقابلة من اي طرف ثان (مصر او سوريا) او اي طرف ثالث (الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفييتي ، الامم المتحدة) مجرد حق مكتسب لاسرائيل .

— ستعمل اسرائيل على استغلال الهدوء النسبي على الجبهة العسكرية العربية من اجل تثبيت وجودها في المناطق المحتلة وذلك قبل أن يتمكن التحرك العربي الدبلوماسيي من تحقيق اي مكاسب سياسية ملموسة .

ملاحظة ختامية

طرحت الاتفاقية فيما طرحته مجددا على الساحة العربية موضوع التضامن العربي الذي وصل اوجه اثناء حرب اكتوبر ثم بدأ ينحدر تدريجيا منذ انعقاد مؤتمر جنيف ووصل حده الادنى بعد توقيع الاتفاقية .

مع ذلك يظل التضامن العربي بمفهومه التقليدي (الجامعة العربية ومؤتمرات القمة) هو الرصيد الوحيد لاي عمل مشترك تجاه النزاع في المستقبل ، اذ ان تمسك مصر بمبدأ التضامن العربي لم يكن مظهرا طارئا في السياسة المصرية ولكنه جزء من الشخصية الحضارية لمصر ولوعيها لدورها التاريخي في المنطقة ، وان كل ما يمكن ان تؤدي اليه التيارات الانعزالية (وهي موجودة في مصر ودول عربية اخرى) لا يمكن ان ينتج عنه اكثر من العودة لسياسة المحاور التي اثبتت بانها لا تدوم طالما ظل النزاع يهدد مصالح جميع الاطراف العربية بنفس الدرجة . كما ان الاتفاقية وان كانت قد ادت الى تجميد الجبهة العسكرية الرئيسية في النزاع الا ان المواجهة العربية مع الكيان الصهيوني ستستمر على جبهات اخرى لا تقل اهمية عن الجبهة العسكرية ، فالنواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاعلامية مضافا اليها ميدان المقاومة الفلسطينية المسلحة ستظل تشكل درجة اعلى في نسبة حسم النزاع مستقبلا .

ملحـــق :

خلفية الاتفاقية المصرية — الاسرائيلية بالتواريخ والوقائع

١٩٧٣

٦ اكتوبر — الهجوم المصري — السوري على مواقع الجيش الاسرائيلي في سيناء والجولان . الحرب العربية — الاسرائيلية تبدأ بانتصارات عربية .

١٠ اكتوبر — الهجوم الاسرائيلي المضاد في الجولان .

١٧ اكتوبر — الدول العربية المنتجة للنفط تقرر في الكويت تخفيضا تدريجيا لتصدير النفط ، وترفع اسعار النفط بـ ١٧٪ .

١٨ اكتوبر — المعارك تخف في الجولان وينتقل ثقل القتال الى جبهة سيناء .

٢٠ اكتوبر — القوات الاسرائيلية تخترق قناة السويس الى الضفة الغربية منه .

٢١ اكتوبر — كيسنجر يطير فجأة الى موسكو .

٢١ اكتوبر — الدول العربية المصدرة للنفط تفرض حظرا على الولايات المتحدة .

٢٢ اكتوبر — الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي يتخذان قرارا في مجلس الامن لوقف اطلاق النار .

٢٣ اكتوبر — اسرائيل لا تتقيد بوقف اطلاق النار وتحتل قواتها مدينة السويس وتحاصر الجيش المصري الثالث .

٢٤ اكتوبر — سوريا توافق على وقف اطلاق النار .

٢٥ اكتوبر — الانذار الذري : امريكا تعلن حالة الانذار الذري لقواتها متذرعة بخطر تدخل عسكري سوفييتي . مجلس الامن يقرر ارسال فيلق سلام للمنطقة . وقف اطلاق النار يصبح ساريا وفعالا وتتوقف الحرب .

١١ نوفمبر — القادة العسكريون المصريون والاسرائيليون يوقعون في خيمة الامم المتحدة على الكيلو ١٠١ اتفاق وقف اطلاق النار والذي يتضمن تبادل اسرى الحرب .

٢١ ديسمبر — انعقاد مؤتمر السلام للشرق الاوسط بجنيف بغياب سوريا . حضر المؤتمر وزراء خارجية مصر والاردن واسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والسكرتير العام للامم المتحدة .

١٩٧٤

١٨ يناير — بعد الوساطة الثالثة لكيسنجر بين الاطراف المتنازعة ، مصر واسرائيل توقعان اتفاق فك الارتباط على الكيلو ١٠١ .

٢٥ يناير — القوات الاسرائيلية تنسحب عن منطقة قناة السويس .

٢٧ يناير — اندلاع قتال محدود بين سوريا واسرائيل في الجولان .

٢٨ فبراير — مصر والولايات المتحدة تعيدان علاقاتهما الدبلوماسية التي انقطعت عام ١٩٦٧ .

١٨ مارس — الدول العربية المصدرة للنفط ترفع حظرها عن الولايات المتحدة ولكنها تبقي على ارتفاع الاسعار

١٠ ابريل — جولدا ماير رئيسة وزراء اسرائيل تتنحى عن الحكومة بعد خلاف حول اخطاء وقعت اثناء حرب اكتوبر .

١٨ ابريل — السادات يعلن ان مصر لن تعتمد فقط على المساعدات العسكرية السوفييتية .

٢٨ ابريل — كيسنجر وجروميكو يبحثان في جنيف مسألة تحقيق اتفاق جزئي بين سوريا واسرائيل .

٢٩ مايو — كيسنجر يحقق بعد مفاوضات دامت اسابيع اتفاق فك ارتباط على الجولان (تم توقيعه فيما بعد يوم ٥ يونيو) . قوات الامم المتحدة تتخذ مواقعها في المنطقة العازلة بالقنيطرة .

١٢ — ١٩ يونيو — نيكسون يزور مصر والسعودية وسوريا واسرائيل والاردن .

٢٨ يونيو — رابين يشكل وزارة اسرائيلية جديدة بعد ازمة وزارية شديدة .

٢١ يونيو — مصر تعترف رسميا بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . احتجاج الاردن .

١٤ اكتوبر — الجمعية العامة للامم المتحدة تدعو منظمة التحرير الفلسطينية لحضور مناقشة القضية الفلسطينية .

٢٣ اكتوبر — مجلس الامن يمدد فترة قوات الامم المتحدة في سيناء الى ابريل ١٩٧٥ .

٢٩ اكتوبر — مؤتمر القمة العربي في الرباط يتخذ قرارا باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

١٣ نوفمبر — ياسر عرفات يتحدث أمام الجمعية العامة للامم المتحدة بنيويورك ، الجمعية العامة تتخذ

قرارا بالاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في الاستقلال .

١٩٧٥

٢ **يناير** — كيسنجر يلمح بان الولايات المتحدة ستدافع عن تأمين امدادات النفط ولو تطلب الامر التدخل العسكري .

١٥ **يناير** — اسرائيل تقوم بسلسلة هجمات على جنوب لبنان .

١٠ **فبراير** — كيسنجر يبدأ رحلة وساطة جديدة تدوم لغاية ١٩ يناير .

٨ **مارس** — كيسنجر يصل الشرق الأوسط ثانية .

٢٢ **مارس** — كيسنجر يعلن عن فشل مهمته لتحقيق فك ارتباط ثان بين مصر واسرائيل ويعود الى واشنطن

٢١ **ابريل** — السادات والاسد يتفقان على سياسة موحدة تجاه النزاع .

٢٢ **مايو** — سوريا توافق على تمديد فترة قوات الامم المتحدة في الجولان لمدة ستة اشهر .

١ **يونيو** — السادات وفورد يلتقيان في سالزبورغ (النمسا) ويعبران عن وجود فرصة جديدة لتسوية النزاع .

٥ **يونيو** — اعادة فتح قناة السويس .

١٠ **يونيو** — زيارة الاسد لعمان والتقارب السوري — الاردني .

٢١ **اغسطس** — كيسنجر يبدأ رحلة وساطة جديدة في الشرق الاوسط بين مصر واسرائيل تنتهي في أوائل سبتمبر بالتوصل الى اتفاق سيناء .

سياسات النظام الاردني
تجاه مسألة تقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة

غازي الخليلي

مما لا شك فيه* أن تحديد موقف النظام الاردني من مسألة تقرير ، ليس فقط ، مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ، بل ومستقبل الشعب الفلسطيني بشكل عام ، أمر من الاهمية بمكان ، لأنه بهذا التحديد ، اضافة ، الى اننا نزيح الغطاء عن السياسات التي لجأ ويلجأ اليها النظام الاردني في المضي قدما بسياسته الالحاقية للضفة الغربية ، فاننا نصبح أكثر قدرة على بلورة سياسات صائبة في مواجهة تحركاته وسياساته والعمل على احباطها .

لقد أنيط بالنظام الاردني منذ نشأته في العام ١٩٢١ دور خاص تجاه المسألة الفلسطينية ، ضمن استراتيجية الأمن البريطانية في المنطقة ، على ضوء التزام بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور (١) . وبالامكان تحديد معالم هذا الدور بثلاث قضايا رئيسية هي :

١ ــ أن يشكل شرق الاردن الارض التي سيجري عليها اعادة اسكان العرب الفلسطينيين الذين قد يضطرون لمغادرة فلسطين على ضوء ما يحصل من تقدم بصدد تنفيذ وعد بلفور ، ولذا استثني شرق الاردن من الارض المشمولة بالوعد ، وتم الاتفاق بين تشرشل والامير عبدالله بن الحسين على تأسيس امارة شرق الاردن في العام ١٩٢١ ، ضمن الالتزام البريطاني بما سمي «انشاء» وطن قومي يهودي في فلسطين .

٢ ــ أن تقوم امارة شرق الاردن بدور الحاجز الامني ضد أي امتدادات للحركة الوطنية الفلسطينية خارج فلسطين ، وتحديدا في شرق الاردن . ولذا جرى تزويد الامارة منذ نشأتها بأداة قمع عسكرية ، تم تطويرها وزيادة فعاليتها وقدرتها على المطاردة وممارسة القمع ، على ضوء النمو المتزايد للحركة الوطنية الفلسطينية (٢) . وبنفس الوقت تم سن مجموعة من القوانين القمعية باسم قانون الدفاع ، لمواجهة الحركة الوطنية الفلسطينية وامتداداتها نحو شرق الاردن (٣) .

٣ ــ أن تشكل امارة شرق الاردن ، الدولة التي سيضم اليها الجزء المتبقي من فلسطين ، بعد أن يجري تنفيذ الجزء الاول من المشروع الصهيوني باقامة دولة صهيونية على أرض فلسطين ، ذلك أن بريطانيا كانت حريصة على ابقاء سيطرتها على جزء من فلسطين حتى بعد قيام « الوطن القومي اليهودي » كجزء من استراتيجيتها

---

* محاضرة ألقيت في مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية بتاريخ ١٩٧٥/١٢/١٩ ، ضمن سلسلة الندوات التي أقامها المركز لاستكشاف مواقف أطراف الصراع المختلفة من هذه المسألة .

شرقي قناة السويس (٤) ولذلك فقد عمل الامير عبدالله منذ البداية على اقتسام الوطن الفلسطيني مع العدو الصهيوني ، وأخذ يوطد علاقاته مع الجماعات الفلسطينية المحسوبة على الانتداب البريطاني ، كما أخذ يتدخل في شأن الحلول التي تطرح لمعالجة المسألة الفلسطينية أمام تزايد الصراع بين الحركة الوطنية الفلسطينية من جهة ، وبين سلطات الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية من الجهة الاخرى . وكانت أول اشارة تنم عن تفاهم بريطاني ـ هاشمي بصدد اقتسام الوطن الفلسطيني بين الهاشميين والحركة الصهيونية ، ما أوصت به لجنة « بيل » بضم القسم العربي من فلسطين الى امارة شرق الاردن(٥) . وقد عبر الامير عبدالله عن أطماعه بضم جزء من فلسطين الى حكمه ، عندما اقترح على لجنة « ودهيد » البريطانية في العام ١٩٣٨ ، تشكيل « مملكة موحدة عربية من فلسطين وشرق الاردن تحت يد ملكية عربية قادرة على القيام بمهمتها **وتعهداتها** » على أن تعطي هذه المملكة ادارة مختارة لليهود في المناطق اليهودية التي تتعين خارطتها بواسطة لجنة تتألف من رجال بريطانيين وعرب ويهود (٦) .

ولقد تأكدت حقيقة أطماع الامير عبدالله هذه ، عندما وافق على قرار التقسيم في العام ١٩٤٧ ، وأتبع هذه الموافقة بسياسة على عدة أصعدة ، لضمان الحاق « القسم العربي » الذي أقره قرار التقسيم الى حكمه . فمن جهة ، جعل مسرح عمليات الجيش الاردني لما اندلعت حرب العام ١٩٤٨ ، لا تتعدى حدود قرار التقسيم ، أي حدود المناطق المعتبرة عربية بموجب قرار التقسيم ، وتم الاتفاق على ذلك عبر تفاهم رئيس وزرائه توفيق أبو الهدي ، مع بيفن ، وزير الخارجية البريطاني آنذاك . من جهة ثانية ، مارست قواته سياسة قمع ضد المناضلين الفلسطينيين في المناطق التي تعمل بها ، فقامت بتجريدهم من السلاح وملاحقتهم ومطاردتهم ، وذلك حتى يضمن سيطرته العسكرية الكاملة على هذه المناطق . من جهة ثالثة ، أخذ يعد العدة لالحاق الجزء المتبقي من فلسطين لحكمه ، عبر تشجيع ورشوة بعض القيادات أو الوجاهات الفلسطينية ، وعبر ممارسة الاضطهاد والارهاب ضد الذين عارضوا سياسته الالحاقية . فرتب هو ورجال حكمه مع بعض عملائه الفلسطينيين ، مؤتمرا فلسطينيا عقد في عمان بتاريخ ١٩٤٨/١٠/١ ردا على مؤتمر غزة الذي دعت اليه القيادات الفلسطينية التي كانت ترفض مشروع الالحاق الهاشمي* . وقد أصدر المؤتمر قرارا بتفويض الملك عبدالله «تفويضا تاما مطلقا في ان يتحدث باسم عرب فلسطين وأن يفاوض عنهم ويعالج مشكلتهم بالشكل الذي يراه » (٧) وتبع هذا المؤتمر ، عقد مؤتمر آخر في أريحا بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١ ، كان الشيخ محمد علي الجعبري ، عرابه ، ومن أكبر الداعمين له ، واتخذ المؤتمر قرارا بالحاق الضفة الغربية بالحكم الهاشمي . وأصدرت الحكومة الاردنية بعد ذلك عددا من القرارات لجعل عملية الالحاق دستورية . وقد تكرس الضم والالحاق باجراء انتخابات نيابية في الضفتين في ١٩٥٠/٤/١١ وتشكيل برلمان موحد وحكومة ضمت فلسطينيين وشرق أردنيين .

لقد وقع الجزء المتبقي من فلسطين بعد حرب العام ١٩٤٨ تحت سياستين وادارتين

---

* مما يجدر ذكره هنا ، أن تقرير وضع ما تبقى من فلسطين بعد حرب العام ١٩٤٨ ، كان آنذاك ضحية الصراعات العربية بين الهاشميين من جهة والسعوديين والمصريين من الجهة الاخرى . والقيادة الوطنية الفلسطينية ، كانت عاجزة ومشتتة آنذاك ، لدرجة أنها فقدت القدرة على التحرك الفاعل في مواجهة ما يرتب من سياسات لالحاق الضفة الغربية بالحكم الهاشمي .

مختلفتين ، فمن جهة ، وضع قطاع غزة الذي شكل جانبا من مسرح عمليات الجيش المصري خلال الحرب ، في عهدة الادارة المصرية ، وأقيمت في قطاع غزة ما سمي حكومة عموم فلسطين ، وكانت حكومة شكلية أعجز من أن تقوم بأي دور وطني ، وخاضعة لسيطرة الادارة المصرية . ومن جهة ثانية الحقت الضفة الغربية ، بسكانها ومن لجأ اليها والى الضفة الشرقية من الفلسطينيين الى الحكم الهاشمي ، وعلى أرض الضفة الغربية والفلسطينيين الذين الحقوا بالحكم الهاشمي ، تابع النظام الاردني سياساته الالحاقية ، هذه السياسات التي أخذت منحى أكثر خطوة من السابق ، اذ شملت العمل على مصادرة وتبديد الهوية الوطنية الفلسطينية .

سياسات النظام الاردني بعد الالحاق ١٩٤٨ — ١٩٦٤

دأب النظام الاردني بعد العام ١٩٤٨ على انتهاج سياسات واضحة لمصادرة وتبديد الشخصية الوطنية الفلسطينية ، واتخذت هذه السياسات مظاهر عدة ، يمكن الاشارة الى اهمها وهي :

● افراغ منطقة الحدود مع العدو الصهيوني من أية امكانات دفاعية أو هجومية ، بالتأكيد على الدور القمعي الداخلي للجيش الاردني ، وبمقاومة أية توجهات لتسليح القرى الامامية واكسابها قدرة دفاعيه ، وكذلك بعدم السماح لاية دوله عربيـــة ان تستخدم الارض الاردنيه أو الضفة الغربيه في حشد قوات عسكرية عربية على طول الحدود مع العدو الصهيوني . وبهـدف السياسة شكـل النظـام الاردني حاجزا أمنيا يحمي حدود اسرائيل ويحافظ عليهـا ، ولذا فقد اعتبرت اسرائيل الابقاء على النظام الاردني احدى اهم مرتكزاتها الامنية في المنطقة ، وأعلنت أكثر من مرة أن أي تغيير اساسي في وضعيه النظام الاردني ، سيستتبع بالضرورة تدخلا اسرائيليا مباشرا لاعادة الامور الى ما كانت عليه .

● ممارسة أشد أنواع القمع ضد الحركة الوطنية في الاردن ، سواء بتوجهاتها الوطنية الفلسطينية او بتوجهاتها المضاده للنظام الرجعي في الاردن . لقد مارست اجهزه النظام القمعيه اشد انواع القمع والاضطهاد ، ضد المحاولات التـي قام بها بعض الفلسطينيين في الضفه الغربيه ، بمتابعة الاغارة علـى المواقع الاسرائيلية . وسن النظام الاردني قانون مكافحه الجاسوسية ، ليكون ستارا للاحقة ومحاكمة من يقوم بنشاط ضد الكيان الصهيوني . اضافه الـى ذلك ، فان تاريخ الاردن من العام ١٩٤٨ حتى الآن ، هو تاريخ يقوم أساسا على ما كان يقوم بـه النظام الاردني من عمليات قمع واضطهاد واسعة لكل الوطنيين في الاردن .

● مصادرة وتبديد الهوية الذاتية للفلسطينيين عبر عملية منح الجنسية الاردنية لكل الفلسطينيين المقيمين في الاردن أو الضفة الغربية . ان جعل الفلسطينيين أردنيين واسقاط هويتهم الذاتية الفلسطينية ، لم يأت لمواجهة الضرورات العملية باتاحة المجال للفلسطينيين المقيمين في الاردن بالحركة والتنقل ، بل أتى ضمن السياسة المرسومة في نفي الهويـــة الذاتية الفلسطينية ، وقتـل الشعور أو الوعـــي بالانتماء الوطني الفلسطيني . ان استناد النظام الاردني الآن على واقعة ان الفلسطينيين المقيمين في الاردن هم رعايـــا أردنيون ، لتبرير ادعاءاته في تمثيلهـم والتحدث باسمهم ، يوضح المرامي والاهداف الحقيقية التي كان يبتغيها النظام الاردني من سياسة التجنيس .

وهـــي سياسة لا تصب الا في طاحونـــة مصادرة وتبديد الهوية الوطنيـــة للشعب الفلسطيني . لا سيما اذا ربطنا هذه السياسة ، بسياسات النظام الاردني في تفتيت البنية الاقتصادية ــ الاجتماعية للفلسطينيين هناك ، لتكريس عملية المصادرة والتبديد واكسابها مضامين اقتصادية واجتماعية .

● **تفتيت البنية الاقتصادية ــ الاجتماعية** للفلسطينيين في الاردن والضفة الغربية . يعتبر الوجود الاقتصادي والاجتماعي المتماسك ، احدى المقومات الاساسية لوجود أي شعب أو أية جماعة من الناس . وبالتالي فانه أمام فقدان القسم الاكبر من الشعب الفلسطيني لأرضه وتشتته في أقطار عديدة ، كان يجب اعتبار الارض الفلسطينية التي لم تحتل ، بمثابة الارض التي يجري عليها اعادة بنيان الهيكلية الاقتصادية والاجتماعية للشعب الفلسطيني ، وذلك بانماء مجالات الانتاج المختلفة من زراعة وصناعة علـــى الارض الفلسطينية ، واستيعاب قوى الانتاج الفلسطينية فيها . لقد قامت سياسة النظام الاردنيعلى افراغ الضفة الغربية من اية امكانية لنمو اقتصادي خاص ومتبلور ، وجعل اقتصاد الضفة الغربية اقتصادا ملحقا باقتصاد الضفة الشرقية ، وكرس النظام هذه السياسة بسن مجموعة من القوانين التي تحرم انشاء أية شركات أو مؤسسات صناعية كبيرة في الضفة الغربية ، وتوجب قيام أيـــة شركات أو مؤسسات من هذا النوع في الضفة الشرقية ، حتـــى ولو كانت شروط نجاحها تجاريا تتطلب اقامتها في الضفة الغربية . من ذلك مثلا ، ان الحكومة الاردنية مانعت وماطلت كثيرا في انشاء مصنع لتعليب البندورة في الخليل ، واصرت علـــى أن يقوم هـــذا المصنع في الضفة الشرقية ، على الرغم من أن المصنع يجب أن يكون قريبا من مركز انتاج البندورة في الخليل . ولم تسمح الحكومة باعطاء ترخيص لانشاء المصنع الا عندما رخصت بانشاء مصنع آخر لتعليب البندورة في عمـــان . ان وجود معظم الشركـــات والمؤسسات الصناعية الكبيرة في الضفة الشرقية ، لم يكن صدفة ، أو خوفا من احتمالات اجتياح اسرائيل للضفة الغربيـــة مستقبلا ، بل كـــان جزءا مـــن سياسة مرسومة لافقاد الفلسطينيين في الضفة الغربية أية امكانية للصمود الذاتي ، ومـــن أجل العمل على التفتيت السريع للبنية الاقتصادية ــ الاجتماعية للفلسطينيين هناك . ومن الامور التي باتت مؤكدة ، انه لو كانت الضفة الغربية متمتعة بامكانات الصمود الاقتصادي في وجـــه الاحتلال الاسرائيلي لها ، لكانت أقدر علـــى المقاومة والصمود ، ولواجهت السلطات الاسرائيلية المحتلة ، صعوبة كبيرة في تشغيل هذا العدد الكبير من الأيدي العاملة الفلسطينية في الاراضي المحتلة في العام ١٩٤٨ . وفي جعل اقتصاد الضفة الغربية تابعا وملحقا ــ بشكل كبير ــ بالاقتصاد الاسرائيلي . لقد كان من الممكن جدا ، لو قام حكم وطني ديموقراطي في الاردن بعد العام ١٩٤٨ ، أن تشكل الضفة الغربية ، الارض الفلسطينية التي يجري عليها اعادة بناء الوجود الوطني الفلسطيني ، من خلال اعادة بناء وجوده الاقتصادي ــ الاجتماعي المتماسك . لقد وقعت الحركة الوطنية في الاردن ، بشقيها الفلسطيني والاردني ، بخطأ كبير ، عندما لم تطرح في برامج عملها النضالية ضد النظام الرجعي في الاردن ، مـــا يناهض سياسة الالحاق الهاشمي للضفة الغربية ، من خلال طرح تصور وطني لتجديد وحدة الضفتين علـــى أسس جديدة ، تكفل النمو الوطني الخاص للفلسطينيين هنـــاك ، وتكفل الحد من سياسات النظام الاردني لمصادرة وتبديد الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني .

النظام الاردني والنهوض الوطني الفلسطيني

لقد استمرت هذه السياسة بمظاهرها واشكالها المذكورة أعـــلاه ، هي السياسة

السائدة للنظام الاردني تجاه الشعب الفلسطيني طيلة الفترة الممتدة من العام ١٩٤٨ ــ ١٩٦٧ ، ولا زال « النظام » يعمل على أساس مــن الوقائع التي أفرزتها هذه السياسات خلال هذه العشرين سنة ، بطرح نفسه كطرف أساسي في تقرير مستقبل الشعب الفلسطيني . ولذا فانــه اتخذ ــ منذ البداية ــ موقفــا عدائيا من ظاهرة النهوض الوطني الفلسطيني الخاص في بداية الستينات من هذا القرن ، هذه الظاهرة التي عبرت عن نفسها بظهور العديد من التنظيمات الفلسطينية التي طرحت موضوع دور الشعب الفلسطيني الخاص في معركة تحرير فلسطين ، ومارست الكفاح المسلح الفلسطيني ــ وان بشكله المحدود ــ لتأكيد هذا الدور . وقد جــاءت ولادة منظمة التحرير الفلسطينية بقرار من مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في العام ١٩٦٤ ، تعبيرا عن هذه الظاهرة ، ومحاولة للالتفاف حولها منذ البداية قبل أن تستكمل شروط نموها الخاص والمستقل . لقد شكلت ولادة منظمة التحرير الفلسطينية بداية مرحلة جديدة في التاريخ الوطني الفلسطيني ، كانت سمتهــا العامة ، مــا ولده النهوض الوطني الفلسطيني من ضرورة احداث تغييرات في مواقف القوى المختلفة من قضية الشعب الفلسطيني . وحيث أن هذه المواقف كانت عرضة للتغيير على ضوء ما كان يشكله النهوض الوطني الفلسطيني من قدرة على الفعل والتأثير في مجرى الاحداث ، فاننا هنا نميز بين أربع فترات كان للنظام الاردني فيها مواقف متغايرة او متفاوتة ، على الصعيد التكتيكي ، في حين كانت تعمل بما يشبه الانسجام على الصعيد الاستراتيجي وضمن الخط السياسي العام « للنظام » في العمل علــى تكريس سياساته الالحاقية للضفة الغربية . وهذه الفترات هي ١٩٦٤ ــ الى حرب حزيران « يونيو » ١٩٦٧ ، ومن حرب العام ١٩٦٧ ــ تموز « يوليو » ١٩٧١ ، ومن ١٩٧١ الى حرب تشرين « أوكتوبر» ١٩٧٣ ، والرابعة من حرب ١٩٧٣ الى الآن .

أولا : الفترة من ١٩٦٤ ــ حرب العام ١٩٦٧ . ان أهم ما يميز هذه الفترة هو (١) موقف النظام الاردني العدائي تجاه بدايات العمل الفدائي الفلسطيني والتي اتخذت من الضفة الغربية مسرحا رئيسيا لنشاطاتها . وقد مرر « النظام » موقفه العدائي هذا ، تحت مظلة الموقف العربي الرسمي الذي كــان سائدا آنذاك ، والذي كــان يتعارض مع استراتيجية العمل الفدائي الفلسطيني ويعمل علــى احتوائه ضمن القيادة العربية الموحدة . (٢) الموقف المعارض الذي اتخذه « النظام » تجاه ممارسة منظمة التحرير الفلسطينية لدورها في تعبئة وتنظيم الفلسطينيين في الاردن ، ولو ضمن أبسط الاشكال التعبوية . في البداية كان « النظام » مجبرا على الموافقة على انشاء منظمــة التحرير الفلسطينية أمام اجماع الدول العربية على ذلك . ولكنه وقف بشدة ضد أن يشكل هذا الانشاء مقدمة لبلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية . لقد سمح « النظام » بعقد أول مجلس وطني فلسطيني في القدس وبانشاء بعض المكاتب للمنظمة في القدس ، على أساس ان ممارسات المنظمة لن تتعدى هذه الاجراءات الشكلية ، وعلــى أساس ان يحول نشاطات المنظمة في خدمة سياساته باعتبار ما يدعيه من « أن الاردن بلد الحشد ومنطلق التحرير » . لقد وقف « النظام » بحزم ضد تسليح القرى الامامية ، وضد ادخال أية قوات من جيش التحرير الفلسطيني الى الاردن . كما وقف بحزم ضد أية نشاطات للمنظمة بين الجماهير الفلسطينية هناك ، لدرجة أنه قام في العام ١٩٦٦ باغلاق مكاتب المنظمة في القدس ، وشن حربا اعلامية شرسة ضد سياسات المنظمة ، موظفا لصالحه ، العديد من الثغرات التي كانت قائمة في بنية المنظمــة وممارسات قياداتها آنذاك .

لقد كشفت مواقف « النظام » هذه ، حقيقة مراميه واهدافه بشكل مبكر ، وأكدت بالملموس أن ابراز الشخصية الوطنية الفلسطينية يتناقض كليا مع واقع النظام الاردني وسياساته ، وان « النظام » لن يكون متهاونا أو مرنا فيما يتعلق بهذه المسألة ، وانه على استعداد لأن يمضي بعيدا في معركته ضد ابراز الشخصية الوطنية الفلسطينية ، ومبروزتها المعبرة والممثلة للشعب الفلسطيني في الاردن وخارجه .

الفترة من حرب العام ١٩٦٧ ــ الى معركة الاحراج في تموز ١٩٧١ . لقد شكلت هزيمة الجيوش العربية في حرب العام ١٩٦٧ ، الظرف السياسي الملائم للنهوض الوطني الفلسطيني ، وخروج ظاهرة الكفاح المسلح الفلسطيني الى حيز العلن . وبحكم اعتبارات عديدة ، شكل الاردن الساحة الرئيسية لهذا النهوض الوطني . لقد مكن الخلل الذي أصاب أجهزة القمع الاردنية بفعل الهزيمة ، ان تفلت الجماهير من اطار هذه الاجهزة ، وتعبر عن تطلعاتها في استكمال شروط نهوضها الوطني . في البداية حاول « النظام » ان يضع حدا لهذا الانفلات ، بدءا من محاولة التضييق على تحرك الفدائيين الداخلين الى الارض المحتلة ، وانتهاء بمحاولة توجيه ضربة سريعة لقواعد المقاومة في الاغوار كما جرى في ١٩٦٨/٢/١٠ . ولما لم تنجح محاولاته هذه ، انتظر أن تتم التصفية عبر العدو الصهيوني عندما شن هجمة قوية وشاملة ضد قواعد الفدائيين في الاغوار في معركة الكرامة في ١٩٦٨/٣/٢١ . وأمام فشل العدو الصهيوني في هجمته ، والنتائج السياسية التي ترتبت على معركة الكرامة ، وجد « النظام » نفسه مجبرا على تغيير تكتيكاته . فأبدى استعداده للتعاون مع المقاومة والتنسيق معها وطرح شعار « كلنا فدائيون » وذلك على أمل أن يتمكن من احتواء المقاومة ، او أن يأخذ فترة من الوقت ، بانتظار ظرف سياسي ملائم لتوجيه ضربة للمقاومة في الاردن . وكانت معارك ١٩٦٨/١١/٤ ، ١٩٧٠/٢/١٠ و ١٩٧٠/٦/٩ بمثابة مقدمات للهجمة الشاملة التي شنها على المقاومة في الاردن في أيلول « سبتمبر » ١٩٧٠ . وعلى الرغم من أن « النظام » لم يحقق في هجمته هذه كامل أهدافه ، حيث استطاعت المقاومة الصمود والتصدي للهجمة ، الا أن « الهجمة » مكنته من الامساك مجددا بزمام المبادرة السياسية والعسكرية ، فاستغل حالة التخبط السياسي التي سادت في أوساط قيادات المقاومة بعد أيلول ، لمتابعة هجمته بانهاء الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن ، بعد هجمته على ما تبقى من قواعد عسكرية للمقاومة في الاحراج في تموز « يوليو » ١٩٧١ .

الفترة من تموز « يوليو » ١٩٧١ ــ حرب تشرين « أوكتوبر » ١٩٧٣ . ان أهم ما تمتاز به هذه الفترة هو (١) قدرة « النظام » على حسم الظاهرة العلنية لحركة المقاومة في الاردن لصالحه ، واجبارها على العودة الى العمل السري المحدود ، في ظل أجواء قمع قل أن شهدت الساحة الاردنية مثيلا لها . وقد نتج عن قدرة النظام هذه عدة نتائج منها ، ابتعاد المقاومة عن ميدان عملها الرئيسي داخل الارض المحتلة باقفال الحدود الاردنية أمامها ، واضطرارها أيضا الى أن تفقد وجودها المباشر والفاعل بين أكبر تجمع شعبي لها في الاردن . ومنها أيضا ، اضطرارها الى التراجع الى ساحات ، ليست بأهمية ساحة الاردن ، ويخضع وجودها فيها الى اعتبارات عديدة تحد من حرية حركتها السياسية والعسكرية . (٢) واستنادا على هذه النتائج ، فقد شعر النظام الاردني انه قادر على التصرف **منفردا** بتقرير مستقبل الضفة الغربية . فطرح ما يسمى مشروع المملكة العربية المتحدة ، وسعى تحت مظلة هذا المشروع لعقد تسوية منفردة مع العدو الاسرائيلي ، ضاربا عرض الحائط بعلاقاته مع العديد

من الدول العربية . ولكن محاولات « النظام » هذه اصطدمت بثلاث عقبات رئيسية ، هي **(أ)** قدرة المقاومة الفلسطينية على الصمود في وجه مخططات « النظام » بتأكيد قدرتها على الفعل والحركة على الرغم من جراح أيلول . **(ب)** الموقف العربي العام الذي كان سائدا آنذاك ، والذي لم يكن مهيئا لاستيعاب محاولة الملك هذه وامتصاصها . فمحاولات الوصول الى تسوية مع العدو الاسرائيلي كانت لا تزال تراوح مكانها أمام التعنت الاسرائيلي ـ الاميركي . وعليه فقد واجهت محاولة الملك الهاشمي موقفا عربيا عاما معارضا لها ، مما جعل النظام الاردني يعيش في عزلة عربية خانقة **(ج)** تخوف اسرائيل من أن لا يصمد النظام الاردني ـ في ظل الظروف السياسية التي كانت سائدة آنذاك ـ أمام ردود الفعل التي ستنجم عن عقد تسوية منفردة معه فيما يتعلق بالضفة الغربية المحتلة . اضافة الى أن اسرائيل كانت تدرك أن كسر الموقف العربي من طبيعة التسوية وشروطها لا يتم عبر الاردن الذي يمثل الحلقة الأضعف ـ في هذه الناحية ـ من حلقات الانظمة العربية المعنية مباشرة بالتسوية ، بحكم الدور التاريخي الخياني « للنظام » من القضية الفلسطينية ، بل تتم عبر مصر التي تعتبر مركز الثقل الأساسي في القوى العربية التي تواجهها . فاذا تم كسر الموقف المصري ، فان الموقف العربي برمته ينفرط ـ حسب اعتقاد اسرائيل ـ . هذا اضافة الى أن النظام الاردني لم يكن يملك القدرة الكافية على القبول بالشروط الاسرائيلية التي كانت تطرحها آنذاك لعقد تسوية منفردة معه في ظل موقف عربي عام معارض له ، وفي ظل موقف عربي عام يغلب احتمالات الحرب على احتمالات التسوية .

لقد تأكد الملك قبيل حرب تشرين بأشهر قليلة ، ان محاولته للانفراد بالتسوية تسير في طريق مسدود . ولذا أخذ يعمل على الخروج من عزلته العربية والعودة الى السير في الاتجاه العربي العام نحو التسوية . وقد لاقى توجه الملك هذا نجاحا نسبيا في ظل الاتفاق المصري ـ السوري غير المعلن لخوض حرب محدودة ضد اسرائيل . وانسجاما مع هذه السياسة الجديدة للنظام الاردني ، تم اطلاق سراح غالبية الفدائيين المعتقلين في الاردن في ١٩٧٣/٩/١٩ ، وبرزت على السطح مجددا بعض المحاولات العربية لخلق أرضية جديدة من التفاهم بين « النظام » ومنظمة التحرير الفلسطينية . الا ان اندلاع الحرب في السادس من تشرين « أوكتوبر » ١٩٧٣ ، قد أوقف هذه المحاولات مؤقتا ، لتتجدد بعد الحرب متأثرة بالمعطيات الجديدة التي ولدتها حرب تشرين .

الفترة من حرب تشرين « أوكتوبر » ١٩٧٣ الى الآن . لقد كان من جملة المعطيات الأساسية التي تولدت عن حرب تشرين ، هي خلق امكانات قوية لقطع خطوات عملية باتجاه تسوية الصراع مع العدو الاسرائيلي على أرضية النتائج التي أفرزتها حرب العام ١٩٦٧ ، وما استتبع ذلك من ضرورة لايجاد « تسوية ما » للقضية الفلسطينية . لقد أدى هذا المعطى الجديد الى طرح مسألة تقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة على بساط البحث ، وبشكل أقوى من أية فترة مضت . ان طرح هذه المسألة على بساط البحث الجدي اقتضى تحديد دور الاطراف ذات العلاقة بتقرير هذه المسألة ، واذا استثنينا أطراف العلاقة غير المباشرة ، وكذلك الدول العربية المعنية مباشرة بالمسألة ، فانه لا يبقى أمامنا الا النظام الاردني ومنظمة التحرير الفلسطينية . فالنظام الاردني يعتبر نفسه معنيا مباشرة بهذه المسألة ، بحكم أن الضفة الغربية كانت جزءا أساسيا من مملكته قبل حرب العام ١٩٦٧ ، وان الفلسطينيين المقيمين في الاردن يعتبرون رعايا أردنيين ، وبحكم أنه الطرف المخاطب والمعني بقرار مجلس الامن رقم

٢٤٢ الذي اعتمد كأساس للتسوية . في حين أن م.ت.ف رفضت هذه الادعاءات ، واعتبرت أنها الوحيدة المعنية مباشرة بتقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة او اية أراض فلسطينية ينسحب منهـا العدو الاسرائيلي ، بحكم أنهـا قيادة الشعب الفلسطيني والممثلة الشرعية والوحيدة له ولطموحاته الوطنية . وبحكم أن النهوض الوطني الفلسطيني كما تجلى بعد العام ١٩٦٧ ، قد وضع حدا نهائيا لادعاءات النظام الاردني في اعادة الحاق الضفة الغربية به .

لقد كان على النظام الاردني بعد حرب تشرين ، أن يواجه الواقع الجديد الذي مثله النهوض الوطني الفلسطيني ، هذا الواقع الذي أمسى حقيقة أكيدة فرضت نفسها على كل المحاولات التي كانت تجري للوصول الى « تسوية ما » مع العدو الاسرائيلي. ولقد كان « النظام » في مواجهة هذا الواقع أمام خيارين : **امـا** الانسحاب نهائيا من المسألة الفلسطينية ، والعودة الى حدود دولة شرق ــ أردنية ، مع كل ما يترتب على هذا الانسحاب وهـذه العودة ، من نتائـج سياسية واقتصادية واجتماعية . **واما** الاستمرار في سياساته السابقة والاصرار على ممارسة دور فلسطيني له . مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج سياسية وغيرها .

بعد حرب تشرين مباشرة والى حين صدور قرارات مؤتمر القمة في الرباط ، والتي اكدت أن م.ت.ف هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، استبعد « النظام » الخيار الاول من جدول أعماله ، وانتهج سياسات عدة بصدد بلورة امكانات الخيار الثاني ، وأخذ يتحرك على المستوى العربي والدولي لجعل هذا الخيار حقيقة واقعة وممكنة ، من خلال التلويح بأكثر من ورقة للضغط ، منها ، التهديد بالانسحاب من مؤتمر جنيف ، مما قد يؤدي الى نسف المؤتمر برمته ، ولا سيما انه لم تتبلور بعد امكانات دعوة م.ت.ف للحضور الى المؤتمر كطرف مستقل ومفاوض باسم الشعب الفلسطيني ، ومنها ، انـه لا يزال الطرف المقبول أميركيا واسرائيليا للتفاوض نيابة عن الفلسطينيين ، ولتقرير مستقبل الاراضي الفلسطينية التي ينسحب منهـا العدو الاسرائيلي ، وان الاصرار على ادخال المنظمة كطرف مفاوض سيثير حفيظة الاميركان والاسرائيليين وقد يعرقل محاولات الوصول الى تسوية .

وبناء على ذلك ، فقد طرح « النظام » أكثر من معادلة لخلق نوع من التوافق بين ما يبتغيه وبين ما تسعى اليه المنظمة . فطرح في البداية معادلة تقوم على أساس أن يفوض النظام الاردني عربيا وفلسطينيا بالعمل على استرجاع الضفة الغربية ، على أن يجري بعد ذلك استفتاء بين السكـان الفلسطينيين يخيرون بين العودة الى المملكة الاردنية كالسابق ، أو الاتحاد الفدرالي بين الضفتين ، أو قيام كيان فلسطيني مستقل . ولما لم تجد هذه المعادلة أو هذا الطرح قبولا فقد طرح معادلة أخرى تقوم علـى **اقتسام** تمثيل الشعب الفلسطيني بين المنظمة و « النظام » على أساس أن يمثل « النظام » فلسطينيي الضفـة الغربية والضفـة الشرقية ، أي الفلسطينيون المعتبرون رعايا أردنيين ، وأن تمثل المنظمة بقية الفلسطينيين . وبناء على هذه المعادلة يتم التفاهم بين المنظمة و « النظام » على تشكيل وفد أردني ــ فلسطيني موحد لحضور مؤتمر جنيف والبحث في مسألـة تقرير مستقبل الضفـة الغربية وقطاع غزة . لقد اصطدمت محاولات « النظام » لاقتسام تمثيل الشعب الفلسطيني بمعارضة قوية من م.ت.ف ، على الرغم من قدرة « النظام » على انتزاع موافقة مصر على مثـل هذا الاقتسام كما ظهر في بيـان الاسكندرية الاردنـي ــ المصري ، الـذي صدر بتاريخ ١٩٧٤/٧/١٨ ، والذي سلمت فيـه مصر للأردن بتمثيل فلسطيني « المملكة الاردنية

الهاشمية » . لقد أثار صدور بيان الاسكندرية معارضة قوية من أوسع الجماهير الفلسطينية والعربية ، عبرت عن نفسها بامكانية الحصول على قرار مضاد له ، في مؤتمر الرباط « أوكتوبر ١٩٧٤ » الذي أكد شرعية ووحدانية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني .

النظام الاردني يقذف بسلاح « الاردنة » في وجه قرارات الرباط

لم يكن امام النظام الاردني بعد قرارات الرباط الا العودة — ولو تكتيكيا — الى الخيار الاول — الانسحاب من المسألة الفلسطينية — للضغط على الانظمة العربية واجبارها على التراجع عن قرارات الرباط . فأعلن التزامه بهذه القرارات ، وانه بناء على هذا الالتزام ، لن يحضر مؤتمر جنيف ، وانه سيقوم بعدد من الاجراءات الداخلية « لأردنة » الاردن . واتبع هذا الاعلان ، بتعديل المادتين ٣٤ و ٧٣ من الدستور الاردني ، وحل مجلس النواب على أساس أن يجري انتخاب مجلس نيابي شرق — أردني جديد بعد سنة ، وباحالة عدد من الموظفين الكبار — من اصل فلسطيني — على التقاعد ، وهدد المنظمة بأنه سيغرقها بالعديد من الاشكالات الادارية عن طريق اجراء استفتاء بين الفلسطينيين في الاردن ، ليختاروا بين الابقاء على تابعيتهم الاردنية وان يكونوا مواطنين أردنيين ، أو الوقوف الى جانب منظمة التحرير الفلسطينية مع ما يترتب على ذلك من معاملتهم كأجانب وانتزاع جنسياتهم الاردنية منهم .

لقد كان للسرعة التي اتسمت بها حركة « النظام » باتجاه تطبيق سياسة الاردنة ، ثم ما رافق هذه الحركة من بروز ملحوظ للاتجاه السياسي الاردني الذي كان يطالب بالانسحاب من المسألة الفلسطينية والعودة الى دولة شرق — أردنية* ، أثر كبير في اشاعة جو واهم أن الاردن ماض بسياسة « الاردنة » الى نهايتها ، وانه اذا ما استمر بهذه السياسة ، فانه سيفرض على المنظمة مواجهة العديد من الاشكالات السياسية والادارية قبل أن تتهيأ لها . وعليه فقد أصدرت اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف بيانا عارضت فيه توجهات النظام الاردني نحو الاردنة ، وأكدت أنها « ستتخذ الخطوات التي تكفل صيانة قرارات الرباط وتنفيذها (٨) » .

ولكن ، هل كان « النظام » جادا في تنفيذ سياسة الاردنة ، أم انه طرحها كمناورة تكتيكية وكسلاح تهديدي فقط ، للالتفاف على قرارات الرباط والضغط على الدول العربية كي تعود الى اطار المعادلة السابقة « المنظمة والنظام مسؤولان عن تقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة » والبحث عن أرضية للتوازن بين دوره ودور المنظمة في هذه المسألة ؟ .

لقد كان واضحا منذ البداية ، أن سياسة الاردنة لم تكن الا مناورة تكتيكية وسلاحا تهديديا رفعه النظام الاردني في وجه الدول العربية للخروج من دائرة الالتزام بقرارات الرباط (٩) ، وذلك للاعتبارات التالية : ١ — ان أهمية النظام الاردني ، دوليا وعربيا ، هي — الى حد كبير — وليدة دوره الفلسطيني ، وفي الوقت الذي ينتهي فيه هذا الدور ، فانه سيفقد كثيرا من أهميته هذه . ولقد كانت هذه حجة الملك في مواجهة المجموعة القليلة من الاردنيين الذين طالبوا بانسحاب الاردن من المسألة الفلسطينية والانكفاء

---

* كان أنصار هذا الاتجاه يلتفون حول الامير حسن ، وبعض الشخصيات الاردنية المعروفة بأنها من جماعة وصفي التل .

على نفسه كدولة شرق ــ أردنية . ٢ ــ ان كون معظم القوى المنتجة في الاردن من عمال ومزارعين وعاملين في قطاع الخدمات ، هي فلسطينية نتيجة سياسة النظام الاردني في تقسيم العمل بين الفلسطينيين والشرق أردنيين** ، يجعل من الصعب جدا على « النظام » أن يقدم على اجراء عملية فرز واسعة بين فلسطيني وشرق أردني ، لأنه بذلك يحدث أكبر خلل في بنيته الاقتصادية ويعرض وضعه الاقتصادي الانهيار الكامل ، اضافة الى أن البورجوازية الفلسطينية تعتبر أقوى وأنشط من البورجوازية الشرق ــ أردنية وتسيطر على القسم الأعظم من الاقتصاد الاردني . وعليه فان « النظام » سيكون حريصا أن لا يشعر البورجوازية الفلسطينية بخوف يشل تحركها الاقتصادي . ٣ ــ ان اجراء عملية فرز واسعة ، ستعني في جملة ما تعنيه تسريح الفلسطينيين في الجيش الاردني ، والذين يشكلون نسبة الثلث تقريبا ــ « حوالي ٢٥ ألف جندي وضابط » وتسريح مثل هذا العدد دفعة واحدة ، سيخلق ارباكا اقتصاديا واجتماعيا للنظام ، لن يكون قادرا على مواجهته بسهولة وخلال فترة زمنية قصيرة . ٤ ــ لقد شكلت الضفة الغربية منطقة استغلال اقتصادي مثلى للحكم الاردني ، مما يجعل من عملية تخليه عن الضفة الغربية ، عملية ليست صعبة ، وتؤثر ــ الى حد كبير ــ على وضع النظام الاردني فقط ، بل وعملية لا يمكن القبول بها وبنتائجها الا بعد أن يستنفد « النظام » كل الوسائل الممكنة للحفاظ على علاقاته مع الضفة الغربية .

استنادا الى كل هذه العوامل ، فقد كانت حركة النظام الاردني نحو تنفيذ سياسة الاردنة حركة محدودة جدا ، رسمها بدقة وعناية لخدمة غاياته التكتيكية في المساومة على تأكيد دور فلسطيني له فيما يتعلق بتقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ، عبر العمل على ايجاد نوع من التوازن بين دوره ودور المنظمة ، على أرضية اقتسام تمثيل الشعب الفلسطيني . ولو كان « النظام » جادا في تنفيذ سياسة الاردنة ، لتوسع باجراءات الاردنة ، بالعمل على احداث تغييرات واسعة في بنيته الاقتصادية والاجتماعية ، تسمح باعادة بناء هيكليته الاقتصادية والسياسية على أسس جديدة . ان استقراء الاحداث منذ صدور قرارات الرباط حتى الآن ، يؤكد أن النظام الاردني لن يلجأ الى التنفيذ الجاد لسياسة الاردنة ، الا اذا وصل الى قناعة تامة ، بأنه لم يعد أمامه من خيار الا الانسحاب نهائيا من المسألة الفلسطينية ، وحتى الآن لم يصل « النظام» الى مثل هذه القناعة ، بدليل استمراره في سياساته السابقة ، بالعمل على اقتسام تمثيل الشعب الفلسطيني مع المنظمة . ان سياسة اقتسام التمثيل هذه ، هي السياسة التي يتحرك على أساسها النظام الاردني الآن ، وهي التي تفسر ــ الى حد كبير ــ مجمل حركته على الصعيدين العربي والدولي ، اضافة الى أنها تفسر أيضا محاولاته لايجاد نوع من المصالحة أو التفاهم مع منظمة التحرير الفلسطينية . وتكتسب حركة « النظام » بهذا المجال اهمية وخطورة خاصتين ، لأنها تأتي في ظل مجموعة من المعطيات التي يحاول « النظام » توظيفها في خدمة سياساته هذه . من هذه المعطيات ، اعتبار الاردن أنه الطرف المعني بقراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ ، بحكم ان الضفة الغربية كانت جزءا منه قبل حرب العام ١٩٦٧ . ومنها ، أن الموقف الاسرائيلي ــ

** لقد كانت السياسة الاقتصادية للنظام الاردني ــ ما بعد عملية الالحاق ــ تقوم على الاعتبارات الأمنية . ولذلك فقد جعل « النظام » من الجيش وأجهزة الامن والادارات المختلفة المجال الاساسي لاستيعاب القوى المنتجة الشرق ــ أردنية ، في حين كانت أغلبية العمال والمزارعين وعمال الخدمات من الفلسطينيين . لقد ساهمت هذه السياسة الاردنية في احداث شق عامودي بين الفلسطينيين والشرق الاردنيين ، وجعلت الغالبية العظمى من الشرق أردنيين مرتبطين اقتصاديا بالنظام ويشاركون معه في نهب فائض انتاج عمل الفلسطينيين . كما جعلتهم يشكلون المادة البشرية الاساسية لأجهزة ومؤسسات القمع الاردنية .

الاميركي لا زال يراهن على الدور الاردني الخاص والأساسي في تقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ، ومنهـا التعارضات التـي تبدو في الموقف العربي العام بصدد التسوية ، مما يعطيه مجالا أوسع للحركة وتوظيف هذه التعارضات لصالحه . ومنها أيضا ، **ادراك ((النظام)) أن الكيان الفلسطيني الذي سينشأ في الضفة الغربية وقطاع غزة ، سيظل محكوما بضرورة ايجاد علاقات أوسع من علاقات حسن الجوار مع الحكم في الضفة الشرقية ، بحكم أن الضفة الشرقية ستشكل المجال الحيوي للكيان الفلسطيني المنوي انشاؤه . وهـي ضرورة سيظل النظام الاردني يراهن عليها لجعل علاقاته مع الكيان الفلسطيني تندرج منذ بدايتها في اطار علاقات الاتحاد الكونفدرالي او الفدرالي أو عودة ــ ولو معدلة ــ لصيغة مشروع المملكة العربية المتحدة .** أضافة لذلك ، فان النظام الاردني يتحرك على أساس أنه لم يفقد كامل دوره في استراتيجية الأمن الاميركية في المنطقة ، ذلك انه على الرغم مـن أن الولايات المتحدة وسعت اطار علاقاتها مع العديد من الانظمة العربيـة بعد حرب تشرين ، واقـامت مرتكزات جديدة واساسية لوجودها ، فان النظام الاردني لا زال يشكل احدى المرتكزات الهـامة في استراتيجية الأمن الاميركية في المنطقة ، سواء فيمـا يتعلق بضرورة مواجهـة الوضع الفلسطيني واحتمالات تطوره مستقبلا ، أو فيما يتعلق بالدور القمعي الذي لعبه ــ ولا زال يلعبه ــ النظام الاردني ضد الحركات الوطنية في المنطقة العربية .

المشروع الاسرائيلي لايجاد مـا يسمى بالحكم المدنـي الذاتي ، الـى جانب هذه المعطيات ، فان توجهات السلطات الاسرائيلية المحتلة لايجاد ما يسمى بالحكم المدني الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، يشكل احدى المعطيات الاساسية والهامة ، التي ستصب في طاحونة السياسات الاردنية نحو اقتسام التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني . فمما لا شك فيه أن الحكومة الاسرائيلية تحاول الالتفاف حول حقائق الوضع الفلسطيني ، بالالتقاء مع النظام الاردني باعتباره الجهة الممكن التفاوض معها لتقرير مستقبل الأراضي الفلسطينية التي قد تنسحب منهـا ، وكذلك بتنمية قيادات فلسطينية محلية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، تلتقي مـع حركة النظام الاردني ، وتشكل معه اطارا اردنيا ــ فلسطينيا يجري من خلاله البحث عـن حلول ومخارج للوضع الفلسطيني خارج اطار منظمـة التحرير الفلسطينية علـى أبعد تقدير ، أو باشراك هذين الطرفين مع المنظمة في البحث عن حلول على أقل تقدير ، مما يضعف من قدرة المنظمة على الحكم ــ منفردة ــ بتقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ، ومحتوى السلطة التي ستنشأ عليهما .

ويضع النظام الاردني في اعتباره هذه النتائج الممكنـة للتوجهات الاسرائيلية نحو ايجاد ما يسمى بالحكم المدنـي الذاتي في الضفـة الغربية وقطاع غزة عبر اجراء انتخابات جديدة للمجالس البلديـة والقروية هنـاك . ولذلك أوقف معارضته لهذه الانتخابات التي قامت بها السلطات الاسرائيلية المحتلة في العام ١٩٧٢ بناء على مذكرة رفعها الى الملك حسين الدكتور فيصل كنعان ، بين له فيها مخاطر المعارضة الاردنية للانتخابات على سياسات « النظام » الفلسطينية (١٠) . وعليه فقد اتخذ « النظام » سياسة الصمت على ما تقوم به السلطات الاسرائيلية المحتلة بهذا الخصوص ، مع تقديم الرشاوي والدعـم السياسي للأشخـاص المحسوبين عليـه هناك ، لخوض الانتخابات . وقد تابع النظام الاردني هذه السياسة بصدد الانتخابات الحالية ، على أساس ما يراه من أن المجالس البلدية والقروية الجديدة ، قد تشكل الارضية التي سيلتقي عليها مع العدو الاسرائيلي لتقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة . أو

على أساس ما يراه من أن هذه المجالس ستشكل مستقبلا احدى الأطر الفلسطينية التي سيتصارع هو والمنظمة على كسب ولاءاتها ، وعلى تحديد ، لمصلحة من ستصب مواقفها في النهاية لدى دخول مسألة تقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة مرحلة التنفيذ العملي .

ولهذا فان انتخابات المجالس البلدية والقروية الحالية ، تكتسب خطورة أكبر من تلك التي تمت في العام ١٩٧٢ . ذلك أنه على الرغم من أن الانتخابات السابقة جاءت ضمن المحاولات الاسرائيلية لاحتواء الموضوع الفلسطيني في المشروع الاسرائيلي لمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ، فان الظروف السياسية التي جرت فيها اعادة تشكيل هذه المجالس ، أبقاها ضمن محاولات الاستكشاف ولم تسمح لها بالتطور الى أبعد من ذلك، في حين أن اعادة تشكيل المجالس البلدية في هذه الفترة تأتي ضمن ظروف سياسية جديدة ، يقف على رأسها وفي طليعتها ، ليس فقط ، جدية التوجه الاسرائيلي في ايجاد اطار بديل أو موازن لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بل وأيضا ، كون هذه الانتخابات تتم في ظل الامكانات العملية التي قامت بعد حرب تشرين لتسوية الصراع مع العدو الاسرائيلي ، هذه التسوية التي يشكل حل الموضوع الفلسطيني أحد أهم بنودها . ومن هنا فان الموقف من هذه الانتخابات ، يجب أن يقوم على الاعتبارات الستراتيجية وليس الاعتبارات التكتيكية المحضة . ان سياسة الاعتصام بالصمت على ما يجري بهذا الخصوص ، ودعم بعض العناصر غير الملوثة بوطنيتها لخوض الانتخابات الحالية ، سياسة تنم عن رؤيا تكتيكية لا تستشف البعد الاستراتيجي لمخاطىء امكانية تكريس المجالس المنتخبة كاطار لقيادة فلسطينية محلية ، يجري الصراع على كسب ولاءاتها من قبل المنظمة والنظام الاردني ، ومن قبل أطراف عربية ودولية ، قد تجد من مصلحتها تنمية ودعم اطار بديل أو موازن لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ان مجموعة المعطيات القائمة محليا وعربيا ودوليا ، تجعل بالامكان التأكيد على أن النظام الاردني ، لا زال يراهن على أن له دورا فلسطينيا لم يجر نفيه على الرغم من صدور قرارات الرباط ، ولا ينتظر أن يتخلى « النظام » عن المراهنة على هذا الدور خلال المرحلة القادمة ، وبالتالي فان احتمالات لجوء « النظام » الى خيار الانسحاب من المسألة الفلسطينية ، احتمالات ضعيفة جدا . وعليه ، فان عودة « النظام » الى سياسة القذف بسياسة الاردنة على المسرح في المرحلة القادمة أمام نمو معطيات جديدة ، لن تخرج عن كونها مناورة تكتيكية ، لن يستطيع اكسابها بعدا استراتيجيا . اضافة ، الى أن عودة « النظام » الى القذف بهذه السياسة من جديد في وجه المنظمة ، يجب أن تقابل بالتحدي الكامل له على المضي في هذه السياسة الى مداها الكامل حتى تكتسب بعدها الاستراتيجي ، لأن احدى النتائج الاساسية لتنفيذ « النظام » الى القذف بسياسة الاردنة على المسرح في المرحلة القادمة أمام الدستورية والسياسية التي يستند عليها في ادعاءاته لتمثيل القسم الاكبر من الفلسطينيين . ان اضطرار « النظام » الى اجراء عملية فرز شرقي اردني — فلسطيني على الساحة الاردنية ، اضافة الى أنها سياسة أكبر من قدرة «النظام» على استيعابها وامتصاص نتائجها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فانها ستشكل سلاحا يرتد الى صدره ، يهدم كل مكونات وجوده القائمة حاليا ، ويجعل من سياسة الانكفاء نحو دولة شرق — أردنية ، هي السياسة الممكنة والخيار الوحيد الذي يظل مفتوحا أمامه . وهو خيار لن يحشر « النظام » نفسه في اطاره ، طالما أنه لا زال يعتقد ان هناك امكانات لاقتسام التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني .

١ ــ Alec Kirkbride , A Crackle Of Thorns , (London 1965) P. 19

٢ ــ انظر مراد ، عباس **الدور السياسي للجيش الاردني** . ص ٣٤ ــ ٣٦ .

٣ ــ انظر مقالنا حول القانون في الاردن ، **السفير** بتاريخ ١٩٧٥/٤/٥ .

٤ ــ انظر سخنيني ، عصام ، ضم فلسطين الى شرق الاردن ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٤٠ ص ٥٦ .

٥ ــ **المصدر نفسه** ص ٥٦ .

٦ ــ **المصدر نفسه** ص ٥٦ .

٧ ــ سخنيني ، عصام ، **المصدر السابق** ص ٦٠ .

٨ ــ انظر بيان اللجنة التنفيذية بهذا الخصوص ، **النهار** ١٩٧٤/١١/٢٥ .

٩ ــ انظر مقالي ، قرارات الرباط الفلسطينية ومناورات النظام الاردني ، **الى الامام** ٧٤/١١/١٥ ، وكذلك مقالي ، سياسة الاردنة سلاح للتهديد أم للتنفيذ ، **الى الامام** ١٩٧٥/١/٢٤ .

١٠ ــ د. حمود ، سعيد ، انتخابات المجالس البلدية في الضفة الغربية المحتلة **شؤون فلسطينية** ، العدد « ٨ » ص ١٠ .

اليهود الاسرائيليون المعادون للصهيونية

شارلز غـلاس

روى موشيه دايان في خطاب ألقاه في الضباط المتخرجين من كلية الاركان والقيادة في الجيش الاسرائيلي في العام ١٩٦٨ قصة الدكتور آرثر ربين الذي أدار الاستيطان اليهودي في فلسطين منذ العام ١٩٢٠ ، وهو العام الذي عاد فيه الى فلسطين بعد أن قضى اثنتي عشرة سنة في المنفى بأمر من السلطات العثمانية . وكان الدكتور ربين في أثناء غيابه عن فلسطين أحد الصهيونيين القلائل الذين سعوا سعيا جديا للاجابة عن « المسألة العربية » .

وقال دايان للضباط الشبان : « لقد كان الدكتور ربين من معتنقي مبدأ الانسانية بطبيعته وصاحب ضمير ، وعندما واجه (المسألة العربية) أراد أن يقتنع بأنه من الممكن تحقيق الصهيونية بدون الاضرار بعرب فلسطين » (١) . وفي شهر أيار من العام ١٩١١ اقترح « في رسالة الى الهيئة التنفيذية الصهيونية ، انتقالا سكانيا محدودا » للعرب الفلسطينيين الى أراض أخرى قرب حلب وحمص نتيجة فقدانهم أرضهم نتيجة شراء الاراضي بواسطة اليهود . « ولكن هذا (الاقتراح) لقي اعتراضا نقضيا لأنه كان لا بد له من أن يزيد من شكوك العرب بشأن النوايـا الصهيونية » (٢) . واقترح في العام ١٩١٤ ان يخصص جزء من جميـع الاراضي التـي حصل عليها اليهود في فلسطين للمستأجرين العرب (٣) . وفيما كان ربين ينوي تماما استعمار فلسطين ، الا انه كان ينوي عدم القيام بذلك دون الاخذ بعين الاعتبار مشاعر السكان الاصليين .

ولكن جواب ربين عن « المسألة العربية » مر ، على حد تعبير دايان أمام الضباط ، في مراحل ثلاث : ١ — في العام ١٩٢٣ كان يأمل بدمج المهاجرين اليهود في نسيج المشرق العربي . ٢ — وفي العام ١٩٢٥ كان يفضل اقامة دولة واحدة في فلسطين تكون « دولة ثنائية القومية » اذ أدرك الفروقات بين المهاجرين اليهود الأوروبيين وأبناء عمومتهم الساميين سكـان البلاد الاصليين . ٣ — ومع مقدم العـام ١٩٣٦ ، أولى السنوات الثلاث التـي شهدت مقاومة عربيـة قوية ومثيرة ضد الهجرة اليهوديـة والاحتلال البريطاني ، استنتج ربين أن مصيرنا ان نكون في حالة حرب مستمرة مع العرب » (٤) .

وذكّر دايان الجيل الجديد من الضباط الاسرائيليين أنهم قد ورثوا هذا المصير وان الحرب المستمرة شرط ضروري لوجود الدولة التـي ساعد ربين على خلقها وحارب دايان نفسه من أجل توسيعها .

ولم يكن موقف الدكتور ربين من « المسألة العربية » بأي شكل من الاشكال موقفا عاما شاملا في أوساط معتنقي مبدأ الانسانية من اليهود في فلسطين قبل العام ١٩٤٨ .

وقد رفض الدكتور يهودا مغنيس ، أول رئيس للجامعة العبرية في القدس ، تصور ربين للمصير اليهودي في فلسطين . كما قال الدكتور مغنيس قبيل اعلان قيام اسرائيل : « اذا لم اكن مع اقامة دولة يهودية فالسبب يرجع فقط الى ما قلته وهو : انني لا أريد حربا مع العالم العربي » (٥) . وأدرك مغنيس ، مثله في ذلك مثل ربين ، ان الهدف في خلق دولة يهودية لا يمكن تحقيقه بدون الاضرار بعرب فلسطين . ومثل ربين ايضا ، فهم مغنيس ان المغامرة الصهيونية اليهودية تؤدي الى الحرب . واختار ربين الدولة اليهودية وقبل الحرب ، أما مغنيس فلم يقبل الحرب ورفض الدولة اليهودية . وكما حذر الزعيم الصهيوني المرتد فلاديمير جابوتنسكي منذ العام ١٩٢٢ ، فانه لم تكن هناك امكانية في التوصل الى مساومة (٦) .

وبعد مضي سبع وعشرين سنة شهدت أربع حروب منذ قيام الدولة اليهودية لا تزال الخيارات السياسية أمام اليهود في فلسطين كما كانت بالنسبة الى آرثر ربين ويهودا مغنيس . وان المسائل التي تضطر اليهود الاسرائيليين لتحديد موقفهم تجاه الصهيونية والدولة اليهودية ليست محصورة « بالمسألة العربية » .

وتشهد أوساط اليهود الاسرائيليين ثلاثة انتقادات رئيسية معادية للصهيونية صادرة عن : ١ ــ اليهود المتدينون ٢ ــ اليسار السياسي ٣ ــ معتنقو مبدأ الانسانية أمثال الدكتور مغنيس . وعلى الرغم من أن نسبة المعادين للصهيونية تقدر بما لا يفوق الثمانية بالمئة من يهود اسرائيل ، الا أن هؤلاء يمثلون خمسين بالمئة في النقاش البارز الوحيد في البلاد (٧) .

وقد عارض اليهود الاورثوذكسيون الصهيونية على أسس دينية منذ بدايات الصهيونية في القرن التاسع عشر في كتابات موسى هس وليو بنسكر وتيودور هرتزل (٨) . واليهود المعادون للصهيونية على أسس دينية كانوا يرفضون آنذاك كما يرفضون اليوم الحجة الصهيونية القائلة بأن اليهود يؤلفون أمة . وقد عبّر زعيم ديني يهودي معاد للصهيونية عن رأيه بقوله : « لا يوجد في القانون اليهودي قومية يهودية » .

وقال الحاخام سامسون روفائيل هيرش ، الزعيم الروحي لليهود الاورثوذكسيين في القرن التاسع عشر في فرانكفورت في ألمانية بأن تنشيط الهجرة اليهودية الى فلسطين تنشيطا فعليا يعتبر خطيئة (١٠) . وفي العام ١٨٩٨ كتب حاخام بريسك الاورثوذكسي جورف حاييم سوننفيلد يقول بأن الصهيونيين قد « أعلنوا رأيهم القائل بأن مجمل الفرق والتمييز بين اسرائيل والأمم يكمن في القومية والدم والعرق ، وان الايمان والدين هما أمران لا حاجة لهما ... والدكتور هرتزل ليس قادما من عند الرب بل من جهة الفساد » (١١) . وقد استخدم الحاخام سوننفيلد عادة كلمات « أشرار ووحوش » للدلالة على الصهيونيين (١٢) .

ولا تزال توجد جيوب كبيرة مقاومة للصهيونية مع ان هرتزل والصهيونيين اللاحقين كسبوا جزءا كبيرا من معركتهم في حمل اليهود الاورثوذكسيين على اعتناق الصهيونية ، ومع أن الحزب الديني القومي يمثل جسما مهما من المؤيدين للصهيونية في أوساط اليهود الاورثوذكسيين في اسرائيل . وتحافظ جماعة نتوري كارتا (حراس المدينة) على المقاومة الشرسة الاولى من قبل اليهود الاورثوذكسيين ضد الصهيونية . وتقيم هذه الجماعة في مناطق واسعة في بني براك قرب تل أبيب وحي مي شعاريم في القدس . وقد لخص حاخام نتوري كارتا موشيه ليب ــ هيرش مدى مقاومة طائفته للصهيونية السياسية بقوله : « لن نقبل بدولة صهيونية حتى ولو قبل العرب بها » (١٣) .

وكان رجال نتوري كارتا ، هذه الطائفة الحسيدية الذين يطلقون لحاهم ويضعون حليقات في آذانهم ، أوائل اليهود الذين انتقلوا خارج أسوار القدس في القرن التاسع عشر . وقد نظروا مثل العرب نظرة ريبة وشك الى موجة الهجرة اليهودية الاولى في ثمانينات القرن التاسع عشر . وفي سبيل مقاومتهم للمستوطنين الصهيونيين تلقوا بعض العون من أغودات يسرائيل وهي جماعة يهودية أورثوذكسية تأسست في العام ١٩١٢ في بلدان كثيرة (١٤) . وقد احتج أعضاء هاتين الجماعتين لدى سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين على المزاعم الصهيونية بتمثيل اليهود . وقد قتل ارهابيون صريون من الهاغاناه أحد أعضاء اللجنة التنفيذية في أغودات يسرائيل في العام ١٩٢٤ (١٥) .

وحاول اليهود الاورثوذكسيون في القدس في السنوات التي تلت تصريح بلفور كسب دعم العرب لهم ضد السيطرة الصهيونية على يهود فلسطين . الا ان اليهود الحسيديين وقعوا ضحايا الى جانب الصهيونيين الذين سقطوا نتيجة المقاومة العربية العنيفة للاستعمار الصهيوني في فلسطين في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن . وقد أدى ذلك الى جانب عدم مشاركة الحسيديين التقليدية في السياسة ، الى الحؤول دون قيام جبهة مشتركة في فلسطين بين العرب واليهود الاورثوذكسيين .

وقد رفض أعضاء نتوري كارتا منذ العام ١٩٤٨ أن يصبحوا مواطنين اسرائيليين . وقد هددتهم الحكومة بالغاء اعفاء طلاب المدارس الدينية من الخدمة العسكرية . الا ان هذا التهديد لم ينفذ قط . وطائفة نتوري كارتا لا تشكل عاملا من عوامل الحياة السياسية الاسرائيلية ، ولكن تمسك أعضائها الشديد بالشريعة اليهودية وتفانيهم للتقليد اليهودي ، اجتذب اليهم بعض اليهود الاسرائيليين الباحثين عن جذورهم الروحانية . ويقوم انتقاد نتوري كارتا للصهيونية ورفض الدولة اليهودية على أساس فهمهم لمعنى « اليهودي » :

« ولد الشعب اليهودي في أثناء تلقي الشريعة على جبل سيناء . وان شريعتنا تبين لنا كيف يجب أن نتصرف كيهود فيما بيننا وتجاه الأمم » . هذا ما أوضحه الحاخام أهارون كاتسينيلبوجن ، الزعيم الروحي لطائفة نتوري كارتا في القدس . ويضيف قائلا : « انها تبين لنا كيف يجب ان نعبد الرب . وان شريعتنا ليست مسألة طقوس وشعائر » (١٧) .

وتتألف الشريعة من ستمئة وثلاث عشرة وصية تحكم فعليا كل أوجه الحياة الدينية لليهود بدءا بطريقة العبادة وانتهاء بالطعام (١٨) . والحياة كلها بالنسبة الى نتوري كارتا هي عبارة عن تقوى وورع . والعيش وفقا للشريعة هو في نظرهم ما يجعلهم يهودا . والصهيونية بالنسبة لهم هي ارتداد ورجعة عن الدين ، لأنها بتوكيدها على الهوية القومية والعرقية لليهود تنسف أهمية الشريعة اليهودية . « فالشعب اليهودي يقوم فقط على الايمان بالرب وعلى تنفيذ الشريعة . وعندما يأتي الصهيونيون لجعل اليهود شعبا قوميا انما يلغون الايمان وضرورة الحفاظ على الشريعة » (١٩) .

وعندما يجعل البرنامج الصهيوني اليهود أمة كسائر الأمم ، بهدف جعل الحياة اليهودية حياة « عادية » ، فانه يسعى على المستوى الفردي ، أي الاندماج . وفي نظر نتوري كارتا فان دولة اسرائيل انما تدمر الحياة اليهودية عن طريق علمنتها .

ومن مركزه في يشيفا توراه فيبرا (مدرسة دينية للتوراة والتقوى) في حي مي شيعاريم حيث يدرس التلمود يوميا يعرب الحاخام كاتسينيلبوجن عن أسفه لما يراه يحدث لليهود

المتدينين القادمين الى اسرائيل . « لقد اتى الصهيونيون باليهود من جميع أنحاء ارض الشتات ــ من المغرب وايران والجزائر واليمن حيث كان اليهود في جميع هذه الأماكن متدينين الى أن جعلهم الصهيونيون غير آبهين بالدين » . كما يعتقد هذا الحاخام بأن الصهيونيين بابعادهم اليهود المتدينين عن الشريعة انما « خرجوا من الشعب اليهودي لوضع نهاية للشعب اليهودي » .

وتصر نتوري كارتا على أن الحكومة الاسرائيلية لا تمثلهم ولا تمثل اليهودية ككل . وهي تريد ان تقيم جبهة مشتركة مع العرب الفلسطينيين ، هذه الارادة التي فاتتهم في العشرينات . ولدى الحاخام كاتسينيلبوجن ذكريات عزيزة عن الحياة اليهودية وسط عرب فلسطين في ظل العثمانيين ولكنه يوجه انتقادا واحدا لسياسة العربية هــو : « ان العرب لا يعرفون كيف يميزون بيننا وبين الصهيونيين . اننا نعاني في جميع هذه الحروب في الوقت الذي لا دور لنا في خلقها » .

وقد اقترح الحاخام موشيــه ليب ــ هيرش ، صهر الحاخام كاتسينيلبوجن ، ان تتفاوض نتوري كارتا مع منظمــة التحرير الفلسطينية وأعرب عن تأييده لما يفهم أنه المقترحات الرئيسية الثلاث لياسر عرفات ، رئيس اللجنــة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وهي : « أ ــ اقامة دولة علمانية في أرض اسرائيل تتعايش فيهــا جميع الأمم والاديان بمساواة ورفاقية ، ب ــ عندما تتحدث منظمة التحرير الفلسطينية عن الآمال الفلسطينية المستقبلية أنما تشمل جميع اليهود الذين يعيشون هنا اليوم والذين يريدون العيش مع العرب ، جـ ــ تميز منظمة التحرير الفلسطينية بين الديانة اليهودية والصهيونية » (٢٠) .

وأضاف الحاخام ليب ــ هيرش : « اننا نعتقد بأن هناك مجالا كافيا في أرض اسرائيل لكلا الشعبين ولكن لا مجال فيها للصهيونية السياسية » (٢١) .

وفي الوقت الذي يؤيد فيه اليسار اليهودي الاسرائيلي المعــادي للصهيونية هدف نتوري كارتا في اقامة « دولة علمانية في أرض اسرائيل » يقوم نقد هذا اليسار على اساس تقليد سياسي لعب اليهود فيه دورا رئيسيا ، أكثر مما يقوم على التقليد الديني اليهودي كما هي الحــال بالنسبة الى نتوري كارتــا . فقد كــان كثيرون من أوائل المستوطنين الصهيونيين اشتراكيين علــى الرغم من أنــه في الصراع بين الاهداف الاجتماعية والوقائع العسكرية تخلــى اليسار الصهيوني بثبــات مستمر عن صفته الراديكالية لصالح الوقائــع الجديدة من استيلاء علــى الارض وطرد للسكان وغزو عسكري . وفي وجه أحزاب اليسار الصهيوني ، مثل المابام وماكي ، يستطيع اليسار المعادي للصهيونية ان يقول : « ان تصنيف الصهيونية الى (يمين) و (يسار) ، هو في الحقيقة أمر سطحي » (٢٢) .

وقد شهدت أيــام الصهيونية الاولــى توجــه الاشتراكيين اليهود الــى البوند (الاتحاد) (٢٣) والبلشفية بأعداد فاقت كثيرا الاعداد التي اتجهت فيهم الــى الحركة الصهيونية . ولقد قام بير بوروشوف ، اليهودي الروسي وعضو الحزب الديمقراطي الاجتماعي الروسي ، بتوجيه نداء الــى البروليتاريا اليهودية في البوند والى المثقفين اليهود في صفوف البلشفيك مبينا ان الصهيونية يمكن ان تستمد من الماركسية . الا ان بوروشوف واجه انتقــادا ابان حياته النشطة مــن قبل الصهيونيين اليمينيين لربطه الصهيونية بالاشتراكية (٢٤) . وأعلن بوروشوف وحزبه **باعولاي زيون سمول** (يسار عمال صهيون) أن الصهيونية تشكل الحل لمشاكل البروليتاريا اليهودية : « من منطلق

مصالح البروليتاريا اليهودية المناضلة ومن اعتبارنا اياها **طليعة** المستقبل اليهودي ، **نستنتج** مبدأ ضرورة الارض (أو مبدأ الاقليمية) للشعب اليهودي كله » . وفي العام ١٩٤٨ انضم حزب باعولاي زيون سمول الى حزبين غير بوروشوفيين لتأليف حزب **المابام** (حزب العمال الموحد) ، الذي كان الهدف منه طرح البديل اليساري للحزب الحاكم **ماباي** (حزب عمال اسرائيل) ، الا ان المابام ساوم على راديكاليته بانضمامه الى عدد من الحكومات الائتلافية قبل العام ١٩٦٧ . وفي العام ١٩٦٨ قام المابام « باجتياز روبيكون* التحريفية » بموافقته على المشاركة في تحالف عمال اسرائيل اليميني (٢٦) .

وعلى الرغم من زوال البوروشوفية كقوة سياسية في اسرائيل الا ان تحليل بوروشوف للصهيونية بعث من جديد لأجل التبشير بالصهيونية في أوساط اليسار العالمي . أما اليسار المعادي للصهيونية في اسرائيل فيرفض تحليل بوروشوف للمسألة اليهودية مما يسلب الصهيونية المحاولة الوحيدة لتبريرها في اطار ماركسي . والماركسيون المعادون للصهيونية يرفضون بوروشوف بقولهم :

« أولا ، زعم بوروشوف أن الجماهير اليهودية البرجوازية الصغيرة التي هاجرت الى البلدان الرأسمالية المتقدمة سرعان ما ستصبح فقيرة وبروليتارية ... وهكذا سوف تتجه الجماهير اليهودية الى الصهيونية البروليتارية وتهاجر الى فلسطين . وبالطبع لم يحدث هذا قط .

« ثانيا ، أصر بوروشوف على عدم الحاجة الى بث الدعاية في أوساط العمال اليهود لتشجيعهم على الذهاب الى فلسطين . وكرر القول بأن رأس المال اليهودي سيتجه الى فلسطين عفويا ، وان العمال اليهود سوف يتبعونه بطبيعة الحال . والحقيقة أن رأس المال اليهودي لم يجد طريقه الى فلسطين ... ولا العمال اليهود تبعوه ...

« ثالثا ، وارتأى بوروشوف أن من الحسنات الرئيسية لفلسطين انها تحت الحكم التركي ، ورفض بشدة فكرة الاستعمار اليهودي في أي بلد تحكمه قوة رأسمالية متقدمة . وفي الواقع العملي لم يبدأ الاستعمار اليهودي الا عندما وقعت فلسطين تحت الحكم البريطاني ...

« وأخيرا ، رأى بوروشوف أن عرب فلسطين (الذين يشير اليهم باسم «سكان فلسطين المحليين») يفتقرون الى أية ثقافة خاصة بهم وليست لهم أية ميزات قومية ... ولذلك فقد استنتج ان « سكان فلسطين المحليين » سوف يندمجون اقتصاديا وثقافيا فيمن يأتي بالنظام الى البلاد ... » (٢٧) .

وكما يحاجج المتدينون المعادون للصهيونية بقولهم أن الصهيونية أساسا معادية لليهودية ، فان اليساريين يؤكدون أن الصهيونية مخالفة للاشتراكية ولا تستطيع بكل تأكيد أن تستمد مقوماتها من الماركسية . وقد نشرت مقالة عن المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية تحت عنوان « مبادىء أساسية » جاء فيها : « ان مبادئنا الاشتراكية تضعنا في مواجهة مع الصهيونية لا مجال فيها للتوفيق » (٢٨) .

أما يوري أفنيري ، وهو اسرائيلي لا صهيوني بصورة غامضة ورئيس تحرير صحيفة **هاعولام هازيه** ، فيطرح نظرة شائعة في أوساط اليسار اللاصهيوني في اسرائيل وهي النظرة القائلة بأن الصهيونية ميتة . وقد وصف أفنيري «المبادىء الاساسية للصهيونية» التي يعتقد أنها لم تعد لها قوة في المجتمع الاسرائيلي :

« ١ ـ ان جميع اليهود في العالم هم امة واحدة . ب ـ ان اسرائيل هي دولة يهودية خلقها

---

* الروبيكون نهر صغير في شمالي ايطالية كان يشكل جزءا من الحدود بين الجمهورية الرومانية والولايات التابعة لها ، وقد اجتازه يوليوس قيصر في العام ٤٩ قبل الميلاد الى ايطالية مشعلا بذلك نار الحرب الأهلية التي جعلته سيد رومه ، وتعبير اجتياز الروبيكون بات يعني اتخاذ قرار حاسم لا عودة عنه .

اليهود من أجل اليهود في العالم بأسره . جـ ـ ان الشتات اليهودي هو وضع مؤقت ، وعاجلا أم آجلا ، سيأتي جميع اليهود الى اسرائيل بدافع الاضطهاد الحتمي المعادي للسامية ، ان لم يكن بأي شيء آخر . د ـ ان تجميع هؤلاء المنفيين هو مبرر وجود اسرائيل والهدف الرئيسي الذي لا بد ان تعمل في سبيله جميع الاهداف الاخرى ...

« ومع ذلك فان شيئا لا يمكن أن يكون أبعد شأنا مما يؤمن به الاسرائيليون الشبان ... » (٢٩) .

أما موشيه ماكوفر الذي أسس المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن) في العام ١٩٦٢ (٣٠) فقد قال أن الصهيونية ليست من آثار ما قبل العام ١٩٤٨ بل هي القوة الدافعة لدولة اسرائيل :

« كيف تستطيع ان تفسر قيام كل هذه المستوطنات الجديدة في المناطق المحتلة بدون الصهيونية ؟ كيف تستطيع أن تفسر الاستيلاء الى درجة كبيرة على الارض العربية ؟ كيف تفسر حقيقة انه في كل الاراضي التي تم الاستيلاء عليها في المناطق المدينية مثل القدس هناك مساكن أنشئت لليهود فقط ؟ كيف تفسر كل هذه الحالات حيث يتم الاستيلاء على الارض من العرب لتعطى لليهود ولليهود وحدهم، ثم في حالات كثيرة حيث بقيت الارض ليعمل فيها العرب تقوم المؤسسة كلها بمواجهتهم ومطاردتهم. من اين يأتي كل ذلك غير الصهيونية ؟ » (٣١) .

واليسار المعادي للصهيونية في اسرائيل يتهم الدولة اليهودية بالصهيونية ، وبأنها في الاساس ، وبسبب ذلك ، عنصرية وأمبريالية ـــ استعمارية وعائق رئيسي في وجه السلام والتقدم الاجتماعي في الشرق الأوسط .

وقد أبرز ايلان هليفي عن الحلف الشيوعي الثوري معنى الدولة الصهيونية بالنسبة الى اليسار الاسرائيلي بقوله :

« ان الدولة الصهيونية تعني دولة يسود فيها اليهود في كل مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية . وهي مفروضة دستوريا » (٣٢) .

وقال ان العنصرية الشائعة في اسرائيل هي النتيجة المباشرة للرؤية الصهيونية :

« ليست المسألة هي القول بأن هؤلاء الناس (أي اليهود الاسرائيليين الذين يكرهون العرب ويسيئون معاملتهم) هم مجرمون عنصريون . ان هؤلاء الناس هم جزء من رؤية معينة وضعت في أذهانهم رسميا وعلموها وشربوها هم وأولادهم رسميا ، وهي الايديولوجية الرسمية الاساسية لهذه الدولة . وهي تقول بأنه يتوجب علينا جعل هذه الدولة يهودية ، وذلك عن طريق القوة . وان الرسالة السياسية لهذه الدولة هي ضمان هيمنة اليهود على غير اليهود » (٣٣) .

وقال موشيه ماكوفر أيضا : « ان هذا يساوي ما يسمى في أماكن أخرى ما يعرف بتفوق العرق الابيض ، وهنا توجد خطوط موازية تماما بشأن تفوق اليهود » (٣٤) .

ان علاقة اسرائيل بيهود العالم كما تتجسد في قانون العودة (١٩٥٠) وقانون الجنسية (١٩٥٢) هو ما « يؤكد صفة وحدانية العرق في دولة اسرائيل » (٣٥) . ان هذين القانونين الاساسيين يخولان جميع اليهود ويضمنان لهم الحق بدخول اسرائيل والحصول على الجنسية الاسرائيلية أوتوماتيكيا ، في الوقت الذي لا ينطبقان فيه على عرب فلسطين بمن فيهم الذين ولدوا في البلاد . وقد كتب يوري أفنيري يقول : « ان فكرة تجانس الدولة اليهودية هي فكرة في صلب الصهيونية » (٣٦) .

وبسبب القوانين الصهيونية وهدف دولة اسرائيل قال موشيه ماكوفر :

« ان معارضة الصهيونية تتضمن معارضة دولة اسرائيل على الأقل في تكوينها الراهن ، لا كدولة لها سكانها مهما كانت هويتهم القومية ، بل كدولة لليهود في جميع أنحاء العالم . معنى هذا على سبيل المثال أن يهوديا مولودا في نيويورك له حق

أوتوماتيكي في المواطنية في هذا البلد ، بينما عربي مولود في حيفا أو يافا حيث ولد أجداده أيضا لا يتمتع أبدا بمثل هذا الحق . وهذا يتجسد في قوانين هـذا البلد وممارساته ، الامر الذي يجعل منه دولة صهيونية » (٣٧) .

ويقدم اليساريون اتهامـا يقول بأن ممارسة التمييز العنصري في اسرائيل تتسع لتشمل يهوداً أيضا ، أي اليهود الشرقيين (أو السفارديين) . فطائفة بني اسرائيل هندية الاصل ، والفلاشيون أحباش الاصل ، اتهموا الحكومـة الاسرائيلية بالتمييز ضدهم . أما كوهافي شيمش ، من حركة الفهود السود ، المؤلفة من يهود سفارديين والتي يبدو أنها في مرحلة سبات الآن ، فقد قال في مقابلة : « يوجد في اسرائيل اليوم عداء للسامية . وما يحدث لليهود في الخارج يحدث للسفارديين هنا ... » (٣٨) وان اليهود من غير الأوروبيين اتهموا الدولة بدعم التمييز ضدهم في الاسكان والاستخدام والتربية والمركز الاجتماعي والمشاركة في الحكومة . وكان الفهود السود لفترة من الزمن نشطين في أوساط الحركات اليسارية في البلاد . وكانت صيحة معركتهم هي : « متى يتساوى أبو طبول مـع فيغين ؟ » وجـاء رد ماتسبن علـى هـذه الصيحة مؤكدا على النضال المشترك بين السفارديين وعرب فلسطين : « يتساوى أبو طبول مع فيغين عندما يتساوى محمد مع ابو طبول » (٣٩) .

كانت الصهيونية ولا زالت في التحليل اليساري حركة استعمارية . ولكن هناك فرقا جوهريا بين الاستعمار الصهيوني وغيره من أشكال الاستعمار . تقول ماتسبن في هذا المجال : « بينما طبيعة الاستعمار « الكلاسيكي » هي بشكل رئيسي **الاستغلال** ، فان طبيعة الاستعمار الصهيوني هي **التشريد والطرد** » (٤٠) . ان طرد العربي الفلسطيني من أرضه يضيف بعدا غير عادي للوضع الاستعماري وللمشاكل التـي يترتب على الشعب المستقر مواجهتها . وقد أوضح ماريوس شاطنر ، مـن الحلف الشيوعي الثوري ، ذلك بقوله :

« انني اعتقد أن الحركة الفلسطينية تواجه مشكلة تاريخية كان على شعوب مستعمرة قابلة جدا أن تواجهها . للنظر الى واقع استعماري آخر مثـل الجزائر أو روديسيا ، اننا نجد هنـاك احتلالا استعماريا وحركة (تحرير) وقتالا . والنتيجة الاولى لهذا القتال ان يبدأ المستعمر يفهم انـه لا يستطيع ان يفعل ما يريد وان هناك شعبا آخر . ان هـذا هو الشيء الاول ، أي ان الشعب الآخر موجود » (٤١) .

ومنذ بداية الاستعمار اليهودي في فلسطين شكا مراقبون حساسون يهود من الغياب التام لدى المستوطنين لأي شعور مع السكان العرب أو اعتراف بهم . وقد كتب آحاد هاعام الصهيوني الروحاني عن أوائل مرحلة اليشوف فقال : « انهم يعاملون العرب بعداء وقسوة ويحرمونهم مـن حقوقهم ويسيؤون اليهـم بدون سبب بل ويتباهون بأعمالهم ، ولا أحد بيننا يعارض هذا الميل الحقير والخطير » (٤٢) .

ولاحظت ماتسبن « ان السكان المحليين ، العرب الفلسطينيون ، قد فقدوا أماكنهم دون أن يعاد دمجهم كعمال ، لأن جميـع الوظائف الاجتماعية كـان لا بد ان تحجز لليهود » (٤٣) . وان المبادىء الاساسية الثلاثة للاستعمار الصهيوني تضمن أن يبقى الفلسطيني الذي فقد مكانه نتيجة لهذا الاستعمار ، خارج مجتمع المستوطنين :

١ ــ كيبوش هاكركه (غزو الارض) : « يجب أن يعمل اليهود في الارض واليهود وحدهم هم المؤهلون لذلك » .

٢ ــ كيبوش هاعفودا (غزو اليد العاملة) : « ان المشروعات اليهودية يجـب ان تستخدم عمالا يهودا فقط » .

٣ ـــ توتسيريت هآرتس (محصول الارض) : « مقاطعـــة شديدة للمنتوجـــات العربية » (٤٤) .

وعندما أجبر عرب فلسطين على الخروج من بلدهم في العام ١٩٤٨ بأعداد كبيرة أصبحت مقدرتهم على التأثير في مستعمريهم وترك تأثيرهم في وعي هؤلاء المستعمرين أمرا أكثر صعوبة . الا ان اليسار المعادي للصهيونية في اسرائيل يرى الوضع في تغير منذ بروز المقاومة الفلسطينية في العام ١٩٦٧ . واوضح ماريوش شاطنر قائلا : « اننا نرى اليوم الشعب الفلسطيني من خلال قتاله وقتال البلدان العربية ، وهذا ما يثبت للاسرائيلي بأن الفلسطيني موجود . والآن بامكانك ان تنزل الى الشوارع وتسأل الناس عما اذا كان الفلسطينيون موجودين ، وعما اذا كان هنـــاك شعور قومي فلسطيني . وكل شخص سوف يجيبك بالايجاب » . وتابع شاطنر قائلا بأن أحدا اليوم لا يردد مقولة غولدا مئير بأنه لا يوجد شعب فلسطيني (٤٥) .

ولكن الاستعمار اليهودي مستمر ، على حد قول اليساريين الذين يقدمون الدليل على ذلك انتظام اقامة المستعمرات اليهودية في المناطق المحتلة ، والخطـــة الجديدة « لتهويد الجليل » لضمان غالبية يهودية في الجليل (٤٦) هذا بالاضافة الـــى دعوات الحكومة من أجل استمرار قدوم المهاجرين الى اسرائيل .

وفي نظر اليسار فان استمرار الاندفاع الاستعماري في الصهيونية يؤدي الى استمرار خدمة الصهيونية للامبريالية الغربية . ويرفض المعادون للصهيونية الحجة التي يقدمها بوري أفنيري وغيره بأن الصهيونية معادية للامبريالية الى حد ما ، وهذه الحجة هي : « ان القتال السري اليهودي ضد الحكم الاستعماري البريطاني في فلسطين كان أول حرب تحرير ناجحة في الشرق الاوسط . وهذا ما يسخف الفكرة القائلة بأن الصهيونية أو دولة اسرائيل هي ربيبة الامبريالية أو الاستعمار » (٤٧) .

أما « حرب التحرير » هذه فهـــي في نظر اليساريين المعادين للصهيونية أقرب الى اعلان رودييسيه الاستقلال من طرف واحد منها الى نضال معاد للاستعمار خاضه سكان أصليون . ان « حرب التحرير » كانت قتالا خاضه مستوطنون يهود بيض دونما حساب مرض « للسكان المحليين » في فلسطين .

ويرى التحليل اليساري ان الاستيطان اليهودي في فلسطين كـــان بحاجة لازمة الى الامبريالية البريطانية وقام بخدمتها ، اذ ان استقدام أعداد كبيرة من اليهود الأوروبيين الى فلسطين « استلزم دعما اقتصاديا وعسكريا ودبلوماسيا من قوة امبريالية واحدة أو أكثر » (٤٨) . وفيما بعد أصبحت دولة اسرائيل العميل القابل والشريك لخليفة الامبريالية البريطانية في الشرق الاوسط ، أي الامبريالية الامريكيـــة . ويرى الحلف الشيوعي الثوري أنه منذ حرب تشرين الاول ١٩٧٣ جرى تحول في المصالح الامبريالية الامريكية مما أثار قلق الدولة الصهيونية التي تعتمد اعتمادا شبه تام ومحصور على المساعدة الامريكية . وقد ذكر الحلف عن موقفه في « المسألـــة الفلسطينية ومهماتنا الراهنة » ما يلي :

« لقد بـــات واضحا أن الامبريالية الامريكية ، التي تواجه أزمة سياسية واقتصادية خاصة بها ، لا تستطيع أن تقدم لاسرائيل دعما غير مشروط في كل تحركاتها ، وهـــي مستعدة ، على أساس المقتضيات الضرورية ، للمناورة بين مختلف حلفائها في المنطقة . وان تطلع رأس المال الاميركي الى الدخول عميقا في أسواق المنطقة يتطلب تعزيز الروابط مع البرجوازية العربية ، كما يحد هذا التطلع من دور دولة اسرائيل وأهميتها بصفتها القاعدة الرئيسية للامبريالية الاميركية في المنطقة ...

« ولا يعني هذا ان الامبريالية هي على وشك « التخلي عن اسرائيل » ، ذلك ان الضعف النسبي لدولة اسرائيل على الصعيدين الدولي والاقليمي انما يعزز فقط اعتمادها على الولايات المتحدة واستعدادها لبيع الامبريالية خدمات مقابل التسلح والدعم المالي . ويعني هذا فقط أنه في المستقبل القريب على الأقل سوف تميل الولايات المتحدة الى « تشتيت » دعمها وبحثها عن شرطة وعملاء في المنطقة دون أن تتخلى عن أي واحد منهم ، وهي بالتأكيد لن تتخلى عن اسرائيل . وهذا وضع تفقد فيه الصهيونية ملزمة دورها التقليدي وهو أنها (التراس الوحيد) للثقافة الغربية ضد البربرية الآسيوية ، (هرتزل) . » (٥٠)

ويلاحظ اليساريون ان احدى الصعوبات في دور اسرائيل « كقلعة ديمقراطية » للغرب في الشرق الاوسط هي تعرض اسرائيل للتحولات في السياسة الامبريالية وضعفها أمام هذه التحولات . أما الخدمة التي تقدمها اسرائيل للمصالح الغربية ، على حد قول اليساريين ، في « مقاومة القوى التقدمية في العالم العربي » فهي خدمة لم تكن دوما مثمرة . وتقول ماتسبن « ان أجلى مظهر (وان لم يكن المظهر الوحيد) لهذا الدور في السياسة الاسرائيلية الرسمية كان في العام ١٩٥٦ عندما انضمت الحكومة الاسرائيلية الى الامبريالية البريطانية ــ الفرنسية في مؤامرة عدوانية ضد مصر بل قامت حتى بتزويد هاتين القوتين بذريعة التدخل العسكري » (٥١) ، والسخرية انه على الرغم من كل آلام اسرائيل في غزو سيناء ، قامت الولايات المتحدة باجبار بن غوريون على التخلي في السنة التالية عما تم احتلاله . وفي رأي اليسار ان الخدمة التي تقدمها اسرائيل للامبريالية واعتماد اسرائيل على هذه الامبريالية يجعل من مزاعم اسرائيل عن استقلالها مهزلة .

وأهم من ذلك ان الانتقادات اليسارية تتهم الصهيونية بالفشل في الاستجابة للمشاكل التي خلقت دولة اسرائيل لحلها . وقد لخصت ماتسبن ما تعتبره هذا الفشل بقولها :

« كان المفترض بالدولة اليهودية ان تضبح أداة تجميع اليهود في العالم من أجل توحيدهم في امة ابية مستقلة ... والواقع ان عدد يهود مدينة نيويورك يفوق عدد جميع اليهود في اسرائيل...

« وكان المفترض بالدولة اليهودية ايضا ان تمكن الشعب اليهودي من تطوير ثقافة متنورة ديمقراطية ، الا انه في الواقع بات طلاب المدارس الثانوية ، الذين أخذوا اليوم يتساءلون عن بعض جوانب السياسة الصهيونية والثقافة الصهيونية ، يجدون من الضروري تشكيل جماعات سرية ...

« وان وحشية الشرطة ضد المتظاهرين وخاصة ضد الفهود السود ، واللجوء الى أنظمة الطوارئ بل حتى الى المحاكم العسكرية ضد العمال المضربين قد أثبتت مرة أخرى أن شعبا يضطهد شعبا آخر لا يستطيع أن يكون هو حرا ...

« وفوق كل شيء كان المفترض بالدولة اليهودية تأمين الوجود الجسدي لليهود وانهاء المذابح الى الابد ودرء مذبحة ثانية . والواقع ان اليهود يخضعون في اسرائيل الى خطر جسدي اكثر مما يتعرضون له في أي مكان آخر ...

« ولم يحدث هذا الوضع فجأة ، بل على العكس من ذلك ، فهو النتيجة الحتمية للمشروع الصهيوني القاضي باقامة مجتمع يهودي مغلق في أرض هي ملك شعب عاش عليها وعمل فيها منذ زمن سحيق » (٥٢) .

ان عجز دولة اسرائيل عن حل مشاكل اليهود الاسرائيليين ، بالاضافة الى مشاكل الغالبية العظمى من يهود العالم الذين لم يختاروا طريق الهجرة الى اسرائيل ، قد ولد بعض الاستياء الشعبي في المجتمع الاسرائيلي . والاستياء الشعبي ليس عداء واعيا للصهيونية . ولكن ايلان هاليفي قال ان مهمة أمثاله من المعادين للصهيونية ربط الاستياء بسببه الذي هو « الايديولوجية الصهيونية ، أهدافها ، أساليبها ، ونظرتها الشاملة الى العالم » . وتابع هاليفي قائلا :

« بهذا المعنى هناك الكثير من أشكال معاداة الصهيونية في الممارسة الاجتماعية اليومية في اسرائيل . هناك الهجرة المضادة (٥٣) ، وهناك رفض الانضمام الى الجيش ليس على أساس موقف سياسي واضح بل مجرد نزوة فردية لعدم المشاركة في المجهود الحربي لأسباب أنانية . ان هذه أشكال من أشكال الاستياء الفعلي من التعبئة النفسية والايديولوجية الصهيونية . وهناك أيضا الصراع الطبقي والصراع الاجتماعي وهو ما جسده الفهود السود لبعض الوقت والقيادة الجديدة التي نشأت في حركة الاضرابات في اسرائيل اليوم . وكل هذه هي أشكال للممارسات الاجتماعية الآخذة في التطور الى حد بعيد جدا في اسرائيل ، وهي لم توجد قبل عدة سنوات ، وهي في تناقض موضوعي مع العملية كلها والوجهة التي تريد الصهيونية أن تفرضها على المجتمع الاسرائيلي .

« لذلك اعتقد أن المسألة برمتها تتعلق بكيفية الربط بين هذه العمليات وبين عدائنا النظري والواعي القوي للصهيونية » (٥٤) .

وقد أشار ماريوس شاطنر الى مثل آخر على الاستياء الشعبي من السياسة الصهيونية : « ان الشعب يعارض الهجرة وخاصة هجرة اليهود الذين يأتون الآن من روسيه . وان الشعب غير مستعد لتقديم تضحيات تطلبها منه الحكومة لمساعدة أناس جدد يأتون الى هنا » (٥٥) . واليهود الشرقيون خصوصا يمقتون تدفق اليهود السوفيات اذ يرون فيهم اصحاب امتيازات مثل المساكن الحديثة التي وعد بها السفارديون لسنوات .

ودخل السجن كل من ماريوس شاطنر ، وجيورا نويمان ، وروبين لاسمان واريث يعقوبي وغيرهم من الاسرائيليين الشبان وذلك لرفضهم الخدمة في الجيش لاسباب سياسية (٥٦) . وبعض اليساريين ومنهم يوسي كوتن ، عضو سياح ، رفض تحديدا الخدمة في المناطق المحتلة (٥٧) . وهناك آخرون مثل ايحود اديف ، ودان فيرد ، ورامي ليفنه ، حكم عليهم بالسجن في اسرائيل لأنهم يعملون ضد الدولة .

والتقى يوم الحادي والعشرين من ايلول ١٩٧٢ الفهود السود وسياح (اليسار الجديد الاسرائيلي) ، والحلف الشيوعي الثوري ، والطليعة (تحالف العمال) ، وماتسبن وماتسبن — الماركسية لتشكل « جبهة معادية للفاشية » من أجل « تنظيم عون قانوني مشترك لمختلف الجماعات وتقديم الحماية من هجمات رابطة الدفاع اليهودية ضد المتظاهرين اليساريين وخوض حملة لتحذير الراي العام من مخاطر الرابطة » (٥٨) .

ومنذ قيام « الجبهة المعادية للفاشية » في العام ١٩٧٢ وقبل هذا التاريخ تعرض أعضاء هذه المنظمات المعادية للصهيونية واللاصهيونية لهجمات الصحافة الاسرائيلية وأدخلوا السجون الاسرائيلية . كما عانوا من انقسامات داخل صفوفهم .

وقد كتب محلل من اليساريين الجدد في بداية مناقشة للمنظمات المعادية للصهيونية في اسرائيل يقول : « لقد دخلنا ذلك المجال حيث جميع القيم العددية عبارة عن أرقام صغيرة » (٥٩) . فقد عانت ماتسبن ، التي كانت الجماعة الاشتراكية المعادية للصهيونية الأبرز في اسرائيل ، من انشقاق ثلاثي في أواخر العام ١٩٧٠ . وترك الانشقاق ماتسبن الاصلية مع موشيه ماكوفر وحاييم هانغبي وغيرهما ، بالاضافة الى مجموعتين جديدتين هما الحلف الشيوعي الثوري وماتسبن — الماركسية (وتدعى الآن الرابطة الشيوعية) . وفي تشرين الاول ١٩٧١ انفصل الحلف الشيوعي الثوري — الجبهة الحمراء عن الحلف الشيوعي الثوري وذلك في نزاع تكتيكي على ما يبدو . وانشقت عن الرابطة الشيوعية في أيار ١٩٧٥ جماعة دعت نفسها الفصيل البروليتاري . وهناك مجموعة اخرى هي الطلائع (حلف العمال) قريبة من مبدأ بيار لومبير ، التروتسكي الفرنسي ، الداعي الى

اقامة التنظيم داخل صفوف العمال . وقد اصبح اعضاء هذه المجموعة أهدافا خاصة لوسائل الاعلام الاسرائيلية (٦٠) . وعلى الرغم من الانشقاق في صفوف اليسار ، يلتقي أعضاء مختلف الجماعات معا في الاحتجاج والتظاهر وعلى هدف اقامة دولة علمانية ديمقراطية في « أرض اسرائيل » أو فلسطين (٦١) .

وتقوم الطليعة بالعمل لتجنيد الاعضاء من أوساط الطبقة العاملة مؤكدة على الصراع الطبقي أكثر من التركيز على الصراعات القومية . وقد قالت في عدد خريف العام ١٩٧٤ من مجلتها : « ان كل مطلب ، من مطالب النضال المباشر والموحد ضد ارتفاع الاسعار باقامة الاتحادات المهنية وحزبا عماليا الـــى مطلب اقامة دولـــة موحدة ذات مجلس تأسيسي ، يصبح جزءا من مسألة واحدة ويقل تدريجيا تميزه عن غيره من المطالب ، وهذه المسألة هي : محاولة تنظيم الجماهير من أجل القضاء على البورجوازية قبل أن تقضي عليهم » (٦٢) . وعندما وجدت يوم الثاني والعشرين من تشرين الاول ١٩٧٤ مجندة في التاسعة عشرة من عمرها ميتة اختناقا في قيسارية، بدأت الصحافة الاسرائيلية حملة ضد جماعة الطليعة . واتهمت الصحافة هذه الجماعة بارتكاب هـــذه الجريمة وغيرها من الجرائم كما اتهمت اعضاء من الطليعة بالانحراف الجنسي . وألقي القبض على يورام بيشونسكي ، عضو الطليعة ، ثم أطلق سراحه لعدم وجود أدلة . الا ان نسب الجرائم الجنسية الى الطليعة لم ينمح أبدا من وسائل الاعلام العامة . وعلقت نشرة **ايسرالفت** الصادرة عن سياح على ما أسمته « تغطية القضية في الصحافة بتوجيه الشرطة » ووصفت الحملة المعادية للطليعة بالطعن والتشهير » (٦٣) .

ان الحلف الشيوعي الثوري ــ الجبهـــة الحمراء هو أنشط الجماعات اليسارية المعادية للصهيونية بل وأخطرها ، اذا ما حكمنا من خلال اتهام النيابة العامة لاعضائها . وكان ايحود اديف ، زعيم الجبهة الحمراء ، قد انتقد ماتسبن لقلة نشاطها . فهو يعترف بسلامة نظريتها ، هذه النظرية التي ينقصها فصل بعنوان « ما العمل ؟ » (٦٤) وايمان اديف بالايديولوجية والنشاط العملي معا أدى الى اشتراكه في منظمة سرية فلسطينية ــ اسرائيلية وبالتالي الى سجنه .

وقد مثل ايحود اديف وخمسة آخرون من رفاقه ، أحدهم يهودي والأربعة الباقون من الفلسطينيين المقيمين في اسرائيل منذ العام ١٩٤٨ ، أمام المحكمة في حيفا بتهمة تشكيل « شبكة تجسس وتخريب » (٦٥) .واعترف اديف بخمس وعشرين من التهم الست والاربعين التـــي وردت في قرار الاتهـــام (٦٦) . وقد وجهت لـــه التهم يوم ١٩٧٣/٢/١١ وصدر عليه الحكم بعد شهر بالسجن سبعة عشر عاما . واعترف اديف انه التقى في أثينا عربيا كان يقيم في السابق في اسرائيل وانه قام بزيارة دمشق . الا انه نفى تهريب أية معلومات عسكرية ، أما الآخرون فقد صدرت عليهم أحكام بالسجن تتراوح فتراتها بين ثلاثة وسبعة عشر عاما (٦٧) . .

لقد كانت « محاكمة الجبهة الحمراء » صدمة للمجتمع الاسرائيلي الذي اعتاد على صورة الشباب الشوفيني المستعد للدفاع عن الأمة في ظل أي ظرف . وأثارت المسألة سيلا من التقارير الصحافية الاسرائيلية المتناقضة . وقد شوشت وسائل الاعلام الامر على الرأي العام بحيث بات لا يعرف ما اذا كان يتزعم الجبهة الحمراء عربي فلسطيني أم يهودي اسرائيلي ، وما اذا كان اديف قد ذهب الى القاهرة أم لا ، وما اذا كانت الجبهة قد قامت فعلا بأعمال تخريبية ، وما اذا كان أعضاؤها مسلحين وما اذا كانت الجبهة تشكل أي تهديد عسكري (٦٨) . ومع ان الجبهة الحمراء ربما لم تشكل قط خطرا على أمن دولة اسرائيل الا أنها شكلت تهديدا نفسيا هائلا . فهم أمام يهود ولدوا

في اسرائيل ونشأوا فيها ، واديف نفسه ابن كيبوتس ، يعملون مع العرب لاسقاط الدولة ! ولم يكن بوسع الاسرائيليين الشبان الا ان يسألوا : لماذا ؟

وقد أوضح روبين كامينر ، عضو جماعة سيناج اللاصهيونية وذات الانتماءات الدولية اليسارية الجديدة ، كون أسئلة معينة تشكل خطرا :

« من الصعب جدا على كثير من الآباء والامهات أن يفهموا عندما يبدأ أبناؤهم بطرح بعض الاسئلة . ربما يجد أحد الوالدين في أميركا صعوبة ما في الاجابة عن سؤال من ابنه حول ما فعله الاميركيون البيض بالهنود الا أن ذلك أمرا بعيدا وقديما جدا . أما هنا فعندما يسأل الطفل الاسرائيلي : من أين حصلنا على هذه الارض ؟ ماذا كان اسم هذه المدينة من قبل ؟ أين الناس الذين كانوايعيشون هنا ؟ ويطرح أسئلته بلهجة تتساءل عن الحق بحد ذاته في الاقامة على تلك الارض ، يكون الأمر سبب قلق عميق بين الآباء والامهات الاسرائيليين » (٦٩) .

وقد قالت توفا ، والدة ايجود اديف ، الى صحيفة « معاريف » الاسرائيلية اليومية : « اننا لا نتنصل من مسؤوليتنا عن آراء ولدنا . لقد علمناه أن كل الناس ولدوا سواسية بغض النظر عن العرق أو اللون أو الدين » (٧٠) .

ان الدعاية التي تعطى لمقاومة التجنيد وللعناصر اليهودية ـ العربية السرية ربما تؤثر أكثر من الظواهر ذاتها في احداث عملية مراجعة الذات المؤلمة في اسرائيل . وقد قال يساري اسرائيلي قضى حرب تشرين الاول في سجن عسكري لرفضه الاستجابة لدعوة المجندين الى الخدمة انه يعتقد ، كما يعتقد آخرون غيره كانوا معه في السجن ، انهم لم يضطهدوا بعد الحرب بهدف تجنب فضح تصدع في المعنويات في تلك الفترة . وكان بعض السجناء قد القوا سلاحهم ببساطة وفروا من المعركة (٧١) .

وفي الثانية من المجموعات الخمس من المتهمين الذين مثلوا أمام المحكمة في العام ١٩٧٣ في حيفا حكم على رامي ليفنه ، زعيم الحلف الشيوعي الثوري ، بالسجن عشر سنوات بتهمة الاجتماع الى عضو من فتح بالقرب من الناصرة (٧٢) . وليفنه يرئس جماعة يرفض أعضاؤها ، أمثال ايلان هليفي وماريوس شاطنر ، الخدمة في الجيش الاسرائيلي . وقال ليفنه أن سبب سجنه هو عضويته في الحلف الشيوعي الثوري وليس بمناقشاته السياسية مع عضو من فتح . وبعد محاكمة ليفنه اجتمع نفتلي فيدر ، السكرتير السياسي في حزب المابام ، الى مندوب من منظمة التحرير الفلسطينية في براغ (٧٣) . كما اجتمع يوري افنيري في رومة الى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لندن سعيد حمامي . ولم يتهم بسبب ذلك أي من هذين الشخصين .

وقد أصبحت ماتسبن ، المنظمة الأم للجماعات الراديكالية ، هدفا للانتقاد الحكومي والصحافي في اسرائيل . فوسائل الاعلام جعلت من كلمتي ماتسبن وماتسبني كلمتين للدلالة على الرأي اليساري الخطر أو غير المسؤول في اسرائيل . وقد أشارت الصحافة العبرية في تغطيتها لمحاكمة الجبهة الحمراء الى صلة الجبهة بماتسبن (٧٤) .

ويؤكد اليساريون أن انتقادهم المعادي للصهيونية ونشاطاتهم ومقاومتهم للدولة ومحاولاتهم لاقامة حوار مع الفلسطينيين هدفها جميعا واحد وهو : اسرائيل بدون صهيونية .

وقد قدمت ماتسبن هذا التحليل :

« ان المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية قالت بأنه على الرغم من حقيقة أن الأمة العبرية قد خلقتها الصهيونية فان هذه الأمة بكل ما في الكلمة من معنى موجودة الآن في فلسطين . وعلى هذا الاساس

فان لها الحق في تقرير المصير ليس بالمعنى الصهيوني بالتأكيد بل ضمن اطار اتحاد فيدرالي اشتراكي يضم الشرق الاوسط » (٧٥) .

وتحبذ ماتسبن قيام اتحاد فيدرالي شرق أوسطي يكون فيه « للقوميات غير العربية (اليهود الاسرائيليون ، الاكراد ، وجنوب السودان) حقوق قومية معترف بها، وبكلمة أخرى حق تقرير المصير » (٧٦) . أما الحلف الشيوعي الثوري فيدافع عن « تقسيم فلسطين مباشرة الى دولتين قوميتين تضمنان الحقوق الديمقراطية الكاملة للأقلية الباقية من الشعب الآخر في كل منهما » . ويطالب الحلف بعودة لاجئي العام ١٩٤٨ الى بيوتهم ، وأعرب عن اعتقاده بأن دولة اسرائيل سوف تندمج في النهاية في « ديمقراطية متعددة القوميات » واسعة في الشرق العربي (٧٧) .

ويرى اليسار أن انهاء العنصرية والامبريالية والاستعمار والقهر والحرب يفترض مسبقا ازالة الصهيونية من اسرائيل . « وازالة الصهيونية تعني الغاء الاقتصارية اليهودية (الكامنة في قانون العودة على سبيل المثال) ... » (٧٨) . وان ازالة الصهيونية تتطلب مشاركة نشطة من قبل الراديكاليين العرب وتتضمن حق تقرير المصير للاسرائيليين بمعزل عن الروابط القانونية بيهود العالم وعن الروابط الاقتصادية بالامبريالية الغربية . ويتبع ذلك ، كما يرى اليهود الاسرائيليون اليساريون المعادون للصهيونية ، السلام والعدل بصورة طبيعية .

والى جانب اليهود المعادين للصهيونية في اسرائيل من متدينين ويساريين يوجد ، على حد قول الدكتور اسرائيل شاحاك ، « عدد غير قليل من الناس مثلي ليسوا ماركسيين وليسوا أيضا يهودا متدينين جدا ، ويعارضون الصهيونية على أسس ليبرالية أو انسانية » (٧٩) . فبينما يرفض أعضاء نتوري كارتا والماركسيون الاسرائيليون الصهيونية بناء على تحليلات أساسية للعالم ، نجد المعادين للصهيونية على أسس انسانية يبدأون من تجربة حياتية ومن نظرة الى الحياة تقوم بصورة مميزة على الأخلاق الشمولية اليهودية .

وقد أوضح فيتولد يادلينسكي ، وهو يهودي اسرائيلي من معتنقي مبدأ الانسانية ، كيف أن تعرضه للاضطهاد كيهودي أدى به الى معارضة الصهيونية :

« انني يهودي بولوني سجنت في السابق في سجن نازي . وقد مررت في بعض أسوأ تجارب المذبحة . وان أبرز ما أذكره تماما عن تلك الاوقات هو شيوع العداء للسامية في أوروبة الشرقية ، وبعض الصور النموذجية عن هذا العداء هي ، على سبيل المثال ، القصص عن العقلية اليهودية مثل القول بأن « اليهودي يفهم فقط لغة المال » أو أن « اليهودي يفهم فقط لغة القوة » أو أن « اليهودي شخص ليس بامكانك أن تثق به » . انني أسمع كل هذه الامور المرة تلو المرة مع فرق واحد هو أنها ليست باللغة البولونية وانما بالعبرية مع استبدال كلمة «اليهودي» بكلمة «العربي» » .

والدكتور اسرائيل شاحاك ، معتنق مبدأ الانسانية أو المستقل بهذه الصفة ، هو ابرز اسرائيلي معاد للصهيونية ، واحد الناجين من معسكرات الاعتقال النازية . وهو يدرس الكيمياء في الجامعة العبرية في القدس ورئيس الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية . وقد وصف تطوره عبر ثلاث مراحل الى معاد نشط للصهيونية بقوله :

« كانت المرحلة الاولى هي حرب السويس في العام ١٩٥٦ عندما صدمت فور الانتصار الاسرائيلي بقيادة بن غوريون وغيره من الذين قالوا أنها لم تكن حربا دفاعية بل حربا لغزو الارض وانها بداية مملكة اسرائيل الثالثة الى غير ما هنالك من كلام . بل صدمت أكثر من ذلك بسبب مذبحة كفر قاسم (٨٠) التي ذهب ضحيتها تسعة وأربعون عربيا اسرائيليا بدون استفزاز ولم يكن مصدر

هذه الصدمة المجزرة في ذاتها ولكن حقيقة انه أمكن اخفاؤها ستة أسابيع • وقد كنت في حينها بريئا لحد توجيه نداءات لبضعة أشخاص أتساءل فيها كيف أمكن حدوث ذلك ، وكانت مبررات هؤلاء أهم عامل في جعلي معاديا للصهيونية •

« والمرحلة الثانية بدأت بزيارتي الى الولايات المتحدة كعالم وذلك في الفترة ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ وكانت أول مرة خرجت فيها من اسرائيل • ودهشت أشد الدهشة عندما اكتشفت أنه بالامكان العيش في بلد ديمقراطي يعامل مواطنيه ، على الاقل في القانون ، بدون اعتبار للقومية أو العرق أو الدين • لقد تعلمت في اسرائيل الاعتقاد بأن هذا شيء مستحيل وان كل بلد يميز على أساس القومية ...

« والمرحلة الثالثة بدأت بحرب الأيام الستة • ومرة ثانية بدأت باطلاق التصريحات القومية فور انتهاء الحرب • وكذلك الاكاذيب القائلة بأننا لا نريد أرضا • وسرعان ما اتضح اننا نريد أرضا • وشهدت بنفسي طرد العرب في أماكن كثيرة • وهذا أقنعني بأنني لا بد أن أخرج الى العلن لأنني حتى ذلك الوقت لم أكن ناشطا في السياسة » •

وجاءت لحظة كانت حاسمة بالنسبة الى يادليتسكي :

« كانت هذه مقالة عيزر وايزمن ومقالتان أخريان أظهرت بشكل قاطع أن حرب الايام الستة ١٩٦٧ ، على عكس ما كنت وكثيرين آخرين نعتقد ، لم تكن حربا دفاعية في وجه التهديد بالابادة الجماعية • لقد شنت هذه الحرب من أجل كسب أرض أجنبية ... وقد اعترف عدد من الكتاب بأن الاركان العامة في العام ١٩٦٧ لم تشارك الشعب شعوره بالتهديد الوشيك ، التهديد بالهجوم وبالابادة الجماعية • وهؤلاء الكتاب هم عيزر وايزمن الذي كان قائدا لسلاح الجو آنذاك ، ومردخاي بنتوف الذي كان وزيرا للاسكان في وزارة الحرب في العام ١٩٦٧ ، وميتيتياهو بيليد أحد المحللين العسكريين الرئيسيين في اسرائيل ؛ وحاييم بارليف الذي كان رئيسا للاركان العامة • وقد دارت الحرب على فرضيات مختلفة • فقد قال وايزمن تحديدا اننا كنا نسعى وراء « مصالحنا المشروعة في الاراضي المجاورة » • وهذه كانت اللحظة الحاسمة بالنسبة لي » •

ليست ردود فعل كل من شاحاك ويادليتسكي للصهيونية نموذجا لردود فعل الناجين من المذبحة النازية الذين هاجروا الى اسرائيل . وقد عدد يادليتسكي الأسباب التي تجعل اليهود الآخرين الذين انقذوا من الأفران يقبلون بالصهيونية بقوله : « ان الخوف من ابادة جماعية جديدة والخوف من تكرار تجربة المذبحة النازية بالاضافة الى توجيه وسائل الاعلام والتوجيه التربوي يدفع بالشعب الى الشوفينية اليهودية » .

وقال شاحاك بأن الرد الصهيوني طبيعي ولكنه شراني :

« أخشى أن يكون طبيعيا ألا تصبح جماعة مضطهدة جماعة أفضل ، بل أن تقوم باضطهاد الآخرين • فعندما هرب الآباء الحجاج من انكلترة الى ماساتشوستس لم يصبحوا جماعة متسامحة ، بل اضطهدوا الكويكرز بطريقة أسوأ من الطريقة التي كانوا هم قد اضطهدوا بها من جانب الكنيسة الانكليزية • ولكن هذا لا يجعل الوضع أفضل بأي صورة •

« أود أن أقول بأن الاستجابة الانسانية الوحيدة للمذبحة النازية هي محاولة ألا نحب النازيين قولا أو عملا • وان ما أحدث المذبحة النازية هو الموقف العنصري تجاه اليهود وتقسيم المجتمع الالماني الى يهود وغير يهود على أساس العرق ، وهذا الشيء نفسه يحدث في اسرائيل » •

والمسألة بالنسبة لمعتنقي مبدأ الانسانية أمثال شاحاك ويادليتسكي ليس فائدة العنصرية لليهود ، بل ما اذا كانت العنصرية صحيحة أم خاطئة . وقد أشار شاحاك مستمعيه من الاسرائيليين بمساواته العنصرية الصهيونية بالعنصرية النازية . وحلل شاحاك الوضع بقوله :

« بامكانك تعريف المجتمع الاسرائيلي بأنه مجتمع ليس فيه اسرائيليين بل فقط يهود وغير يهود (٨١) ، فهناك قوائم منفصلة بوفيات الاطفال اليهود وغير اليهود ، وهلم جرا • وهذا صبغ

للمجتمع اليهودي بالنازية ويمكن أن يؤدي الى الكارثة ذاتها التي حدثت في أوروبة في عهد النازية ولكن ضحايا الكارثة هذه المرة هم العرب .

« واذا كان للانسان ان يتعلم أي شيء من تجربة النازية فهذا الشيء هو ان يكون الانسان ضد النازية ، وانني ضد النازية سواء أكانت ألمانية أم يهودية أم عربية » .

ان العداء للصهيونية من منطلق انساني له جذوره في كتابات عدد غير قليل من أوائل أعضاء اليشوف الذين يحركهم ضمير حسي ، والذين سموا صهيونيين « معتدلين » لمعارضتهم اقامة دولة يهودية . وقبل الانتداب البريطاني حذر كتاب مثل احاد هاعام والدكتور يتسحاق ابشتاين الصهيونيين السياسيين من « ان الشعب الذي يعيش الآن في هذه الارض له أيضا قلب وروح » (٨٢) .

وشكل الصهيونيون « المعتدلون » في العام ١٩٢٥ مجموعة **بريت شالوم** (عهد السلام) في القدس وكان أحد مؤسسيها الدكتور آرثر ربين ، وقد نادت بدولة ثنائية القومية في فلسطين وأيد يهودا مغنيس هذه المجموعة على الرغم من انه لم ينضم اليها . وتعرض أعضاء بريت شالوم لهجوم مرير من قبل الصهيونيين السياسيين واصفين اياهم بأنهم « اندماجيون في أعماقهم » تماما كاليهود الماركسيين امثال روزا لوكسمبورغ واتهموا « بكراهية الذات » (٨٣) . وانسحب الدكتور ربين في العام ١٩٢٩ من بريت شالوم عندما اتخذت صهيونيته منحى آخر في تطورها الثلاثي . وانتهت هذه المجموعة من الوجود في العام ١٩٣٣ وحلت محلها لبعض الوقت رابطة **التقارب** اليهودي ـ العربي .

ودفع الدكتور مغنيس وبنحاس روتنبرغ وموشيه سميلانسكي من جديد بفكرة ثنائية القومية قدما في العام ١٩٣٦ . ولكن الصهيونيين رفضوها . وشكل معتنقو مبدأ الانسانية اليهود مجموعة **ايحود** (الاتحاد) التي عارضت تقسيم فلسطين . وبعد وفاة الدكتور مغنيس في العام ١٩٤٨ تخلت ايحود عن فكرة ثنائية القومية (٨٤) .

وبعد العام ١٩٤٨ انقسم الصهيونيون « المعتدلون » الى قسمين أحدهما ايد الدولة اليهودية التي باتت أمرا واقعا وثانيهما لم يعد صهيونيا لأن الصهيونية باتت مرتبطة بالدولة .

واستمر أحد أوائل معتنقي مبدأ الانسانية من اليهود في معارضة الدولة معارضة ناشطة بعد قيامها ، كما استمرت المنظمة التي ساعد في انشائها للدفاع عن حقوق الانسان في البلاد . وهذا الشخص هو مردخاي افي شول العضو المؤسس في العام ١٩٣٥ للرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية وكان قد هاجر الى فلسطين في العام ١٩٢١ وهو لا يزال ناشطا مع الدكتور اسرائيل شاحاك في الرابطة المذكورة التي كان غرضها الاصلي مقاومة الاضطهاد البريطاني لليهود والعرب في عهد الانتداب .

لقد نشأ في اسرائيل جيل شاب جديد يعرف بالصابرا ، وقد اختارت قلة ضئيلة من هؤلاء اتباع مغنيس ، وافي شول ، وشاحاك ، في نظرتهم الشمولية الاخلاقية المعارضة للصهيونية الرسمية للدولة . واصبح أحد هؤلاء الاسرائيليين الشبان نائبا لرئيس الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية وذلك في العام ١٩٧٠ عندما اصبح الدكتور شاحاك رئيسا للرابطة . وهذا الشاب هو يوري دافيز الذي برز في العام ١٩٦٢ كأول يهودي يعتقل وفقا لأنظمة الطوارىء الصادرة عن الانتداب البريطاني في فلسطين في العام ١٩٤٥ (٨٥) . وقضى دافيز خمسة أشهر في السجن لدخوله قرية

دير الاسد العربية الواقعة في منطقة امنية ، وحيث تم الاستيلاء على اراض عربية قبيل قيامه بزيارتها (٨٦) .

وفي السنة نفسها قاوم دافيز الخدمة العسكرية ، وكانت « رحلة دافيز خارج الصهيونية » عملية طويلة تأثر فيها بكتابات عين راند ومارتن بوبر ، واستنتج ان مشكلة الاسرائيليين والفلسطينيين « لا يمكن الدخول اليها الا من خلال موقف راديكالي ايديولوجي » (٨٧) .

وهناك اسرائيلية شابة هي ميرا نيستار كان العداء للصهيونية بالنسبة لها شيئا مقبولا بصمت ولم تكتشفه الا عندما بدأت نشاطها السياسي . قالت : « انني من الصابرا . وكنت صهيونية بطبيعة الحال . ولكن ثقافتي اشتراكية وانضممت الى الموكيد لأنني كنت أعتقد أنها مجموعة اشتراكية . وعندما دخلت الحياة السياسية بدأت أفهم أنني لست صهيونية » (٨٨) .

ادركت ميرا نيستار معارضتها للصهيونية لأنها لم تستطع الايمان بما اعتبرته عنصرية . ولكنها رأت في الصهيونية أيضا عائقا للتقدم الاجتماعي في اسرائيل بسبب الصفة السياسية — الدينية لاسرائيل . قالت ميرا على سبيل المثال :

« أنظر الى القانون الاخير حول حقوق المرأة . لقد أرادت شولاميت الوني اصدار قانون يعطي المرأة حقوقا مساوية ولكن القانون لم يمر . فقد وعد رابين الاحزاب الدينية بعدم اصداره » .

أما بالنسبة للاسرائيليين الآخرين الذين ليسوا بالضرورة نشطين في معارضة الصهيونية فقد وقعت حادثتان وحيدتان أدتا وتفرعاتهما الى تساؤلات جدية حول الفرضيات الصهيونية المسبقة للدولة . الحادثة الاولى هي احتلال ما تبقى من فلسطين الانتداب في العام ١٩٦٧ وما صحب هذا الاحتلال من طرد وعقاب جماعي وهدم المنازل واعتقالات ادارية بدون محاكمة ، وسوء معاملة للسجناء ، واستيلاء على الممتلكات الى درجة كبيرة . في تلك الايام ، بالنسبة للبعض ، « ولدت اسرائيل البشعة الاستعمارية » (٨٩) . وعندما رأى شبان اسرائيليون آخرون الطرد الجماعي للعرب الفلسطينيين لأول مرة بدأوا يتساءلون عما اذا كان ثمة فرق نوعي بين عمليات الطرد في العام ١٩٤٨ والعام ١٩٦٧ . والسخرية ان ما ساعدهم في هذه العودة الى الذات والبحث فيها هو شوفينية الاحزاب الصهيونية اليمينية التي قالت لهم : « اذا كنتم تتساءلون عن حقنا في استيطان اليهودية فانكم تتساءلون عن حقنا في تل أبيب » .

والحادثة الثانية التي كانت مثارا للتساؤل هي اعلان الحكومة في العام ١٩٧٠ انها رفضت عرضا مصريا من الرئيس جمال عبد الناصر لمناقشة شروط السلام مع ناجوم غولدمان في القاهرة ، ومر الشباب على هذا الموقف سريعا ، فقد كتبت جماعة من الطلاب الثانويين رسالة شطوف المشهورة متهمين فيها الحكومة بتفضيل الاراضي على السلام . واعلن ابن زعيم البالماخ سابقا « ان الاساس المعنوي لكوننا اسرائيليين قد ضاع » (٩٠) وقال آسه ، ابن موشيه دايان ، انه يفضل الانسحاب التام من كل المناطق المحتلة بما فيها القدس الشرقية مقابل السلام (٩١) .

وقال الدكتور شاحاك انه من الصعب على اليهودي المعاصر الذي درس في اسرائيل ان يصل كليا الى وجهة نظر معادية للصهيونية . وعزا ذلك الى حقيقتين في التربية الاسرائيلية :

« لقد تعرضنا في المدرسة تعرضا كليا الى عملية غسل دماغ أولها كره العرب ، وثانيها شيء

مهم عن العالم كله : ان الجميع من غير اليهود يكرهون اليهود . وغسلت أدمغتنا بحيث نعتقد أن المغول الذين لم يروا يهوديا قط يصبحون معادين للسامية عندما يرون يهوديا . وغسلت أدمغتنا أيضا بحيث نعتقد أن هذه الكراهية تختلف تماما عن الكراهية العادية السائدة في أماكن كثيرة بين القوميات وخاصة الاقليات » (٩٢) .

وأضاف شاحاك بأن المعادين للصهيونية يتقدمون ببطء ولكن من المهم ملاحظة انهم يتقدمون . وميز بين تأثير المعادين للصهيونية من منطلقات انسانية على « المؤسسة » وتأثيرهم على « المجتمع » :

« ان لنا اثرا على المجتمع وهو أثر بطيء ولكنه متزايد طوال الوقت . وليس لنا اثر على المؤسسة ، أولا لأن أصحابها كبار في السن ، وثانيا لان عقولهم مغلقة على كل شيء ، وأهم شيء أنهم عنصريون . بامكانك أن تعلم الناس العاديين تغيير مواقفهم العنصرية ولكنك تعرف جيدا أن العنصريين الذين في مراكز السلطة لا يمكن تغييرهم » (٩٣) .

ومن خلال عمل الرابطة في توثيق انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان كان لشاحاك وآخرين اثر في معالجة معاناة كثيرين من الفلسطينيين العرب . وصرح شاحاك بأن أعظم خدمة يقدمها المعادون للصهيونية هو جمع المعلومات ونشرها عن انتهاكات حقوق الانسان . وقال لماتسبن : « اننا بحاجة الى قائمة بجميع البيوت التي نسفت وجميع الناس الذين اعتقلوا . وان باستطاعتنا بكل تأكيد ان نقوم في مجموعات صغيرة وبدون ملصقات بزيارة اثار البيوت المنسوفة أو زيارة عائلة احد ابنائها في السجن . ونستطيع أن نطالب بزيارة السجناء من خلال المحامين أو غيرهم » (٩٤) . ويعمل شاحاك بالتدريج ، مركزا على المعاناة الفردية ، عربية ويهودية . وقد جمع هو والرابطة أشمل أدانة بجرائم الدولة المتوافرة وقدمها للرأي العام ، وهي تغطي الجرائم بدءا بالتعذيب والقتل وانتهاء بالتفرقة العنصرية في الجامعة .

وقد ساعد شاحاك على سبيل المثال في « اجراء تحقيق ، عن طريق الدعاية في اسرائيل ، في القمع الوحشي في قطاع غزة في كانون الثاني وشباط ١٩٧١ » . واعتبر ما حققه في غزة انتصارا جزئيا في أفضل الاحوال : « اذا أدى تأثيري الى وقف جلد جماهير الشعب في قطاع غزة في الشوارع فانه لم يكن كافيا لنزع سياج الشريط الشائك المضروب حول قطاع غزة جاعلا منه معسكر اعتقال كبير » (٩٥) .

وعزيمة الدكتور شاحاك لا تهبط بسهولة مثله مثل المحامية الاسرائيلية فيليسيا لانجر التي تعمل معه ، وهي عضو حزب راكح وقد دافعت منذ العام ١٩٦٧ عن مئات الفلسطينيين العرب أمام المحاكم الاسرائيلية والسلطات العسكرية . وقد أصبحت تعرف في اسرائيل باسم « محامية الارهابيين » ، لا لمجرد انها تدافع عن الفلسطينيين ، بل أيضا لأنها تتهم الدولة بارتكاب الجرائم في حق موكليها . وأصبح شاحاك ولانجر أكثر يهوديين اسرائيليين يثق بهما الفلسطينيون العرب الذين يعيشون في اسرائيل والمناطق المحتلة (٩٦) .

وأشار شاحاك الى أن عمله وعمل لانجر يختلف نوعا ما عن عمل اليساريين الاسرائيليين : « ان اهم جانب في هذا العمل هو رؤية المشكلة الحقيقية للصهيونية ، المشكلة الحقيقة في ما هي الصهيونية لا كأيديولوجية بل في ما تفعله الصهيونية يوميا بالناس » (٩٧) . ففي الوقت الذي يهاجم اليسار فيه الصهيونية في أسسها النظرية فان شاحاك ولانجر يقاتلان نتائجها . واليساريون المعادون للصهيونية يعملون بانتظام مع لانجر وشاحاك والرابطة مدركين أنهم يقاومون الصهيونية ذاتها ، وإنهم يسبحون وراء الحل الديمقراطي ذاته .

وبالنسبة لليهود الاسرائيليين المعادين للصهيونية سواء أكانوا متدينين أم يساريين أم منطلقين من منطلقات انسانية فان الخيار أمامهم بين الصهيونية ومقاومتها ليس خيارا بالمرة . فرفض الصهيونية لأسباب روحية او ايديولوجية أو أدبية هو رفض للمصير الموروث وهو الحرب المستمرة .

---

١ ــ موشيه دايان ، خطاب في متخرجي كلية الاركان والقيادة بعنوان : « A Soldier Reflects On Peace Hopes » منشور في كتاب ايرين ل. غندزر (محررة) A Middle East Reader ، صادر في نيويورك سنة ١٩٦٩ ، ص ٤٠٧ .

٢ ــ وولتر لاكير ، **تاريخ الصهيونية** صادر في لندن ، سنة ١٩٧٢ ، ص ٢٣١ .

٣ ــ يوري افنيري **اسرائيل بدون صهيونيين : نداء من أجل السلام في الشرق الاوسط** صادر في نيويورك سنة ١٩٦٨ ص ٨٦ .

٤ ــ دايان ، المصدر السابق ، ص ٤١٧ .

٥ ــ نورمان بنتويتش ، **من أجل صهيون : سيرة يهودا مغنيس** صادر في فيلادلفيا في الولايات المتحدة سنة ١٩٥٤ ص ١٨٨ .

٦ ــ الن ر. تايلر ، **العقل الصهيوني** صادر في بيروت عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية سنة ١٩٧٤ ص ٨٤ ــ ٨٦ .

٧ ــ ان رقم ٨٪ كحد أقصى هو رقم تقريبي فقط حسب تقدير الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية ، وكذلك حسب تقدير عدد من المجموعات الاشتراكية المعادية للصهيونية وصحافيين اسرائيليين . وغالبية هؤلاء ٥ ــ ٨٪ هم يساريون وعدد صغير منهم فقط ناشط سياسيا .

٨ ــ موسى هس ، **روما والقدس** صادر سنة ١٨٦٢ . كما نشر ليو بنسكر كتاب **التحرر الذاتي** سنة ١٨٨٢ . والكتابان من معالم الفكر الصهيوني ، وربما كان « مؤسس الصهيونية » تيودور هرتزل لم يطلع عليهما على ما يبدو عندما نشر كتابه **دولة اليهود والارض القديمة ــ الارض الجديدة** في ١٨٩٥ و١٩٠٢ على التوالي .

٩ ــ الحاخام اهارون كاتسينيلبوجن هو الزعيم الروحي لطائفة نتوري كارتا في القدس . مقابلة اجريت في آب ١٩٧٥ .

١٠ ــ لاكير ، المصدر السابق ، ص ٤٠٧ . أنظر أيضا : ايسيدور ايبشتاين ، **اليهودية** الصادر في بريطانيا سنة ١٩٥٩ ص ٢٩٥ . وقد اسس الحاخام هيرش الاورثوذكسية الجديدة وهي حركة صهيونية انفصالية معارضة لليهودية الاصلاحية .

١١ ــ تايلر ، المصدر السابق ، ص ٧١ .

١٢ ــ لاكير ، المصدر السابق ، ص ٤٠٩ .

١٣ ــ الحاخام ليب ــ هيرش ، **يديعوت احرونوت** ١٩٧٥/٢/٢١ ، ص ٨ (الترجمة الانكليزية في **ايسرائيلفت** ، العدد ٥٧ أول آذار ١٩٧٥ ، ص ١١) .

١٤ ــ لاكير ، المصدر السابق ، ص ٤٠٧ و٤٠٩ . اغودات اسرائيل لا زال ناشطا في السياسة الاسرائيلية على الرغم من انه حزب صهيوني ديني .

١٥ ــ المصدر ذاته ، ص ٤١٠ . هذا هو دو هان الذي « استنكر الصهيونية بعنف في برقيات الى الصحف البريطانية وهاجم تصريح بلفور » . وبعد مقتله في ١٩٢٤/٦/٣٠ أصبح شهيدا بالنسبة لليهود الاورثوذكس المعادين للصهيونية في القدس .

١٦ ــ تعتبر نتوري كارتا ان من التجديف استخدام اللغة المقدسة للشؤون الدنيوية . وفي أوساط اليهود السفاردين المتدينين فان اللغة المتداولة يوميا هي اللادينو بينما يستخدم الاشكناز اليديش .

١٧ ــ مقابلة أجريت في آب ١٩٧٥ .

١٨ ــ بالنسبة الى العالم والفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون الذي عاش في القرون

الوسطى فان مبدأ الشريعة اليهودية تتألف من ٢٤٨ مبدأ ايجابيا و٣٦٥ مبدأ سلبيا . وتعتبر نتوري كارتا ان تحريم أكل لحم الخنزير هو تماما مثل تحريم الزنى والقتل .

١٩ — هذا الاستشهاد وما يليه مأخوذة من مقابلة أجريت مع كاتسينيلبوجن في آب ١٩٧٥ .

٢٠ — ليب — هيرش ، المصدر السابق .

٢١ — المصدر ذاته .

٢٢ — اريه بوبر (محرر) **اسرائيل الاخرى** ، صادر في نيويورك سنة ١٩٧٢ ، ص ٦ .

٢٣ — الاتحاد هو الاسم المعروف الذي أطلق على « الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيه وبولنده وروسيه » . وكان الاتحاد حزبا يهوديا اشتراكيا مستقلا منذ العام ١٩٠٧ حتى العام ١٩٤٨ . وأيد الاتحاد قومية يهودية في أوروبه الشرقية ولكنه رفض الهوية القومية اليهودية في العالم أجمع . وقام قاوم الاتحاديون الصهيونية ووقفوا في العام ١٩١٢ الى جانب المنشفيك ضد البلشفيك . انظر دائرة **المعارف اليهودية** (جودايكا) الصادرة في القدس سنة ١٩٧١ ، المجلد الرابع ، ص ١٥٠٢ .

٢٤ — ذهب بوروشوف الى الولايات المتحدة في العام ١٩١٤ حيث عمل مع الاشتراكية الصهيونية التي لخصت أهم أفكارها في مقالته « برنامجنا » في العام ١٩٠٦ . وقد توفي في العام ١٩١٧ في كييف . المصدر ذاته ، ص ١٢٠٤ . أنظر أيضا ناثان فاينستوك **الصهيونية ضد اسرائيل** الصادر في باريس سنة ١٩٦٩ ، ص ٢٧٢ — ٢٧٨ .

٢٥ — عن « برنامجنا » مقتبسة في بوبر ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

٢٦ — روبين افينوم (كامينر) . « اليسار الجديد في اسرائيل » ص ١ — ٣ . أنظر أيضا بوبر ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ — ١٥٨ ، فاينستوك ، المصدر السابق ، ص ٣٥٩ .

٢٧ — بوبر ، المصدر السابق ، ص ١٥٤ — ١٥٥ .

٢٨ — المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، « المبادىء الاساسية » ، المعاد طباعتها في **ايسرائيلفت** ، العدد ٧ ، ١٩٧٢/١٢/٦ ، ص ٢ .

٢٩ — افنيري ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ — ١٥٨ . وفي حديث معه في آب ١٩٧٥ كرر افنيري قوله بأنه يعتقد ان الصهيونية ايديولوجية ميتة . قال : « كانت الصهيونية تعني جمع المنفيين . ولكن الناس لا يأتون الى هنا » . أنظر فاينستوك ، المصدر السابق ، ص ٣٦٤ .

٣٠ — موشيه ماخوفر انفصل عن ماكي في العام ١٩٦٢ وذلك قبل سنوات ثلاث من الانقسام الرئيسي في الحزب الشيوعي الاسرائيلي الى ماكي (الاسم الاصلي) وراكح . ثم شكل المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية التي أصبحت معروفة باسم ماتسبن ، وهو اسم النشرة التي تصدرها المنظمة اسبوعيا .

ويعيش ماخوفر الآن في لندن . أنظر افينوم ، المصدر السابق ، ص ٤ — ٥ . أنظر أيضا جون ك. كولي ، **آذار الاخضر ، أيلول الاسود** الصادر في لندن عام ١٩٧٣ ، ص ٢١١ .

٣١ — مقابلة أجريت في آب ١٩٧٥ .

٣٢ — المصدر ذاته .

٣٣ — المصدر ذاته .

٣٤ — المصدر ذاته .

٣٥ — فاينستوك ، المصدر السابق ، ص ٣١٣ .

٣٦ — افنيري ، المصدر السابق ، ص ١٦١ . أنظر دورون روزنبلم ، « ماذا حدث لحركات الشباب » ، **هآرتس** ١٩٧٥/٧/١٨ حول تشرب الصهيونية . أنظر أيضا شلومو فرنكيل : « وماذا ؟ » وهي المقالة التي أعيدت طباعتها بالانكليزية في كتاب عدنان العمد (محرر) ، **الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية** الصادر عن مركز الابحاث في بيروت سنة ١٩٧٥ ، ص ١٦١ — ١٦٢ . ومقالة فرنكيل مثل صاعق على الكتابات العنصرية المعادية للعرب التي يجري تداولها علنا في الجامعات الاسرائيلية .

٣٧ ــ مقابلة أجريت في آب ١٩٧٥ .

٣٨ ــ أضاف شيمش : « لم يكن هناك أي درجة عالية من العداء للسامية في البلدان العربية . **ايسرائيلفت** ، العدد السادس ١٩٧٢/١١/٢٠ ، ص ٧ .

٣٩ ــ غيقين وأبو طبول ومحمد أسماء تمثل اليهودي الروسي واليهودي شمال الافريقي والفلسطيني العربي على التوالي . بوبر ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .

٤٠ ــ المصدر ذاته ، ص ١١ (التأكيد في الاصل) . أنظر مكسيم رودنسون ، **اسرائيل : دولة استعمارية استيطانية ؟** الصادر في نيويورك في العام ١٩٧٣ . وتجدر الاشارة ان عدد اليد العاملة العربية الرخيصة بعد حرب ١٩٦٧ بلغ في اسرائيل مئة ألف عامل في الصناعة والزراعة .

٤١ ــ مقابلة أجريت في آب ١٩٧٥ .

٤٢ ــ نقلا من تايلر ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ . احاد هاعام هو الاسم السري المستخدم في الكتابة لرجل الاعمال آشر غنزبيرغ . أنظر نفيل بربور ، **نيسي دومينوس** الصادر بالانكليزية عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت سنة ١٩٦٩ ، وخاصة الصفحات ١١٣ ــ ١٣١ للاطلاع على نظرة عن الاستيطان اليهودي الصهيوني واللاصهيوني في فلسطين قبل الانتداب وخلاله .

٤٣ ــ بوبر ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

٤٤ ــ المصدر ذاته ، ص ١١ .

٤٥ ــ مقابلة أجريت في آب ١٩٧٥ .

٤٦ ــ انظر تيرنس سميث ، « اسرائيل تخطط لتنمية هائلة في الجليل » ، **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٥/١١/٨ .

٤٧ ــ افنيري ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .

٤٨ ــ بوبر ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

٤٩ ــ هناك دليل كبير على هذا في التصريحات الصهيونية . وقد قال موشيه دايان على سبيل المثال لجمهور أميركي من المستمعين في جامعة كاليفورنيه في لوس انجيليس في آذار ١٩٧٥ ، ان اسرائيل القوية هي أمل اميركه الوحيد في منع التغلغل السوفياتي في الشرق الاوسط وثروته النفطية .

٥٠ ــ الحلف الشيوعي الثوري ، « المسألة الفلسطينية ومهماتنا الراهنة » ، القدس ، في آذار ١٩٧٤ ، ص ٣ .

٥١ ــ بوبر ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

٥٢ ــ المصدر ذاته ، ص ٨ ــ ١٠ .

٥٣ ــ أنظر اريك مارسدن (More And More Quit Fortress Israel) **هنداي تايمز** ١٩٧٥/١٠/٤ .

٥٤ ــ بقابلة أجريت في آب ١٩٧٥ .

٥٥ ــ المصدر ذاته .

٥٦ ــ مقابلات أجريت في آب ١٩٧٥ . أنظر أيضا كولي ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

٥٧ ــ **ايسرائيلفت** ، العدد الثامن ، ١٩٧٢/١٢/٢٥ ، ص ٩ . حكم يوسف كوهين بالسجن ٣٥ يوما لرفضه الخدمة في المناطق المحتلة . **معاريف** ، ١٩٧٣/٤/٩ .

٥٨ ــ **ايسرائيلفت** ، العدد الثالث ، ١٩٧٢/٩/٢٧ ، ص ٣ .

٥٩ ــ أفينوم ، المصدر السابق ، ص ٣ .

٦٠ ــ المصدر ذاته ، ص ٤ ــ ٥ و١٢ . ومقابلات أجريت في آب ١٩٧٥ .

٦١ ــ أنظر على سبيل المثال **هآرتس** ١٩٧٣/٦/٧ حول المظاهرات المشتركة « ضد الغزو » في ١٩٧٣/٦/٤ . وجدير بالملاحظة ان سياح كانت أكثر نشاطا في التظاهر والدعاية في المناطق المحتلة بما في ذلك احداث أدت ببعض الاعضاء الى السجن أكثر من أي مجموعات راديكالية أخرى معادية للصهيونية .

٦٢ ــ **ايسرائيلفت** ، العدد الحادي والخمسون ، ١٩٧٤/١٢/١ ، ص ٧ .

٦٣ — المصدر ذاته ، العدد الثالث والخمسون ، ١٩٧٥/١/١ ، ص ٢١ ، العدد الخامس والخمسون ، ١٩٧٥/٢/١ ، ص ٩ ، العدد السادس والخمسون ، ١٩٧٥/٢/١٥ ، ص ١١ . وفي هذه الاعداد الروايات الصحافية العبرية عن القضايا وتعليقات **ايسرالفت** عليها .

٦٤ — **مجلة الدراسات الفلسطينية** ، المجلد الثاني ، العدد الرابع ، صيف ١٩٧٣ ، ص ١٥٠ .

٦٥ — المصدر ذاته ، ص ١٢٨ .

٦٦ — **ايسرالفت** ، العدد الحادي عشر ، ١٩٧٣/١٢/١٥ ، ص ١٠ — ١١ .

٦٧ — **مجلة الدراسات الفلسطينية** ، المصدر ذاته .

٦٨ — انظر **ايسرالفت** ، العدد الثامن ، ١٩٧٢/١٢/٢٥ ، ص ١ — ٦ ، وذلك للحصول على ترجمة انكليزية للتقارير الصحافية العبرية خلال هذه الفترة .

٦٩ — مقابلة أجريت في آب ١٩٧٥ .

٧٠ — **معاريف** ، ١٩٧٢/١٢/١٠ ، ص ٣ .

٧١ — مقابلة أجريت في آب ١٩٧٥ .

٧٢ — نعوم تشومسكي ، **السلام في الشرق الاوسط** ، صادر في نيويورك ، سنة ١٩٧٤ ، ص ١٧٤ . أنظر أيضا تقرير لجنة العفو الدولية ١٩٧٣ — ١٩٧٤ ، ص ٧٢ . وقد خفض الحكم على ليفنه أخيرا الى أربع سنوات ولا زالت لجنة العفو تتابع التحقيق.

٧٣ — **ايسرالفت** ، العدد الرابع والخمسين ، ١٩٧٥/١/١٥ ، ص ٤ .

٧٤ — أنظر على سبيل المثال **يديعوت احرونوت** ١٩٧٢/١٢/٨ ، ص ١ .

٧٥ — بوبر ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ . هناك دليل على ان المؤسسة الاسرائيلية ترفض فورا فكرة القومية الاسرائيلية . أنظر الحاشية ٨١ .

٧٦ — أنظر تعليقات الصحافة الاسرائيلية حول معالوت في **ايسرالفت** ، العدد الحادي والاربعين ، ١٩٧٤/٦/١ ، ص ١٧٩ . انظر ايضا بيان الحلف الشيوعي الثوري ، الذي أعيد نشره في **ايسرالفست** ، العدد الثاني والاربعين ١٩٧٤/٦/١٥ ، ص ٩ — ١٠ .

٧٧ — الحلف الشيوعي الثوري ، المصدر السابق ، ص ٢٣ — ٢٥ . وتؤيد المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية أيضا الانسحاب الفوري من جميع الاراضي التي احتلت في العام ١٩٦٧ .

٧٨ — بوبر ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

٧٩ — الدكتور اسرائيل شاحاك . هذا الاستشهاد والسنة التي تليه منقولة عن شاحاك ويادليتسكي صرحا بهما في مقابلات أجريت معهما في القدس في آب ١٩٧٥ .

٨٠ — وقعت مجزرة كفر قاسم في ١٩٥٦/١٠/٢٩ حيث اعلموا بمنع التجول قبل نصف ساعة فقط من موعد تنفيذه وهو الساعة الخامسة حيث يبدأ الفلاحون بالعودة الى بيوتهم علما ان من الصعب الاتصال بهم من قبل المختار في نصف ساعة .

٨١ — كان هذا هو رأي المحكمة العليا الاسرائيلية في قضية البروفسور جورج تامارين في العام ١٩٦٩ . فقد رفضت المحكمة السماح له بتغيير قوميته من « يهودي » الى « اسرائيلي » على بطاقة هويته .

٨٢ — نقلا عن تايلر ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

٨٣ — لاكير ، المصدر السابق ، ص ٢٥٣ و٤٣٥ . ولاكير نفسه يتهم روزا لوكسمبورغ بكره الذات .

٨٤ — المصدر ذاته ، ص ٢٦٥ . تايلر ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

٨٥ — تشومسكي ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

٨٦ — صبري جريس ، **الحريات الديمقراطية في اسرائيل** ، الطبعة الانكليزية الصادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت سنة ١٩٧٢ ، ص ٩٣ .

٨٧ ــ يوري دايفز ، « رحلة خارج الصهيونية » ، **مجلة الدراسات الفلسطينية** ، المجلد الاول ، العدد الرابع ، صيف العام ١٩٧٢ ، ص ٧٠ .

٨٨ ــ مقابلة أجريت في آب ١٩٧٥ .

٨٩ ــ أموس كينان « Between Gaza And TEL AVIV , De Facto, We Already Live In a Bi - National State »

في كتاب غاري في. سميث (محرر) ، **الصهيونية : الحلم والحقيقة** الصادر في لندن سنة ١٩٧٤ ، ص ١٨٦ .

٩٠ ــ **هآرتس** ، ١٩٧٠/٤/١٩ ، نقلا عن بوبر ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

٩١ ــ **هاعولام هازيه** ، ١٩٧٠/٥/٢٠ ، نقلا عن المصدر ذاته .

٩٢ ــ هذا الاستشهاد والذي يليه من مقابلة أجريت في آب ١٩٧٥ .

٩٣ ــ العمد ، المصدر ذاته ، ص ٦٤ .

٩٤ ــ كولي ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

٩٥ ــ العمد (محرر) ، **الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية** ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .

٩٦ ــ يقوم هذا الحكم على أساس عدد من الاحاديث مع فلسطينيين عرب في اسرائيل والمناطق المحتلة أجريت منذ العام ١٩٧٢ .

٩٧ ــ العمد ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

تقننة المقاتل الفلسطيني

طارق الصواف

التقدم التقني في الكيان الصهيوني موضوع تناولته أبحاث ودراسات كثيرة مستفيضة أبرزت من خلالها وجه التفوق التقني الاسرائيلي بالمقارنة مع المستوى التقني المتخلف للعالم العربي . غير أن هذه الموضوعة تتناول فقط ذلك الجانب الذي يبين الفارق الكبير بين المستوى التقني للمقاتل الاسرائيلي وبين المستوى التقني المتدني للمقاتل الفلسطيني مع بحث السبل الواجب سلوكها لردم الفجوة التقنية بينهمـــا أو لتقليل اتساعها على الاقل ، وذلك خدمة لمسيرة الثورة وهدف التحرير .

وقبيل الغوص في بحر هذا البحث الشائك علينا أولا تعريف الخلفية التقنية موضوع هذا البحث مع توضيح الفارق الكبير بينها وبين التدريب القتالي واستيعاب السلاح ، لأن الامر يلتبس على الكثير من الخاصة والعـــامة نظرا لوجود مفاهيم خاطئة لديهم تخلط بين الخلفية التقنية والتدريب العسكري واستعمال السلاح . ومع ان الخلفية التقنية الضرورية للدول الصناعية واضحة المفهوم عموما ، الا ان المستويات القيادية في الشعب الفلسطيني ما تزال بحاجة الى تفهم عميق ودقيق لمفهوم « الخلفية التقنية » لأن بيد هذه المستويات القيادية وضع المخططات القادرة على خلق واقع جديد في هذا المجال ، بدل الخلط القائم حاليـــا ، والذي يعتبر التدريب العسكري العادي للمقاتل الفلسطيني هو البديل للخلفية التقنية ، أو هو الخلفية التقنية عينها .

نقصد بالخلفية التقنية في هذا البحث ، ذلك القدر الكبير من المهارة والكفاءة المتمثلة في القدرة على استنباط الادوات وتطويرها ، وتلك المعرفة المبنية على مبادىء ونظريات علمية سليمة ، والمكتسبة من مجمل النشاطات اليومية من خلال الآتي : أ) الهوايات والممارسات العملية اليدوية للوالدين والكبار لدى انجاز المتطلبات العملية الضرورية في المنزل كالنجارة والحدادة والطلاء واصلاح السيارة الخ .. ، ب) التعليم المهني في المدرسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، ج) النشاطات العلمية ــ العملية في الجمعيات والاندية العلمية ، د) العمل اليومـــي في المصنع ، هـ) العمـــل في المختبرات ومراكز الابحاث . ان جميع هذه الخبرات التقنية هي خبرات غير عسكرية ولا تمت الى التدريب والقتالية العسكرية بأية صلة مباشرة ، وهي ما ندعوها بالخلفية التقنية . ان هـــذه الخلفية هي عبارة عن خبرات عملية يكتسبها المقاتل من خلال الممارسة المتواصلة في الحقول المهنية المختلفـــة ومن الضروري جدا أن يمتلكها المقاتل الفلسطيني الآن في مستوياتها البسيطة والمتوسطة ، قبل أو خلال مراحل تدريبه العسكري كي يتمكن مقاتل الثورة من مقارعة المقاتل الاسرائيلي والتغلب عليه .

نبتدىء أولا ببحث أسباب وظروف التفوق التقني لدى المقاتل الاسرائيلي فنجد أن

الكثير من الجنود الاسرائيليين هم من المهاجرين الذين حملوا معهم تقنيات أوروبا وأميركا ، بينما لا تتوفر مثل هذه الخبرات للمقاتل الفلسطيني نظرا لعدم تمرسه بتقنية متقدمة من ذات الحجم والمستوى . كذلك ، فان اتساع القاعدة الصناعية ـ الزراعية الممكنة في الكيان الصهيوني يجعلها تستوعب نشاطات الغالبية العظمى من الجنود الاسرائيليين في أوقات السلم فتساهم دون ريب في تطوير القدرات التقنية المختلفة للمقاتل الاسرائيلي . وفي المقابل ، لا تتوفر للمقاتل الفلسطيني مثل هذه القاعدة الصناعية ـ الزراعية ولا حتى دونها بمراتب نظرا لفقدان الارض الفلسطينية التي يمكن أن تقوم عليها مثل هذه القاعدة ، ونظرا لفقدان التوجه الى هذه القاعدة في الوطن العربي أو في خارجه .

اضافة الى هذا ، تقدم المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لجنودها التخصص التقني الحربي من خلال برامج التدريب المتواصلة والمتطورة ، فيضيف ذلك الى المستوى التقني للمقاتل الاسرائيلي قدرا كبيرا من المعرفة والخبرة والقدرة . وفي الجهة الاخرى لا يتوفر مثل هذا التخصص التقني الحربي للمقاتل الفلسطيني لكونه لا ينال الا القدر المحدود من التدريب العسكري دني المستوى النقني المتواضع .

جذور مشكلة التخلف التقني الفلسطيني

كانت فلسطين في العهد العثماني مجتمعا زراعيا متخلفا ، وعندما حل الانتداب البريطاني ، لم يتح للشعب الفلسطيني فرص التعرف على العلوم التطبيقية (التكنولوجيا) وذلك بتوجيه من مخططاته الاستعمارية التي كانت تمهد الطريق لتسهيل تسليم فلسطين لقمة سائغة للصهيونية العالمية . وبعد النكبة عام ١٩٤٨ بدأ الكفاح اليومي الفلسطيني من أجل لقمة العيش بعد أن حرم على مجموعات الشعب الفلسطيني التي أبعدت عن أرض الوطن جميع مقومات كسب العيش الرغيد . اذ فقد هؤلاء معظم الارض وكامل رأس المال واتجهوا بأنظارهم الى الحكومات العربية على أمل أن تسترجع لهم فلسطين . لكن الانتظار طال ومرت الشهور وبعدها السنوات ، ولم يتحقق شيء من وعود الحكومات العربية باسترجاع فلسطين ... وفي أثناء رحلة الشتات خارج الوطن لم يجد الفلسطيني أفضل من العلم وسيلة لتحصيل قوت يومه والاستعداد لتحرير فلسطين .

كان طلب العلم في البداية عشوائيا دونما تخطيط مسبق نظرا لافتقاد الشعب الفلسطيني الى قيادة سياسية قادرة على توجيه العلم الوجهة العملية الفضلى . وكانت نتيجة السنوات العشرين الاولى التي أعقبت النكبة ارتفاع هائل في اعداد المتعلمين الجامعيين من الفلسطينيين مع اهمال مطبق للتعليم التقني بكل فروعه . وقد غطت هذه الظاهرة للمنهج التعليمي ليس فقط الشباب الفلسطيني بل شملت معظم الاقطار العربية . وانعكست آثار هذا الترف التعليمي على الاقتصاد القومي في الوطن العربي وعلى الأخص قطاعي الصناعة والزراعة الممكنة فتركتهما في حالة مزرية من التخلف . كما أن ذلك انعكس بالتالي على القدرة العسكرية للوطن العربي . أما الشعب الفلسطيني الذي افتقد معظم الارض ، فقد كان معفيا من الآثار المباشرة للعلم العالي النظري المفرط الضرر للوطن العربي .

بعد قيام الثورة عام ١٩٦٥ ، بدأت تظهر تدريجيا مضار الاسترسال في متابعة التعليم العالي النظري للشعب الفلسطيني . فالثورة تواجه الآن عدوا شرسا ومتقدما تقنيا بينما المقاتل الفلسطيني الذي يشكل العامود الفقري للثورة يتخلف تقنيا عن عدوه

بمراحل . ولم تتنبه قيادة الثورة حتى الآن ، على ما يبدو ، الى هذا الفارق الكبير في التخلف ، معتقدة ان التعليم الجامعي الذي ناله الفرد الفلسطيني هو البديل او الرديف للتقنية الفلسطينية المفتقدة . ان هـذا الاعتقاد خاطىء جملـة وتفصيلا ، لأن التعليم الجامعي النظري لن يفيد في شيء لمواجهة تقنية المقاتل الاسرائيلي المتفوقة .

أما أسباب الابتعاد الفلسطيني عن امتلاك الخلفية التقنية فهي مختلفة ومتعددة منها :

أولا : عدم توفر الأرضية الصناعية في الوطن العربي والتي يمكن ان تتولى تخريج الكوادر التقنية الفلسطينية على مختلف المستويات بدءاً من الباحث في المختبر والذي يكون عادة في اعلى الهرم ونزولا الـى اقل العمال مهارة في هـذه القاعدة الهرمية . فالصناعة ، والزراعة المكنتان الى حد بسيط ، هما الوسيلتان الوحيدتان لخلق الخلفية التقنية لدى الكوادر المتخلفة المتنوعة ، وكانتا ولا زالتا متخلفتين الى حد متدني ينتفي معها اي وجود عملي لهما في معظم الاقطار العربية . لهذا لم يكن من السهل تخريج الكوادر التقنية . وفي مقابل ذلك حصلت محاولات هزيلة وسقيمة من خـلال التعليم المهني في معاهد ومدارس رديئة البرامج والمستوى والنتائج أمثال معاهد وكالة غوث اللاجئين للتعليم المهني وغيرها .

هنا يجب لفت نظر الكثير من قياديي الثورة الفلسطينية ومن قياديي الوطن العربي الى استحالة الحصول على التعليم التقني من خلال المعاهد العليا والجامعات فقط . فالتقنية تكتسب من خلال الممارسة اليومية أثناء العمل في المصانع ومراكز الابحاث لتطبيق النظريات والعلوم التي تدرس في تلك المعاهد والجامعات والحصول من ثم على « انتـاج صلـب » HARD - WARE ذي فائدة عمليـة في حياتنـا اليومية . امـا في الجامعـات فتكتسب فقـط العلـوم النظريـة ولا تكتسب التقنيـات اطلاقا . هذا مـا يجب أن يعيـه قـادة الثورة الفلسطينية وبقيـة قـادة الوطن العربـي . فكـم هنـاك من حملـة الشهادات العاليـة في العلـوم والرياضيات والهندسة وغيرها من التخصصات ممن لا يستطيعون صنع او تطوير اي جهاز عسكري تفيد منه الثورة . كم هناك من يحمل شهادة دكتوراة في فيزياء البصريات ولا يستطيع مثلا ، صنع منظار ليلي يعمل على أساس نظرية « تكبير الضوء المنبعث من النجوم للـ IMAGE INTENSIFIER » وهو جهاز يحتاجه المقاتل الفلسطيني بشكل ملـح في قتاله الليلي مع العدو . وكم من مهندس وحامل دكتوراه في الهندسة الميكانيكية ممن لا يستطيع اقامة مصنع صغير لانتاج الاسلحة الشعبية المفيدة في حرب الشعب التي يفيد منها المقاتل الفلسطيني في صراعه الراهن مع العدو الاسرائيلي .

لكل ما ذكرنا من تخلف في الصناعـة والزراعة في الوطن العربي وطغيان التعليم النظري المجرد ، تبقى الخلفية التقنية للمقاتل الفلسطيني متخلفة الى هذا الحد .

ثانيا : النظرة الاجتماعية في اوساط الشعب الفلسطيني (والعربي) التي تحارب اي توجه حقيقي نحو التقننة وهي مشكلة موروثة في كافة أنحاء الوطن العربي ، اذ يعتبر العمل اليدوي قذرا ومهينا ، لذا يتجـه الشباب الطموح الـى التعليم النظري المجرد كالعلوم والآداب وادارة الاعمـال والصيدلة والطب والهندسـة وكلها بالتالي كفاءات تصب في حقل الخدمات كالتعليم والانشاءات والتجارة والصحة العامة وتبتعد كل البعد عن التقننة والعلوم المطبقـة ، بدل اتجاهه الـى اكتساب الخبرات التقنية التطبيقية .

ثالثا : افتقاد القيادة السياسية المخططة لتقننة الشباب الفلسطيني وبالتالي تقننة المقاتل الفلسطيني . وهنا لا بد لي من أن اشير في هـذا الصدد الـى الدور المقصر للمؤسسات الفلسطينيـة المتخصصة في منظمـة التحرير الفلسطينية ، وفي المراكز القيادية الاخرى الموجهـة في الثورة ، فنرى ان الاهتمامات بالتقننة تتراوح بين عدم التأييد المطلق لهذا التوجه وبين المعاضدة المرحلية في بعض المناسبات والاحداث فقط .

رابعا : وأد التراث التقني للشعب العربي (ومن ضمنه الشعب الفلسطيني) خلال عهود الانحطاط المختلفة . ان الظروف التاريخية التي مرت على الشعب العربي بدءا من عهود المماليك مرورا بغزوات التتر فالحكم العثماني ، أحدثت انقطاعا تاريخيا في تراث الشعب العربي والفلسطيني من الناحية التقنية (الى جانب الانقطاع في النواحي الحضارية الاخرى) . مثلا صناعة الفولاذ كانت موجودة في دمشق منذ قبل الف سنة ولا زلنا نتغنى بها حتى يومنا هذا . ومثال حي على ذلك السيوف الدمشقية الشهيرة المصنوعة من الفولاذ الممتاز ، فقد صنعها أجدادنا منذ أكثر من الف سنة واستعملوها في حروبهم وانتصاراتهم المجيدة . وعلى رغم ذلك نرى وللأسف الشديد ان العديد من الكليات الحربية في بعض الدول العربية تستورد في أيامنـا هذه سيوف خريجيها من الضباط من دول أوروبا وأميركا . كذلك الحال مع العديد مـن الصناعات الكيماوية والمعدنية الاخرى وهي صناعات مارسها أجدادنا في حقبات التاريخ الغابر .

ان وأد التراث التقني العربي خلال عهود الانحطاط أقام بين الشعب العربي ومن ضمنه الشعب الفلسطيني ، وبين تاريخه الحضاري التقني جدارا من الجهل وعدم الثقة بالنفس ، فترك الجميع خبراتهم التقنية واتجهوا الى النظريات العلمية البعيدة كل البعد عن حاجات شعبنا العملية في يومنا هذا . ان انقطاع ذلك الرابط الروحي مع التراث أوصلنا اليوم الى واقعنا المتطرف في التنظير والعلوم غير التطبيقية .

حاجة المقاتل الفلسطيني الى خلفية تقنية أفضل

ازاء الفارق الكبـير في المستوى التقنـي بين المقاتـل الفلسطيني وعدوه المقاتل الاسرائيلي ، تحاول الثورة الفلسطينية من خلال مقاتليها ردم هذه الهوة الكبيرة . لكن البعض يرى أن الوسائل المتبعة لتحقيق ذلك لا تكفـي ، ذلك ان الفارق التقني بين المقاتل الفلسطيني والمقاتل الاسرائيلي لا زال كبيرا ، وطبعا يرى البعض أن الجهود المبذولة حاليا لا تؤدي الى نتيجة ايجابية في المدى القصير ، خاصة وان جانبا منها يركز على البطولات الاسطورية وهي كما يراها هذا الفريق لا تحقق الانتصار الحاسم في معركة التحرير الدائرة الآن .

ولنأخذ شعب فيتنام مثلا على ذلـك . ان هذا الشعب لم يستطع مقاومة الآلـة الحربية المتقدمة والمتطورة جدا بالبطولات والملاحم وحدها . وهنا يجب التوضيح ان التقنية السوفييتية بأكملها (باستثناء الاسلحة الذرية والطيران) كانت وراء شعب فيتنام في انتصاره المظفر . وعلـى سبيل المثـال لا الحصر استعمل الفيتناميون صواريخ (سام ٧) المقاومة للطائرات منذ ما قبل عام ١٩٦٨ وكانت هذه الصواريخ قد تم انتاجها حديثا . كمـا وان صواريخ (سام ٢) كانت بالمرصاد لغـارات القاذفات الاميركية « ب ٥٢ » فعملت هذه على اسقاط العشرات منهـا . كذلك اعتمد الفيتناميون ، في مقاومة الحرب الكيمائية على أرفع مستويات التقنية السوفياتية وهناك العشرات من

الشواهد والأدلة الاخرى التي تثبت بدون أدنى شك وقوف التقنية السوفييتية بأكملها وراء النجاحات الباهرة التي حققتها الثورة الفيتنامية .

نفهم مما أوردناه ان ثورة فيتنام لم تنتصر فقط بالبطولات بل وبالدعم التقني المتقدم من قبل الاتحاد السوفييتي . بينما نرى المقاتل الفلسطيني لا زال مكشوف الظهر تقنيا ويخوض كفاحه ونضاله دون أي دعم يذكر من قبل الدول العربية والصديقة الاخرى . فهو يفتقد الى القدر الكافي من الخلفية التقنية المطلوبة . وقبل البحث في وسائل تخطي عقبة التخلف التقني علينا توضيح حاجة المقاتل الفلسطيني الحقيقية لمثل هذه الخلفية .

خلال المرحلة النضالية الراهنة لا يحتاج المقاتل الفلسطيني في الواقع الى خلفية تقنية بالغة التطور والتعقيد نظرا لعدم امتلاك الثورة الفلسطينية للآلة الحربية المعقدة التي يمكن ان تتطلب مثل هذه الخلفية المتطورة . فالمقاتل الفلسطيني ليس بحاجة لأن يكون الآن على نفس المستوى التقني للمقاتل الاسرائيلي الذي يمتلك تلك الآلة الحربية البالغة التعقيد . انه بحاجة الآن الى خلفية تقنية متوسطة المستوى تؤهله حاليا لاستخدام الأسلحة المتوفرة والتي يمكن توفرها في المستقبل القريب الى جانب استخدامه أسلحة حرب الشعب التقليدية البسيطة . انه بحاجة لامتلاك الحد الادنى من هذه الخلفية كي يستطيع أن يتعامل بفعالية تامة مع وسائله وظروفه القتالية الحالية أو المستقبلية في المدى القريب والأبعد . كذلك انه بحاجة الى مستوى من التقنية تؤهلـه للتعامل مع أسلحة العدو الفردية والجماعية القليلة التعقيد كي يستطيع استعمالها حين يغنمها خلال معاركه مع العدو .

ان الخلفية التقنية الحالية للمقاتل الفلسطيني لا زالت أبعد ما تكون عن المستوى المطلوب . ولنأخذ مثلا كيفيـة تعامل المقاتل مـع اسلحته المقاومة للدروع من نوع (أر. بي. جي—٧) ، وهي من الاسلحة الرئيسية في الصراع ، فنجد التردي المريع في قدرته على استعمال هذا السلاح . أما الانتصارات التي حققها باستعماله هذا السلاح في معارك المواجهة مع آليات العدو والنظام الاردني فلم تكن بفعل استخدامه الجيد لهذا السلاح المقـاوم للدروع بقدر مـا كانت بفعل طبيعـة أرض المعركـة (داخل المدن) والاعداد الكبيرة التي توفرت من هذا السلاح وكلها زادت من كفـاءة السلاح ونتيجة المـلاحم والبطولات الأسطورية الفدائية التـي تحققت بالدماء والتضحيات الغالية . ففي معارك جرش والأحراش واجه المقاتل دبابات النظام على مسافة أقل من عشرة أمتار معرضا نفسه لخطر اصابته بشظايا سلاحه وهو لا يدري ان استعمال الأر. بي. جي ٧ على هذه الصورة هو الخطأ بعينه . فقد كانت قذائفه تتساقط على دبابات وآليات النظام دون أن تنفجر ودون أن تسبب لها أي أذى . فنجم عـن ذلك ردات الفعل النفسية المذهلة .

ولو توفرت لهذا المقاتل في تلك الحقبـة الخلفية التقنيـة المناسبة ، وفهم مسبقا ميكانيكية سلاحه ، بالعمق والقدر الوافيين ، لارتد بضعـة أمتار الـى الوراء لتكون المسافة بينه وبين الهدف لا تقل عن تسعة عشر مترا (وهي المسافة الدنيا التي يمكن للقذيفة ان تنفجر بعدهـا) ولدمرت قذائفه أهدافهـا ولأثمرت تضحياتـه وبطولاته اللامتناهية .

الى جانب استيعاب المقاتل لسلاحه وسلاح عدوه من خلال خلفية تقنية مناسبة ، هناك ضرورات أخرى تحتم وجود مثل هذه الخلفية لديـه منها صيانة السلاح على أسس علمية صحيحة . ان صيانة السلاح والعتاد من قبل المقاتل لأمر في غاية الاهمية

على الاخص بالنسبة لواقع الثورة الفلسطينية ومعاركها الدائرة على امتداد الوطن المحتل وخارجه .

مثلا ، لنأخذ تخزين السلاح والعتاد فهو من لا يتم بالطرق العلمية الصحيحة ، لأن التخزين الجيد هو اولى الخطوات نحو المحافظة على ميزات وخصائص السلاح والعتاد . والواقع أن مقاتلي الثورة لا ينتبهون الى أهمية هذا الموضوع . فالرطوبة والأملاح والاوساخ المختلفة هي من الد أعداء السلاح والعتاد ، وما الصدأ والتآكل وضعف أو فشل المواد المشتعلة والمتفجرة الا نتيجة تعرض الاسلحة والاعتدة الى مثل هذه الظروف المناخية غير الملائمة . فلو توفرت الخلفية التقنية الجيدة لدى المقاتل لفهم مبكرا الاضرار التي تلحق بسلاحه وعتاده نتيجة تعرضها لهذه الظروف المناخية السيئة . ولو كان يعرف كيف تتفاعل الرطوبة والاملاح والاوساخ مع الفولاذ والبارود والنحاس الاصفر لاهتم اكثر واكثر بالتعليمات العسكرية التي تعطى له من قبل قادته ومدربيه حول تخزين السلاح والعتاد وعمل على تنفيذها بدقة فيحفظ بذلك سلاحه وعتاده بصورة جيدة .

هناك ايضا الظروف الميكانيكية السيئة التي تتعرض لها كل من الاسلحة والاعتدة نتيجة الاستعمال الخاطىء أثناء المعارك أو التمارين . ان أكثر هذه الظروف الميكانيكية الخاطئة التي تتعرض لها الاسلحة والاعتدة الحربية تؤدي مع مرور الوقت الى تلف السلاح جزئيا أو كليا . فان تعريض الاسلحة والاعتدة الى الضغوط والاوزان الكبيرة المختلفة يسبب التوائها وحدوث تغيير في احجامها ومقاساتها مما يجعلها غير صالحة للاستعمال بعد مدة . وكم من حوادث خطيرة اودت بارواح عدد من المقاتلين ونجمت عن الجهل المطبق لابسط القواعد الفيزيائية ــ الميكانيكية التي تؤثر على عمل السلاح وعتاده ، ويرجع السبب فيها الى افتقار المقاتل للذهنية العلمية ــ العملية او بعبارة اخرى للخلفية التقنية المطلوبة .

ناحية أخرى هامة تستوجب الاهتمام الجاد الكامل من قبل الاجهزة المسؤولة في قيادة الثورة هي مسألة اصلاح السلاح خلال المعارك أو التمارين . فالجندي الاسرائيلي الذي يتولى قيادة دبابة ، يستطيع اصلاح بعض الاعطال التي تطرأ على دبابته أثناء القتال وبهذا يعمل على عودتها للعمل فورا خلال احتدام المعركة ، بينما نجد المقاتل الفلسطيني الذي يرمي على مدفع من عيار ١٠٦ ملمتر غير المرتد ، لا يستطيع اصلاح بعض الاعطال التي تطرأ على مدفعه أثناء القتال . ففي معارك أيلول استعملت هذه المدافع لفترة زمنية غير معقولة . فحدث تآكل في بعض أجزائها نتيجة لارتفاع حرارتها في داخل الصبطانة والصعوبات التي كانت ترافق عملية اصلاحها ، وهو عامل كانت له نتائج سلبية على المعركة . ان كل ما كان مطلوبا من المقاتل هو قليل من الخلفية التقنية التي تمكنه من فك بعض البراغي والصواميل واستبدال الاجزاء المعطوبة بأخرى متوفرة ، تعود بعدها المدافع الى العمل من جديد وبسرعة ، فتتغير كفة المعركة الملتهبة لصالح الثورة .

كذلك هنالك ورش التصليح المركزية والميدانية المتنقلة ، وكلها تحتاج الى كوادر تكون خلفياتها التقنية مناسبة بحيث يتولى هؤلاء كافة الاصلاحات التي تشتمل على العمليات التي يكون لها علاقة بقطع الغيار غير المتوفرة لدى الثورة . اضافة الى ذلك هناك حاجة دائمة لتصنيع العديد من الاسلحة والاعتدة التي تحتاجها الثورة والتي تكون بحاجة ماسة اليها ولا يمكنها الحصول عليها من الخارج . ان المصانع الصغيرة التي أقامتها الثورة (ورد ذكرها في بحث التصنيع الحربي للثورة الفلسطينية الذي صدر

في جريدة الفاردیان البریطانیة عام ١٩٧١) أو تلك التي يمكن ان تقوم بها في المستقبل بهدف تصنيع الاسلحة الشعبية البسيطة ، أو تلك الاكثر تقدما ، تحتاج كلهـا الى الكوادر الفنية من ذوي الخلفيات التقنية التي تؤهلهم للقيام بمثل هذه المهام .

للأسباب السالفة الذكر ، يتعين على قيادة الثورة بحث الوسائل والسبل التي تمكن المقاتلين من زيادة خلفياتهم التقنية ورفعها الى المستويات المطلوبة في أقرب وقت ممكن للتغلب على كافة المشاكل التقنية التي تعترض سبيل الثورة ومقاتليها . ومن خلال هذه المنطلقات الموضوعية تعالج حاجات المقاتل التقنية في مرحلة ما قبل التحرير . أما على فرض ان الظروف والاوضاع أدت الى انحسار دور المقاتل الفلسطيني في المرحلة المقبلة لسبب أو لآخر ، كأن تقوم الجيوش العربية لوحدها بمهمـة التحرير ، فان اكتساب المقاتل الفلسطيني للخلفية التقنية من شأنه أن يحولـه بعد التحرير الى كفاءة تقنية تتضاعف قيمتها في مرحلة بناء دولة فلسطين المحررة .

التنظير التقني والقيادات الفلسطينية

وضع كثير من المنظرين في حقل التحديث التقني دراسات عديدة على أمل ردم الفجوة التقنية بين اسرائيل والشعب العربي . وكان أسوأ ما في الامر ان الغالبية العظمى من هؤلاء المنظرين هم ممن تنعدم لديهم الخبرة التقنية الحقيقية ، وكل ما انجزوا كان مجرد وضع تصورات نظرية محضة لحل مشاكل التقنية العربية ، ولكنهم كانوا دون معرفة حقيقية بهذه المشاكل بسبب عدم معايشتهم لها . والشيء المؤسف أن يلقى هؤلاء الآذان الصاغية من الحكام والمسؤولين العرب الذين باتوا يأخذون بآرائهم . ان كل ما يتمتع به هؤلاء هو شهاداتهم المدرسية وهي لا تكاد تكفي لنقل آرائهم وترجمتها علـى أرض الحقيقة والواقع ، لهذا لا يزال الوطن العربي تائها في مزالق هذه التنظيرات الضيقة دون الحصول على الحلول العملية لمشاكل التحديث التقني العربي . وكـان نصيب القيادة الفلسطينية بفصائلها المختلفة من هذا السيل العارم من التنظيرات الضيقة ، وافرا ، وانعكس ذلك على معظم المجالات التقنية داخل الحركـة الفدائية فأبقى ظهر المقاتل الفلسطيني مكشوفا من الناحية التقنية فلم تستطع كوادر المقاتلين الاستزادة من الخبرات التقنية المتوفرة ولو على نطاق محدود خـارج طوق حملة الشهادات ، وبقيت هذه الكوادر محتاجة لهذه الخبرات في قتالها اليومي مع العدو وبقيت المشاكل الناجمة عن افتقاد التقنية دون حلول .

نقصد من هذا النقد ، ضرورة اجراء تغيير جذري في منهجيـة القيادة الفلسطينية بالنسبـة للخلفيـة التقنيـة للمقاتل بشكل خـاص وللثورة الفلسطينيـة بشكـل عـام . ان حصول القيـادة الفلسطينيـة علـى جهـاز استشاري ـ تنفيذي كفوء يتمتع بمستوى عـال من الخبرة التقنية ـ العسكرية ، يساهم الى حد بعيد في شروط التوفيق بين التخطيط لرفع الكفاءة التقنية ـ القتالية للمقاتل وبين التخطيط لرفع المستوى العملياتي القتالي المتناسب تدريجيا مع تنامي تلك القدرة . هـذا من ناحية مرحلية آنية . أما على المدى البعيد ، فيترتب على القيادة السياسية الفلسطينية من خلال جهازها الاستشاري ـ التنفيذي المقترح ، التخطيط تقنيا للمدى البعيد على أساس معالجة جذور التخلف التقني للمقاتل الفلسطيني بشكل خاص وللشعب بشكل عام . وذلك يشمل بالضرورة نواحي حياتية متعددة للشعب الفلسطيني بأكمله في معظم مناطق تواجده الرئيسية .

ان من يتتبع مجمل نشاطات القيادة الفلسطينية في يومنا هذا ، يجد أنها منشغلة

باستمرار عن كل هذه التوجيهات المطروحة وذلك بفعل تسارع الاحداث السياسية والقتالية ولهذا يصعب عليها حتى الآن تخصيص قدر معقول من مجهوداتها لهذا الغرض . ومن الامور المزعجة هو تصور القيادة المسبق لهذه المسألة على أنها مشكلة لا يمكن ضبط ملامحها ومعاييرها ، أو اعطاء أحكام سديدة بشأنها . غير أن تلك التصورات ليست بالضرورة صائبة اذ انه يمكن وضع تصور لجميع خطوطها العريضة والتفصيلية دون اقتراف أخطاء كبيرة قاتلة .

حدود ومقاييس الخلفية التقنية المطلوبة

تعترض قيادة الثورة مشاكل يومية كثيرة من نوعيات مختلفة ، اذا ما أرجعناها الى اسبابها الاساسية ، نجد انها بأغلبيتها الساحقة تعود الى أسباب التخلف التقني للشعب الفلسطيني بشكل عام وللمقاتل بشكل خاص . وينجم عن هذه المشاكل عادة ، مشاكل وليدة جديدة قد تكوّن على المدى البعيد خطرا يهدد الروحية القتالية للثورة . ولنأخذ نموذجا من هذه المشاكل من نوع ذي تفاعل متسلسل ونجزئه الى عناصره الاساسية الصغيرة ، فنجد أن أسبابه تكمن عادة في النقص الكبير في الحدود الدنيا للخلفية التقنية لدى جميع أطراف هذا التسلسل . أما النموذج فسيكون مقتصرا أيضا على سلاح المقاتل المضاد للدروع من نوع (ار. بي. جي—٧) . اذ هناك حوادث كثيرة انفجر فيها هذا القاذف لدى استعماله وقتل الرامي أو ألحق به أذى عظيما . وبعد كل حادثة كانت الاخبار تنتشر عنها كانتشار النار في الهشيم وتأخذ الأقاويل طريقها الى السنة الخاصة والعامة من الناس . فهناك فلان يجزم أن « هذا السلاح الروسي » سيء ويجب ألا يستعمل بعد الآن . وهناك آخر من يعزو السبب الى القذائف السيئة التي تنفجر وتدمر القاذف والرامي معا . وغيره من يؤكد وجود جواسيس في الثورة يتلاعبون بالقذائف لتنفجر هكذا لدى استعمالها ، الى آخر هذه السلسلة الطويلة من الأقاويل والشائعات . ومنعا لهذه التقولات من أن تنتشر وتؤذي من خلال تداولها على هذا الشكل ، كانت تتألف مباشرة بعد كل حادثة لجان تحقيق للكشف عن ملابسات الحادث والظروف التي أحاطت به . ولشدة دهشة أعضاء هذه اللجان ، كانت أسباب الاعطال دائما بسيطة أو حتى تافهة ولكنها كانت كافية لاحداث الضرر الجسيم بالسلاح وبمن يستعمله . ومعظم الاسباب كانت ، برأي أعضاء هذه اللجان لا تعدو عن كونها نقصا في المعلومات المقدمة للمقاتل حول كيفية استعمال هذا السلاح ولم تكن اطلاقا بسبب أعطال في السلاح أو في عتاده . كان النقص ينحصر في فهم المقاتل استعمال السلاح أولا ، وفي الدرجة الثانية في فهم المقاتل للنظرية العلمية العملية لطبيعة السلاح . كانت العلة تبدأ في المدرّب اما لتقصيره وعجزه في ايصال تلك المعلومات الى المقاتل وترسيخها في ذهنه ، واما بسبب عدم استيعاب المدرب للسلاح ولطبيعة استعماله بالشكل الصحيح . أما الجانب الآخر من المشكلة فكان المقاتل نفسه ، فهو اما أنه لم يستطع استيعاب السلاح واما انه من النوع المهمل الذي لا يقيم وزنا لتلك التعليمات . وهذا الكلام عن النقص في التدريب واستيعاب السلاح واكتساب المعلومات لدى المدرب والمقاتل معا ، سليم وصحيح ، ولكن اذا عدنا الى الاسباب الحقيقية التي تكمن وراءه نجد أنه يعود الى النقص في الخلفية التقنية لكليهما معا . فلو توفرت لهما الخلفيات التقنية في حدودها الدنيا المطلوبة ، لاستطاعا استيعاب السلاح على الوجه السليم ، ولترسخت في ذهنهما هذه المعلومات بشكل سليم .

اذن العلة هي دائما في تلك الخلفية التقنية المتخلفة المستوى . والسؤال الذي يطرح

نفسه الآن هو ، ما هي حدود وملامح ومعايير هذه الخلفية المطلوبة لكل من المدرب والمقاتل ؟

ان الاجابة عن هذا التساؤل ليست من البساطة بالقدر الذي يسمح لنا باجابة مختصرة من خلال بضع كلمات و جمل . فالخلفية التقنية ليست مادة صلبة يمكن ضبط مقاييسها ومعاييرها وتعيين ملامحها وحدودها الدنيا والقصوى ببساطة او سهولة ، لأي مقاتل مهما كان وضعه التدريبي أو ثقافته العلمية . غير أنه من الممكن وضع قواعد وضوابط أساسية عامة لهذا التوجه ، تقضي **قاعدتها الاولى** دائما بتفضيل المستويات العليا من الخلفية التقنية ، ذلك لأن العمل خارج نطاق هذه المستويات يصبح ضارا بالمقاتل نفسه . أما **القاعدة الثانية** فتقول بأنه كلما تساوى الجانب التطبيقي مع الجانب العلمي النظري خلال اكتساب الخلفية التقنية كلما كانت هذه الخلفية أفضل وأجدى . على حين تؤكد **القاعدة الثالثة** افضلية اكتساب الخلفية التقنية من خلال عمليات تصنيعية من أنماط واختصاصات مختلفة . أما **القاعدة الرابعة** فتظهر أن الخلفية المكتسبة من خلال عمليات التصنيع الحربي هي خلفية أجدى وأرسخ وأبعد أثرا . كما تذكر **القاعدة الخامسة** انه اذا كانت الخلفية التقنية تصنيعية على نفس السلاح الذي يستعمله المقاتل تكون الخبرة أفضل نظرا لازدياد ثقة المقاتل بسلاحه الذي صنعه . وتذكر **القاعدة السادسة** أنه كلما كانت سنوات الخبرة اكثر وأطول كلما كانت الخلفية المكتسبة اكثر فائدة . هذه هي القواعد العامة الواجب وضعها في حسابات المسؤولين الذين يسعون الى تقنين المقاتل الفلسطيني . أما بالنسبة للمستويات التقنية وتحديدها فيمكن اتباع النهج التالي : **أولا ــ** على كل مقاتل أن يلتحق بدورة تدريبية تقنية (تطبيقية ونظرية) قبل أو خلال التحاقه بصفوف المقاتلين في الثورة . **ثانيا ــ** تحدد نوعية الاسلحة التي يستعملها المقاتل طبيعة التقنين المطلوبة وبالتالي تتقرر في ضوئها افضل الوسائل التقنية التدريبية الواجب اتباعها . **ثالثا ــ** تحدد سني التدريب التقني بالنسبة للمؤهلات العلمية وبالنسبة للتوجه التطبيقي لدى كل مقاتل على حدة ، وذلك من خلال انظمة متخصصة لفحص القابلية APTITUDE TESTS . **رابعا ــ** يخضع جميع المقاتلين لاختبارات تقنية دورية خلال فترات التدريب وتحدد قابلية الافراد تبعا لهذه الاختبارات . **خامسا ــ** تقارن نتائج المقاتل خلال فترة التدرب التقني مع نتائج تدريباته العسكرية السابقة والحالية ويقيم المقاتل تقنيا تبعا لهذا التقييم المزدوج .

ان جميع ما أسلفنا يقع ضمن احتياجات حرب الشعب ومستلزماتها ، والمستويات التقنية تحدد على أساس هذه الاحتياجات . غير أن هناك نظرة مستقبلية تستوجب البحث في مستويات تقنية متقدمة يجب ان تتوفر من أجل استيعاب أسلحة المستقبل . ان ثورة فيتنام بعد انتصارها ، لا زالت تنمو تقنيا كي تستوعب الاسلحة الأكثر تعقيدا . **مثلا** أصبح لثوار فيتنام الآن سلاح طيران وهذا يتطلب مثل هذا النمط المتقدم من التقنين . كما أصبح لديهم مصانع ستنمو وتتطور مما يتطلب أنماطا متطورة من الخلفيات التقنية . انهم يبنون مصانعهم الحربية وهذه تتطلب خلفيات تقنية جديدة . وهكذا الثورة الفلسطينية ، انها بحاجة لأنماط من التطور التقني ليس فقط من أجل مقاتليها الحاليين ولنجاحها في معاركها الحالية ، بل أيضا من أجل حاجات الثورة في المستقبل المنظور القريب والبعيد .

كيف نخلق الخلفية التقنية الضرورية للمقاتل الفلسطيني

ان أول ما ينبغي تأمينه للحصول على خلفية تقنية حسنة للمقاتل الفلسطيني هو وعي القيادة السياسية للثورة الفلسطينية ، لضرورة وأهمية تأمين هذه الخلفية للمقاتل

الحالي ولمن سيأتي بعده في المستقبل . فاذا حصل لدى القيادة مثل هذا القناعة والوعي وجب عليها ان تقدم الامكانات المادية والبشرية الضرورية للحصول على هذه الخلفية . كذلك فان ايمان القيادة بجدوى هذا التوجه أمر حيوي من المهم حصوله بشكل مسبق قبل البدء في عملية التقننة المرجوة ، والا سيكون العمل في هذا الاتجاه فورة عابرة لن تؤدي الى النتائج المرجوة . في حال توفر الوعي والايمان لدى القيادة يمكن عندئذ بدء العمل في هذا الحقل ضمن توجهين رئيسيين : **التوجه الاول** يهدف الى رفع مستوى تقننة المقاتل الفلسطيني الحالي مباشرة من خلال حلول واجراءات معينة ، بينما يهدف **التوجه الثاني** لتقننة الشباب الفلسطيني الذي سيفرز للثورة خلال السنوات العشرين القادمة المقاتلين والتقنيين الذين تحتاجهم في مسيرتها .

لنبدأ بتفصيل الشق الأول الهادف الى تقننة المقاتل الحالي ..

ان اول خطوة في هذا الاتجاه يجب أن تهدف الى اجراء مسح عام لحاجات المقاتل التقنية حسب ظروفه القتالية الحالية والمستقبلية ، في المدى القريب المنظور ومن ضمن مستوياته العلمية النظرية وكفاءاته الحالية . بعدئذ يمكن وضع منهاج تدريبي تقني — عسكري مبنـــي على جميـــع المعطيات السابقة والتـــي اهمها سلاح المقاتل الحالي والمستقبلي . ويقوم على وضع هذا المنهاج مجموعة مـــن الخبراء في حقول التقننة والتدريب والتخطيط العملياتي والتخطيط العسكري العام وغيرها من المؤسسات التي لها علاقة بموضوع تقننة الثورة .

ان القاعدة الأساسية في هذا التوجه هي اعتبار المصنع الحربي الانتاجي الوسيلة الاولى لاكساب المقاتل التقنية المطلوبة . وبهذه الوسيلة نضع المقاتل الفلسطيني في جو العمل المنتج والمبدع . فكل ما في المصنع هو حقائق ملموسة وهي بعكس المعهد المهني والصناعي حيث أن كل شيء تمثيلي ولا يصل الى جو الجدية والنتائج الملموسة في المصنع . لهذا ، ومنذ البداية ، يجب التخطيط لتوفير المصنع الحربي الذي سيستوعب المقاتل الفلسطيني لفترات زمنية تطول وتقصر حسب المعطيات المتغيرة العديدة التي سنأتي على ذكرها فيما بعد . ففي المصنع الحربي يجب ان يفسح المجال واسعا للمقاتل المتدرب كي يطلع على كافة تفصيليات العمليات الصناعية بدون التركيز على تخصص معين ، حتى يتسنى له الالمام الفعلي بشتى أنواع العمليات الماما واسعا .

ان من مزايا التقننة على هذا النحو خلق الثقة بالنفس لدى المقاتل فأي شك بصحة وصدق المعلومات التي تعطى له سيزول من خلال الممارسة اليومية في عمليات الانتاج التي يقوم بها . أضف الى ذلك ، ان اختبار الأدوات والاسلحة المنتجة في ظروف عملها العادية سيكون خير دليل على صحة الخبرة التي يحصدها المقاتل المتدرب . ومن المزايا الاخرى لهذا النمط من التدريب مساهمة المتدرب في توفير جزء كبير من الأيدي العاملة وبالتالي توفير في مصروفات ادارة هذه المصانع مما يجعل عمليـــة التدريب مزدوجة الفائدة للمتدرب وللمصنع في آن واحد .

ومن المبادىء الاساسية في عملية تدريب المقاتلين ضرورة جعل فترة التدريب العملي مساوية زمنيا لفترة التدريب النظري الذي يعطى للمقاتل خلال تدريبه في المصنع اذا كان المتدرب بحاجة الى مثل هذا الأساس العلمي النظري . اما اذا كان المتدرب قد حاز مسبقا على قسط وافر من المعلومات النظرية من خلال تحصيله المدرسي فان ذلك سيساعد على توفير الوقت للتدريب العملـــي الاضافي ، فيحصل المتدرب عندئذ على مستوى افضل من التدريب التقني .

لقد جاء في منشورات جينز لعام ١٩٧٥ 1975 JANES' INFANTRY WEAPONS أن الثورة الفلسطينية أقامت مصانع حربية متقدمة لانتاج الاسلحة التي تحتاجها وهذا يثبت أقوال صحيفة الغارديان البريطانية حول الموضوع نفسه ، ان هـذه المعلومات تفرح كل عربي وفلسطيني لأنها تظهر امكانات الثورة في حقل التصنيع الحربي . لهذا نشدد هنا على ضرورة الافادة من هذه المصانع في مناطق الطوق المتاخمة لحدود اسرائيل (لبنان سوريا ومصر) على أن يصار النزول بها تحت الارض ضمن تحصينات منيعة مضادة لقذائف المدفعية وقنابل وصواريخ الطائرات الاسرائيلية ، وان يصار كذلك الى افساح المجال لاستيعاب أعداد اضافية كبيرة من المقاتلين المتدربين فيها . ان قرب هذه المصانع من المواقع العسكرية لهؤلاء المتدربين يجعل من الممكن التحاقهم فورا بوحداتهم القريبة والدفاع عنها وقت اعلان الاستنفار أو في أي وقت من الاوقات التي تستدعي وجودهم فيها . وعندما ينتهي الاستنفار يعود هؤلاء المتدربون فورا ، الى مصانعهم .

ان تقييما شاملا لهذه المصانع الحربية القائمة يجب ان يسبق اي خطوة أخرى . ان هذا التقييم يجب ان يشمل الادارات الصناعية والمخصصات ومشاكل الانتاج ان وجدت والمعدات وغيرها والعمل على تصحيح هذه الاوضاع ومن ثم النزول بتلك المصانع تحت الارض مع توسيع آفاقها العلمية وتطويرها كما ونوعا . أما الخطوة التالية فيجب أن تركز على تشييد مصانع أخرى جديدة (تحت الارض أيضا) بحيث تنتج أسلحة ومعدات أخرى تحتاجها الثورة مثل قطع الغيار للأسلحة المختلفة والاسلحة الشعبية والمتفجرات وغيرها . ويجب أن يراعى في هذه الخطوة الامكانات الفعلية المتوفرة للثورة اذ انه من الاجدى أن تقوم وتنجح بضع مؤسسات فقط خلال فترة زمنية معقولة على أن يخطط لعشرات المؤسسات الصناعية ولا ينجح أي منها على الاطلاق . هذا المفهوم العملي يجب أن يشمل كافة المراحل كي تقوم هذه المؤسسات الصناعية علـى أسس عملية اقتصادية سليمة فيكون الجهد المبذول منتجا ان من ناحية السلاح أو من ناحية التدريب التقني للمقاتل . وهكذا نتحاشى بعثرة الجهد والمال دون طائل .

ومن الملاحظات الهامة حول المصانع الحربية الواجب تشييدها في مناطق الطوق حول اسرائيل ، التركيز على وجوب اقامتها على أسس علمية عملية أفضل وان تبقى عملية التطوير موجهة نحو المستوى الأفضل بحيث تقوم عليه جميع مخططات وعمليات بناء المصانع الحربية في الثورة . ان مبدأ التطوير الدائم المستمر لهذه المؤسسات الصناعية أمر بالغ الأهمية من أجل نمو هذه المؤسسات بشكل مستمر . هذا هو المفهوم الثوري الحقيقي لهذه المؤسسات . اذ أن تقييم الثورية على أسس غير صناعية ـ تدريبية يصبح مع مرور الوقت ضربا من الجهل والحمق الكبيرين .

وخلال اقامة المصانع الحربية تحت الارض في مناطق الطوق ، يجب التخطيط لاقامة مصانع حربية فوق الارض خارج نطاق الطوق بحيث تكون أكثر تقدما ان من ناحية نوعية السلاح المنتج وكميته وان من ناحيـة استعدادها لاستيعاب اعداد كبيرة من المقاتلين المتدربين . وبالطبع ، يظل السلاح المنتج هو المطلوب أولا لسد حاجات الثورة الى جانب التدريب التقني للمقاتلين . كذلك يجب أن تقوم هـذه المصانع على أسس اقتصادية سليمة وان توفر طاقات تقنيـة ترفد باستمرار الكوادر العاملة في الارض المحتلة وكوادر المصانع في مناطق الطوق ، وذلك لتشغيل ورش التصليح والصيانة المركزية أو الميدانية للثورة . كذلك يجب أن تغطي المصانع المقامة خارج الطوق جزءا كبيرا من نفقات المصانع الحربية فيمكن أن تكون في الدول العربية التي تبدي استعدادا لاقامة مثل هذه المنشآت على أراضيها ، على أن لا ينحصر ذلك في دولة واحدة وان لا

يقوم في دولة منها أكثر من مصنع واحد . ويعود السبب في ذلك الى ضرورة تجنيب ايقاف هذه المصانع عن العمل أو مصادرتها في آن واحد اذا ما قرر البلد المضيف ذلك لأسباب متعددة ، على حين ان تفرق هذه المصانع في معظم البلدان العربية يتيح للثورة فرصا لتأمين بقاء عدد منها مستمرا بالعمل تحت اشرافها ولمصلحتها ، ذلك لأنه لا يعقل أن تجمع عشرون دولة عربية على اغلاق جميع المصانع دفعة واحدة وبالتالي مصادرتها .

ان اقامة الثورة للمصانع في البلاد العربية يتيح لها امكانية الافادة من الامكانات المادية والبشرية المتوفرة في هذه الدول كأن تقوم الثورة بمشاريع مشتركة مع حكوماتها لانتاج الاسلحة المختلفة التي تحتاجها هي وتلك الحكومات معا ، على أن يؤخذ بعين الاعتبار أهمية التدريب التقني للمقاتلين في هذه المصانع . خاصة وانه يوجد في الدول العربية جامعات وكليات للهندسة لا يستفاد من مختبراتها ومدرسيها بالشكل الصحيح . وفي هذه الحالة يمكن الاتفاق مع هذه الحكومات على تحريك فعاليات تلك الجامعات والقيام بمهام تطبيقية لتلك المصانع يكون بمقدورها توفير الوقت والجهد والمال للمؤسسات التصنيعية المقترح اقامتها . ومن القنوات الممكن سلوكها في سبيل تقنية المقاتل الفلسطيني ، اقامة دورات تدريبية لهم في المصانع الحربية والمدنية في الدول العربية وفي الدول الاشتراكية والدول الصديقة الاخرى التي تقبل التعامل مع الثورة . وهنا يجب الانتباه الى نوعيات المقاتلين وخلفياتهم العلمية ، فالذين سيرسلون في هذه البعثات يجب ان يكونوا من ذوي الخلفيات الحسنة والا سيكون ارسالهم مضيعة للوقت .

أما التوجه الثاني فيهدف الى تقنية كافة قطاعات الشباب الفلسطيني الذي سيرفد الثورة خلال العقد أو العقدين القادمين ، بالمقاتلين والتقنيين لاتمام مسيرتها النضالية الطويلة حتى التحرير . وأول خطوة في هذا الاتجاه تهدف الى درس أوضاع التعليم الابتدائي والثانوي الذي يناله الشعب الفلسطيني وذلك من اجل وضع التعليم في خدمة تقنية مقاتلي الغد . وأثناء اتمام الدراسة ، يجب ألا نتسرع ونعطي أحكاما تقليدية مغلوطة من تلك التي يتبناها عادة أولئك المنظرين في التحديث التقني في الوطن العربي . فالتعليم الابتدائي والثانوي المقدم للناشئة في كل الوطن العربي (ومن ضمنها الناشئة الفلسطينية) قد وضع أساسا لخدمة أغراض التعليم الجامعي . أي أن مئة بالمئة من الطلاب في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي يدرسون كي يلتحقوا بالجامعة بعد انهاء هاتين المرحلتين . لكننا نعلم أن أرقى بلاد العالم لا يتجاوز التعليم الجامعي فيها نسبة العشرين في المئة من مجموع طلابها ، وكون المجتمع العربي من المجتمعات غير المتقدمة فان ذلك يعني أن نسبة التعليم الجامعي فيه لا تتجاوز **العشرة بالمئة** على أكبر تقدير . من هنا نرى بشاعة الجريمة التي ترتكب بحق الطالب العربي والفلسطيني اذ ان مناهج التعليم وضعت فقط لخدمة العشرة بالمئة من الطلاب (الجامعيين) واما التسعون بالمئة من الطلاب فقد أغفلتهم الأيدي المشرفة على هذه المناهج .

ومن هذا المبدأ التربوي الخاطىء يجب أن يبدأ تعديل برامج تعليم الطالب الفلسطيني (والعربي) لتكون قاعدته التربوية في خدمة الأغلبية الساحقة من الطلاب الذين سينطلقون بعدها الى حقول التقنية المختلفة ، شريطة ألا يؤثر ذلك على الفرص المتاحة لنسبة العشرة بالمئة من الطلاب الذين سيسعون للالتحاق بجامعاتهم من أجل تحصيل الدرجات العلمية العالية ..

وبالطبع سيتنافى هذا الحديث مع رأي المنظرين في حقل التحديث التقني على اعتبار

أن التعليم الجامعي هو السبيل الى اقامة المصانع والمؤسسات البحثية العليا . ان الجواب البسيط على هذا الرأي هو أن الشعب الفلسطيني متخم بالجامعيين الآن حتى لو توقف التعليم الجامعي للفلسطينيين كليا خلال العقدين القادمين فلن يغير ذلك شيئا يذكر في حياة الشعب الفلسطيني .

أما الخطوة التالية فهي وجوب تعيين جهاز تخطيطي تربوي — تقني ليصبح نواة لمؤسسة التصنيع والتدريب التقني للمستقبل بحيث تكون مهمته درس واقع ومعطيات الشعب الفلسطيني وحاجات الثورة خلال العقدين القادمين من السنين ، ومن ثم بدء العمل على وضع برنامج تربوي — تقني يمكن تنفيذه من خلال المؤسسات التعليمية التي تخضع أو التي يمكن ان تخضع لرقابة وتوجيه الثورة مباشرة أو مداورة . ومن بين هذه المؤسسات التعليمية مدارس (الأنروا) في سوريا ولبنان ، والمدارس التي تشرف عليها منظمة التحرير الفلسطينية كمدرسة اسعاد الطفولة في سوق الغرب ، ومدارس منظمة التحرير في الكويت والمدينة التعليمية المزمع اقامتها في سوريا وغيرها . وهنا تجدر الاشارة الى المحاولة الجريئة التي يقوم بها الآن القسم التربوي في مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية وضرورة دعم هذا القسم في جهوده واشراكه في وضع هذه البرامج ومراقبة تنفيذها .

ان من المهم جدا أخذ اراء ادارات المصانع الحربية التابعة للثورة والعمل بمضمون تلك الآراء . فلهذه الادارات الخبرات الحقيقية في حقل التقنية ويجب ان تشارك مشاركة أساسية في وضع وتنفيذ هذه البرامج .

هذا بالنسبة للمعاهد التي يمكن ممارسة رقابة وتوجيه عليها وعلى طلابها ، وهذا بالطبع لن يشمل أغلبية الطلاب الفلسطينيين في الدول العربية . اذ من سيعني بتقنية هذه البقية من الطلاب ؟ بالطبع ستكون المصانع الحربية التابعة للثورة مباشرة او مداورة هي من تعنى بهذه الفئة خلال أو بعد تركها معاهدها بما في ذلك الطلاب الجامعيين . فسيربط هؤلاء الطلاب مع خريجي المدارس الموجهة (ذات البرامج المتقنة) ، الى مناهج التعليم الصناعي المطبق على المقاتلين في المصانع الحربية داخل نطاق الطوق (حول اسرائيل) وخارجه ، بطريقة مشابهة لما أسلفنا في الشق الاول من هذين التوجهين .

وفي نفس الوقت ينبغي تطوير كافة المصانع والورش التي تهتم بالانتاج الحربي للثورة الفلسطينية بحيث تستطيع هذه المؤسسات ان تنمو باستمرار فتزود الثورة الفلسطينية بالانتاج المتطور دائما وبالتدريب التقني للمقاتلين المتطورين مع تطور الانتاج .

ان جيلا من المقاتلين من ذوي الخلفية التقنية الجيدة ، يولد ويتطور وينمو خلال العقدين القادمين من التدريب التقني سيؤمن للثورة فرص النصر ويقوم بمهامه الحضارية في فلسطين الديمقراطية بعد التحرير .

توفيق زياد شاعر الواقيعة المقاتلة

الدكتور فيصل دراج

وادمي وجه مغتصبي
بشعـــر كالسكاكـــين
توفيق زياد

عندما ندرس عملا ادبيا فاننا لا ندرسه في الفراغ او المطلق بل في سياقه التاريخي وفي الشرط الذي انتجه ، فليس هناك مثالا كاملا نقارن به العمل الفني ونحكم بالتالي على قيمته الفنية والاجتماعية ، لذلك لا يعالج الانتاج الفني الا من خلال زمانه ، ومن خلال الغلاف الاجتماعي — التاريخي الذي اعطاه جذوره . فلا يمكن الانطلاق عنـد معالجة العمل الادبي من شروط مسبقة ومن معايير « مطلقة » معدة مسبقا ، فنقطـة الانطلاق والنهاية هو العمل الادبي المرتبط بزمانه ومكانه ، اي العمل الادبي كما هو دون زيادة او نقصان .

انطلاقا من هذا سنضع شعر توفيق على مائدة موضوعية ، مائدة قضيته ، لن نبحث في بنيانه عن امور غريبة عنه ، بل سنحاول ان نقرأ ما هو موجود فعلا في اركان وزوايا هذا القصر الشعري ، وعندما سنركز على منفعة هذا الشعر وتحريضيته لن يكون ذلك تعسفيا او مجرد موقف شخصي ، بل اقرار موضوعي لما يوجد فعلا في اركان ذلك الشعـــر .

الاجتماعي والجمالي في الانتـــاج الادبـــي :

لا تنبع القيمة الجمالية للعمل الشعري من الذات الشاعرة او من اغوار شاعـــر استوى على عرشه اللغوي منزها عن مكانه وزمانه ، فعالم الشاعر ليس وادي ابليس او كهف افلاطون بل عالمه المعاش ، عالم مجتمعه بكل تناقضاته ، ولا تنبع القيمـة الجمالية الا من رصدها وتمثلها لحركة المجتمع وعكسها في نمط لغوي خاص لهذه الحركة، فليست القيمة الجمالية معطاة مسبقا في وعي الفنان او الاديب ، فهي تتشكل تاريخيا في وعي الفنـان لا كنزوة فردية بل كقيمة محددة موضوعيا بالوجود المادي للمجتمع . لذلك تتضمن كل قيمة جمالية عنصرين متجاورين : الفني والاجتماعي ، ولا يتواجدان مستقلان او منفصلان بل يتواجدان في وحدة او بشكل ادق يشكلان وحدة متماسكة هي في المستوى الاخير القيمة الجمالية . من هنا فان القيمة الجمالية تتضمن باستمرار بعدين يحددان اثرها على المجتمع والتاريخ ، ويرتبط البعد الاول في اثرها المباشر ، اي لحظة ظهور العمل الفني واثره على مجتمعه في زمانه (اثر آني) ، اما البعد الثاني فيأتي من الاثر الدائم والمستمر للعمل الفني كانعكاس صحيح لزمانه (اثر كوني) . اما ما يعطي العمل الفني قيمته الموضوعية فهو وحدة الاثرين بحيث يكون فيهما الثاني مسيطرا . ان الاثر الاول يعطي للشعر قيمة في وقته لكنه يتلاشى بعد ذلك ، في حين يعطي الاثر الثانـــي للشعر ديمومة لا تنغلق وراء زمان او مكان ، **ديمومة مفتوحة في التاريخ** .

ينشأ الجمالي عن ديالكتيك الذاتي والموضوعي ، فالموضوعي يشكل اساس الذاتي وكلاهما في نهاية المطاف محددان ماديا اي اجتماعيا . ان الجمالي بمعناه الحقيقي يبرز فقط كنتيجة للتفاعل المادي العملي بين الذات والموضوع ، وتتشكل كل التصورات الجمالية عند الفنان بتأثير الواقع ، فنحن اذن ازاء ثلاثة عوامل : الاجتماعي (المجتمع) والذاتي (الفنان) والعمل الفني الذي هو تركيب للعاملين الاول يلعب فيه الذاتي الدور المسيطر ، فالجمالي يأتي من الفنان من الذات المبدعة التي تعيش زمنها وتعطي لجماليتها طابعا تاريخيا اجتماعيا نوعيا جديدا . فالفنان يعكس مشاعره في عمله الفني لكن ذلك لا يتم في الفراغ بل في العالم المادي ، فالعمل الفني كقيمة جمالية يحتضن اذن عنصرين الانفعالي والعقلي ، الذاتي والموضوعي ، فالفنان يستعيد واقعه بشكل انفعالي ، فهو يأخذ مضمون شعره من واقعه بشكل واع ثم يعكسه انفعاليا في شعره ، وتتحدد الاستعادة الشعرية للعالم بجملة عوامل متشابكة : قدرة الشاعر على العمل في اللغة ، الخيال الشعري ، لا شعور الفنان ، فهمه للواقع الاجتماعي بخصائصه الاساسية . ينهل الشعر مادته من المجتمع لكنه يأخذ صورته اي ماهيته كشعر من الصياغة الفنية لهذه المادة في نمط شعري كشكل ابداعي متميز . ان الموقف الجمالي من الواقع ، اي صياغته فنيا ، يعطي شكلا خاصا لعلاقة الذات بالموضوع ، علاقة الشاعر بجمهوره . وتتحدد قوة هذه العلاقة بقدرة الصورة الفنية على عكس الشعور الجمعي ، اي التعبير عن طموحات وامال واحاسيس المجتمع الذي يتوجه اليه الشاعر ، لكن هذا التوجه يبقى على المستوى الاخير توجها شعريا ، فعندما يقدم الشاعر واقعه بواسطة محاكمات نظرية ، سرد اجتماعي مبتذل ، يسقط كشاعر ، فيظل بعيدا عن حقل الانتاج الفني . فنحن لا نفهم من خلال الانتاج الشعري الواقع بل نحسه ونتملكه شعوريا ، لاننا لسنا ازاء نص نظري بل بنيان شعري . فكل اهتمام تربوي محض ينفي عن الشعر والفن بشكل عام خصائصهما النوعية الجمالية ، ويجهض في الوقت نفسه اثرهما الجمالي الذي يتواجد فيهما .

وعندما يعكس الشاعر بالصورة الفنية بعض جوانب الواقع ، ويفرضها على القارىء ويصل الى عقله ، فمعنى ذلك ان القيمة الجمالية المتضمنة في الصورة لها واقع موضوعي . وقد اظهر ماركس ان التجليات الايديولوجية « لها قيمة موضوعية من حيث هي انعكاس لعلاقات اجتماعية حقيقية محددة تاريخيا » (١)

تفرض الصورة الفنية نفسها على الفرد عندما تكون تعبيرا عنه ، فيتواصل معها ويتعاطف باحساسه بشكل مستقل عن ارادته ، فهي صورة له . واذا سمينا الصورة الفنية بالموضوع والفرد الذي يتلقاها بالذات ، فاننا نقول ان بين الذات والموضوع علاقة ديالكتيكية . فالصورة الفنية كموضوع تتوجه الى ذات موجودة فعلا ، انها تنطلق من الواقع ثم تعود اليه بشكل جديد ، تنطلق من الشرط الاجتماعي — التاريخي ثم تعود اليه كصورة فنية له ، وبهذا تخلق الصورة الفنية لنفسها مستقبلا ، اي جمهور . لهذا يقول ماركس : ان الصورة الفنية « لا تخلق موضوعا للذات بل تخلق ايضا ذاتا للموضوع ، اي تخرج من الواقع لتعود اليه ، فتستحيل بذلك الى قيمة حقيقية ذي جود وتحقق مادي . والاصبحت صورة تائهة بلا دلالة .

عندما تظهر الصورة الجمالية المعبرة عن واقعها لا تتلاشى آنيا ، فهي تحافظ على وجودها باستمرار ، لان الابداع الفني يشكل احد اشكال التملك العملية والروحية للواقع ، فهو ليس مجرد وصف خارجي للواقع بل احد ميزاته التاريخية من حيث هو تكثيف وبلورة للوعي في زمانه ، صورة تاريخية للمشاعر والعواطف والطموحات في فترة تاريخية محددة .

يدخل الانتاج الفني ــ الادبي التاريخ ، ويمتلك قوة مستمرة ، اي يصبح كونيا ، عندم يقدم صورة صحيحة لوعي زمانه . ولا تتأتى هذه الصورة عن رسم اعتباطي للواقع ، بل عن قدرة الفنان على اختيار عناصر ذات دلالة ، عناصر تعبر عن المنحى العام لحركة المجتمع ، وصياغتها فنيا . ان الشعر والعمل الفني بشكل عام لا يصبحان كونيان الا بقدر ما هما محليان ، فلا تعني الكونية التوجه الى الانسان بشكل عام ، او الى انسان المستقبل ، بل تعني عكس الواقع بكل خصائصه المحلية المحددة تاريخيا خلال بنيان فني .

ينطلق الابداع الفني من تربة محددة ، ويصبح كونيا عندما يعطي وثيقة فنية عن هذه التربة ، فلا تنتج كونيته والحالة هذه من عدم تحدده (انسانية غائمة) بل تنتج بالعكس من خلال تحدده ،وقدرته على ايصال ذاته الى مجتمعه والى البشرية جمعاء كوثيقة ادبية متميزة ، اي مرتبطة بواقع محدد تاريخيا ، فالكونية هي التميز . بمعنى اخر ، ان الكونية غير المحددة اجتماعيا وتاريخيا كونية زائفة ، كونية ميتافيزيقية تنطلق من جوهر انساني ميتافيزيقي لا وجود له . اما الكونية الحقيقية فهي التي تعبر عن واقعها وتصل الى البشرية جمعاء ، فهي من ناحية تقوم على واقعها ، مصدر تميزها ، وتحمل في ذاتها خصائص انسانية شمولية . او بشكل اخر فان شكلها الفني يحمل صفات انسانية شاملة (التعبير عن ما هو انساني بشكل عام) لكن مضمونها واساسها الفكري مرتبط بواقعها الاجتماعي المعاش . فكلما تميز العمل الفني اصبح كونيا . وليس هناك اي تناقض بين التميز والكونية ، فالكونية هي التميز .

ان الكونية الحقيقية هي كونية التميز ، اما الكونية اللامتميزة فهي زائفة ومضللة ، وليست « كونيتها » الا هروبا من واقعها وعجزا عن فهم هذا الواقع والتعبير عنه ، وتصبح بذلك مجرد « كونية » صوفية مبهمة بدون اي مضمون محدد .

فالفنان الحقيقي يخلق في انتاجه موضوعا ماديا مشخصا ، ويبقى هذا الموضوع حيا لانه حقيقة جمالية موضوعية (٢)

اننا لا ننطلق هنا من موقف انساني غائم ، موقف بلا تحديد ، بل بالعكس تماما ننطلق من رؤية علمية للانتاج الفني . فليس هذا الاخير بالنسبة لنا الا التعبير عن وعي اجتماعي محدد تاريخيا ، وبذلك نبتعد كثيرا عن هؤلاء الذين يعتبرون الفن بكل اشكاله تعبيرا عن نزوة فردية ، او صورة لفردية متميزة . فالقيمة الفنية تستمد قيمتها هذه من ارتباطها بمجتمع موجود وبعلاقات اجتماعية موجودة ، فهي لا توجد قبل وجود هذه العلاقات الاجتماعية ، ولا قبل الظرف التاريخي الذي تعكسه ، فهي تصدر منه وتعبر عنه وتعود اليه ، والا فقدت قيمتها ، معنى ذلك انها تعكس **شيئا موجودا** يمنحها موضوعيتها .

يجب ان نشير بعد ذلك الى امرين :

١ ــ ان القيمة الجمالية للصورة الفنية المعبرة عن واقع ما ، تتحدد بقدرتها على عكس الواقع فنيا ، تملك العالم جماليا ، في ليست وثيقة تاريخية ــ اجتماعية ، بل وثيقة جمالية لشرط تاريخي ــ اجتماعي محدد . فنحن لا نفهم الواقع من خلال الصورة الفنية ، بل نحسه ونعيشه جماليا ، لانها لا تشرح الواقع بل تشير اليه والى مميزاته بخصائصها النوعية .

والصورة الفنية تتشكل من وحدة تركيبية تتضمن الحسي والعاطفي والعقلي ، ولا تفرض نفسا على الذات (الانسان) من خلال عقلانيتها بل قدرتها على تحريض عواطف الانسان ومشاعره . ولا يتذوق هذا الاخير الصورة الفنية عند فهمها ، لكنه « يفهمها »

بسبب احساسه بها . لذلك فان الوعي الجمالي او الفني للعالم وعي من نوع خاص وعي فني ــ جمالي للعالـــم .

٢ ــ تتحقق القيمة الجمالية عندما يتمثلها الوعي الانساني ، ويفترض التمثل الجمالي وعيا جماليا لدى المجتمع . فالقيمة الجمالية هي الانعكاس الجمالي للوجود الاجتماعي في الوعي الاجتماعي .

ان عدم تمثل المجتمع للقيمة الجمالية المعبرة عنه لا يفقدها كونيتها وموضوعيتـــا ، لان هذه القيمة لا تتحدد بموقف الذات منها ، بل بقيمتها من حيث هي انعكاس جمالـــي لواقع موضوعي . لذلك فان الشاعر ، كي لا يجهض **الوظيفة الاجتماعية** لشعره ، يلجأ احيانا الى صياغة تجربته الفنية خلال مستويات متعددة ، تكفل له دوره الاجتماعي وتحفظ لـــه كونيتـــه .

الشعر كتعبير عن زمانه ــ حالة توفيق زيـــاد :

عندما نقرأ توفيق زياد ، نقرأ مسار حركة الشعب الفلسطيني بكل وهادها وسهولها ، بكل عثارها واندفاعها التياري نحو المستقبل ، فليس شعره ترجمة ادبية لحياة خاصة بل ترجمه لتجربة نضالية لشعب ، يقف في بؤرتها ويعكسها كمثقف جمعي ، مثقف مرتبط بقضية وبطبقة . ان توفيق زياد يعكس واقعه شعريا ، ليس كواقع صامت بل كواقع في حركة ، وتهدف حركته هذه الى تغييره ، فهو صوت الواقع واداة لتغييره .

وسنحاول الان ان نبحث عن الافكار الرئيسية التي تحكم شعر توفيق زياد ، اي عن طبيعة المضمون الايديولوجي والسياسي المتواجد في شعره والذي يشكل المفتـــاح الاساسي لفهم هذا الشعر وشكله ووظيفته الاجتماعية . ويجب ان نشير هنا الى اننا عندما نقف امام عمل شعري فاننا لا نقف فقط امام مضمونه ، فلكل عمل شعري قرائتين ، القراءة الاولى فنية ، قراءة النص من حيث انه عمل فني ــ الشعر كعمل في اللغة ــ والقراءة الثانية تحليلية تهدف الى معرفة مضمون العمل ومركباته . وهذا التمييز من حيث المبدأ تعسفي ــ تبسيطي ، فقراءة العمل الفني فنية ــ ايدولوجية في الوقت نفسه . وسنطبق نحن في حالة توفيق زياد القراءة التعسفية للعمل الفني . وليست هذه القراءة مجرد خيار لتبسيط التحليل ، فهي ضرورة لا بد منها ، فمن خلالها سنصل الى الخلفية التي ينطلق منها الشاعر ، اي التربة التي يقف عليها ، والشرط التاريخي الذي يعكسه ليس من خلال مرآة شعرية واحدة بل من خلال جملة من المرايا . ان تقييم شعر توفيـــق جماليا غير ممكن بدون تقييم الظروف التي ولدته و**الدور الاجتماعي** الذي يقوم به ، وتميز هذه الظروف وخصوصيتها تطرح ضرورة تميز القراءة الفنية للعمل الشعري . ومعنى هذا فاننا لن نطبق على شعر توفيق المعايير الفنية المطلقة ، المعايير المنسقة ، لان توفيق لا يعيش في زمن منسق ، بل يعيش زمنا مفعما بالتناقضات ، زمنا متميزا ، مأساة امة .

واذا اردنا ان نفهم عالم توفيق الرحب ، عالم دلالاته وقضيته ، فلنبدأ به « كفرد » . فكيف يرى هذا الشاعر ذاته ، وما هو نمط الوجود التاريخي لهذه الذات ، من ايـــن تنبع ، واين تصب !!

وأدمي وجه مغتصبي .
بشعر كالسكاكين
وان كسر الردى ظهري ،
وضعت مكانه صوانة ،
من صخـــر حطين !! (٢)

شاعرنا توفيق زياد لا يلهو ، يقاتل بشخصه ، ويقاتل بشعره . فالشعر سكين يحمي صخور حطين . واذا ربطنا الكلمات : شعر ، سكين ، حطين . لمسنا مباشرة مكان الشاعر وحقل قضيته ، قضية الشعب المناضل .

يمور الشاعر بين وطنه وشعبه . فهناك تكامل بين الشاعر وشعبه وبين شعره والوطن :

أجيبيني ....
انادي جرحك الملوء ملحا ، يا فلسطين
اناديه واصرخ :
ذوبيني فيه .. صبيني . (٤)

فاذا انتهى الشاعر من الفراغ المكاني الذي يتشبث فيه — الوطن — انتقل الى شعبه ليعيش مأساته ومعاناته :

يا اغلى من روحي عندي
انا .. باقون .. على العهد ... (٥)
. . . . . .
واقول : اهديكم
واهديكم ضيا عيني
ودفء القلب اعطيكم
فمأساتي التي احيا
نصيبي من مآسيكم (٦)

يمكن ان نقول اذن الاطروحة الاولى : شاعرنا شاعر قضية ، وشعره في ذلك له دور وظيفي .

أما الاطروحة الثانية : ان الشاعر في نضاله وشعره جزء من شعبه وجزء من نضال شعبه . وهذا ما يوصلنا الى الاطروحة الثالثة : ان شعر توفيق زياد شعر تحريضي ، وله دور في تحريك الشعب وتنويره ودفعه الى الصمود :

اصرخ .... اصرخ .... اصرخ
في اعجاب يزداد ويكبر :
« هذا شعب
لم يخلق
حتى يقهر » (٧)
. . . . . .
ان يحبسونا .. انهم
لن يحبسوا نار الكفاح (٨)
. . . . . .
صمودا ايها الناس الذين احبهم
صبرا على النوب (٩)

ليس الشعر هنا تذوقا جماليا محضا ، تفقد اللذة الجمالية اولويتها ، ويبنى الشعر ويشكل للتحريض ، فهو شعر هادف ذو غرض ، وتتحكم وظيفية الشعر هذه بشكل الشعر ومضمونه :

عندما نقف امام شعر توفيق زياد ، يمكن ان نقول اننا امام مقال سياسي ايديولوجي

مترابط ، فهو يصف الواقع ويؤسسه ، ثم يدعو الى الحركة ، ويعود بذلك ليطرح تفاؤلية لامتناهية ، وبذلك يشكل استشراف المستقبل الموعود الاطروحة الرابعة في شعر توفيق التحريضي :

سواعدكم تحقق اجمل الاحلام
تصنع اعجب العجب (١٠)
مساكين ....
لقد خدعوا ، بصمت الرعد ! (١١)
. . . . . .
وربنا — وان قسا — منور (١٢)

ان اهم مزايا شعر توفيق زياد يتأتى من خصوصيته كانعكاس لحقل تاريخي — اجتماعي معين ، وتتحدد هنا القيمة الجمالية له ليس من بنيانه الشعري بل من قدرة هذا البنيان على ان يكون غلافاشعريا يتضمن تناقضات الفراغ الزماني والمكاني الذي ولده ، فنحن هنا امام **التشرط التاريخي للعمل الادبي** ، او **تاريخية العمل الادبي** ، فليس الشاعر حرا في عمله في اللغة ، لكنه محكوم بالضرورة التاريخية ، ووعيه لهذه الضرورة يجعله حرا بالمعنى الحقيقي للكلمة .

حر ، اي يفهم خصائص زمانه ، ضرورة تحويله ، فيلتحم ويتكافل مع الشعب ، ويخضع شعره لهذه الضرورة ، فيعطيه كل الاشكال الممكنة . لكن اخضاع الشكل هذا ليس مجانيا ، فهو ذو وظيفة :التعبير عن تطلعات الشعب ودفعه الى الحركة ، ولتحقيق ذلك فعلى الشعر ان ينفذ ويرشح الى الشعب بأسره .

فالمضمون اذن ليس تاريخيا ، فمقولات الحرية والدفاع عن الوطن خالدة . لكن الشكل على عكس ذلك يخضع للتاريخ ، ويتغير وينمو تبعا للظرف التاريخي الذي ولده ، ويحصل الشكل على استقلاله الذاتي ، على حركته المطلقة ، عندما يتحرر من الضرورة التاريخية ، اي عندما يعكس شرطا تاريخيا لا تناقض فيه . يصل الشعر الى ذروة حريته في مملكة الحرية .

الشاعر والمجتمع والوظيفة التحريضية للادب :

عندما يضع الشعر نفسه فوق الطبقات ويلهث سادرا وراء كماله الشعري ، هل يعبر عن حقيقة موضوعية موجودة فعلا ؟

نقول اولا ان الشعر ليس فوق الطبقات ، وكل نص ادبي يتضمن بالضرورة بعدا طبقيا بوعي او بدون وعي . فالشعر حقل متميز في حقل الادب ، معنى ذلك انه يرتبط بالبنيان الفوقي ، فكل تصور ورؤيا للعالم تعكس بالمعنى الحرفي للكلمة موقعا اجتماعيا ، اي طبقيا (١٣)

ولا يمكن ان يرى الشاعر كذات فقط ، فهو ذات محددة اجتماعيا ، علاقة اجتماعية تعبر عن نفسها ونمط سلوكها وتصوراتها عن موقع اجتماعي محدد على المستوى الاخير بالانتماء الطبقي . يقول ماركس « ليس الانسان تجريدا محايثا للفرد المعزول ، فالانسان في الواقع هو مجمل علاقاته الاجتماعية » (١٤)

ان موهبة الشاعر لا تخلق وحدها عملا فنيا حقيقيا ، فالموقع الايديولوجي للفنان يحتل مكانا هاما في توجيه عمله الفني واعطائه مضمونا محددا ، وليس العمل الشعري الا غلافا فنيا يتضمن تجربة وثقافة اجتماعية محددة . ويصل الفنان الى ذروة ازمته

عندما يفقد النقطة الاجتماعية التي تحكم ابداعه وبحثه الفني ، وتفقد الصورة الفنية قيمتها وحرارتها عندما تخفي وراءها مضمونا غائما ، مضمونا غائبا ، ولا يعني هذا ابدا ان المضمون هو الذي يحدد قيمة عمل فني ، لكنه يعني ان هناك خطا احمرا نحسه من خلال تذوق العمل الفني ، هناك معنى (ما) في العمل الفني نتلمسه تارة بوضوح واخرى بشكل غائم ، لكن هذا المعنى قائم مرة يطفو فوق سطح العمل الفني ومرة يغيب لكننا نتملك وجوده عن طريق الفهم والاحساس والانفعال .

لا يشب اي فنان في عمله الابداعي عن تأثير الشروط الاجتماعية وعن الايديولوجيا التي تفرزها هذه الشروط ، وتؤثر هذه الشروط بشكل واسع على ابداع الفنان ووعيه . يقول غوركي « الفنان عين واذن وصوت طبقته ، قد لا يعي ذلك احيانا ، وقد ينفيه ، لكنه يبقى حتما عصبا حسيا لطبقته » (١٥)

ليس هناك تطابقا كاملا بالضرورة بين الفنان وعمله الفني ، قد يكون هناك بونا بينهما يتحدد على المستوى الاخير بممارسات الفنان المتباينة ، ولا يحصل هذا التطابق الا عندما تشكل كل العناصر المكونة لعالم الفنان الروحي وحدة عضوية ، عندما يعكس فنيا ما يعيشه يوميا — حالة توفيق زياد — ويتابع عندها ابداعه الشعري بكل حرية ، لانه لا يتعامل مع نصه بدون وعي بل بوعي ومبادرة .

نصل الان الى نقطة اخرى ، علاقة الفنان **بالمادة الاجتماعية الخام** التي يكدسها من خلال ممارسته وملاحظاته .

ان مفهوم العمل الفني يتضمن تناقضا ديالكتيكيا ، فهو في الوقت نفسه عملية بناء وعملية هدم ، يعيد الفنان صياغة تجربته المادية شعريا ، اي يبنيها من خلال مقاله الشعري ، ويهدمها كمادة خام . ان غياب عملية الهدم يغيب في الوقت نفسه عملية البناء الفني . ويلازم التناقض الديالكتيكي كل ميكانيكية داخلية للعمل الابداعي ، فهناك فهم الواقع الخام واستيعابه ، وهناك في الوقت نفسه قدرة الفنان على التسيد فنيا على هذه المادة الخام .

اذا رجعنا الى توفيق زياد ووقفنا امام مدى تسيده على المادة التي يبنيها شعريا ، وجدنا ان هذا التسيد متفاوت في درجاته ، فهناك قصائد تملأ الشرط الضروري للشعر من حيث هو تفكير في صور ، ووجدنا قصائد اخرى تخون مباشرتها جوهر الشعر ومقوماته ، لكن كلا الشكلين هذين في تفاوت بنيانهما الفني يتميزان بأمرين : التعبير عن تجربة جمعية ، تجربة شعب بكل عمق مأساته من ناحية ، والطابع التحريضي للشعر من ناحية ثانية . ان الضرورة التاريخية لتحريضية الشعر كما تلقاها في حالة توفيق تقصم احيانا البناء الفني لديه ، لكن هذه التحريضية هي التي تشفع نفسها لسقوط الشكل الفني احيانا ، ولفهم ذلك وربما تبريره ليس امامنا افضل من بريشت .

ويمكن ان نلخص موقف بريشت بالنقاط التالية :

— للفن العظيم اثر مباشر ، يعمل من خلال مضمونه على توحيد البشر حتى لو دعاه ذلك الى التضحية بالمتعة الجمالية « اننا نتخلى عن الفن العظيم المعتمد على المتعة الجمالية اذا لم يستطع القيام بدوره الاجتماعي » .

— تأتي عظمة الفن من عظمة القضية التي يكافح لاجلها .

— تأتي عظمة الفن من قدرته على التحول من فكر الى قوة مادية ، اي فاعلة اجتماعيا .

— ان الفن العظيم لا يمكنه ان يكون فنا لكل الطبقات (١٦)

مما لا شك فيه ان بريشت هنا لا يدعو الى فن بلا اصالة ، بل يدعو الى فن مرتبط

بالحركة الجماهيرية من اجل الوصول الى زمن يتحرر فيه الانسان والشعر معا .

قد يقول قائل لماذا نتعاطف ونحس شعر توفيق زياد حتى في اكثر اشكاله مباشرة ؟

ربما يجثم الجواب في تعبيره عن التجربة الجمعية ، تجربة يعيشها ويعانيها كل فلسطيني ، ويذكرنا هذا بما قاله رسكن : « تستطيع فتاة شابة ان تغني قصة حبها الضائع ، لكن لا يستطيع البخيل ان يغني ضياع نقوده » (١٧)

يصل الشاعر الى المجتمع ويؤثر فيه عندما يعبر عن قضية سامية ، فيلمس نبض القلب ويهز المشاعر ، اي يقف موقفا ايجابيا من المجتمع متقدما اليه ليس بالشكل الشعري فقط بل بالمضمون القائم في هذا الشكل ، فيستحيل الشعر بذلك الى اداة تقارب روحي بين البشر ، وكلما كان هذا المضمون اكثر سموا كلما كان نفوذ الشاعر اكثر عمقا ، فيقوم بتوحيد المشاعرمن حيث كونه عاكسا لكلية هذه المشاعر .

ان البخيل لن يهز احدا بغنائه ، لانه لا يعبر الا عن نفسه . أما عندما يغني الشاعر لقضية قومية يعيشها كما يعيشها الاخرون ، فهو يخلق قارئا ومستمعا من نوع خاص ، فلا يبقى جمهور الشاعر مجرد متفرج او مستهلك لشعره ، بل يصبح منتجا لفاعلية جديدة . فتوفيق زياد عندما ينتج شعره يعمل لايقاظ وتحريك الشعور القومي ، اي ينتج اثرا في الحقل النضالي . يقوم العمل الادبي بتحويل كيفي في عواطف الاخرين وعقولهم . ويمكن ان نلمس جهد توفيق من اجل خلق شعر قومي مقاتل من خلال الاشكال المختلفة التي يصب فيها تجربته الشعرية * ، ومن خلال المقولات والخصائص الكامنة في شعره .

عناصر الواقعية المقاتلة ــ توفيق زياد من خلال بريشت :

يندرج شعر توفيق بأكمله في حقل الادب الملتزم بقضية الشعب والفقراء ، فهو انعكاس نوعي للواقع ، انعكاس لواقع يجب تغييره ، لذلك سندرج هذا الشعر في اطار تسمية مأخوذة من بريشت : الواقعية المقاتلة . لا ترتكز هذه الواقعية في منطلقاتها على الصراع الطبقي وتجلياته في ميدان الادب ، بل ترتبط بحقبة تاريخية محددة بكل خصائصها تتسم بالتناقض الاجتماعي .

ان الخصائص التي سندرسها في شعر توفيق ليست متناثرة ، مجزأة ، فهي تشكل وحدة متعددة الابعاد ، لا تتواجد فقط في بعض الجوانب دون الاخرى ، قائمة ومتواجدة في كل خنايا العمل الشعري وتحكمشكله ومضمونه ، فتعطي بذلك خصائصه وتميزه . فلا يتحدد نمط الانتاج الشعري عند توفيق في حقل طبقتين متصارعتين ، بل في حقل اكثر اتساعا ، حقل التحرر واستعادة الشخصية القومية .

ولنر كيف تتجلى مقولات هذه الواقعية في شعر توفيق زياد (١٨)

ــ الادب الواقعي ادب معركة ، يهتك ظلام الواقع ، ويلقي الضوء على جوانب التعميم والتضليل فيه ، يحرض على هدمه وبناء عالم يتجاوزه .

من اين تاتي النقود
وهذي السماوات رغم الدعاء
ورغم الصلاة صباح مساء
أبت ان تجود ولو بالقليل (١٩)

يرفع الشاعر هنا عن الواقع ردائه الصوفي ، ويتركه عاريا كواقع محكوم بالتناقض

---

* سنرجع الى موضوع الشكل والمضمون عند توفيق زياد في دراسة اخرى .

الاجتماعي ، وتدفع انارة الواقع الى كسره ، فيضحو الشعر هنا معرفة / تحريض .

ـ ينطلق الادب الواقعي من المحسوس ، من العالم المعاش بكليته ، ويركز على ما هو نمطي فيه ، على ماله دلالة تاريخية ، فيضع يده على العصب الذي يحكم الواقع :

وتلاقي المعذبون على الارض
انقاضا على الشقاء اللعين (٢٠)

ان الخط الاحمر المسير للشاعر هنا يكمن في الدفاع عن الانسان المسحوق . فالشاعر وعالم المسحوقين وحدة ، لا يلتزم بقضية انسان ميتافيزيقي ، انسان ـ فكرة ، بل عن انسان محدد طبقيا ، لا ينبع هذا الالتزام من رؤية اخلاقية بل عن وعي مادي للعالم .

ـ يركز الادب الواقعي على عامل الصيرورة واضمحلال الاشياء ، يرى العالم بشكل تاريخي ، الحاضر والماضي المولدان للمستقبل . فهو يرى العالم في حركة مستمرة:

انا علقت هذا الرأس
. . . . . .
انا علقته اليوم
فقد علقني امسا (٢١)

يستشف الشاعر المستقبل الايجابي ، حتى وهو غارق في مملكة العسف ، لا يستشف ذلك برؤية عمياء ، بل برؤية ديالكتيكية ، فلا تعيد الاشياء نفسها بالشكل ذاته مرتين ، فهي تنحو باستمرار الى مملكة الحرية ، تنحو اليه حتى عندما تراوح .

ـ يظهر الاديب الواقعي التناقضات القائمة في الحياة ، والعلاقات المتبادلة بين البشر ، كما يبرز الشروط التي تتطور فيها هذه التناقضات :

دارت يد السجان بالمفتاح
تغلق كل باب
الا بقايا كوة
من خلفها تبدو الروابي (٢٢)

ليس السجان وحيدا ، فأمامه يوجد نقيضه . فهناك من ناحية « السجان الانقر » ومن ناحية ثانية « البطون الجائعة والاقدام الحافية » و « تهاليل شعب متمرد » .

ـ يهتم الادب الواقعي بالتغيرات التي تحصل لدى الانسان ، وعلاقة هذا الاخير بالتغيرات المستمرة والمفاجئة ، اي يرصد الانسان وتحولاته في علاقتها بالواقع المتغير ايضا ، فهناك باستمرار جديد في الواقع وفي الانسان ، فالفرد والواقع وحدة في كل مرحلتها التاريخية :

لاني لست كالكبريت
اضيء لمرة ... واموت
ولكني ...
كنيران المجوس : اضيء ..
من
مهدي
الى
لحدي (٢٣)

تتحدد الصورة الفنية باستمرار بقضية الانسان وتجدده ، تجدد بالموت وتجدد في الحياة .

ـ يظهر الادب الواقعي قوة الافكار واساسها المادي . فالفكر يضيء ظلمة التاريخ :

يا من اعطيت الكلمات
تعابير .. ملامح
ووهبت الدنيا الحرف الجارح (٢٤)

ـ الادب الواقعي انساني ، صديق للانسان ، يظهر العلاقات الاجتماعية بحيث يدعم الاتجاه الايجابي ، وذلك بفضل رصده لالة المجتمع وحركتها ، فيعطي بذلك لنضال الانسان متعة :

وجه الدنيا اصبح انضر
مجرى التاريخ تغير
عالمهم جثة كلب
تتكوم تحت نعال الشعب (٢٥)

لا تتواجد هذه العناصر في شعر توفيق بشكل اعتباطي ، فهي سمة ومفتاح شعره من حيث هو شعر ملتزم/تحريضي . فشاعرنا مثقف مناضل ، مثقف جمعي ، يتوجه الى جمهوره بكل الاشكال الممكنة . لذلك يمكن ان نقوم بقراءة ديالكتيكية لشاعرنا ، فشعره ديالكتيكي وصورته مادية .

ملاحظات حول معنى الكونية :

نعثر عند توفيق على شكلين من الكونية ، اولاهما حقيقية في صورتها الفنية ومضمونها الادبي ، وثانيهما كونية ظاهرية ، اي لا كونية فهي مجرد موقف ايدولوجي ذو غطاء شعري .

نتلمس الكونية الاولى ، الحقيقية ، في القصائد المعبرة عن واقع الوطن ومعاناة الفلسطيني في منفاه الازدواجي : وطنه وخارج وطنه . تعكس الصورة الفنية هنا واقعا محليا وتأخذ فنيتها وكونيتها من شكل هذا الانعكاس ، يصبح الشعر هنا نمطا فنيا حاملا لتجربة شعب ، ورسالة انسانية قادرة على خلق التواصل والتعاطف ، فنرى خلاله الفلسطيني وبيته المهدم ، وحقله المنهوب ، وحلمه الكابي تارة والمتيقظ تارة اخرى، اي نتلمس تجربة شعبه في فراغه الزماني والمكاني والعاطفي :

من شدة حبي لبلادي
لا افنى واموت
لكن اتجدد
دوما اتجدد : (٢٦)
. . . . . .
وان كرومي .. عرائس زندي
لوتها يد الموت .. ليلة نحس (٢٧)
. . . . . .
هنا على صدوركم باقون ، كالجدار
. . . . . .
لعله ذات يوم يهتف النهر :
« تنفس ..... » اهلك الغياب
يا مصلوب ... قد عبروا ... (٢٨)

ـ فالكونية هي تجربة شعب في شكلها الشعري ، تجربة الشعب وهو ينقش « ذكرياته فوق زيتونة في ساحة الدار » ، « ينتظر عودة الغياب » ، ينتظر الشمس تحت سوط الجلاد . **ليست الكونية الا البلورة والتكثيف لتجربة محلية : المكانية والزمانية المقدمة في شكل ابداع فني .**

الكونية الاخرى ظاهرية ، ايدولوجية ، موقف انفعالي ازاء حدث (ما) ايجابي في دلالته لكنه لا يعبر عن قضية الشاعر المباشرة (قضية شعبه) . فان سقط شكلها الفني كانت قصيدة/مناسبة ، عارضة ، وان كان هناك تطابقا بين شكلها ومضمونها ، دخلت في ميدان الانتاج الفني العام ، ابداع لا يستلزم الكونية الا اذا تلاحم المحلي بالكوني بشكل عضوي .

لقد كتب توفيق قصائد عدة عن حركات التحرر ، والانتفاضات السياسية ، وعن مناضلين من اجل التقدم . كتب عن لينين وناظم حكمت ، وعن العراق وموسكو وكوبا والسودان والجزائر . لكن هذه القصائد لا تشكل كونية شعره ، فهناك فرق بين الكونية والاممية ، ليست قصائده المشار اليها الا موقفا امميا ، موقف ذو غطاء شعري . تتحدد الكونية فنيا ، بتلاحم الفني والمعاش المحلي ، في حين تتحدد الاممية ايدولوجيا وسياسيا . ان اممية توفيق ليست امرا عارضا ، فهي تتسرب بنقطة انطلاقها الايدولوجية الى جملة شعره ، لكن كونية شعره لا تنبع بالتأكيد من اميته .

حول مفهوم العمل الشعري : قد يقول البعض اننا قد قدمنا قراءة خاصة لشعر توفيق زياد ، قراءة سياسية ـ ايدولوجية لا قراءة شعرية ، بدلا من الانطلاق من الشعر كابداع محض ، ولكن ما هو هذا الابداع المحض ؟

يقول هيجل « الشعر ابداع حر لا يمكن تقييده من الخارج ، وينبغي على الشاعر ان يتجاوز سجل الاهتمامات العملية وما شابهها ، وان يتأمل العالم الداخلي والخارجي بعين هادئة حرة ، ويترك جانبا كل ما هو غريب عن عاطفته ورغبته ، ..... ، ويمكن ان نقول بشكل عام ان صفة الفكر الشعري تكمن بشكل جوهري في مجازيته» (٢٩) واذا كان هيجل يركز على مجازية العمل الشعري من حيث هو تفكير في صور فانه يفعل ذلك في اطار فلسفته المثالية ، فالجمالي هو نتاج الوعي ومرحلة عابرة في طريق الروح الباحثة عن نفسها . ان الشعر عنده ليس الا ابداعيا صوفيا ، لحظة في تحقق الفكرة الباحثة عن نفسها ، اي نشاطا زماني ولا مكاني معلق في سديم مسار الفكرة المطلقة يضع التاريخ المادي بين قوسين . ان مثل هذا الشعر في شكله المطلق يستند الى امرين:

١ ـ مقولة جوهر الانسان والتي تقول ان هناك انسانا بشكل عام دون اي تحدد تاريخي او اجتماعي ، انسان كهف افلاطون الذي لا يرى الشمس الحقيقية بل يرى فقط شمسه الصوفية الخاصة .

٢ ـ التاريخ مسار روحي بعيد عن المادة والمجتمع وحركته وتناقضاته ، اطار صوفي لتحقق الروح او الفكرة ، اي بعيد عن التاريخ الحقيقي كهجومه وصراعاته المادية التي تحكم فعلا وموضوعيا وضعنا في التاريخ .

ان مثل هذا الشعر لا وجود له الا في « الفكرة » ، او في ضمير شاعر يجتر مملكة افكاره وعزلته ، فليس هناك انسانا بالمطلق بل نحن دائما امام انسان محدد تاريخيا واجتماعيا، انسان يصارع ويصارع بالضرورة ضد اخر ، ويتم هذا الصراع في التاريخ ، في فترة لها صفات ومزايا معينة ذات وعي اجتماعي ينبت من تربتها التاريخية ، وبالتالي فان العمل الشعري بكل تنوعه وخصائصه وتطور اشكاله يتجه بالضرورة الى انسان له تاريخ ، لا الى انسان (ما) في تاريخ (ما) . والشعر كموضوع له ذات اي قارىء

وجمور وطبقة ، يولد ويدور ويعيش في مكانه (مجتمعه) وفي زمانه (حقبة تاريخية معينة) ، وعندما يبتعد هذا الشعر وينأى عن زمانه ومكانه يغدو صوفيا او ذاتيا مبهما يدور في « فضاء وزمان » كاتبه ، اي مجتث الجذور .

ان قراءتنا لشعر توفيق بشكل خاص ولشعر المقاومة الفلسطينية بشكل عام تتم في هذا الاطار ، فهذا الشعر هو صوت نوعي للنضال الفلسطيني ، وهو انعكاس لهذا النضال واعداد تربوي لمتابعته ، وهذا ما يحدد المنحى العام ، المنحى الثوري والفني له. لذلك فنحن لا نبحث عن خصائص الشعب الفلسطيني (شعب ذو قضية) في شعره بل نبحث عن خصائص شعره فيه ، فالشعر الفلسطيني نما في رحم فلسطيني وولد على فراش فلسطيني ايضا ، وبذلك يلتقي الفني والاجتماعي والتاريخي بشكل كامل . فالفني هو الانعكاس الذهني للحدث المادي « الذي يدرس القوى التي تحرك العالم لضمان استمرار هذه الحركة » (٣٠)

ان الابداع الفني كتعبير عن وضع معين لا يستطيع ان يتجاوز حدود هذا الوضع ، ربما يستطيع ان يشير الى المستقبل والى افاق قادمة ، لكن هذه « الاشارة » لا تأخذ دلالتها ومعناها ان لم تستند الى ذلك الوضع المعين ، فوعي الفنان لا يكون وعيا ممكنا الا اذا ترابط بالوعي الاجتماعي في زمانه ، ويمكن ان نقول ان للفنان وعي راهن يرى فيه زمانه ووعي ممكن يقذفه الى المستقبل ، لكن هذا الوعي في شكله الراهن والممكن يخضع بالضرورة لضغط الوعي الاجتماعي ، (٣١) ، وهذا ما يخلق احيانا شرخا في عمله الفني ، ولا نقول شرخا بالمعنى السلبي للكلمة بل بمعنى تواجد الحاضر والمستقبل في العمل الفني ، الحاضر كحاضر وكمحدد للمستقبل في الوقت ذاته ، اي تناقض ظاهري يتضمن في جوهره وعيا « عميقا » لحركة الحاضر ومساره ، وهنا يأخذ الفهم شكل الحدس في غطاء شعري او فنيبشكل عام .

ان شعر توفيق زياد لا يعكس وضعا فلسطينيا بشكل عام ، بل يعكس وضعا ثوريا يشرع له اشكاله الشعرية المختلفة من الشعر الكوني الى شعر المناسبات مرورا بالشكل التحريضي . واذا كان شعره الكوني سيدخل كوثيقة ادبية في التاريخ فان شعره التحريضي سيدخل ايضا التاريخ كوثيقة تاريخية تحمل في طياتها نضال ومأساة شعب .

في زمن الثورة ، زمن توفيق زياد ، لا نقف طويلا امام « اللذة » الشعرية و « كمال الموهبة » ، بل نقف امام مدى تواجد الثورة في الشعر ومدى تواجد الشعر في الثورة بشكل يدفع على المستوى الاخير الثورة الى الامام . وبذلك لا يقف شاعرنا مغتربا لا في ذاته ولا في شعره ، فنمط ممارساته لا يسمح بشعر تائه او مغترب . يقول ستيفان مورافسكي عالم الجمال البولوني :

« في زمن الثورة علينا ان نحاكم الفن من خلال مضمونه وشكله ، وفي زمن الهدوء علينا أن نحاكمه من خلال شكله » (٣٢)

ان شعر توفيق **بكليته** لا يعبر عما يريد شاعره بل عن الحاجات الانسانية في زمانه . وسيبقى شعره **بكليته** وثيقة في التاريخ ، لان شاعرنا لم يغن في اشعاره نقودا ضائعة او عشيقة هجرته لكنه غنى ضياع الوطن وغنى لاستعادة الوطن المفقود .

مراجع الموضوع

1-MARX : Critique de l'économie politique, p. 88.

2-Recherches internationales, No. 38, pp. 83-84.

٣ — ديوان توفيق زياد ، دار العودة ، ص ١٢٦

٤ — نفس المرجع السابق ، ص ١٢٤

٥ — نفس المرجع السابق ، ص ١٢٠

٦ — نفس المرجع السابق ، ص ١٢٣

٧ ـ نفس المرجع السابق ، ص ٥٢٣
٨ ـ نفس المرجع السابق ، ص ١٠٨
٩ ـ نفس المرجع السابق ، ص ١٠١
١٠ ـ نفس المرجع السابق ص ١٠١
١١ ـ نفس المرجع السابق ، ص ١٢٨
١٢ ـ نفس المرجع السابق ، ص ١٧٣
13-Ch. Buci-Glucksmann : Gramsci et l'Etat, p. 295, Eds : FAYARD.
14-MARX : L'idéologie ALLEMAND, p. 33, Eds. Sociales.
15-Esthétique Marxiste et actualité, p. 294, Eds. Moscou.
16-B. Brecht : Ecrits sur le théâtre, pp. 49-93, Eds. L'Arch.
17-Plékhanov : L'art et la vie sociale, p. 27, Moscou.
18-Littérature / Science / Idéologie, No. 5-6, pp. 10-15.

١٩ ـ ديوان توفيق زياد ، ص ١٧٧ـ١٧٨
٢٠ ـ ديوان توفيق زياد ، ص ٢٠٧
٢١ ـ ديوان توفيق زياد ، ص ٤٦ـ٤٧
٢٢ ـ ديوان توفيق زياد
٢٣ ـ ديوان توفيق زياد ، ص ٢٧٩
٢٤ ـ ديوان توفيق زياد ، ص ٢٦٨
٢٥ ـ ديوان توفيق زياد ، ص ٢٦٩
٢٦ ـ ديوان توفيق زياد ، ص ٤٨١
٢٧ ـ ديوان توفيق زياد ، ص ٣٤٥
٢٨ ـ ديوان توفيق زياد ، ص ١٣٤
29-Hegel : Esthétique P.U.F., pp. 118-119.
30-B. Brecht : Ecrits sur la politique et la Société, Eds. L'Arch, p. 48.
31-S. Morawski : L'absolu et la forme, Eds. Klincksieck, p. 200.
32-*Ibid.*, p. 213.

مشكلات اللاجئين في مخيمات الاردن

كما يراها ابناؤهم في معهد تدريب عمان التابع لوكالة الغوث

حياة ملحس ياغي

الدراسة التالية هي ملخص رسالة للماجستير قدمتها صاحبتها الى الجامعة الاردنية في عمان . وسوف ينشر مركز الابحاث الدراسة كاملة في ربيع ١٩٧٦ .

اللاجئون الفلسطينيون ووضعهم العام في مخيمات الاردن كأساس لدراسة مشكلاتهم : ـ

١ ـ اللجوء الاول عـام ١٩٤٨

كان الفلسطينيون شعبا يعيش في وطنه تحت الانتداب البريطاني . وقد عانوا مـا عانوه من سياسة الحكومة البريطانية المتحيزة للجانب اليهودي. وقد اظهر الفلسطينيون رفضهم لهذا التحيز ولتشجيع الهجرة اليهودية الى بلادهم بالثورات المتكررة في وجـه حكومة الانتداب وفي وجه الصهيونية الوافدة .. الى ان تفجرت الازمة في العام ١٩٤٨، حين اتسع نطاق النزاع المسلح بين العرب واليهود وحين اضطر المواطنون الفلسطينيون لترك وطنهم وديارهم ومورد رزقهم واموالهم في فلسطين نتيجة عنف الهجمة اليهودية تؤازرها سلطات الانتداب والامبريالية العالمية . وقد علق الكونت برنادوت الوسيط الدولي في فلسطين لدى الامم المتحدة انذاك قائلا « ترتب على حرب عام ١٩٤٨ فـي فلسطين ان كل السكان العرب تقريبا طردوا او فروا من الرقعة التي صارت تحـت الاحتلال اليهودي . ومن هؤلاء العدد الكبير من سكان يافا وحيفا وعكا والرملة واللد الخ ... وبينما كان عدد السكان اكثر قليلا من (٤٠٠ر٠٠٠) عربي قبل اندلاع نـيران الحرب ، فان العدد الباقي في الاراضي الخاضعـة للسيطرة اليهوديـة يقدر بنحـو ٥٠ر٠٠٠ » (١)

وقد لاحظ الدكتور جون ه ديفيز الذي شغل منصب المفوض العام لوكالة الامـم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم في الشرق الادنى مدة خمس سنين ، « ان مقدار الوحشية التي استخدمها الاسرائيليون في طرد اللاجئين باعتبارها جزءا من خطة مدبرة متعمدة ، هو امر لم يقدر حق قدره ، وقد تفاوت هذا الطرد بين حرب نفسية دبرها خبراء ، وبين طرد بالقسر وبلا رحمـة » (٢) .

لجأ هؤلاء الفلسطينيون عام ١٩٤٨ من فلسطين الى البلدان العربية المجاورة: الاردن، لبنان ، سورية ، قطاع غزة ، مصر والعراق .

كان عدد اللاجئين في الاشهر الثلاثة الاولى من عام ١٩٤٨ صغيرا نسبيا في البـلاد العربية المجاورة ، ولكنه تضخم واتسع نتيجة لمذبحة دير ياسين في يوم ٩ من نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ولقيام الاسرائيليين بطرد السكان العرب من طبريه في ١٩ من نيسان

(ابريل) ومن حيفا في ٢٢ من نيسان (ابريل) ويافا في ٢٩ من نيسان (ابريل) وصفد في ١٠ من ايـــار (مايو) والرملة واللد في ١٢ من تموز (يوليو) وبئر السبع في ٢١ من تشرين الاول (اكتوبر) وغرب الجليل في خلال تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ » (٣) .

لقد كانت الارقام الاولى من عدد اللاجئين تقديرات غير دقيقة اجريت بينما كانت موجة الرحيل متصلة. وقدر الكونت برنادوت عدد اللاجئين حتى يوم ١٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ بما مقداره (٣٣٠ر٠٠٠) . ثم جاء تقرير الوسيط بالنيابة في شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ ، فعدل الرقم الى (٤٧٢٠٠٠) ولكنه ذكر ان التقديرات التي قامت بها السلطات العربية جعلت المجموع يتفاوت بين (٧٤٠) الفا و (٧٨٠) الفا (٤) . وعندما تسنى اجراء تقدير على وجه ادق ، تبين ان الرقم الحقيقي اكبر من ذلك بكثير ، وفي شهـــر حزيران (يونيو) ١٩٤٩ ، قدم الامين العام للامم المتحدة تقريرا الى الدورة الرابعـــة للجمعية العامة قال فيه : « ان عدد اللاجئين هو (٩٤٠) الفا » (٥) . عندما انشئت وكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين وتشغيلهم في اول ايار (مايو) ١٩٥٠ ، قدر عددهم بما مقداره (٩٦٠) الفا (٦) . ولم يشمل هذا الرقم ، عددا اخر من اللاجئين لم يسجلوا ، اما لانهم لم يسجلوا انفسهم لدى وكالة الاغاثة ، واما لانهم لم يتلقوا مساعدة منهـــا . ويمكن القول بان عدد اللاجئين الفلسطينيين في سنة ١٩٤٨ كان نحو مليون شخص . وهذا هو التقدير الذي اجراه في ذلك الوقت مندوب رابطة جمعيات الصليب الاحمر في الشرق الاوسط (٧) .

ونتيجة للزيادة الطبيعية ، فقد اصبح عدد اللاجئين الفلسطينيين المسجلين لدى وكالة الاغاثة في يوم ٣١ من ايار (مايو) ١٩٦٧ ما مقداره (١ر٣٤٤ر٥٧٦) (٨) . غير ان هذا الرقم ايضا لا يمثل جملة عدد اللاجئين لانه لم يحدث مطلقا ان اجرى احصـــاء لعـــدد الذين ، رغم تشردهم عام ١٩٤٨ ، لم يتلقوا اية مساعدات من وكالة الغوث ولـــم يكونوا عالة عليها ، بل عاشوا من امكانياتهم الخاصة ومن كدهم وعملهم وهؤلاء اكثرهم حرفيون او تجار او صناع ، (اطباء ، مهندسون ، محامون الخ) .

وقد عاش بعضهم في الاردن وسورية ولبـــنان ، بينمـــا عمـــل بعضهم في الكويت والسعودية والعراق وغير ذلك من البلدان (٩) .

وفي التقرير السنوي الذي وضعه المفوض العام لوكالة الاغاثـــة ، بتاريخ ٢٧ آب (اغسطس) ١٩٦٢ بلغ عدد اللاجئين غير المسجلين بنحو عشرين في المائة من المجموع (١٠). وهذا التقدير على الارجح اقل من الواقع ، والارجح ان نسبتهم تصل الى نحو خمسة وعشرين في المائة (١١) . ولكن حتى لو اعتبر تقدير المفوض العام اساسا ثم اضيف هـــذا التقدير الى عدد المسجلين لدى وكالة الغوث ، فان مجموع عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين شردتهم حوادث عام ١٩٤٨ لا بد ان يكون قد اربى في ٣١ ايار (مايو) ١٩٦٧ ، على ١ر٦٠٠ر٠٠٠ (١٢) .

وبالرغم من ان هذا الرقم ١ر٦٠٠ر٠٠٠ اوردته المصادر المبينة لوصف عدد اللاجئين لعام ١٩٦٧ يبين لنا الجدول التالي تفاوتا غير متوقع لوصف عدد اللاجئين المسجلين في دوائر وكالة الغوث في ١٩٦٩/١/١ (١٣) وفي ١٩٧٢/١٢/٣١ (١٤) .

وهذا جدول يبين عدد اللاجئين المسجلين لدى وكالة الغوث في البلدان المضيفة حتى ١٩٧٢/١٢/٣١ .

الجدول رقم (١)

اسم البلد المضيف	عدد اللاجئين المسجلين في وكالة الغوث حتى ١٩٦٩/١/١	عدد اللاجئين المسجلين لدى وكالة الغوث حتى ١٩٧٣/١٢/٣١
الضفة الشرقية من الاردن	٤٧٨٣٦٩	٥٥٧٩٧١
الضفة الغربية من الاردن	٢٦٩٠٦٥	٢٨١٠٥٨
قطاع غزة	٣٠٧٨٢٤	٣٢٧١٧٩
لبنان	١٦٨٩٢٧	١٨٥٥٩٧
سورية	١٥١٧٣٠	١٧١٢٣٠
المجموع	١ر٣٧٥٩١٥	١ر٥٢٢٠٣٥

تعرض لاجئو عام ١٩٤٨ لظروف بالغة القسوة ، فقد افتقروا الى وسائل الرزق والمعيشة . واضطر بعضهم للمكوث في المساجد والاماكن العامة . بينما الفى مئات الالاف منهم انفسهم بلا طعام او مأوى ، فضربوا الخيام تحت الاشجار ، او سكنوا المغاور في احسن الظروف ، وتوزعوا في البراري هنا وهناك . والى القارىء الوصف الذي ساقه وسيط الامم المتحدة لفلسطين مصورا احوال اللاجئين العرب في رام الله في صيف عام ١٩٤٨ (١٥) : « قبل ان نبرح القدس ، زرت رام الله حيث احتشد الالاف من اللاجئين القادمين من اللد والرملة . وكنت قد زرت مخيمات اللاجئين من قبل . ولكنني لم ار من قبل مثل هذا المنظر الرهيب الذي طالع عيني في رام الله . كانت السيارة تدلف وسط هدير كهدير العاصفة من حشود منفعلة تهتف بحماسة شرقية طلبا للطعام ورغبة في العودة الى ديارها ، وكان هناك عدد من العجزة الذين لا حول لهم ولا قوة ، طالت لحاهم ، دفعوا وجوههم النحيلة داخل سيارتي واخذوا يلوحون بكسر الخبز ، وهي مما يأنفه بكل تأكيد اي شخص عادي ولكنها مع ذلك .. كانت طعامهم الوحيد . ولعله ليس ثمة خطر مباشر من ان يغدو هذا المخيم مرعى لامراض وبائية تفتك بفلسطين بأسرها . ولكن ماذا يحدث في اوائل تشرين الاول (اكتوبر) حين يبدأ موسم المطر ، ويأتي الجو البارد ؟.. وخير للمرء الا يتابع هذا الامر الى نهايته » (١٦) .

ولقد تنبأ الكونت برنادوت بما كان يدخره الغد . ذلك ان اسرائيل ابت ان تسمح للاجئين الفلسطينيين بالعودة الى ديارهم . وكان من عاقبة ذلك أن آلافا كثيرة منهم وجدت نفسها في مطلع الشتاء دون اية حماية من اخطار الطبيعة (١٧) . وقد مات منهم كثيرون راحوا ضحايا دون ان يأبه بهم احد .

والاجراءات الاولى التي اتخذت لغوث اللاجئين ، تولاها السكان المحليون والحكومات العربية ولأكثر من سنة ، اعتمد هؤلاء اللاجئون على هذه المساعدة وحدها . ولكن لتضخم ابعاد مأساة اللاجئين ، تطوعت بعض هيئات الاغاثة الخاصة لمساعدتهم منها رابطة الصليب الاحمر ، والصليب الاحمر الدولي ، ولجنة خدمة الاصدقاء (الفرندز) على انه سرعان ما وضح لوسيط الامم المتحدة انه لا الجهود التي تبذلها الحكومات العربية والسكان العرب ، ولا التبرعات التي تجود بها هيئات الاغاثة الاجنبية بكافية لمعالجة مشكلة اللاجئين الضخمة . ولم يكن ثمة خيار ، كما قال وسيط الامم المتحدة ، الا بين انقاذ حياة آلاف كثيرين او تركهم يموتون . وكان ضروريا للامم المتحدة ان تتدخل لتحول دون وقوع الكارثة . وفي سنة ١٩٤٩ ، انشئت هيئة اغاثة اللاجئين الفلسطينيين التابعة للامم المتحدة لتعون اللاجئين على اساس مؤقت . ثم في اول ايار (مايو) ١٩٥٠ بدأت وكالة الغوث التي انشئت بقرار من الجمعية العامة تاريخه ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ ، مهمتها في مساعدة اللاجئين الفلسطينيين فاستطاعت ان تبعد عنهم

شبح الموت جوعا ، كما خففت من الشدة التي كانوا يعانون منها بما وفرته لهم من الطعام والمأوى والعناية الطبية . وفي السنين الاخيرة وجه اهتمام الى التدريب المهني وتخريج المعلمين بين قطاع اللاجئين .

وقد انشأت وكالة الغوث اربعة وخمسين مخيما تابعا لها في البلدان المضيفة حيث أوت فيها حوالي (٤٠ بالمائة) من اللاجئين الفلسطينيين حتى شهر حزيران ١٩٦٧ (١٨) .

لقد وضع هؤلاء اللاجئون في مخيمات كانت تتألف في البداية من الخيام فقط وقد كان هذا الاجراء اجراء مؤقتا لا مفر منه الى ان استبدلت هذه الخيام باكواخ بنيت من الطوب الطيني او من الزينكو او من قوالب الاسمنت الاكثر متانة (١٩) .

وهذه قائمة باسماء واعداد المخيمات (٢٠) التي انشئت في الاردن بعد حوادث عام ١٩٤٨ : —

الجدول رقم (٢)

اسم المخيم	عدد سكانه المسجلين
١ — مخيم الوحدات في مدينة عمان	٤٢٫٤٩٦ نسمة
٢ — مخيم جبل الحسين في مدينة عمان	٣٢٫٨٧٥ نسمة
٣ — مخيم الزرقاء في بلدة الزرقاء	١٧٫٢٣٢ نسمة
٤ — مخيم اربد في مدينة اربد	١٨٫٥٠٣ نسمة

قائمة باسماء واعداد المخيمات (٢١) التي انشئت في الاردن بعد حوادث عام ١٩٦٧ وتدعى (بمخيمات الطوارىء) .

الجدول رقم (٣)

اسم المخيم	عدد سكانه المسجلين
١ — مخيم البقعة — شمالي مدينة عمان	٤٣٫١٨٤ نسمة
٢ — مخيم باركة — طريق الزرقاء	٢٣٫٠٩٥ نسمة
٣ — مخيم الحصن — قرب مدينة اربد	١٥٫٠٦٥ نسمة
٤ — مخيم جرش — شمالي مدينة عمان	١٤٫١٠٠ نسمة
٥ — مخيم سوف — في الشمال	٩٫٤٨٨ نسمة
٦ — مخيم الطالبية — زيزيا — طريق مادبا	٥٫٥٥٧ نسمة
المجموع	**١١٠٫٤٨٩ نسمة**

والواقع ان مساعدات الوكالة لا يتلقاها جميع اللاجئين المسجلين ، فنسبة الذين لا يتلقون مساعدة من الوكالة مطلقا ١٠٪ من اللاجئين حسب احصائيات الوكالة كما ان هناك حوالي ٢٨٪ من اللاجئين يحصلون فقط على خدمات الاونروا الصحية والتعليمية ، ولكنهم لا يحصلون على مخصصات الاعاشة وهؤلاء هم اصحاب الدخل الذين يعملون اما في جهاز وكالة الغوث او في مؤسسات اخرى . وهناك حوالي ٦٢٪ من اللاجئين المسجلين يحصلون على كل من خدمات الوكالة ومخصصات الاعاشة (٢٢) .

ففي عام ١٩٦٦ كان عدد اللاجئين الذين يتلقون مساعدات (٨٦٠) الفا من جملة عدد اللاجئين المسجلين الذين يزيد عددهم عن (١٫٣٠٠٫٠٠٠) . وبين عامي ١٩٥١ و ١٩٦٦ تفاوتت نفقات وكالة الاغاثة السنوية ما بين (٢٦) مليون دولار و ٣٧ مليونا .

وفي عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨ زادت النفقات السنوية على (٤٠) مليون دولار وفي عام ١٩٦٩ قدر ان ميزانية الوكالة ستتجاوز ٤٢ مليون دولار . وهذا يعني في حقيقة الامر ان معدل المساعدة بالنسبة للفرد يقل عن ٣٠ دولارا في السنة هي كل مـا ينفق علـى اللاجىء الواحـد (٢٢) .

٢ ــ نزوح ثان في حزيران سنة ١٩٦٧

لقد تسببت اسرائيل في مأساة ثانية للاجئين اذ بلغ عدد الفلسطينيين الذين شردوا من الضفة الغربية وقطاع غزة نتيجة للحرب الاسرائيلية العربية التي نشبت في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حسب تقدير حكومة الاردن في ٣١ ايار (مايو) ١٩٦٨ مـا مقداره (٢٤٨ر٤١٠) شخصا . وقد تلقى عدد كبير منهم المساعدة من وكالة الغوث وقدر عددهم في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ بنحو (٣٢٥) الفا . ويتألف هذا الرقم من (١٤٥) الف لاجىء فلسطيني منذ حرب سنة ١٩٤٨ ، وهم مسجلون رسميا لدى وكالة الغوث فـي الضفة الغربية وشردوا للمرة الثانية في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ومن (١٨٠) الفا من اللاجئين الجدد من الضفة الغربية وقطاع غزة . ويجب ان يضاف الى عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين شردوا من الضفة الغربية وقطاع غزة (١٦) الف فلسطيني سجلوا لدى وكالة الغوث باعتبارهم لاجئين بعد حرب عام ١٩٤٨ ثم شردوا في سورية ، كذلـك يضاف بين ثلاثة الاف واربعة الاف شاب فلسطيني كانوا مسجلين لدى وكالة الغـوث طردتهم اسرائيل من قطـاع غزة الـى مصر (٢٤) .

ان مجموع عدد اللاجئين الفلسطينيين نتيجة لحربي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ يحتاج الى شيء من الايضاح . فقد لاحظنا فيما سبق ان المفوض العام لوكالة الاغاثة قدر في عام ١٩٦٢ عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين لم يسجلوا لدى وكالة الاغاثة والذين عاشوا بوسائلهم الخاصة بما نسبته عشرون بالمائة من عدد اللاجئين المشردين (٢٥) كذلك قـال المستر جينغ الممثل الخاص للامين العام في تقريره المؤرخ في ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ ان عدد اللاجئين المسجلين لدى وكالة الغوث « يقدر بسبعين في المائـة من جملـة عدد اللاجئين » (٢٦) والرقم الذي لدى وكالة الغوث اللاجئين يوم ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٨ هو ٢٦٨ر٣٦٤ر١ (٢٧) فاذا اضيف الى هذا الرقم عدد النازحين الذين كانوا ضحية حرب ١٩٦٧ ، وكذلك عدد اللاجئين غير المسجلين لدى وكالة الغوث زادت جملة اللاجئـين الفلسطينيين الذين شردتهم اسرائيل من سنة ١٩٤٨ بكثير على ارقام وكالة الغوث لعدد اللاجئين المسجلين لديهـا .

واثر هذا النزوح الثاني قامت الوكالة بانشاء مخيمات طوارىء لهؤلاء النازحين ستة منها في الاردن ، واربعة في سورية . اقيمت هذه المخيمات المؤقتة الجديدة في التـلال الواقعة الى الشمال والجنوب من مدينة عمان . وباقتراب الجو البارد جرى نقل هـذه المخيمات الواسعة الى وادي الاردن لان شتاءه اقل قساوة من مناطق اخرى . كذلـك فصلت الوكالة مع اللاجئين المسجلين في قوائمها والذين نزحوا عام ١٩٦٧ اثر اندلاع الحرب بين اسرائيل والبلدان العربية ــ هؤلاء اللاجئين الذين كانوا يتقاضون مؤنا ــ فصلتهم عن بقية النازحين ونقلت مؤنهم من المنطقة التي نزحوا منها في الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ، وبدأت تساعدهم كبقية اللاجئين المقيمين في الضفة الشرقية مـن الاردن . اما النازحون الباقون فتولت امر اعاشتهم اللجنة الوزارية العليا التابعـة لوزارة الانشاء والتعمير الاردنية وذلك باعطائهم مخصصات تموينيـة وغيرها مـن التبرعات التي تفد اليها من الجمعيات الخيرية في البلدان المختلفة عن طريق الحكومـة الاردنيـة .

وبحلول شتاء ١٩٦٨ — ١٩٦٩ كان حوالي ٩٢،٠٠٠ شخص لا زالوا يقيمون في احوال طارئة تحت الخيام في الضفة الشرقية من الاردن وفي سورية (٢٨) .

وقد جرى اتخاذ اجراءات خاصة لانشاء مآو مؤقتة ومتينة لحماية خمسة من المخيمات الطارئة الستة في الاردن من قساوة الشتاء ، والمخيم السادس زود بمآو من الخرسانة بنتها جمعية الاسد والشمس الحمراء الايرانية (٢٩) . وقد رفض لاجئوا المخيمات الطارئة بناء غرف متينة لهم من الخرسانة لشعورهم بان في هذا المشروع تأكيدا للخطة بتوطين اللاجئين في الدول العربية الامر الذي يرفضه معظم اللاجئون في المخيمات ومعظم اللاجئون خارج المخيمات ايضا يرفضونه بشدة وحزم ، ولا يرضون عنه بديلا سوى العودة الى وطنهم السليب فلسطين .

وقد جرت محاولة التوطين هذه سنة ١٩٤٩ حيثرعتها وزارة الخارجية الاميركية (٣٠) وقد كانت محاولة لتصفية مشكلة اللاجئين بتوطينهم بعيدا عن ديارهم فقد قدم انذاك المستر بورتر (Porter) العضو الاميركي في لجنة التوفيق الخاصة بفلسطين اقتراحا بتعيين لجنة للاستقصاء الاقتصادي في الشرق الاوسط تكون مهمتها التوصية ببرنامج للتنمية في الشرق الاوسط لاعادة دمج اللاجئين « في الحياة الاقتصادية للمنطقة على اساس الاكتفاء الذاتي في اقصر وقت ممكن » (٣١) . وقد عينت لجنة الاستقصاء برئاسة المستر غوردن ر . كلاب — Klapp — ، وبسرعة مدهشة قدمت تقريرها ، وقد اوصت بعثة كلاب كما سميت في ما بعد ببرنامج للاشغال العامة باعتبارها « مشروعات نموذجية » في البلدان التي ينزل اللاجئون فيها ، وذلك لتهيئة اسباب العمل للاجئين والمبادرة الى خفض قوائم اللاجئين المسجلين بنسبة الثلث ، وانهاء اعمال اغاثة اللاجئين في خلال ثمانية عشر شهرا . وقد قبلت الجمعية العامة للامم المتحدة توصيات بعثة كلاب فيما يتعلق بوضع برنامج الاعمال ، ولكنها ابت ان ترضي توصيتها المتعلقة بانهاء غوث اللاجئين . وفي القرار الذي اتخذته الجمعية العامة بتاريخ الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٠ ، كلفت وكالة الاغاثة والتشغيل بان تهيء صندوقا لاعادة دمج اللاجئين قوامه (٣٠) مليون دولار على ان تستخدم في مشروعات قد تطلبها حكومات الشرق الادنى لتمكين اللاجئين من الوقوف على اقدامهم ورفع اسمائهم من قوائم الاغاثة (٣٢) . وفي يوم ٢٦ من كانون الثاني (يناير) ١٩٥٢ ، وافقت الجمعية العامة على برنامج لانفاق مائتي مليون دولار لاعادة دمج اللاجئين .

ولكن مشروعات الاشغال التي اقترحتها بعثة كلاب اخفقت اخفاقا تاما ففي يوم ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٠ ، وهو التاريخ الذي حددته بعثة كلاب لانهاء غوث اللاجئين ، لم يزد عدد الذين عثروا على عمل على (١٢) الف لاجيء من مليون لاجيء . ولم يستخدم من المائتي مليون دولار المخصصة للاجئين الا خمسة في المئة . اما سبب الاخفاق ، فقد اعرب عنه هنري ر . لابويس مدير وكالة الاغاثة في تقريره السنوي لعام ١٩٥٥ — ١٩٥٦ حيث قال : « ان مشكلة اللاجئين الفلسطينيين انما تتعلق بالانسانية المعذبة ، وبالذكريات ، وبحالة التمزق التي يعاني منها مئات الالاف من افراد بني البشر ، وليست مجرد مشكلة اقتصادية تقبل الحلول الاقتصادية » (٣٣) .

ولكن عندما لم تنجح خطة كلاب حاولت وكالة الغوث في عام ١٩٥٥ اعطاء مبالغ مالية تتراوح بين ٢٠٠ — ٤٠٠ دينار اردني لاقامة مشاريع صغيرة تتعلق بالشؤون الزراعية او مشاريع حرفية بسيطة للاجئين مقابل استغناء اللاجيء المستفيد عن بطاقة مؤنه نهائيا . وقد عانى ابناء هؤلاء اللاجئين المستفيدين من هذه المشاريع الصغيرة ، اذ انهم عندما اصبحوا في سن تؤهلهم لدخول دور معلمي الوكالة رفضوا رفضا قاطعا من قبل المسؤولين في الوكالة بحجة ان اباءهم كانوا من المستفيدين من مثل هذه المشاريع .

اوردت هذه اللمحة عن نتائج استقصاء لجنة التوفيق الخاصة بفلسطين ورفض اللاجئين قبول مشروعها بشكل عام ، لان نتائج البحث في هذه الدراسة ابرزت بشكل بارز ان المعاناة النفسية للجوء واثر اللجوء النفسي على اللاجيء ، كانت من اهم المشاكل واكثرها حدة عند طلبة معهد تدريب عمان وهم ابناء اللاجئين في المخيمات كما سيتضح ذلك في فصل تحليل النتائج .

ومن هذه الامثال وغيرها التي اوردناها على سبيل المثال نرى انه من الخطأ علميا الاعتقاد بان حالة التوتر لا توجد الا عندما تكون هناك عمليات عسكرية او حوادث على الحدود او عداوات سياسية تتصدر اخبارها عناوين الصحف العالمية ، ومع ان هناك فارقا في الدرجة ، فان هناك توترا مستمرا في هذه المنطقة الحساسة ، وهو امر يبعث على القلق الدائم ...وينبغي التأكيد مرة اخرى بان رغبة اللاجئين في العودة الى وطنهم رغبة مستمرة لا تخمد .. وجدير بالذكر ان الاجابة على سؤال رقم **٣ ص** في الاستبيان وهو « هل لديك حلول تقترحها لحل بعض هذه المشكلات ؟ » ، كانت معظمها تقول ان الحل الوحيدهوالعودة الى فلسطين . مع انه قد مر حوالي ٢٤ عاما على الهجرة وما زال الحنين الىالوطن قائما ، والاصرار على العودة ثابتا مع ان الاشخاص الذين اجابوا عن هذا السؤال هم من ابناء وحتى من احفاد اللاجئين الذين لم يروا فلسطين ، بل تمسكوا بها واحسوها من خلال تمسك ابائهم واجدادهم بها . وهذا يطابق تعليق السيد لابويس في تقريره السنوي للعام ١٩٥٥ — ١٩٥٦ المذكور سابقا . غير انه ما دام اللاجيء لا يشعر بان هناك خطوات محسوسة تهدف الى اشباع هذا الشوق الى الوطن ، سواء بمنحه خيارا بين العودة او التعويض المنصوص عليه في الفقرة ١١ من القرار رقم (١٩٤ — ٣) الصادر عن الجمعية العامة في ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، او عن طريق حل اخر يقبله جميع ذوي الشأن ، فان المهمة الطويلة المدى المسندة الى الوكالة ستبرهن على انها غير قابلة للتحقيق .... ومن السهل ان نفهم لم ادت رغبتهم في العودة الى ديارهم الى جعل اي تقدم واسع النطاق في مهمة الوكالة البعيدة المدى امرا مستحيلا ، الا وهي مهمة تحقيق (دمج اللاجئين في الحياة الاقتصادية للشرق الادنى) (٣٤) . كما ان اثار هذا الوضع السيكولوجية على اللاجيء قد تشكل قوة احباطية مضادة لقبول اي حلول يشعر اللاجيء انها مؤقتة او مخدرة لا تؤدي الى هدفه المنشود .

وكما اعلن مدير وكالة الاغاثة ان المشكلة كامنة في دائرة السياسة وفي العواطف الانسانية العميقة التأصل ، وليست كامنة في مجال الاقتصاد . وتستطيع وكالة الاغاثة والتشغيل بكل تأكيد تمكين بضع مئات من اللاجئين من ان يصبحوا قادرين على اعالة انفسهم في كل سنة ، وذلك عن طريق مشروعات صغيرة للتنمية الزراعية ، ومنح لانشاء صناعات صغيرة ، وما الى هذا ، ولكنها لن تستطيع ان تتغلب على كون اللاجئين في مجموعهم يصرون على الاختيار الذي نص عليه لهم في قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ — وهو العودة الى ديارهم او التعويض . ومع انعدام هذا الاختيار ، فانهم يعارضون بمرارة كل ما يحمل شبهة اسكانهم في مكان اخر .

والرجال المسؤولون في الحكومات التي تستضيف اللاجئين ، مع استثناء قلة قليلة ، يعلنون تأييدهم للاجئين في موقفهم ، ويعارضون مشروعات التوطين الواسعة النطاق. ومن ناحية اخرى ، ففي موضوع اعادة اللاجئين او تعويضهم لم تتخذ حكومة اسرائيل اي اجراء ايجابي (٣٥) .

وقد اكد المديرون المتعاقبون لوكالة الغوث في تقاريرهم السنوية الاخفاق الكامل لجميع محاولات توطين اللاجئين . وفي التقرير السنوي عن عام ١٩٥٥ — ١٩٥٦ قال

مدير وكالة الغوث : « هناك طبعا عدد استطاع ان يهيىء لنفسه استقرارا مرضيا في حياته الجديدة ، ولكن الغالبية الكبرى تتمسك بمطلبها الجماعي وهو ان ظلما مروعا قد احاق بها ، وتؤكد ان الحل الوحيد المقبول هو العودة الى ديارها » (٢٦) . وهذا ما يؤكده مجتمع الدراسة في معهد تدريب عمان في اجابته حول السؤال رقم ٣ ص من الاستبيان والذي يقول : « هل لديك حلول تقترحها لحل بعض هذه المشكلات » حيث اجاب حوالي ٤١٪ من مجتمع الذكور ان الحل الوحيد هو العودة الى الوطن فلسطين .

٣ ــ خدمات وكالة الغوث (٢٧)

١ ــ تعطيه وحدة سكنية في احد المخيمات .

٢ ــ تسلم وكالة الغوث للاجىء المسجل بطاقة التموين حيث يتسلم رب العائلة مخصصاته ومخصصات افراد عائلته المسجلين في بطاقة المؤن .

٣ ــ كذلك تولي الوكالة اللاجئين المرضى وبعضا من طلاب مدارسها المحتاجين عناية خاصة وذلك بتهيئة البرنامج الطارىء لخدمتهم .

٤ ــ كذلك هنالك مراكز تغذية اضافية للاجئين المرضى وطلاب المدارس والاطفال حيث ان هنالك اكثر من ٢٥٠،٠٠٠ لاجىء معظمهم من الرضع والاطفال يستفيدون من هذا البرنامج وتقدم هذه الخدمة ايضا الى الحوامل والمسنين المحتاجين بين النازحين ايضا .

٥ ــ هنالك اكثر من ربع مليون من ابناء اللاجئين يذهبون الى المدارس ، الا ان ٢٠٩،٠٠٠ منهم يتلقون العلم في ٤٦٦ مدرسة تابعة للاونروا ــ اليونيسكو .

٦ ــ انشأت الوكالة عشرة مراكز للتدريب المهني ولتكوين المعلمين تتسع لما مجموعه ٣٦٠٠ طالب وطالبة سنويا . وهناك خطة لزيادة هذه السعة بحوالي ٥٠ بالمائة .

٧ ــ توفر الوكالة للاجئين الخدمات الصحية في المخيمات تحت الاشراف الفني لمنظمة الصحة العالمية WHO وذلك عن طريق مستوصفاتها وفرقها الصحية المتنقلة . وتقدم هذه الخدمات ايضا الى النازحين الجدد في مخيمات الطوارىء .

هناك ١٠ مراكز طبية + ٥ عيادات في مخيمات الاردن .

هناك ايضا فرق صحية متنقلة تديرها الوكالة او تدفع لها معونات مالية وتوفر الوكالة ٣٣٢ سريرا في المستشفيات الحكومية في الاردن او تدفع معونات مالية عنها .

كذلك تدير الوكالة (٨٠) مستوصفا لرعاية الامومة والطفولة حصة الاردن منها (٢٠) مستوصفات حيث يقوم ٧٥٪ من اللاجئات الحوامل والمرضعات بزيارة هذه المرافق ، كما ان نسبة مماثلة من الرضع مسجلة للحصول على الاشراف الصحي والتحصين ضد الامراض بصورة منتظمة . وتلعب مراكز معالجة الجفاف والضمور دورا مهما في اعادة الصحة لصغار الاطفال المصابين بالتهابات المعدة والامعاء او الذين يعانون سوء التغذية وهنالك الان ستة مراكز من هذا النوع في غزة وخمسة في الضفة الشرقية من الاردن وواحد في الضفة الغربية وثلاثة في كل من لبنان وسورية تتسع مجتمعة الى ٢١٧ سريرا (٢٨) .

كذلك يشرف القسم الصحي في الوكالة على برنامج لمكافحة الامراض السارية . ويبلغ عدد الاطباء المشرفين على الشؤون الصحية للاجئين في الاردن ٢٧ طبيبا ، منهم ٢٢ طبيبا موزعين في عيادات وكالة الغوث في الاردن ، حيث يعين ٣ اطباء لاكبر تجمع

سكاني في المخيم وطبيب واحد لاصغر تجمع سكاني في المخيم ، وهناك طبيبان لجميع مدارس الوكالة في الاردن يشرفان على برنامج الصحة المدرسية ، و ٣ اطباء ، منهم رئيس الخدمات الطبية في الاردن ، يشرفون على الامور الادارية للخدمات الصحية لوكالة الغوث في الاردن (٣٩) .

أ ــ برنامج الرعاية الصحية في المدارس : ــ

هناك (٢٠٨٨٧٠) طفلا يتلقون العلم في المدارس التابعة للأونروا (٤٠) . ومن هذا العدد (١٦٦٠٥١) ولدا و (٩٥٥٨٢) بنتا وما مجموعه (٩٧٢٩٢) تلميذا في مدارس الوكالة في الاردن (٤١) . ويتضمن برنامج الوكالة للرعاية الصحية في المدارس اجراء فحص طبي عادي لكل تلاميذ الوكالة عند دخولهم مدارسها . كذلك يتضمن هذا البرنامج تقديم الخدمات العلاجية وصرف الحليب يوميا ، وبرنامجا للتحصين ضد الامراض ومكافحة الامراض السارية والارشاد الصحي :

١) الارشاد الصحي :

ان هدف برنامج الارشاد الصحي يشمل جميع قطاعات السكان من اللاجئين . وتقوم الوكالة تعزيزا لهذا البرنامج بتوظيف ٢٤ مرشدا صحيا يستخدمون الادوات السمعية البصرية لتساعدهم في اعمالهم . حصة الاردن من هؤلاء المرشدين ٤ مرشدين .

٢) التمريض :

توظف وكالة الغوث في مراكزها الصحية ومستوصفاتها ومستشفياتها ١٦٦ ممرضة وقابلة مجازة ــ حصة الاردن منها ١٩ ممرضة و ٢٩٥ ممرضة مساعدة ــ حصة الاردن منها ٧٢ و ٥٦ قابلة ــ حصة الاردن منها ٣١ . تقوم مرافق التدريب الاساسي في كل بلد من البلدان المضيفة وتقدم الاونروا منحا للتدريب . . كما ترتب ايضا دورات للتدريب اثناء الخدمة (٤٢) . كل هؤلاء الموظفين يؤدون خدماتهم في مخيمات الوكالة وعياداتها .

ب ــ برنامج الخدمات التعليمية :

لقد بلغت اعداد التلاميذ للعام ١٩٧١ ــ ١٩٧٢ المسجلين في مدارس وكالة الغوث الابتدائية والاعدادية (٢٤٥٠٧٨) طالبا وطالبة ، و ٣٠٥٩٢ طالبا وطالبة في مراكز التدريب التعليمية والمهنية التابعة للوكالة . وبالاضافة الى هذه الاعداد كان هناك ٦٩٠٠٤ طلاب لاجئين يتلقون تعليمهم في المدارس الحكومية والمدارس الخاصة في البلدان المضيفة للمراحل الابتدائية ، والاعدادية والثانوية .

وقد شمل برنامج منح وكالة الغوث في الجامعات العربية للعام ١٩٧١ ــ ١٩٧٢ (٦٨٧) منحة . كذلك هنالك (١٠٦٧) معلما غير مؤهل يتلقون تدريبهم في معهد التأهيل الذي ترعاه وكالة الغوث بالتعاون مع منظمة اليونيسكو العالمية (٤٣) .

برنامج التعليم في الضفة الشرقية من الاردن :

بلغ عدد المدارس التي ادارتها وكالة الغوث بالتعاون مع منظمة اليونيسكو في الضفة الشرقية من الاردن حتى العام الدراسي ١٩٧١ ــ ١٩٧٢ (١٥٦) مدرسة تضم المرحلتين الابتدائية والاعدادية . وبلغ عدد التلاميذ المسجلين خلال هذه الفترة ولذات المرحلة (٨٦٦٧٩) تلميذا . وعدد المدرسين للمرحلة ذاتها (٢٣٧٣) مدرسا . وقد كان عدد المدارس التي تعمل على نظام الفترتين (١٢٦) مدرسة حيث احتوت على (١٤٦٥) صفا .

هناك مركزان لاعداد المعلمين والتدريب المهني في الاردن حيث يضم « معهد تدريب عمان » الذي تبلغ سعته (٧٠٠) طالب وطالبة منهم (٣٠٠) طالب في قسم اعداد المعلمين ، وكذلك (٢٥٠) طالبة في القسم ذاته ، و (١٥٠) طالبة في قسم التدريب المهني. كذلك هناك « مركز تدريب وادي السير المهني » الذي يضم حوالي ٥٠٠ طالب يدربون على حرف مختلفة تساعد في تطوير مجتمعهم العربي (٤٤) .

جـ ــ برنامج الخدمات الاجتماعية (٤٥) :

ويرعى هذا البرنامج المحتاجين من اللاجئين ومنهم ذوي العاهات والمرضى المزمنين والارامل ، والعجزة . ولكن هذه المساعدة كانت على نطاق ضيق بسبب الضيق المالي الذي تعانيه وكالة الغوث .

حوالي (٢٥٫٠٠٠) لاجيء تم مساعدتهم خلال العام ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ . فمنهم من تسلم مساعدات مالية بسيطة لا تتعدى الثلاثة دنانير لعائلة شهريا ، ومنهم من تسلم رزما من الثياب المستعملة وبعض الحرامات والكاز في فصل الشتاء .

وقد انتفع ببرنامج الخدمات الاجتماعية حوالي ٢٢٢ لاجئا منهم الاعمى ، والابكم والكسيح ، حيث اصبحوا يستطيعون الاعتماد على انفسهم في كسب معيشتهم .

ويشمل هذا البرنامج ايضا مشاريع تنمية البيئة حيث افتتحت مراكز للتطريز والنجارة ومراكز رعاية الشباب في معظم المخيمات .

يشمل برنامج الخدمات الاجتماعية ثلاث مناطق في الاردن حيث تكثر تجمعات اللاجئين وهي منطقة عمان ــ منطقة البلقاء ــ منطقة اربد . يعمل (٥) موظفين كمسؤولين على جهاز الخدمة الاجتماعية في رئاسة وكالة الغوث في عمان حيث يشرفون على شؤون هذا الجهاز الاداري في المناطق الثلاث . كما يوجد (٨) مشرفين اجتماعيين يشرفون على المراكز الاجتماعية في المخيمات ، ويشرف عليهم مسؤول واحد وفي منطقة البلقاء يوجد (٣) مشرفين اجتماعيين ويشرف عليهم مسؤول واحد . وكذلك هناك (٣) مشرفين اجتماعيين ويشرف عليهم مسؤول واحد في منطقة اربد . يشرف هذا الفريق على مراكز الخياطة ومراكز رعاية الشباب في المخيمات كذلك لديهم صلاحيات الاشراف الفني على رياض الاطفال ــ ان وجدت ، في بعض المخيمات التي تديرها الجمعيات الخيرية مثل جمعية الخدمات الكاثوليكية .

٤ ــ مجتمع المخيم :

بعد اعطائي لمحة موجزة عن الخدمات التي تؤديها وكالة الغوث الدولية للاجيء الفلسطيني ، أود ان اصف للقارىء مجتمع المخيم بما يحويه من مظاهر مختلفة متناقضة. سأتحدث للقارىء عن موقع المخيم ، تركيبه الاقتصادي ، عدد سكانه بالنسبة لمساحته ، وحداته السكنية ، طرقه الرئيسية والفرعية ، وضع المياه فيه ، دورات المياه ، اماكن اللعب ان وجدت ، مدارسه ،معلميه ، تلاميذه ، عياداته، مسؤولية الامن فيه، اسواقه، نظافته ، واية امور اخرى . حيث ان هذه المقومات هي النمط التقليدي المتبع في معظم مخيمات الوكالة .

مخيم اللاجئين تجمع سكاني يحتوي على عدد من اللاجئين يتراوح ما بين ٤٢٠ شخصا كما هو الحال في لبنان (انظر فصل تعريف المصطلحات في الرسالة) و ٤٥٫٠٠٠ شخص كما هو الحال في مخيم رفح في قطاع غزة .

وكما مر سابقا في فصل الوضع العام للمخيمات ، تبين لنا ان عدد سكان اصغر مخيم

في الاردن ويدعى مخيم (زيزيا) (٥٥٥٧) نسمة . كما ان عدد وحداته السكنية تبلغ ٨٠٠ وحدة . وعدد دورات المياه العامة فيه تبلغ ١٠٠ دورة . وعدد عمال التنظيفات فيه يبلغ ٩ عمال . كما ان عدد سكان اكبر مخيم في الاردن وهو مخيم البقعة يبلغ (١٨٤ر٤٣) نسمة . كما ان عدد وحداته السكنية ٧٥٥٥ وحدة . وعدد دورات المياه العامة فيه تبلغ ٨٠٠ دورة . وعدد عمال التنظيفات فيه يبلغ ٧٦ عاملا .

أ ــ موقع المخيم بشكل عام : يخطط المسؤولون عادة بوضع المخيمات في مناطق بعيدة الى حد ما عن التجمع السكاني الاصلي في المدينة التي يقام فيها المخيم . الا انه بمرور السنين وبتوسع المدينة العمراني يتصل المخيم مكانيا في معظم الاحيان وتدريجيا بالمدينة . وقد وضع هذا الاحساس بالعزل بعض الطلبة في معهد تدريب عمان عند اجابتهم على الاستبيان الذي وزع عليهم حيث كتب احدهم عند الاجابة على السؤال رقم (أ ــ ب) من الاستبيان وهو (اذا كانت لديك مشاكل اخرى لم ترد في القائمة ، فالرجاء ذكرها هنا) كتب ما يلي : ــ « ان موقع المخيم النائي عن المدينة يساعد على عدم اختلاط اهله اجتماعيا بسكان المدينة » .

ب ــ وحداته السكنية: تتجمع وحدات المخيم السكنية في صفوف متراصة تبعد الواحدة عن الاخرى مسافة لا تزيد عن المتر الواحد . منها ما هو محاط بسور بسيط مصنوع اما من التنك او الخيش او الطوب او من قوالب الاسمنت ، يضعه اللاجيء بنفسه ليحس بالعزلة عن جاره ، ولو من ناحية شعورية نفسية ، ومنها ما هو متروك دون اي سياج . والطرق المؤدية الى الوحدات السكنية طينية في الشتاء ، تسيل في وسطها المياه القذرة التي تصرفها الوحدات السكنية من عتبة البيت ، بدلا من ان تمر بمجار خاصة مطمورة تحت الارض .

ولو اتيحت لك زيارة عائلة قريبة لك او حديقة في وحدة من هذه الوحدات السكنية للاحظت ان هنالك بعض المحاولات لزرع بعض الاشجار والخضروات في ساحتها الصغيرة جدا ، وقد يكون هذا انعكاس لحنين اللاجيء لبلدته الخضراء في فلسطين . كذلك ستشاهد بعض السيدات اللاجئات جالسات متربعات او مادات ارجلهن على ابواب وحداتهن السكنية يلاعبن او يضربن اطفالهن احيانا او يتحدثن مع جاراتهن او يتشاجرن مع جار ، او مع بعضهن البعض . كذلك تلاحظ عيون الجيران المحبة للاستطلاع ... فترى ستارة نافذة هذه الجارة تفتح لترى الزائر ، وترى اطفالا لوحتهم الشمس ، وكلهم عيون يقظة مستطلعة تسأل : من تريد ؟ وها هو البيت ... وانا سأدلك على هذا البيت ... نعم اعرفه ... انه استاذي في المدرسة ، فالكل يعرف الاخر في المخيم .

ولو دخلت واحدة من هذه الوحدات السكنية لشاهدت بعض المحاولات لتحسين منظرها ... فهذه ستارة مزركشة موضوعة على النافذة .. وهناك مجلى في زاوية الغرفة تحيط به ستارة مزركشة ايضا ... وهذا سرير رتب في الزاوية الاخرى من الغرفة .. وهناك حصيرة مفروشة على ارض الغرفة يدرس عليها الصغار ... وفي الساحة الصغيرة محاولة لبناء مرحاض بدائي ... يكتفي به المقتدر من اللاجئين ومنهم المدرس والموظف البسيط في وكالة الغوث كي لا يستعمل المراحيض العامة التي وضعتها الوكالة في بعض الساحات العامة لكل مجموعة من الوحدات السكنية المتراصة . وربما لاحظت وجود عنزة وبعض الدجاج يعيش اللاجيء على لحمها وحليبها وبيضها .

وهناك ظاهرة اجتماعية لاحظها المسؤولون في وكالة الغوث وخاصة قسم الاحصاء والتسجيل الذي له علاقة مباشرة مع سكان المخيمات لاختصاصه بشؤون بطاقة المؤن ،

لاحظوا ان سكان مخيم البقعة مثلا قسموا مناطق سكنهم وتكتلهم حسب المناطق التي كانوا يعيشون فيها في فلسطين . فهناك مثلا منطقة سكنية في المخيم تسمى بمنطقة القدس ، ومنطقة تدعى بمنطقة نابلس — وثالثة بمنطقة اريحا — ورابعة منطقة الخليل وهكذا . . وهذا دليل اخر على تعلق اللاجىء الفلسطيني بوطنه وبلدته التي اضطر للرحيل عنها . . وحين يعطي اللاجىء المقيم في مخيم البقعة عنوانه لاي مسؤول في قسم التسجيل في وكالة الغوث لشأن يتعلق ببطاقة المؤن ، فانه يعطي رقم الوحدة السكنية التي يعيش فيها قائلا « انها تقع في منطقة نابلس او الخليل او اريحا وهكذا » .

واذا حدث وان اعطي نازح وافد من قضاء نابلس مثلا وحدة سكنية في المخيم بين سكان من منطقة القدس فانه يحاول مبادلتها مع نازح اخر يسكن في منطقة نابلس ليتسنى له العيش مع السكان الذين وفدوا من المنطقة التي كان يعيش فيها في فلسطين (٤٦) .

اما بالنسبة لوسائل الانارة في المخيمات ، فمخيمات الطوارىء وهي مخيمات عام ١٩٦٧ مثلا فتستعمل قناديل الكاز . اما بعض مخيمات عام ١٩٤٨ ومنها ما اصبح متصلا بالمدينة مثل مخيم الحسين ، ومخيم الوحدات تستعمل الكهرباء بسبب العمران السكاني والتوسع الذي طرأ عليهما .

جـ — تركيب المخيم الاقتصادي : معظم الرجال العاملين في المخيم هم من الموظفين البسطاء ، اما في جهاز الوكالة واما في مؤسسات اخرى . كذلك هنالك فئة من المعلمين والمعلمات الذين يعملون في مدارس وكالة الغوث في المخيمات . منهم من يعيش في نفس المخيم . ومنهم من يحضر يوميا من اماكن اخرى للعمل في المخيم . كذلك هنالك فئة كبيرة من العمال الذين يعملون اما في اجهزة وكالة الغوث او في مؤسسات اخرى . وبعض نساء المخيم يشتغلن عاملات اما في مدارس المخيم او ينزلن يوميا الى مدينة عمان يعملن فيها بالمياومة ، ويعدن في المساء الى عائلاتهن . لذلك نلاحظ ان معظم سكان المخيم القادرين على العمل هم من فئة العمال وبعضهم لا يجد عملا . وهكذا فمعظم سكان المخيم لا يملكون الا قوت يومهم ، وان وفروا شيئا فيكون على حساب قوت يومهم .

هذا الوضع ينطبق على مخيمات الطوارىء التي انشئت عام ١٩٦٧ ، اما بالنسبة لمخيمات عام ١٩٤٨ فبمرور الزمن وبالتوسع السكاني والعمراني اتصلت مثل هذه المخيمات بمدينة عمان ومنها مخيم الحسين ومخيم الوحدات . وباتصال اهل المخيم بالمدينة توسع مجالهم الاقتصادي فاصبح منهم التجار واصحاب الدكاكين .

كذلك سافر كثير من ابناء اللاجئين الى البلدان العربية المجاورة طلبا للرزق حيث يرسلون لذويهم وعائلاتهم مبالغ مالية شهرية ليعيشوا منها ، وهذه الاموال تصرف على المجالات الحياتية حيث ينتفع منها المخيم .

د) طرق المخيم الرئيسية والفرعية :

هناك في المخيم عادة طريق رئيسية معبدة دون ارصفة تلتف حول المخيم ، وقد انشئت مدارس وكالة الغوث ، ومكاتب وكالة الغوث التي تقوم على خدمة اللاجئين ، والوحدات الطبية التابعة لوكالة الغوث ، ومكتب مدير المخيم ، على هذه الطريق الرئيسية . كذلك انشئت مراكز الامن على هذه الطريق الرئيسية ايضا ، وسوق المخيم التجاري بما يحويه من بضائع مختلفة يقع ايضا على الطريق الرئيسية المعبدة . اما الطرقات الجانبية التي بين الوحدات السكنية فما زالت غير معبدة ، طينية في الشتاء

غبرة في الصيف . وترى اكوام القمامة ملقاة هنا وهناك في احياء المخيم وزواريبه .

هـ) وضـــع ميـــاه الشرب في المخيـــم :

لقد انشأت وكالة الغوث حنفيات عامة في مراكز معينة في المخيم حيث تحمـــل الام او ابنتها الجرة او التنكة اليها لتملأها . لذلك فمياه الشرب لا تصل الى الوحـــدات السكنية في المخيم هذا مما يسبب مشاكل مختلفة لسكان المخيم حيث يكثر التخاصـــم احيانا حول مراكز المياه بين نساء المخيم ، وكذلك يكثر القيل والقال حول هذه المراكز .

و) وضـــع دورات الميـــاه في المخيـــم :

كما ذكرت سابقا ، لقد انشأت وكالة الغوث مراحيض عامة في احياء مختلفة مـــن المخيم . منها ما هو مخصص للذكور ومنها ما هو مخصص للاناث . لكنها احيانا تصبح مراحيض مشتركة ، يدخلها الطرفان مما يسبب مشاكل اجتماعية كثيرة بين سكان المخيم . هناك عمال تنظيفات مسؤولون عن تنظيف هذه المراحيض وعددهم في الاردن ٣٤١ ، حصة مخيم البقعة مثلا ٧٦ عامل تنظيف ، وهو اكبر مخيم في الاردن .

ز) اماكـــن اللعـــب :

ان اماكن اللعب الوجيدة لاطفال المخيم هي الشوارع العامة الرئيسية منها والجانبية . واماكن تجميع القمامة وترسب مياه الامطار والمياه القذرة المتجمعة من البيوت .

اثناء الدوام الدراسي في المخيم يلعب اطفال المخيم في ساحات المدارس الصغيـــرة البسيطة . اما بعد الدوام الدراسي فانهم ينتشرون في الشوارع غير عابئين للسيارات الكثيرة المارة خاصة في الشارع الرئيسي لمخيم البقعة مثلا المؤدي الى جرش واربد وعلى مدخل المخيم يتسلى الصغار في قطع الشارع او اللعب على أطرافه حيث تداهمهـــم السيارات المندفعة في هذا الطريق الرئيسي . ونسبة حوادث الطرق كما هي مسجلة في مركز الامن الموجود في مخيم البقعة مثلا مرتفعة نسبيا . ولعب الاطفال في الشوارع بسبب خصومات بين اهالي الاطفال حيث يتلهى الاولاد احيانا برشق الحجارة وايذاء بعضهم البعض وعندها يتدخل الاهل وتشتد المشكلة وتصل احيانا الى مركز الامـــن ليتدخـــل في حلهـــا .

ح ــ مدارس المخيمات : يبلغ عدد مدارس وكالة الغوث في اكبر مخيم للوكالة فـــي الاردن وهو مخيم البقعة (١٨) مدرسة ، منها (١٠) مدارس للذكور و (٨) مدارس للاناث ، وتضم هذه المدارس (٩٩٥٦) طالبا وطالبة . منهم (٥٥٢٥) طلاب و (٤٣٣١) طالبات وجميعهم ضمن المرحلة الالزامية . هنالك ايضا (٧٦١) طالبة في المرحلـــة الاعداديـــة ، (٣٥٧١) طالبة في المرحلة الابتدائية حيث يقوم بتدريس هذا العدد من الطالبات هيئـــة تدريسية تتألف من (٨٩) معلمة وهيئة ادارية تتألف من (٨) مديرات . وهناك (٨) اذنة ــ لكل مدرسة آذن واحد . وهناك (١٤١٠) طلاب في المرحلة الاعدادية و (٤١١٥) طالبا في المرحلة الابتدائية . ويقوم بتدريس هذا العدد من الطلاب هيئة تدريسية تتألف مـــن (١١٤) معلما وهيئة ادارية تتألف من (١٠) مدراء و (١٠) اذنة لكل مدرسة آذن واحد .

وهناك مدرسة ثانوية حكومية للذكور تضم ٣٥٩ طالبا يقوم بتدريسهم ١٣ معلما اما بالنسبة لاصغر مخيم للوكالة في الاردن وهو مخيم زيزيا فيضم (٣) مدارس ، منهـــا (٢) للذكور وواحدة للاناث ، وتضم هذه المدارس (١١٧٦) طالبا وطالبة . منهم (٦١٧) ذكور و (٥٥٩) انـــاث . هنالك (٣١) معلمـــا و (٢) مديرين في مدارس الذكـــور و (٩) معلمات ومديرة واحدة في مدارس الاناث . كما ان هناك (٣) اذنة لكل مدرسة آذن واحـــد .

كما ان معظم المخيمات لا تحوي مدارس ثانوية . بل يتحمل الطلاب اللاجئون كثيرا من صعوبات المواصلات وتكاليفها للوصول اليها . وسيظهر هذا واضحا في تحليل اجابات طلبة معهد تدريب عمان على الاستبيان في الرسالة .

ط ــ الرعاية الصحية في المخيمات : وتتألف من : ــ ١ ــ الخدمات العلاجية : في مخيم البقعة مثلا حيث انه أكبر مخيم في الاردن يشرف على هذا الجانب ثلاثة اطباء ، وطبيبة اسنان ، يساعدهم في ذلك فريق يتكون من (٨) ممرضات و (٢) مساعدي صيادلة وفني مختبر واحد . وعدد من الكتبة والقابلات والعمال . وتضم ملفات العيادة ٢٥٨٠٣ بطاقات علاجية فردية . وعند الرجوع الى تقارير العيادة للاشهر الستة الاولى من عام ١٩٧٢ وجد ان (٢٩٫٢١٥) حالة مرضية قد عرضت على الاطباء الثلاثة في المخيم . اي بمعدل ٦٥ حالة مرضية او اكثر احيانا لكل طبيب في اليوم خلال فترة عمل مقدارها (١٥٠) يوم عمل (بمعدل ٤ ساعات فعلية للعمل يوميا) . وهنالك (٢٫٧٢٩) حالة مرضية في طب الاسنان عرضت ضمن فترة (١٠٠) يوم عمل اي بمعدل (٢٨) حالة يوميا (٤٧) .

كما يقوم المختبر باجراء الفحوص والتحاليل البسيطة بمعدل (٥٠) حالة يوميا ويقع ضمن اختصاص هذه العيادة ، الخدمات العلاجية والطب الوقائي ، وهناك سجل خاص يتابع حالات مرض السكر ، والامراض المزمنة ، والمرضى النفسيين والعقليين (٤٨) .

٢ ــ الطب الوقائي : كذلك تهدف عيادات المخيمات الى الوقاية من الامراض المعدية والسارية عن طريق ضبط ومراقبة صحة البيئة وعن طريق القيام بالتطعيمات اللازمة للاطفال في الاعمار المناسبة وتقديم الخدمات للحوامل اثناء الحمل والولادة وبعدها . وهناك قسم خاص للعناية بالاطفال دون سن الخامسة وتقوم به جمعية العناية بالاطفال في المخيم (العيادة النرويجية) ويعمل بها طبيبان يقومان بمعالجة الحالات الحادة التي لا تحتاج لعناية المستشفيات يوميا . كذلك تقوم العيادة التابعة للوكالة بتحويل الحالات الحادة الى المستشفيات والى الاخصائيين في العيادات المختلفة . كذلك بعد المسافات بين المخيمات والمستشفيات الحكومية يخلق مشاكل كثيرة للاجيء . وقد تحدث عنها طلبة حيث يعطى منزلا ليقيم في المخيم المسؤول عنه .

٣ ــ خدمات التغذية : يشرف هذا القسم على تقديم وجبات تغذية اضافية لعدد من المنتفعين (الضعاف من التلاميذ والمرضى) يصل عددهم الى (٢٣٠٠) منتفع كما تقوم بصرف الحليب على (١٩٠٠) منتفع (من المرضى وتلامذة المدارس والحوامل ويعمل في هذا القسم ٣٣ موظفا) .

٤ ــ خدمات الصحة العامة : يعمل في هذا القسم خمسة مراقبين صحيين وثلاثة وثمانون عاملا . وتشمل مسؤولياتهم النظافة العامة في المخيم ، والاشراف على محطات المياه ويشرف على عمل هذا الفريق فنيا الطبيب المسؤول في العيادة .

٥ ــ خدمات التموين : يعمل في هذا القسم (٤٣) موظفا وعاملا ، حيث يحملون مسؤولية توزيع المخصصات التموينية على اللاجئين والنازحين شهريا .

ي ــ الخدمات الادارية : والمشرف الرئيسي على هذه الخدمات في المخيم مدير المخيم . حيث يعطي منزلا ليقيم في المخيم المسؤول عنه .

ك ــ الخدمات الاجتماعية في المخيم : في المخيم مركز للشباب يعرف باسم « مركز الشباب الاجتماعي » . يشرف على هذا المركز مشرف عام له وهيئة ادارية تتكون من ٧ اعضاء . حيث يشرف على اللجان الثقافية والرياضية والاجتماعية . ويحتوي المركز على صالة للبلياردو وصالة اخرى لتنس الطاولة (٤٩) .

ل ــ النواحي الامنية : يعمل على حفظ الامن في المخيمات ضابط برتبة نقيب ولـــه مساعد برتبة وكيل وعدد من ضباط الصف والجنود ، ويعتبر هذا الجهاز الامني « رئاسة قسم » . كما ان ليس لوكالة الغوث اي اشراف او مسؤوليات لحفظ الامن في المخيم ، بل مسؤولياتها تنحصر في شؤون الاغاثة وتشغيل اللاجئين فقط .

اما بالنسبة لمستوى النظافة في المخيمات فانها دون المستوى الانساني المطلـــق فالطرقات كما ذكرت سابقا مطينة خاصة بين الوحدات السكنية . ومجاري المياه القذرة تسيل من مدخل كل بيت ، ومنظر السوق التجاري لا يوحي بأي نظافة او تخطيط ، فاللجوم المذبوحة معلقة للذباب والحشرات ، ولا توجد ثلاجات في الملاحم لحفظهـــا ، والدكاكين عبارة عن عشش من التنك او الزينكو لا توحي بأي مستوى انساني لمجتمـــع تشرف عليـــه هيئـــة دوليـــة مسؤولـــة .

م ــ وصف عام للباحثة مع تعقيب على مجتمع المخيم بشكل عام : انه تجمع .. مجرد تجمع تراكمي .. لا يشكل جسما اجتماعيا .. بل لا يشكل مجتمعا .. له مكونـــات ومقومات المجتمعات الانسانية المعروفة .. ولا يقوم بين افراده علاقات وروابط طبيعية كالتي تقوم بالمجتمعات ... وقد فرض هذا التجمع فرضا على افراده دون ان يكون لهم في ذلك حق الاختيار او ارادة الاختيار ... ولم يكن اختيار المكان يهدف الى اية غاية اجتماعية او انسانية .. فلم يكن يقصد من الموقع المكاني ان يكون ذا فائدة ترجى لمن يحتويه .. فلا هو مكان يصلح لممارسة اي جهد انساني .. ولا هو مكان يهيىء الفرصة لجهد زراعي ولا لجهد صناعي ولا لادنى جهد عمالي الا في أضيق الحدود التي لا يمكن ان تصبح وسيلة انتاج طبيعية .. بل ان مكان التجمع هذا لا يهيىء حتى فرصـــة الاتصال الطبيعي بمراكز الحياة التي تقع قريبة منه او بعيدة عنه . بل يكاد يخلق احساسا لدى من يحتويهم بأنه انما قصد منه أن يكون مندحرا .. ومهملا .. لا يجذب احـــدا ولا ينجذب اليه احد .. وما اقل بل وما اندر ما اضيف اليه او بذل فيه من جهد ليكون مكانا مقبولا .

هذا التجمع المفروض لم يكسب اهله اي امتياز .. بل يذكرهم كل يوم .. بل كـــل ساعة .. بما فقدوه .. فحينما لا يتاح لهم فيه اية فرصة للنمو او للتطور او للسير الى هدف مستقبلي يفرض عليهم الدوران في حلقة مغلقة لا فكاك منها .. فهذا التجمـــع يدفع بهم بالرغم منهم الى التمزق حيث يتنازعهم الضياع والعدم والانسحاق ..... فالشاب الذي يملك الطاقة الانسانية للعمل لا يجد ادنى فرصة للعمل داخل هذا التجمع فيتذكر وضعه السابق . قبل ان يزج به في هذا التجمع ... حين كانت الحياة الطبيعية من حوله تهيء له كل فرص العمل ... سواء اكان عاملا ام صاحب عمل . والفلاح الذي لا يجد بضعة اقدام مربعة يزرعها يدفع به هذا الوضع المتأزم الى سرداب الماضي فيتذكر اراضيه وتربته الخصبة . الموظف الصغير الذي يفرض عليه عمله الهزيل ولا يبدي ادنى اعتراض يتذكر كيف كان من قبل يرأس مؤسسة نامية متطورة واعية . هذا التمزق وهذا التوزع في النفس ليس هنا من يكترث لنتائجه ويعمل على تلافي اخطاره التي تفتك بالنفس .

هذا التجمع المفروض ليس فيه من مقومات المجتمعات السليمة الا مجرد المجاورة والجوار المكاني الذي لا يشكل وحدة رابطة تنميها الحياة الطبيعية وظروف العمل او الانتاج التعاوني او ما الى ذلك من ظروف طبيعية .. بل ان الوحدة التي لا تفتقدهـــا ادنى المجتمعات البشرية قد تفجرت واندثرت وتحولت اشلاء ... فلم تعد هناك اسرة مترابطة .. لان عوامل الترابط قد فقدت جميعها .. ولم يبق منها الا الترابط الميتافيزيقي .. ترابط الدم .. وهو وحده لا يشكل رباطا قويا متفاعلا يصمد امام هزات الحيـــاة

الواقعية ومشكلات العيش الطبيعية فالفرد في هذا التجمع لا يشكل الا رقما في بطاقة . . فلا رب الاسرة بقادر على ان يمنحه شيئا مما كان يمنحه اياه في وطنه . . ولا الام بقادرة على ان تعطي وتجزل في العطاء كما كانت تفعل من قبل . . ولا الاخ بقادر على ان يمد يد العون الى اخيه كما كان يفعل من قبل . . لقد شلت يد العطاء لديهم . . ولم يعودوا يمارسون ادنى قدر من واجباتهم ازاء بعضهم . . بل اصبحوا مجرد اعداد متراكمة في بطاقة التموين .

هذا التجمع المفروض . . لم يوفر مكانا ذا سعة ليكون مجالا حيويا لاي كائن حي . . فلا تتجاوز المساحة الممنوحة للانسان الواحد فيه بضعة ايام مربعة . . هذا الى ان الفرد فيه لا يتيسر له الحركة المنتجة في الداخل ولا في الخارج . وحين تهبط على فرد ما فرصة العمل المجزي تكون دوما خارج المخيم بمسافات واسعة . . بحيث يفر من هذا المخيم ويولي الادبار وكأنما فتح له باب السجن الاصم فغادره دون عودة . . بل دون ان يفكر فيما خلف وراءه من مشكلات ينغلق عليها الباب في صورة احلام يائسة . . بل يكاد لا يعود حتى لابويه .

اما داخل المخيم فاذا اتيحت الفرص الضئيلة فانها لا تعدو مجموعة وظائف او اعمال بسيطة لا تتجاوز الدوائر المحيطة الضيقة في الانتاج . . بحيث لا يتجاوز دخل الموظف المقيم في المخيم الثلاثين دينارا في الشهر . وعدد هؤلاء ضئيل جدا بالقياس الى الاعداد الكبيرة التي تنتظر الوقوف في طوابير مصفوفة تحمل الاوعية ، لتتسلم فيها ادنى قدر لا يقيم اود انسان طبيعي في الشهر . وتتكرر هذه الوقفة المستجدية اكثر من اثنتي عشرة مرة في العام . بحيث تشعر اللاجيء بانه عالة على بطاقته . بعد ان حيل بينه وبين فرص الانتاج الطبيعية .

اما المرافق الاخرى في داخل المخيم فتقوم على ادائها مجموعة من الموظفين المكتبيين تعجز عن الوفاء بواجباتها على الوجه الصحيح لكثرة لاعداد المنوطة بها ولقلة عددها هي . . ولتقيدها بامكانيات ضيقة جدا لا تستطيع تجاوزها . . فيصبح عمله اليا يفتقر الى الحوافز الانسانية فتقوم بينه وبين اللاجيء فجوة تخلق الكثير من المشكلات . . فبالرغم من قصر المسافة بين هذه المرافق وبين بيوت اللاجئين فيندر ان يذهب طبيب ما الى وحدة اللاجيء السكنية حتى ولو كان هذا اللاجيء يحتضر . . من اجل هذا احس اللاجئون ان القائمين على شؤونهم داخل المخيم لا يملكون لهم نفعا . . بل احسوا انهم مهملون لا يكترث بهم مسؤول ولا يحس بمشاكلهم . . كما ان اللاجيء يحس ان كل هم المسؤول الا يتسبب له اللاجيء المراجع باية مضايقة اثناء عمله . . وليحدث للاجيء ما يحدث . .

هذا التفسخ وهذا التمزق في هذا التجمع المفروض حصر الوحدة الاجتماعية بالفرد المسحوق . . هذا الفرد الذي لا يتجمع على شيء مع فرد اخر . . من هنا تاهت الهزات التي زلزلت الكثير من القيم والموازين التقليدية . واصبح اللاجيء يعيش في فراغ شرس .

ومن هنا اصبح يتطلع الى شيء كبير ينقذه من هذا الضياع . . شيء كبير يعيد الحياة الى ساعده . . شيء كبير يجمع هذا الضياع المشتت . . شيء كبير يعيد اليه الحوافز والدوافع الانسانية . . شيء كبير يشده الى غاية وهدف انساني . . شيء كبير يمكنه من الامساك بمصيره بيده ومن اعادة الارادة التي قبضته . . شيء كبير يعبيء هذه الطاقات المهدورة ويؤشر لها الى وجهة السير الصحيحة . . ويضع قدميها على اول خطوة نحو ارض طبيعية . . ونحو وطن يعيد اليه ثقته بنفسه ويقدم له طعام الانتماء ويهيء له فرص التفاعل . . ويحمل اليه امكانيات الجهود التي تعيد اليه ماضيه وحاضره ومستقبله .

الحواشي

(١) Progress Report of the United Nations Mediator on Palestine, General Assembly Official records: 3rd Session Supplement No. 11, A/648, p. 47.

(٢) John H. Davis, The Evasive Peace, John Murray, London, 1968, pp. 57-60.

(٣) هنري كتن « فلسطين في ضوء الحق والعدل » مكتبة لبنان — بيروت — الطبعة الاولى ١٩٧٠ — ص ٥٧ .

(٤) U.N. Document (A/689), pp. 1 and 5.

(٥) Annual Report of the Secretary-General on the work of the Organization, July 1, 1948-June 30, 1949, p. 102.

(٦) Annual Report of the Director of UNRWA, 1953 (A/2470), p. 5.

(٧) Middle East Journal, 1949, p. 251.

(٨) Annual Report of Commissioner General of UNRWA for the period July 1, 1966-June 30, 1967, U.N. Document (A/6713).

(٩) هنري كتن — فلسطين في الحق والعدل — مكتبة لبنان — بيروت . الطبعة الاولـــى ١٩٧٠ ص ٥٨ .

(١٠) U.N. Document (A/5214), p. 2.

(١١) هنري كتن — فلسطين في ضوء الحق والعدل — مكتبة لبنان — بيروت ، الطبعـــة الاولى ١٩٧٠ ص ٦٨ .

(١٢) المصدر نفسه ص ٥٨ .

(١٣) نشرة الاونروا للعام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ص ٩ .

(١٤) Registration Statistical Bulletin, 4th Quarter 1972, 1973, UNRWA, Amman, Jordan, January 1973.

(١٥) هنري كتن « فلسطين في ضوء الحق والعدل » مكتبة لبنان — بيروت الطبعة الاولى ١٩٧٠ ص ٧٩ .

(١٦) Count Folke Bernadotte, To Jerusalem, Hodder and Steughton, London, 1951, p. 200.

(١٧) W. de st. Aubin, Peace and Refugees in the Middle East, Middle East Journal, 1949, p. 249.

(١٨) Annual Report of Commissioner General of UNRWA, for the period 1 July 1971-30 June 1972.

(١٩) راجع وصف هذه الاكواخ في فصل تعريف المصطلحـــات .

(٢٠) Registration Statistical Bulletin, 4th Quarter, 1972, dated January 1973, UNRWA.

(٢١) المصدر نفسه .

(٢٢) Annual Report of Commissioner General of UNRWA, for the period January 1969, p. 14.

(٢٣) Annual Report of UNRWA (1966-67), Table 19.

(٢٤) U.N. Document A/67 13 September 15, 1967, para. 40.

(٢٥) U.N. Document A/4514, p. 2.
في الجزء أ — عدد اللاجئين تقدير لعـــدد اللاجئين ، من سجل منهم ومن لم يسجل وذلك الى يوم ٣١ ايار (مايو) ١٩٦٧ .

(٢٦) U.N. Document A/6797, p. 66.

(٢٧) U.N. Document A/7213, p. 18.

(٢٨) نشرة الاونروا ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ص ٧ .

(٢٩) نشرة الاونروا ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ص ٧ .

(٣٠) P. de Acararte, Mission in Palestine 1948-1952 (Middle East Institute, Washington DC. P,K54, Don Peretz, Israel and the Palestine Arabs 'The Middle East Institute, Washington D.C., p. 63, 1958'.

(٣١) هنري كتن ، «فلسطين في ضوء الحق والعدل» مكتبة لبنان — بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٠ — ص ١٥٧ .

(٣٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .

(٣٣) المصدر نفســه ص ١٥٨ .

(٣٤) U.N. Document A/3212, pp. 1-2.

(٣٥) United Nations Press Release 3369, February 11, 1957.

(٣٦) U.N. Document A/3312, p. 1.

(٣٧) نشرة الاونروا للعام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ص ١٤ .

(٣٨) نشرة الاونروا للعام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ص ١٤ .

(٣٩) من سجلات القسم الصحي في وكالة الغوث في الاردن .

(٤٠) نشرة الاونروا للعام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ص ١٤ — ١٥ .

(٤١) Statistical Report on Educational Activities of UNRWA-UNESCO Schools in Jordan, for the School Year. 1972-1973, October 1972. Sheet No. (1).

(٤٢) نشرة الاونروا ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ، ص ١٥ .

(٤٣) Report of the Commissioner-General of the United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East; for the period 1 July 1971-30 June 1972, p. 26.

(٤٤) *Ibid.*, p. 30.

(٤٥) من سجلات قسم الخدمات الاجتماعية في وكالة الغوث في الاردن .

(٤٦) من مقابلات مباشرة قامت بها الباحثة مع مسؤولين في قسم التسجيل والاحصاء في وكالة الغوث في عمان .

(٤٧) لاحظ كثرة عدد المرضى اليومي بالنسبة للطبيب الواحد ، وهذا ما شكى منه طلبة المعهد عند اجابتهم على الاستبيان حيث اتهموا الاطباء بعدم الاخلاص في العمل وعدم الدقة في الفحص وتضجروا من الانتظار الطويل حتى يأتي دورهم للفحص الطبي ومن خشونة ومعاملة الموظفين لهم . وفي اعتقادي ان اكثر المراجعين من المرضى وقلة عدد الاطباء تخلق مثل هذه المشاكل .

(٤٨) مقابلات شخصية مع رئيس اطباء وكالة الغوث .

(٤٩) المعلومات من قسم الخدمات الاجتماعية في جهاز وكالة الغوث الدولية — بالارك .

في الذكرى السنوية الاولى لمعركة كفرشوبا

(١) بعض الصفحات المشرقة في تاريخ كفرشوبا والعرقوب*

بقلم : نواف عبدالله

« فليبع من لم يكن له بندقية ثوره او حماره ويشتر بها » .

كفرشوبا (١) ، صاحبة هذا الاسم هي قرية صغيرة تقع على السفح الغربي من مرتفعات جبل الشيخ ، وقد دخلت ضمن دائرة الهوية « اللبنانية » ، منذ اعلان المستعمرين الفرنسيين عن تشكيلهم « للبنان الكبير » وذلك بجمع ولاية بيروت ومتصرفية جبل لبنان وضم بعض اجزاء ولاية دمشق اليهما .

ويسلك المرء الطريق الذي يصل مفترق سوق الخان براشيا الفخار ، ومنها يصعد عبر طريق عبدت حديثا (عام ١٩٦٥) فيصل كفرشوبا وتقف طريق وزارة الاشغال اللبنانية . الا ان كفرشوبا نقطة تماس جغرافي مع دولة الاحتلال الصهيوني فهي لذلك نقطة بداية طريق اخر ، طريق الثوار الى الوطن المحتل ، كما هي نقطة بداية طريق العدوان الصهيوني على لبنان وسوريا .

وكفرشوبا « رأس سهم » من مجموعة قرى العرقوب (شبعا ، الهبارية ، راشيا الفخار ، الفريديس ، كفرحمام ، كفرشوبا) ، ويطل المرء منها على ارتفاع ١٣٥٠ مترا، على معظم قرى قضاء مرجعيون ــ حاصبيا ، كما يشرف على الجليل الاعلى وسهل الحولة غربا . ولهذا شقت اقدام اهاليها ، على مر السنين طرقا جبلية في اتجاه الخالصة في شمال فلسطين وقري العرقوب غربا وفي اتجاه القنيطرة وبانياس شرقا .

علاقات كفرشوبا الاقتصادية

ارتكز اقتصاد القرية لزمن طويل على محورين اساسيين : الزراعة والرعي . وكان فلاحو كفرشوبا يزرعون اراضي القرية بالعنب والزيتون والقمح والشعير والعدس

* كتبت هذه المقالة خلال شهر شباط ١٩٧٥ لتشكل مادة اولية من ضمن الجهود الضرورية للتعرف على الماضي النضالي لجماهيرنا في العرقوب وكفرشوبا . والهدف من نشرها في الذكرى السنوية الاولى لمعركة كفرشوبا هو الدعوة الى التوقف عند المحطات الرئيسية في تاريخ العرقوب المعاصر ، وذلك لاظهار استمرارية هذا التاريخ في انتماءاته الاصيلة الى ترك الكفاح القومي ــ الوحدوي لجماهيرنا العربية في لبنان ، تاريخ محطاته هي انتفاضة ١٩٢٠ والثورة السورية الكبرى وثورات فلسطين وانتفاضة ١٩٥٨ التي منها استمدت جماهير كفرشوبا تقاليد النضال الوطني لتسجل بتلاحمها الخلاق مع ثوار فلسطين اروع ضروب الصمود والتحدي ولتصنع من اسم « كفرشوبا » ، بلدة العرقوب الصغيرة ، رمزا على طريق التحرر والوحدة .

ويتاجرون مع فلسطين وسوريا . فكانوا يذهبون الى القنيطرة ليبيعوا فائض الحنطة والدبس والزبيب ويشتروا السمن والبضائع ، اما في الخالصة ، التي كانت تشكل السوق الرئيسي لقرى محور شمال — شرق الجليل الاعلى ، فكان الكفرشوبيون يعرضون اللوبيه والبيض والتين اليابس للبيع ويجلبون الليمون والفاكهة والزيت والدجاج . وعن العلاقات الاقتصاديه — الاجتماعيه لاهالي القرية ، يكتب خلدون الخالد : « وفي ظل غياب التفاوت الاجتماعي الشاسع وتوزع الملكيات المتساوي تقريبا ، فان علاقات التعاون البدائية الجيدة كانت تسود القرية ، في الزراعة والرعي ، وفي التعامل . فلا وجود للعامل الزراعي بالاجرة ، بل كان من لا يملك ثورا للحراثة ، يساعد جاره او أحد الفلاحين في زراعته ، مقابل استخدامه للثور في الحراثة ، وسمي ذلك « المجاملة » ، ويتم جمع الزيتون جماعيا لايام عده مع مبيت مشترك في الطبيعة . اضافه الى خدمات زراعية متبادلة . وبما ان حاجة كل فلاح الى رأس من البقر للحراثة او للحليب كاساس غذائي ، وتخزيني (لبنة ، جبنة) للشتاء ، فان رعاية البقر لا تتم افراديا ، بل جماعيا ، حيث تتولى كل امرأة صباحا اقتياد ابقارها الى خارج القرية ، مركز التجمع ، ليتولاها راع واحد متفرغ ، يجول بالقطيع (العجال) في الجرود حتى المساء . وهذا التعاون الزراعي والرعوي البسيط انعكس في علاقات اجتماعية ممتازة ، فعند البناء مثلا ، لا يستاجر الفلاح سوى معلم العمار وهو مزارع في الوقت نفسه » (٢)

الا أن قيام دولة الاحتلال الصهيوني عام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ على ارض فلسطين وضمها لمجموعه من القرى الحدوديه اللبنانيه ، وما ترتب عنه من اقفال الحدود ، كان له اثر سلبي شديد على الحياة الاقتصادية لكفرشوبا ولسائر قرى العرقوب حيث ضربت حركة التبادل التجاري السابقة واغلق بالتالي احد الشرايين الاقتصادية الرئيسية للمنطقة .

العرقوب في قلب النضال التحرري

ولكن كفرشوبا ، القرية اللبنانية الصغيرة والتي لم تضم يوما اكثر من ٣٥٠٠ نسمة ، فتستمد شهرتها من تاريخ وطني نضالي لاهاليها ، تاريخ ترجع اصوله في الزمن الحديث الى دخول قوات الاستعمار الفرنسي بلاد المشرق العربي .

فتحرك العرقوب ، بعشرات العرائض الموقعة من ابنائه ومنهم الكفرشوبيون بالتخصيص ، يبايع فيصل ابن الشريف حسين اميرا واعلن الولاء للحكومة العربية التي اتخذت دمشق مقرا لها . ويذكر ايضا ان مراد غلمية ، المسيحي المذهب ، قد شارك في اعمال المؤتمر السوري المنعقد بتاريخ ٢ تموز ١٩١٩ في دمشق ، كمندوب عن منطقة مرجعيون . اما عن موقف جبل عامل في ذاك المؤتمر فقد نقله الشيخ عبد الحسين صادق ، وهو يعبر عن مدى اندفاع العامليين في طريق الوحدة السورية ، قال الشيخ موجها كلامه الى فيصل : « **انني باسم جبل عامل ابايعك على الموت** » . (٣) وواجه سكان العرقوب عام ١٩٢٠ ، لجنة كينغ — كراين بعرائض من شبعا والهباريه والفريديس وكفرحمام وكفرشوبا تحمل مطالب الاهالي بالاستقلال « التام الناجز » ورفض البند ٢٢ من نظام عصبة الامم ، **ووقف الهجرة اليهودية الى فلسطين .**

ومع نهاية عام ١٩١٩ ، اخذت حركة العصيان على القوات الفرنسية تشمل كل انحاء جبل عامل متخذة شكل الفرق المسلحة او ما سمي « بالعصابات » . فالى جانب « عصابة » ادهم بك خنجر (او ادهم الدرويش) و « عصابة » صادق حمزة ، تشكلت في العرقوب وحدات مسلحة عرفت ايضا باسماء قادتها : اسعد الغاصي ، احمد مريود ، وحسين نصار .

وكان هذا الاخير ، حسين نصار ، شابا من كفرشوبا ، استشهد عام ١٩٢١ بعد ان قاد عدة غارات ناجحة على مواقع القوات الفرنسية ، **وقد تحول في المفكرة الشعبية للكفرشوبيين الى رمز الاقدام والشجاعة في القتال ضد المستعمرين .**

ورغم الطابع المحلي الذي اتخذته حركة الثوار فان قادتها كانوا يلتقون باستمرار لتدارس الموقف وتنسيق غاراتهم على المواقع الفرنسية . وكانت هذه اللقاءات تتم بمعظمها في بانياس او في مغر جبل الشيخ . والجدير بالذكر ان حركات الثوار هذه في الجنوب كانت على اتصال مستمر مع ملحم قاسم قائد انتفاضة منطقة بعلبك ، وكان الاتصال يتم عبر رسل اشهرهم حسين شمص دندش ، او عبر « محمود » ابن عم ملحم الذي كان يتردد باستمرار الى العرقوب ويجتمع بالثوار في حاصبيا وشبعا وكفرشوبا وابرز ما تميز به التحرك الوطني في العرقوب خلال هذه الحقبة ، كان الاغارة المستمرة من قبل الثوار التابعين لقيادة مريود ونصار على مواقع القوات الفرنسية في جديدة مرجعيون ، حيث احرقوا في احدى غاراتهم عام ١٩٢٠ معظم خيام المعسكر الفرنسي .

اما بالنسبة لمساعدة حكومة دمشق للعصابات في جبل عامل ووادي التيم فكتبت جريدة البشير الموالية لحكم الانتداب « وصل الى حاصبيا ، مائة وستون جنديا قادمين من دمشق ، وكان مع هؤلاء جماعة موفدين لبث روح الثورة في تلك الاطراف ، وكان الجند يقولون : فليبع من لم يكن له بندقية ثوره او حماره ، ويشتر بها » (٤) .

ولكن ، مع انتصار المستعمرين الفرنسيين في معركة ميسلون وسقوط الحكومة العربية في دمشق ، تمكن الجنرال كاسترو من تشديد قبضته على معظم المناطق اللبنانية وفي القضاء التدريجي على الحركات المسلحة في جبل عامل بعد استشهاد بعض قادتها وفي مقدمتهم ادهم بك خنجر . فدخلت القوات الفرنسية بلاد العرقوب وعملت على تجريد الاهالي من السلاح ، كما انشأت بعض مخافر « الجندرمة » في القرى الرئيسية ، ومن بينها كفرشوبا حيث ابقوا على تسعة جنود .

ومن جهة ثانية ، وتمشيا مع سياسة التمييز والتفرقة الطائفية التي اعتمدوها في المشرق العربي نشط المستعمرون الفرنسيون في تسليح ابناء القرى النصرانية ، والمارونية منها بالدرجة الاولى ، فوزعوا السلاح على ابناء كوكبا والقليعة وابل السقي وغيرها ، وحاولوا انشاء « عصابات » مضادة من بين اهلها ، كما سعوا الى ضم اعداد من ابناء هذه القرى الى « جيش المرتزقة » الذي كانوا قد سلموا قيادته الى بعض قدامى ضباط الجيش التركي . **وكانت هذه السياسة الاستعمارية تهدف الى تعزيز علاقة ابناء هذه القرى بالسلطات الفرنسية ، والى تأجيج الصراعات الطائفية داخل صفوف اهالي منطقتي مرجعيون والعرقوب** . وعن بعض نشاطات هذه العصابات كتب الشيخ احمد رضا : « روى لنا اليوم بعض اهالي دير ميماس ، وهي قرية مجاورة لقرية الخربة حديث ما جرى يوم الاثنين الماضي ، بين العرب والعسكر في قريتي القليعة والخربة ، فقال : هاجم فريق من الثوار قرية الخربة في الساعة العاشرة غروبية (شروقية) نهارا ، فقابلهم اهل القريتين بالنار ، ودامت المعركة عدة ساعات ، وجاءت فرقة من العسكر تنجد اهل القريتين ، ودامت النار الى الساعة الثامنة غروبية ليلا ، وكانت القتلى من الفريقين كثيرة وقيل ان خسارة العسكر ، كانت فوق العشرين قتيلا ، وقال بعض القادمين ان ارض الخربة كانت ملطخة بالدم ، ثم بلغنا ان قائمقام مرجعيون الف عصابة من مسيحيي القليعة والخربة ، وان هجوم الثوار على القريتين كان لمحاربة هذه العصابة » . (٥)

العرقوب مع الثورة السورية الكبرى

ونتيجة لاغتيال زعماء الثوار وتجريد الوطنيين من السلاح ، ومع التراجع العام الذي

اصاب الحركة الوطنية في بلاد المشرق العربي ، اخذت حركة مقاومة المستعمر تتراجع في العرقوب وذلك الى ان اندلعت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ . فرأى فيها ابناء العرقوب تحقيقا لاملهم في الانتفاضة ووضعا من القوة يسمح لهم باعلان الثورة والعودة الى مقاتلة قوات المستعمر الفرنسي .

فاستجابة للدعوات المتكررة التي اطلقها ابناء اقليم البلان والعرقوب ، وفي نهاية شهر تشرين الاول من عام ١٩٢٥ ارسل سلطان باشا الاطرش حملة الى « اقليم البلان ووادي التيم » . وعين زيد الاطرش قائدا للحملة . وقد انضم اليه من مشاهير الثورة كل من فؤاد سليم، نزيه المؤيد، علي عامر ، صياح الحمود ، فضل الله اسد ، الامير حسن متعب ، جاد سليمان آل الاطرش ، شكيب وهاب ، حمزة الدرويش ، زكي الدروبي ، نصري سليم ، سعيد اليماني ، ابو تركي سرحان آغا فريد ، صبري البديوي، خليل بصلة ، اسعد كنج . (٦)

واتخذت الحملة قرية مجدل شمس معسكرا لها ، حيث : « عقد زيد الاطرش اجتماعا للقادة والبارزين من رجال حملته ، في منزل اسعد كنج من زعماء المجدل ، اعلن فيه انه جاء من الجبل بقواته بأمر من سلطان الاطرش لنجدة اهل الاقليم ، وتلبية لرغباتهم والهدف تحرير ارض الوطن من يد الغاصبين . واعلن ان الامر شورى بينهم وانه دعاهم لتحقيق هذه الغاية باستشارتهم والاخذ برايهم ، وطالب منهم ان يدلوا بارائهم واقتراحاتهم حول خطه المستقبل ، ومن اقصر الطرق واكثرها صوابا . » (٧) .

وجدد قادة الحملة ، من المجدل اتصالهم بزعماء العرقوب حيث يروى ان رسل الاطرش كانوا يجتمعون كل ليلة بزعماء كفرشوبا عند عبدالله علي خليل في خلة العبد وذلك للوقوف منهم على وضع القوات الفرنسية في المنطقة وللتشاور في خطط التحرك المقبلة .

فمع اعلان الثورة في العرقوب وسير قوات حملة الاطرش باتجاه خاصبيا ، فر الجنود الفرنسيون من كفرشوبا وكان عددهم تسعة بعد ان تركوا وراءهم عشر بنادق وبعض المئات من « الفشك » ، فاستولى عليها المناضل الوطني عبده خليفة ووزعها على من لم يكن في حوزته السلاح من اهالي القرية .

وانطلقت الوفود من شبعا والهبارية والفريديس ، وكفرحمام ، وراشيا الفخار ، وكفرشوبا الى جبانا لتسلم قيادة الحمله مفاتيح منازل قراهم ، كاعلان من الاهالي عن ولائهم لزعماء الثورة .

وفي يوم ١١ تشرين الثاني استولت قوات الاطرش على خاصبيا دون اية مقاومة . وذلك بعد ان اخلتها الحامية الفرنسية وانسحبت باتجاه مرجعيون . ((**وهكذا احتل الثوار المدينة بين زغاريد النساء وهتافات الرجال واخذوا بتاليف حكومة وطنية يراسها نسيب غبريل من اعيان المسيحيين ، وقد قام في قصر تلك الحكومة يومئذ كل من نزيه المؤيد وصبري البديوي خطيبا في الجمهور يحثه على مؤازرة الثورة والانضمام لها معددا كل منهما ما ترمي اليه من مبادىء سامية واهداف عليا .**)) (٨)

وبتاريخ ١٢ تشرين الثاني ، كتبت « الصحافي التائه » (وهي جريدة شعبية وطنية كانت تصدر في ذلك الوقت) : ((**ومما يجب الاعتراف للثائرين انهم يسيرون بطرق منظمة وانهم بخاصبيا اظهروا كل عطف على المسيحيين وكانوا يسمحون للنساء والاطفال بالسفر ولم يتعرضوا لاحد مطلقا بسوء ، وجل ما فعلوه انهم اعلنوا حكومة سورية مستقلة وصرح زعماؤهم انه لا مارب لهم مع الاهالي وان مأربهم مع الفرنسيين**)) .

اما السلطات الفرنسية فقد اذاعت بيانا جاء فيه : « ارتكب عصاة يقيمون في حاصبيا

اعمال نهب وسلب في تلك المنطقة دون ان يشرعوا في اي عمل عسكري . » (٩)

وفي اليوم الحادي عشر من تشرين الثاني قدم وفد من وطنيي جديدة مرجعيون الى حاصبيا ، ليعرض فتح بلدتهم لجيش الثورة ويعلن ان الفرنسيين قد اخلوها عندما بلغهم وصول الثائرين الى حاصبيا . فبناء عليه ، قرر المجاهدون ارسال حمزة الدرويش على رأس سرية من الثوار الى مرجعيون . « وعندما وصل الى مفرق الطريق الموصلة الى قرية كوكبا ، اعترضه وفد من الاهالي برئاسة كاهن القرية ، فدعاه الى تناول الغداء في القرية ، فلبى حمزة الدرويش الدعوة غير ان اهالي قرية كوكبا كانوا منشقين شقين ، منهم قسم موال للسلطات الفرنسية وقد امدته بالسلاح والعتاد ، وسوست له ان يقاوم الثوار . والقسم الثاني كان مواليا للثوار وهو الذي دعاهم الى تناول الطعام .

ولما وصل حمزة الدرويش الى القرية ، قابله القسم المعادي في الاستحكامات بالرصاص ، مخر ثلاثة من رجاله قتلى ، فنادى حمزة بأعلى صوته : « **يا قوم لا تطلقوا علينا الرصاص ، لاننا ما اتينا هذه البلاد لمحاربتكم بل لمحاربة الفرنسيين المستعمرين واني اقسم لكم بشرف الدروز وشرف هذه الثورة المباركة اننا لا نمسكم بسوء واننا نعتبر هؤلاء القتلى فداء عن الوطن ، فكفوا عن الرمي ، وتأكدوا انكم اذا اردتم مقاومتنا ، انكم لخاسرون** » (١٠)

فلم يلبوا طلبه ، بل داوموا على اطلاق الرصاص على حمزة وعلى الجموع القادمة . وعن الحريق الذي اضرمه الثوار في كوكبا كتب منير الريس : « فأغار عليها الفرسان ، وزحف وراءهم المشاة الى القرية ، لا يأبهون لوابل الرصاص المنهمر عليهم ، حتى دخلوها عنوة ، واضرموا النيران في منازلها ، وفر المعتدون كالارانب ، مخلفين وراءهم النساء والاطفال والشيوخ ... وكانت خسائر كوكبا بالنفوس كبيرة ايضا من رصاص المدافعين والمهاجمين ، وقتل كاهن القرية الوطني الذي اراد ان يثبت للمجاهدين ان النصارى وطنيون لا يتخلفون عن تأييد الثورة ، واستقبال الثائرين الذين جاءوا لتحرير البلاد من ربقة الاستعمار . وعاد الثوار بعد حرق « كوكبا » الى حاصبيا ، حتى لا يساء تفسير حرق كوكبا ، ولا تتعرض الحملة لصدام اخر في احدى القرى التي تمر بها في طريقها الى جديدة مرجعيون . »(١١)

وعاد الثوار الى حاصبيا ، وبعد بضعة ايام سارت قوة جديدة بقيادة حمزة الدرويش ونزيه العظم قاصدة الجديدة ، ولما بلغت قرية ابل السقي ، اعترضها اهل هذه القرية وغالبيتهم من المسيحيين ، ودعوا المجاهدين الى تناول الطعام والمبيت في بلدتهم . اما الفرنسيون فكانوا قد استقدموا الى مرجعيون عصابة بطرس وغطاس كرم (وهي احدى العصابات المسلحة التي شكلها الفرنسيون من بين موارنة جبل لبنان) . فارسل بطرس كرم الى ابل السقي كتابا موجها الى زعماء المجاهدين وضمنه الوعيد والتهديد والاستفزاز الطائفي . وختم كرم انذاره بوجوب انسحاب الثوار من ابل السقي وعدم التعرض لجديدة مرجعيون . فارسل حمزة الدرويش كتابا جوابيا الى بطرس كرم، ومما جاء فيه : « **ان ثورتهم وطنية ، وليست دينية ، وهم حريصون على الا يثيرهم العملاء ، ولا يجروهم الى تلويث ايديهم بدم اخوتهم المسيحيين ، لذلك عدلوا عن المجيء الى جديدة مرجعيون ، وسيغادرون ابل السقي في الصباح ليثبتوا للملأ اجمع انهم يحافظون على وعودهم وعهودهم .** » (١٢)

وعادت السرية الى حاصبيا حيث عقد المجاهدون اجتماعا في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الثاني ، قرروا فيه عدم التعرض « للبنان الصغير » ، وان ينحصر نشاطهم في المناطق التي سلخت من دمشق وضمت قسرا الى « لبنان الكبير » وعلى الاثر نسفوا جسر الخردلة على نهر الليطاني . ووصل وفد من « النبطية وجبل عامل الى حاصبيا ،

يطلب من الحملة الوطنية ان تتقدم الى مناطقهم ، وانهم مستعدون لاشعال نار الثورة فيها لاجلاء الفرنسيين ، فافهم اعضاء الوفد ان القيادة قررت عدم التجاوز على حدود لبنان ، دون المناطق التي سلخت من سوريا الداخلية والساحل السوري والحقت بلبنان ، اذا لم تجد نفسها مضطرة الى ذلك . اما اذا شاء سكان لبنان ان يثوروا في مناطقهم ، فاننا سنؤيد ثورتهم وندعمها وننجدها اذا طلبوا منا ذلك . » (١٣)

ومن حاصبيا اذاع زيد الاطرش (القائد العام لقوات الاقليم ووادي التيم) البيان التالي :

الدين لله والوطن للجميع

« الى اخواننا المسيحيين في قضائي حاصبيا وراشيا المحترمين اعزهم الله .

« ١ — ماروني من اهالي شمالي لبنان جاء به الفرنسيون الى الجديدة يومئذ للدفاع عنها والفوا له عصابة مارونية امدوها بالسلاح والمال لقتال الثوار وايقاع الشقاق بين طوائف البلاد واغراء المسيحيين بالمسلمين والمسلمين بالمسيحيين .

« بلغنا من الوطنيين الاعزاء ان بعضكم داخلهم خوف من وجود الحملة الوطنية في جوارهم فاخذوا ينزحون توهما منهم ان الثورة الوطنية قد تصيبهم بأذى فساءنا هذا الخبر وآلمنا جد الالم لانهم اخوان لنا لا فرق بينهم قانعين بما رددوا به على ذلك الماروني بطرس المسكين وان يصبروا عن دخول وبين اي كان من الطوائف الاخرى وثانيا لان عملهم هذا يؤذي شعورنا لما فيه من عدم الثقة بما اسلفناه من البيانات التي اوضحنا فيها حقيقة الثورة الوطنية ولقد اضطررنا بسبب موقفكم هذا الى مخاطبتكم بصفتكم الطائفية على حين اننا لم نفعل ذلك تنزيها للثورة الوطنية من شوائب النزعات البعيدة عن الروح القومية . ولكننا رأينا بعض السذج لم يدركوا الاغراض النبيلة التي ترمي اليها ثورتنا هذه فاسرعنا ببياننا على هذه الصورة تطمينا لهم واننا نرجو ان نثبت لكم عن قريب ان المبدأ الرئيسي الذي تستند عليه حركتنا القومية هو ما صدرنا به هذا الكلام : « الدين لله والوطن للجميع » . (١٤) »

الا ان المجاهدين لم يتمكنوا من الاستقرار طويلا في حاصبيا ، حيث وصل اليها رسل من راشيا الوادي يحملون اخبار المعارك الدائرة بين دروز بلدتهم وحاميتها الفرنسية .

فبقيادة حمزة الدرويش ونزيه المؤيد العظم ، واسد الاطرش شكل الثوار قوة مشتركة من المجاهدين الدروز ومن ابناء قرى العرقوب ومن عشيرة الفاعور ، توجهت لقتال الفرنسيين في راشيا . وعن احتلال راشيا واحراق قلعتها كتب المجاهد عبد الرحمن الشهبندر في مذكراته : « ولما عاد الثوار الى حاصبيا علموا ان معركة كبيرة وقعت بين دروز راشيا وبين حاميتها ،فهرع قسم منهم بقيادة السادة حمزة الدرويش ونزيه المؤيد العظم واسد الاطرش وغيرهم من الزعماء الى راشيا ، فتحصنت الحامية في قلعة (آل شهاب) وتحصن معها معظم مسيحيي القرية . ولما ابصروا جموع الثوار قادمة نحوهم قابلوها بالرصاص ، فهجمت الجموع واحتلت القرية ، وبقي الجند متحصنا في القلعة ودام الحال على هذا المنوال بضعة ايام واخيرا قرر الثوار مهاجمة القلعة فانقسموا الى اربع فرق واحاطوا بالقلعة من جميع اطرافها ، وعهدوا الى السيد نزيه المؤيد العظم بدخولها فقام بمهمته احسن قيام وتمكن من الوصول الى اسفل السلالم بواسطة خرق جدران الدور الموصلة اليها .

ووضعت السلالم على السور فتسلقها الثوار ودخلوا القلعة عنوة ببطولة نادرة تفوق الوصف . واحرقوا قسما كبيرا منها وقتلوا عددا عظيما من المحاصرين الذين لم يفروا ولم يختبئوا في الاقبية الارضية ، والذين حال الليل دون الوصول اليهم ، وقد استسلم اليهم كثير من المسيحيين فلم يمسوهم بسوء بل اطلقوا سراحهم حالا بعدما استولوا على اسلحتهم .

وفي الصباح أتت نجدات كبيرة من الجند مجهزة بالمدافع والدبابات والمصفحات ، ثم حلقت الطائرات فألقت على الثوار مقادير كبيرة من المفرقعات مما اضطرهم الى تـرك البلد والاعتصام بالجبال . حينئذ دخل الجنود القرية فقتلوا جميع من وجدوهم وفـي مقدمة الجميع ، كان الشيخ نعمان وجميع افراد عائلته . » (١٥)

وفي تقييم الفرنسيين لمعارك راشيا نقرأ في الكتاب الذهبي لجيوش الشرق ١٩١٨ — ١٩٣٦ ، ما يلي : « اجل لقد انقذت الحامية (الفرنسية) ولكن النضال كان شاقا ، واسفر عن خساره المدافعين (الفرنسيين) لاربعين في المئة من قواتهم . » (١٦)

بعد معارك راشيا ،ونتيجة لاشتداد حصار الجيش الفرنسي لجبـــل الدروز ، واضطرار المجاهدين الدروز للانسحاب ، اخذت الثورة تنحسر في حاصبيا والعرقوب . فعادت القوات الفرنسية الى التقدم وبدأت قرى العرقوب تسقط من جديد الواحدة تلو الاخرى تحت احتلال الاستعمار الفرنسي ، وتضم قسرا الى « لبنان الكبير » . وكان من نتائج التراجع الذي حل بالحركة الوطنية في عموم المناطق ان شددت سلطات الانتداب من سيطرتها على هذه البلاد ومن قهرها واستغلالها .

العرقوب بعد الثورة السوريـــة

الا ان ابناء العرقوب وكفرشوبا منه بالذات لم يتأقلموا وتجزئة الاستعمار الفرنسي بل راحوا يسهمون في النضالات من اجل الاستقلال كما ظلوا بحكم علاقاتهم الاقتصادية ـــ الاجتماعية والقومية مشدودين الى الجولان والحولة وفلسطين طوال الفترة التي امتدت من ١٩٢٥ الى ١٩٤٨ معبرين عن ذلك باشكال متعدده رغم رزوحهم تحت الارهاب والقهـــر .

وعندما جاء عام ١٩٤٨ اتخذ جيش الانقاذ عدة مراكز لقواته في قرى العرقوب ، واهمها تلك التي كانت في ضواحي كفرشوبا وعلى مشارفها. وقد انضم يومها ما يزيد عن اربعمئة متطوع من ابناء العرقوب الى جيش الانقاذ وشاركوا في الاغارة على المستوطنات الصهيونية في الجليل والحولة . ويذكر ان القائد فوزي القاوقجي امضى يومها فتـرة غير وجيزة وهو يقود من مراكز العرقوب معارك جيش الانقاذ ويوجه اغارات وحداته .

وعلى امتداد العقد الثاني من العهد الاستقلالي ايضا ، بقي العرقوب بقراه الست اصيلا في انتمائه الى هذا التراث في الكفاح الوطني ـــ الوحدوي الذي بينا اعلاه .

ثـــورة ١٩٥٨

سبوجه حكم شمعون وحلف بغداد ومشروع ايزنهاور ، اعلن العرقوب العصيـــان وانتفضت جماهيره تهتف لتأميم السويس ، لنهج عبد الناصر الوطني والقومي ولتعلن الالتزام بالوحدة المصرية السورية . فكان العرقوب بؤرة ثورية من اهم بؤر انتفاضة ١٩٥٨ . وكانت منه كفرشوبا مركزا وممرا للثوار وموقع الاتصال بسوريا . فانتشرت في قراه مراكز عدة للمقاومة الشعبية ، والتي قام اعضاؤها بسلسله من العمليـات العسكرية الناجحـة ابرزهـــا :

ـــ نسف جسر الحاصباني .
ـــ نسف طريق الهرماس (خط مرجعيون ـــ حاصبيا) .
ـــ الاغارات المتكررة على مواقع القرى المضادة للثورة .

والى كفرشوبا القاعدة الامينة للمقاومة الشعبيه لجأ يومها احمد الاسعد ، احـــد الوجوه السياسيه لثورة ١٩٥٨ في الجنـــوب .

وكما ادرك الوطنيون يومها اهمية كفرشوبا المركز والممر والملجأ الامين ، ادركت قوات شمعون المخاطر التي تمثلها صفات القرية الصغيرة . فقصف الجيش كفرشوبـــــا بأربعمئة قذيفة ، ووجه طائراته لضرب برج المطلين . فنزح الاهالي الى بركة بعشائيل والى التحتا ، ولكنهم بعد حوالي ٩٠ يوما عادوا الى قريتهم الصغيرة ، رافضين النزوح عنها وليستكملوا طريقهم في النضال ضد الاستعمار ومن اجل تحرر ووحدة بلاد العرب.

على هذه القاعده الصلبة من الماضي الوطني المشرق دخلت طلائع الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٩ قرية كفرشوبا ارض الكفاح العطشى لكل مقاومة ضد الصهيونية والاستعمار وفتحت **هذه الطلائع ، من خلال التحامها الوطني بابناء العرقوب عهدا جديدا من النضال التحرري الوحدوي لاهالي المنطقة ، واخذت تبني معهم اللبنات الاولى في مسيرة حرب الشعب العربية ، مسيرة التحرير والوحدة والثورة الديمقراطية . انها لبنات النصر .**

---

(١) ــ كفراوكفار (كما يلفظ في العامية اللبنانية) جذر سامي معناه الضيعة والقرية والدسكرة وقد يكون الجزء الثاني (شوبا) يعني الحر (كما هو في العامية) وقد يكون ساميا قديما من جذر « شوب » ويقابله في العربية «شاب» بمعنى رجع وعاد . انظر انيس فريحة : معجم اسماء القرى والمدن اللبنانية . مكتبة لبنان ، ١٩٧٢ . (ص ١٥٠) .

(٢) خلدون الخالد : ملحق النهار (٧٥/٤/٢٨) .

(٣) راجع حلاز محمود جابر : مؤتمر الحجير واثاره الجامعة اللبنانية ١٩٧٣ (ص ١٤٠).

(٤) نقلا عن المصدر السابق ، ص ٢٤ . (جريـــدة البشير ٢٤٩٩ ، ١٩١٩/١/٢٢ ، ص ٣) .

(٥) عن المصدر نفسه ــ احمد رضا ، العرفان ، مذكرات للتاريخ ، م ٣٣ ج ٧ . ص ٧٣٧ .

(٦) راجع الدكتور محي الدين السفرجلاني : تاريخ الثورة السورية ، دار اليقظة العربية للتأليـف والترجمة والنشر . دمشق ١٩٦١ . ص ٢٥٦ .

(٧) منير الريس : الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي. الثورة السورية الكبرى.بيروت ١٩٦٩ . ص ٣٠٣ .

(٨) الدكتور محي الدين السفرجلاني : المصـــدر السابق . ص ٢٦٠

(٩) الدكتور محي الدين السفرجلاني : المصـــدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(١٠) من مذكرات عبـــد الرحمن الشهبندر . دار الارشاد ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٢٠٣ .

(١١) منير الريس ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧

(١٢) منير الريس : المصدر السابق ص ٣٠٨

(١٣) منير الريس : المصدر السابق ، ص ٣١١ .

(١٤) من الوثائق المنشورة في كتاب الدكتور محي الدين السفرجلاني . المصدر السابق . ص ٢٦٥ .

(١٥) مذكرات عبد الرحمن الشهبندر : المصـــدر السابق ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ .

(١٦) الكتاب الذهبي (ص ١٦٩) .

(٢) كفرشوبا : التاريخ ، الارض ، والانسان . .

بقلم : فرحان صالح

كفرشوبا ، قرية من قرى الجنوب ، ممارسات سكانها لم تكن الا انعكاسا للتجارب المختلفة التي مرت بها الحركة الوطنية العربية ، وليس فقط في لبنان ، وبل في فلسطين وسوريا خاصة ، وفي بقية انحاء الوطن .

يعتقد الاهالي ، بخاصة المسنون ، بان اوائل الذين سكنوا في هذه القرية كانوا من الثوار الذين شاركوا في مجموع الانتفاضات ضد الاستعمار التركي ، ويعتقد اخرون بأنها كانت مكانا للنساك ، هذا وفي نهاية حكم الاستعمار التركي « حيث يتكلم الاهالي عن استشهاد ابائهم وجدودهم في النضال ضد المستعمرين الاتراك » ، وبداية حكم الاستعمار الفرنسي — الانجليزي — شارك اهالي البلدة ، في الانتفاضات الوطنية ضد الانتداب الفرنسي ، او في نهاية الحرب الاولى ، وكانت الوعود ماثلة في اذهان الجماهير العربية حول امكانية اعطاء الاستقلال للوطن العربي ، وحكم نفسه بنفسه ، وحيث كانت الجماهير العربية ترى المستعمرين يضربون عرض الحائط بوعودهم المعسولة فيما قبل الحرب لبعض الحكام ، ثارت الجماهير الشعبية ، ضد المستعمرين ، وكانت عشرات الانتفاضات . التي تآمر عليها العملاء حينها ، لمصلحة المستعمرين الفرنسيين والانجليز . ولمصلحة بقاء امتيازاتهم ومصالحهم .

في تلك الفترة ، شارك الاهالي . كما شارك غيرهم من سكان المنطقة ، في الحركات الوطنية ضد المستعمرين ، وقد أدت فيما ادت اليه بالنسبة لقضاء حاصبيا، الى استقلال مؤقت في احدى الفترات ، والى تشكيل حكومة في حاصبيا مناهضة للاستعمار الفرنسي برئاسة نسيب غبريل (١) . وبالتأكيد فقد ساعدت المنافسة القوية ما بين المستعمرين الفرنسيين والانجليز للسيطرة على البلاد العربية ، في تطور هذه الحركات . ولكن حينما اشتد ساعد هذه الحركات ، واخذت تنمو وتتبلور مهددة الوجود الاجنبي ، تحالف المستعمرون وعملاؤهم ، وقسموا الغنيمة « الوطن العربي » فيما بينهم ، وقضوا على الحركة الوطنية العربية .ولكن سرعان ما تعاون المستعمرون، الانجليز والفرنسيون وكما حصل هنا ، كما تعاون الفرنسيون والاسبان ، وقضوا على وحدة واستقلال المغرب ، كما مرت ايضا تجربة عمر المختار بظروف مشابهة ، وكل هذه التجارب كانت تصل لهذا المنعطف ، لعدم وحدتها مع بعضها من جهة ، ولعزلها عن بعضها البعض من جهة ثانية .

نقول هذا لنبين الوضع العام للبلاد العربية ، كي يسهل من خلاله فهم الظروف الخاصة التي مرت بها تجربة العصابات الوطنية في الجنوب . ما بين ١٩١٨ — ١٩٢٦ .

ان اهالي كفرشوبا قد شاركوا كما يقول الكثيرون ممن عايشوا تلك المرحلة ، في هذه الثورات ، واستشهد منهم البعض ، وجرح البعض الاخر ، واعتقل اخرون . فالمناضل حسين نصار استشهد وهو يقاتل المستعمرين الفرنسيين ، كما اعتقل المناضل عبدو خليفة حينها ، الذي هرب من درك الاحتلال الفرنسي والتحق بالثوار ، وقد عمل هؤلاء تحت قيادة احمد مريود وشكيب ارسلان ، كما عمل اخرون من اهالي القرية منهم : محمود عبدالله ، وعلي احمد الخطيب ، وعلي ذيب صالح ، ومحمد قاسم عمر ، وحسين قاسم عيسى . (٢) هذا ولقد كان مركز قيادة العصابات الوطنية في اراضي كفرشوبا ، وكانت تنقل مرات الى بانياس في الجولان .

ومن ثم فقد شارك بعض اهالي البلدة مع غيرهم في القتال ضد المستعمرين الانجليز ، خلال ثورة المجاهد الكبير عز الدين القسام ، ويذكر منهم ، محمد احمد هاشم (قسم من عائلته في كفرشوبا ، وقسم اخر في شبعا) . (٣) ويذكر بعض اهالي الهباريه ، انهم خلال عملهم في مرفأ حيفا ، خلال ثورة القسام، قد شاركوا في المظاهرات التي قامت حينها ضد الانجليز وتأييداً للحركةالوطنية الفلسطينية يومها .

وفي عام ١٩٤٨ ، كان للاهالي مشاركة في كتائب جيش الانقاذ انذاك ، حيث شارك احمد سعيد عيسى ، ومحمد سعيد عيسى « جرح » وحسين علي عبدالله ، ومحمد احمد عون ، الملقب « بريندي » وعلي احمد حمود ، ومحمد حسن القادري ، ولا زالوا بمعظمهم احياء ، ويحكون بأسى عن الاوضاع المتردية التي كانت عليها الحركة الوطنية، والجيوش العربية في تلك الفترة .

هذا وبعد نزوح الفلسطينيين من قراهم ومدنهم ، استقبلهم اهالي البلدة ، وقاموا حينها بما يمليه عليهم الواجب الوطني والقومي انذاك ، ولا زال قسم لا بأس به منهم يسكن في القرية ، «حتى فترة النزوح الاخير» .

وفي عام ١٩٥٨ كان لاهالي البلدة دور مهم في التصدي للمؤامرة التي كان ينفذها عملاء اميركا في لبنان . فتحولت كفرشوبا انذاك الى مركز لقيادة المقاومة الشعبية ، ولتدريب المواطنين كما كانت مركز تجمع لقسم مهم من الذين التحقوا بالمقاومة الشعبية ، وخاصة من ابناء مرجعيون وراشيا الفخار وبقية قرى المنطقة ممن تصدوا للمؤامرة الهادفة حينها الى ربط لبنان بالاحلاف الاجنبية . والى الوقوف بوجه الحركة القومية الوحدوية ، والتي تجسدت في تلك السنة بالوحدة ما بين سوريا — ومصر ، بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

الوضع الاقتصادي لكفرشوبا

كان القسم الغالب من السكان ، حتى نهاية الخمسينات ، يعيش من الاعتماد على الموارد الزراعية . وكانت خلال تلك الفترة ، وبالتحديد بعد النكبة ، قد بدأت مكونات ثانية لمعيشة الاهالي ، وقد تحددت في الاعتماد على الهجرة من جهة ، وعلى وظائف الدولة ، وبالتحديد الجيش من جهة ثانية . وقد ساعدت التطورات التي عرفها الاقتصاد اللبناني على تفسخ العلاقات القديمة، وبدأتتحل محلها علاقات متينة رأسمالية، ارتبطت بالتطورات اللاحقة لقطاع الخدمات ، ولبقية الريف وللمدينة بيروت ، ولبقية القطاعات المنتجة .

نتيجة تفسخ العلاقات شبه الاقطاعية ، لتحل محلها العلاقات شبه الراسمالية ، فقد بدأ يصطدم ممثلو العلاقات القديمة ، بممثلي العلاقات الجديدة، وكان ذروة التعارض بين نمطي الانتاج ، ما وصلت اليه الحالة خلال فترة حكم الرئيس شهاب ، الذي قام باصلاحات مختلفة ، مهدت لسيطرة قطاع الخدمات على الريف من جهة ، وبلورة توجهات في الريف مثلت هذا التطور ، وتعارضت في بعض الفترات مع ممثلي العلاقات القديمة . وساعدت ايضا على الهجرة الواسعة باتجاه المدن وخاصة بيروت .

ان هذه التطورات قد انعكست على سكان كفرشوبا ، كما انعكست على غيرهم من السكان . وادت الى التخلي التدريجي عن الزراعة كمورد وحيد من جهة ، مما ساعد على تفسخ الملكيات ، وتبعثرها ، وهي في الاصل ملكيات صغيرة ، والى التوجه للموارد المعيشية الثانية . علما ان قسما من الاهالي كان يعتمد في معيشته على رعي الماشية ، اذ كان يتجاوز حتى ما قبل عام ١٩٥٨ ، عدد قطعان الماعز والغنم الـ ٢٥ الف رأس ، كما كان يتجاوز عدد رؤوس قطعان البقر الاربعة الاف رأس .

وفيما اذ نظرنا الى ما سماه بعض البحاثين باقتصاد الشرق ، او نمط الانتاج الاسيوي او بالاقتصاد المغلق ، فاننا نلاحظ، والكلام غير محصور في كفرشوبا، بان الاكتفاء الذاتي هو ما يجب ان يوصف عليه وضع الفلاحين ، الذين كانوا يستعملون فائض الانتاج في المقايضة بحاجات تفيدهم ، وحتى الخمسينات كان ذلك موجودا في هذه البلدة . كما ان ما يلفت النظر داخل هذه القرية وداخل غيرها من القرى في الجنوب وحتى في فلسطين وسوريا وبعض البلاد العربية الاخرى حسبما يردد الاهالي . نرى ان عملية التعاون هي احدى المسائل المهمة في حياة الفلاحين ، مثلا « داخل كفرشوبا » الفلاحة هي عمل تعاوني ، فالفلاحون مطالبون بمساعدة بعضهم البعض خلال مواسم الفلاحة ومواسم الحصاد . كما ان الابار والبرك الموجودة في املاك القريه ، فان مهمة تنظيفها كل سنة من روث الماشية ومن الاوساخ ، هي مهمة جماعية ، كما ان مسألة تعمير منزل داخل القرية ، فانه ايضا في معظم جوانبه مهمة جماعية .

هذا وفي القرية بعض الاشخاص مهمتهم رعاية ابقار القرية ، ويكسبون معيشتهم من الاهالي ، كما ان فتح الطرق ، او تعزيل البعض ، كانت مهمة جماعية ، « وقد تم ذلك منذ حوالي الاربعة اشهر ، حينما تعاون سكان البلدة على فتح طريق في مزرعة حلتا » . وفي داخل القرية سلطة دينية ، ممثلة في المؤذن ، الذي يشارك الاهالي في الصلاة ، وهذا المؤذن ، او الامام من مهمة اهالي البلدة جميعا ، تقديم عون سنوي له مكافأة لما يقوم به .. كما ان في القرية ، مجموعة نواطير يقومون بحراسة املاك القرية ، ويعيشون من هذه المهنة ، كذلك بالنسبة للمختار وكما هو معلوم .

العلاقات الاجتماعية داخل القرية

ان هذه العلاقات ، وتوارثها عن علاقات اقتصادية قديمة ، وعن عادات الجدود والاباء قد بلورت عادات اجتماعية متنوعة . فقد كان على الاهالي جميعا ان يشاركوا في مهمة التصدي لاي نوع من الاعتداء على احد سكان البلدة ، او على املاك احدهم ، وهذا لا يعني انه داخل القرية لم يكن من خلافات ، او تناقضات ، وكانت هذه الخلافات تأخذ في احد مظاهرها طابع العنف احيانا ، والذي كان يجب معالجته ضمن عادات وتقاليد البلدة ، ولكن تجدر الاشارة الى ان هذه الخلافات ، كانت تؤدي باستمرار الى تقوية جذور العصبية العائلية ، والتي كانت تؤدي الى ضعف علاقات الوحدة والتضامن داخل القرية . اذ كانت التحالفات خلال فترة الخلافات داخل مجتمع القرية ، تأخذ طابع القربى وقليلا جدا ، بدا يبرز في الفترة اللاحقة لما بعد الخمسينات ، طابع العلاقات الشخصية .

وفي الحقيقة ، فان اتجاهين رئيسيين تبلورا بعد الخمسينات ، اولهما : الاتجاه المتنفذ في الدولة ، والذي كان يتعاون مع القوى المتأثرة بالعلاقات والنظم القديمة . وثانيهما القسم المرتبط باشكال انتاجية متقدمة ، اصحاب الملكيات الصغيرة حينا ، واصحاب الحرف احيانا ، والعمال الزراعيون والورش بعض الاحيان ، ومن ثم بعد تطور سيطرة قطاع الخدمات ، تبلور اتجاهان اخران ، الاتجاه المرتبط بالسلطة ، حيث كان يمارس نفوذه من خلالها ، والاخر المرتبط بوسائل معيشية ، مستقلة عن نفوذ السلطة، وبالتأكيد فقد كانت تناقضات مختلفة داخل هذه التوجهات ، والتي لم تكن ابدا مبدئية في معظم مراحلها .

لقد ساعدت ، التطورات اللاحقة للاقتصاد اللبناني وخاصة في نهاية الخمسينات ، على بلورة وترسيخ علاقات جديدة ، بدات معالمها تبدو واضحة في نهاية حكم شمعون، وبداية حكم شهاب وهذه العلاقات والتطورات الجديدة ، ترافقت مع المد الوطني والوحدوي في الوطن العربي ، حيث كان القسم الغالب من الاهالي متأثرا بهذا المد ولكن لعبة المحاور انعكست على القرية بقوة ، وادت الى بلورة توجهات سياسية تحددت في

حركة القوميين العرب ــ وفي حزب البعث العربي الاشتراكي ، وقد لعبت الحساسيات القديمة داخل القرية دورا مهما في هذه التوجهات السياسية .

العلاقات الاقتصادية بين كفرشوبا ومحيطهـــا

من المعروف ان منطقة حاصبيا ، ومنها كفرشوبا ، كانت تابعة لولاية دمشق حتى عام ١٩٢٠ ، كما ان القسم الشمالي من فلسطين كان يتبع لولاية بيروت حتى تلك الفترة . وبعد ذلك الحين كانت هناك مساومات بين الانجليز والفرنسيين ، فضم قضاء حاصبيا لدولة لبنان الكبير ، وبالمقابل تنازل الفرنسيون حينها عن شمال فلسطين ، وبخاصة منطقة الخالصة ، والذي كانت تتبع عمليا قضاء مرجعيون يومها . ولم تكن حينها اية عراقيل تذكر فيما يتعلق بتبادل المنتجات الزراعية ، وفيما يتعلق بمسألة الحدود ، وقد استمر هذا الوضع حتى عام ١٩٤٨ . حينما اقفلت الحدود مع فلسطين ، وبدأت نقاط التفتيش ــ الجمارك من جهة العلاقة مع سوريا ، تأخذ طابعا أكثر تشددا من ذي قبل .

وقد كانت فلسطين (جارتنا الجنوبية) الدولة التي كان لبنان يغذي معها في الخمس والعشرين سنة التي سبقت النكبة اوسع العلاقات الاقتصادية بعد سورية ، اذ بدأت « التغيرات الطارئة على هيكل الاقتصاد الفلسطيني ، وامكانيات فلسطين الهامة في التصدير ، وقدرتها على استهلاك قسم وافر من انتاج ثمار لبنان ، ومن انتاجنا الزراعي كافة ، وانتاجنا الصناعي بدأت هذه التغيرات تعطي آثارها البالغة . وكانت فلسطين من جهة ثانية توفد الينا عددا كبيرا من المصطافين والسياح وهواة الرياضة الشتوية ، وفي هذا دلالة على مقدار اهمية علاقاتنا الاقتصادية بفلسطين (٥) » . هذا وكانت علاقاتنا « مع فلسطين منذ السنة ١٩٢١ تخضع لاتفاقية تجارية تنص على التبادل الحـــرفي للمنتوجات المحليه ، وتطبق نظام الاسترجاع ، « الدوربك » (المواد المعاد تصديرها) وفي ١٨ ايار ١٩٢٩ مددت هذه الاتفاقية الى عشر سنوات ، مع قليل من التعديل ، وبفضل هذه الاتفاقات المعقودة للتبادل الحر كانت تجارتنا مع فلسطين منذ ١٩٢١ حتى ١٩٣٩ كثيرة الازدهار ، وقد احرزت صادرات سوريا ولبنان الى فلسطين في السنة ١٩٣٥ رقما قياسيا قدره « ٥٣٠٠٠٠٠ » ل.ل اي ما يعادل مليون ليرة عثمانية ذهبا . وفي السنة ١٩٣٨ نقضت الحكومة الفلسطينية ، عاملة تحت ضغط خطط الصناعيين الصهاينة الذين زاحمتهم الصناعة السورية اللبنانية الفلسطينية ، الاتفاقية التجارية المعقودة سنة ١٩٢٩ وابدلت من اتفاقية تجارية جديدة بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٩ ، تحافظ على حريـــة التبادل في المنتجات الزراعية ، وفي عدد محدود من المنتوجات الصناعية ، وقد ذكرت صراحة في الاتفاقية ، الزيوت النباتية ، المنتوجات القطنية والحريرية ، الصابون ، المجوهرات ، الاوكسجين المائي ، واخضع للتعرفة العادية صنف اخر من المنتوجـــات الصناعية كالمشروبات الروحية والعطور والتبغ ، والسكاير والكبريت والكحول . وكـــل ما عدا ذلك كان خاضعا لتعرفة تعادل ثلثي التعرفة العادية ، وفي شهري كانون الثاني وشباط ١٩٤٦ ، طبق قرار مقاطعة الصهيونية ، وانتهت العلاقة الاقتصادية بعد الاحتلال الصهيونـــي » (٦) . هذا ولقد اثر في زيادة تجارة فلسطين مع البلدان التـــي تحـــت الانتداب الفرنسي ، توفر الطرق التي تربط فلسطين بيروت ودمشق (٧) .

ان اعطاء هذه الصورة ، حول الوضع العام ما بين فلسطين وسوريا ولبنان ، بهدف تحديد صورة ادق ، تأخذ الطابع الخاص للقرية ولعلاقاتها مع محيطها . فمثلا كانـــت الخالصة هي السوق الاولى لاهالي البلدة ولسكان المنطقة، وايضا لسكان قضاء مرجعيون ومنطقة الجولان . تقول السيدة « مسعدة عبدالله » من سكان القرية ، ومن الذين يذكرون هذه العلاقات . بان الاهالي كانوا يأخذون البيض والحليب واللبنة ، والعدس والجلبينة والدجاج ، واحيانا ، دراهم حيث كانوا يتعاملون بالعملة الفلسطينية حينها .

وكانوا يجلبون معهم الانتاج الفلسطيني من الحمضيات ومن الليمون ، والصابون والملح وزيت الكاز والحصر ، وكافة انواع الملبوسات والسكر والشاي ، هذا وفي البلدة اناس يسمون « مكارية » ، مهمتهم الدائمة نقل انتاج البلدة واستبداله بالانتاج الاخر من فلسطين ، وكان يتم ذلك على الطرق التجارية القديمة ، وبوسائل بدائية ، اي على ظهر الحمير ، والبغال ، ولا زال البعض من هؤلاء احياء كموسى عبدالله ، ومحمد احمد قمره وعلي عطوي ، وعبدالله عطوي ، واحمد عطيه ، وحسن ميري ، وسواهم من السكان. وهذه العلاقات كانت وايضا وبنفس القدر مع منطقة القنيطرة . حيث كان السكان يأخذون فائض انتاجهم ويبدلونه بسكك الحديد ، والمذاري ، وبالقمح ، والاحذية، وبعض الملبوسات والسمنة ، وكانوا اضافة لذلك يأخذون معهم الفخار حيث كانوا يشترونها من قرية راشيا الفخار القريبة من البلدة . اضافة للتين الاخضر والمجفف ، كما يقول محمد احمد يحيى ، والعنب .

ويذكر الكثيرون ما كان يحل بهم عندما يلقى القبض عليهم من قبل نقاط التفتيش سواء منها السورية والفلسطينية ، اذ كانت تؤخذ حمولتهم ، ويعودون وكلهم اسى ولوعة .

خلاصـــــة

ان هذه الصوره للعلاقات السياسية ، والاقتصادية والاجتماعيه داخل البلدة، ولمواقف ابنائها من الوجود الاستعماري ، ومن القوى المرتبطة بهذا الوجود . قد ساعدت على بلورة توجهات سياسية اكثر تطورا ، وكانت هذه التوجهات انعكاسا للتطرات السياسية الحاصلة في الوطن العربي . وقد ادى ما ذكر على توثيق الصلة بالحركة القوميـــة الوطنية التحرريه ، حيث كانت هذه التطورات تنعكس مباشرة على الوضع اللبناني . ان ذلك قد ساعد ايضا على تطور الحس الوطني والقومي عند السكان الذين شاركوا في مجمل الانتفاضات ضد المستعمرين ، وكانت هذه الثورات القاسم المشترك الذي يجمعهم في القضايا الصعبة ، وفي المنعطفات التاريخية المهمة ، ان مشاركة الاهالي في الاحـــزاب السياسية وفي الانتفاضات الوطنية والقومية الاخرى كما مر . اذ شارك قسم من الاهالي في الحزب الشيوعي في الثلاثينات ، كما شارك قسم من الطلائع في بداية الخمسينات بحزب البعث العربي الاشتراكي وفي حركة القوميين العرب ، اذ شكلت كفرشوبا ، وللحقيقة الطليعة السياسية المهمة وليس فقط داخل المنطقة وفي محيطها ، وبل بتواضع يمكن القـــول على صعيد منطقة الجنوب (٨) .

---

١ ــ المعلومات من السيد صالح صالح في مقابلة في نهاية شهر ايار عام ١٩٧٥ .

٢ ــ مقابلة مع عزو القادري ، من سكان القرية الذي عاصر تلك المرحلة في ١٩ــ١٠ــ١٩٧٥ .

٣ ــ من الذكريات الشخصية للسيد قاسم حسين ،

٤ ــ مرجـــع سابق .

٥ ــ جبرائيل منسى ــ التصميم الانشائي للاقتصاد اللبناني واصلاح الدولة ص ١١٣ ــ ١٩٤٨ .

٦ ــ راجع جبرائيل منسى ــ بتصرف ــ مرجـــع سابق ــ ص ١٣٣ ــ ١٣٤ ــ و ١٣ .

٧ ــ النظام الاقتصادي في فلسطين ــ سعيـــد حمـــاده ــ ص ٥٠٢ ــ ١٩٣٩ منشورات الجامعة الاميركية .

٨ ــ من اجل معلومات اوسع حول وضع البلدة والتطورات الاخيرة، يمكن مراجعة مجلة شؤون فلسطينية ، العددين ٤٣ و ٤٧ ، مقـــالات فرحان صالح عن كفرشوبا ــ والجنوب .

الحسيديـة
احدى روافد الغيبية الصهيونية

الدكتور عبد الوهاب المسيري

تنشر شؤون فلسطينية هذه الدراسة في موضوع لم يكتب به في العربية الا نادرا .

ونظرا لدقة الموضوع فقد عرضته شؤون فلسطينية على الاخ صبري جريس « المسؤول عن الدراسات الاسرائيلية والصهيونية فيها ، فسجل الملاحظات والتحفظات التاليـــة :

١ — الحسيدية حركة دينية يهودية صرفة ، نشأت وتبلورت قبل ان يظهر اي « برعم » صهيوني بوقت طويل . لا علاقة لها بالصهيونية ، خيرا أو شرا ، عـدا عن قرب بعض اعضائها من الحركة الصهيونية او من زعمائها ، ولكن يقابل ذلك ابتعاد بعض الزعماء الاخرين عن تلك الحركة .

٢ — معظم ابناء الحسيدية وآبائهـا الدينيين وزعمائهـا يعيشون في اميركـا (نيويورك) ولا يبدون اهتماما ملحوظا بالصهيونية واسرائيل .

٣ — التحدث عن الصهيونية والحسيدية بنفس اللهجة غير منصف ، تاريخيا ، في حق الاخيرة ، نظرا لاهتمامها — كما اشرنا — بالدين والغيبيات ، الخ ، بشكـــل رئيســـي .

٤ — رغم اشارة المؤلف الى المحاذير التي وضعها نصب عينيه ، كما يقول في اواخر مقالته ، يبدو انه وقع في الخطأ من حيث لا يدري — باعتماده على مصادر صهيونية سياسية ، جعلته يتحامل على الحركة .

« الحسيدية » كلمة مشتقة من الكلمة العبرية « حسيد » ومعناها « التقى » ، وتستخدم في العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية التي اسسها بعـل شيم طوف (١٧٠٠ — ١٧٦١) . وقد بدأت هذه الحركة في منتصف القرن الثامـن عشر في جنوب بولندا وجاليشيا واوكرانيا في القرن الثامن عشر وانتشرت منها الـى وسط بولندا وروسيا البيضاء والمجر ورومانيا حتـى اصبحت هـي عقيدة اغلبية الجماهير اليهودية في شرق اوروبا بحلول عام ١٨٣٠ (١) . ويعزي النجـاح الـذي احرزته الحسيدية لاسباب اجتماعية وحضارية عدة ، فقد كانت الجماهير اليهودية تعيش في بؤس نفسي وفي فقر مدقع نتيجة للتحولات الاقتصادية والاجتمـاعيـة التي كانت تخوضها مجتمعات شرق اوروبا آنئذ ، فالتنظيم الاقطاعي للمجتمـع مبني على الفصل الحاد والصارم بين الطبقات والفئات ولذا سمح لليهود ان يكون لهم نوع من الاستقلال الذاتي الجيتوي والمؤسسات القضائية والاقتصاديـة المستقلة مثل القهال ، وهي مؤسسة اجتماعية كانت تضطلع بوظيفة اجتماعية ضرورية فكانت تقوم بجمع الضرائب والاشراف على الاقلية اليهودية في كافة شئونها الادارية والقضائية .

ولكن التطور الاقتصادي للمجتمع من الاقطاع الى الراسمالية جعل من القهال شكلا « اقطاعيا » طفيليا لا مضمون له يقوم باستغلال اليهود لحساب الحكومة البولندية والنبلاء الاقطاعيين الغائبين في المدينة (٢) . ومن مظاهر هذه الطفيلية الاستغلالية ان وظيفة رئيس القهال لم يكن يشغلها الا من كان على علاقة طيبة بالحكومة او بالنبلاء ، حيث انها كانت تعد مصدرا للدخل المرتفع لمن يشغلها (٣) . ونفس الطفيلية تتضح في وظائف القضاء التي كان لا يشغلها الا من يدفع رشوة للحكومة ، ولذا كان من الطبيعي ان يتقبل القاضي الهدايا والرشاوي فور تعيينه (٤) . وقد نتج عن هذا ان كبار موظفي القهال اصبحوا طبقة مسيطرة احكمت قبضتها وهيمنتها على اليهود وفقدت كل علاقة بالجماهير خاصة وان يهود الريف لم يكن من حقهم ان يدلوا باصواتهم على الرغم من انهم كانوا يدفعون الضرائب المقررة عليهم (٥) .

وقد بلغت طفيلية القهال درجة كبيرة حتى ان الحكومة البولندية ذاتها الغت مجلس الاراضي الاربع (الاطار الاداري الذي يضم كل قهالات بولندا وليتوانيا) كما انها اخذت في تقليل سلطة الحاخامات (٦) . وقد صاحب هذا التطور الاقتصادي والسياسي تحسن في احوال الطبقة المتوسطة الكبيرة (تجار الجملة) ، اما يهود المناطق الريفية فقد ازدادوا فقرا خاصة بعد زيادة ضريبة الرؤوس (٧) . فقد عاش البقالون واصحاب الدكاكين الصغيرة والباعة المتجولون واصحاب الحانات وجباة الضرائب (وهم من صغار الموظفين) واصحاب الفنادق الصغيرة وصغار المستأجرين من اليهود (٨) حياة قاسية للغاية ، اذ فقدت هذه الفئات الاجتماعية المرتبطة بالنظام الاقطاعي الاساس الاقتصادي لوجودها حتى ان بعضهم كان يكسب قوته (حرفيا) « بمعجزة » في شكل زبون يأتي بالصدفة (٩) . وكانوا يتضورون جوعا حينما لا ترسل لهم الصدفة هذا الزبون ، مما كان يضطرهم ان يقتاتوا بما يتكرم به النبيل البولندي عليهم (١٠) (وظاهرة الشحاذ اليهودي ظاهرة كانت واسعة الانتشار في اوروبا في اواخر القرن التاسع عشر) . ولقد بلغ بؤس هذه الجماهير الاقتصادي ان عشر ارباب الاسر اليهودية كانوا بلا عمل (١١) . وقد كانت هذه الجماهير هي التي اتحدت لتقف ضد سلطة القهال اداة استغلالها وطالبت بتغييره او حله ، وكانت هي الجماهير التي انضمت للحركة الحسيدية . ومن الملاحظ ان الحرفيين والعمال اليهود لم ينضموا للحركة الحسيدية لاسباب عدة من اهمها ان الاساس الاقتصادي لوجودهم كان اكثر ثباتا من اساس البورجوازيين الصغار من اليهود ، كما انهم كانوا لا يكملون دراستهم الدينية اذ كان ابناؤهم لا يدرسون الا اسفار موسى الخمسة ويتركون بعدها الدراسة لفقرهم ، على عكس اولاد اصحاب الدكاكين الذين كانوا يكملون دراستهم الدينية ويقرأون الجمارة (جزء من التلمود) مما كان يؤهلهم لدراسة القهالة بنزعتها الغيبية (١٢) . هذا وقد امتصت الحركات الثورية العمالية (اليهودية وغير اليهودية) كثيرا من العمال اليهود (١٣) .

ومع ان الجماهير اليهودية كانت ترزح تحت نير الاستغلال الاقتصادي من جانب النبلاء البولنديين وقيادة القهال ، الا ان قيادتها الفكرية والدينية لم تقم هي الاخرى بأي دور روحي او تعليمي او اخلاقي ، فقد تحول الحاخام الى مجرد موظف له راتب ، لم يكن يعنيه شيء من شؤون الجماعة ، وكانت مواعظ الحاخامات كلها تدور حول مواضيع فقهية عويصة مغرقة في الغيبية . بل ان الحاخامات ، شأنهم في هذا شأن بيروقراطية القهال ، كانوا يحصلون على وظائفهم نظير مبلغ من المال يدفعونه . وقد ارتبطت طبقة العلماء اليهود بطبقة الاثرياء عن طريق القرابة والنسب (١٥) وقد لخص احد الفقهاء وضع الحاخامات قائلا « كل شخص به جوع للسلطة وكل شخص يصيح اريد ان احكم (أو اتسلط) لانني عالم (تلمودي) » (١٦) .

وكانت الحياة الثقافية والدينية داخل الجيتو اليهودي وفي منطقة الاستيطان اليهودي في روسيا قد وصلت الى درجة كبيرة من التدني ، ولعل درجة التدني الثقافي والحضاري هذه تظهر في تباهي احد الحاخامات بأن يهود بولندا يكرهون العلوم « فالخالق لا يسر من سهام النحاة الجادة ، ولا قياسات الرياضيين ، ولا حسابات الفلكيين » ، لان الدراسات التلمودية حسب تصوره هي الشيء الاساسي في حياة اليهودي (١٧) . وكان اليهود يعيشون في شبه عزلة عن العالم يؤمنون بالجن والعفاريت والاحجبة (١٨) ، وحينما تعلم المؤرخ اليهودي كروكمال اللغات الاوروبية (الاجنبية) ، كان الحسيديون يظنون ان به مسا من الشيطان (١٩) . ولسد هذا الفراغ الروحي ظهرت فئة « الدراويش » الذين يحملون اسم البعل شيم (صاحب الاسم) وهم اشخاص كانت الجماهير اليهودية تتصور ان عندهم اسرارا باطنية للتحكم والتلاعب بحروف اسم الخالق وملائكته مما يمكنها من ان تطرد الارواح والاشباح ، فكان البعل شيم يكتب حروف اسم الخالق بطريقة جديدة كأن يعكس الحروف ثم يضعها في حجاب لتستخدم كتعويذة . وكان الاعتقاد السائد ان البعل شيم عنده من القدرات ما يؤهله لشفاء الافراد الذين تركبهم العفاريت (٢٠) .

ومما زاد الطين بلة ان الجماهير اليهودية كانت لا تزال تعيش في ظلال ذكرياتها عن هجمات شميلنكي ، وعصابات الهايدماك من الفلاحين القوازق (٢١) ، التي كانت تجوب اطراف بولندا تبث الرعب في قلب اليهود الذين كانوا يمثلون بالنسبة لهم « جامعي الضرائب » البولنديين وقد شاهدت هذه الفترة ايضا اعادة تقسيم بولندا وليتوانيا مما نتج عنه تقسيم الجماعات اليهودية ذاتها .

ادت كل هذه الاوضاع الحضارية والاقتصادية الى ظهور الحركة الحسيدية التي ضمت اعضاء الطبقات المتوسطة الفقيرة الموجودة داخل الجيوب اليهودية في المجتمع البولندي والروسي ، وكما بينا من قبل كانت هذه الطبقة منسحقة نتيجة للتحولات الاقتصادية في المجتمع ، وهي تحولات فتحت الفرصة امام غيرها من الطبقات اليهودية ، واغلقتها دونها ، بل زادتها فقرا على فقرها ، كما انها ظلت طبقة اجتماعية غير منتجة ليس لها اساس اقتصادي واضح . ولعل هذا الوضع الغريب ينعكس على العقيدة الحسيدية التي ترفض العالم نظريا وتطالب التابعين بالزهد في امور الدنيا والهرب منها ! ولكنها في الوقت ذاته تقبل العالم فعليا وترى النقود والثراء على انهما اساسيان للحياة (خاصة بالنسبة لقواد الحركة) . او كما قال احد الزعماء الحسيديين « ان نقود الانسان تحرره ، ونحن لا نعني بهذا الدخل الكافي وحسب وانما نعني الثروة الطائلة فهي ضرورية للعبادة الالهية ، لان تنفيذ كثير من المبادىء والاقوال الدينية يستلزم امتلاك الانسان للثروة » (٢٢) . وقد انعكس هذا ايضا على بنية الفكر الحسيدي فهو فكر يستمد دفعته الاولى من سخط طبقي حقيقي ، ولكنه يتوه في غيبيات صوفية ، ويظهر عداوة للتفكير والعلم والعقل ، فالطبقة المتوسطة الصغيرة كانت طبقة متطلعة تود الصعود ولكنها كانت طبقة خائفة من الراسمالية الصاعدة (التي كانت تدافع عن الاستنارة والقيم العلمانية (٢٣)) . اما قيادة الحركة فكانت اساسا قيادة دينية (٢٤) من المثقفين (لان العنصر الاجتماعي في الفكر الحسيدي ظل خافتا ضائعا مستوعبا في الشكل الديني المطلق المتكلس) ، وقد ظلت الاصلاحات التي تطالب بها الحسيدية اصلاحات لا تتخطى الاطار القائم (٢٥) — وحينما سنحت الفرصه للحسيديين للاستيلاء على ادارة القهال وهو استيلاء كان يتم احيانا عن طريق الاستعانة بالسلطات البولندية لم يقوموا بتغيير شيء بل احيانا زادوا من معدلات الضرائب (٢٦) وقد اتت القيادة الحسيدية الدينية من صفوف الطبقات الفقيرة ، فكانوا من فقراء الوعاظ والمنشدين والمدرسين والذابحين الشرعيين (٢٧) . وكان بعل شيم

طوف ــ مؤسس الحركة الحسيدية ــ نفسه يعمل كمدرس وذابح شرعي وخادم للمعبد (٢٨) .

والحسيدية كمذهب صوفي ، لم تبتدع افكارا دينية او فلسفية جديدة (٢٩) ، فهي امتداد للحلولية اليهودية التقليدية بمزجها بين الشعب والارض والخالق وبمزاوجتها بين الشعب والله ، وبتأكيدها لتقاليد النبوة « المفتوحة » والمستمرة بمعنى ان النبوة امر متاح لكل انسان في كل زمان ومكان ، ولكن الحسيدية مع هذا قد فسرت بعض هذه المفاهيم تفسيرا فيه شيء من الجدة ، كما انها وصلت ببعض هذه المفاهيم الى نتيجتها المنطقية . واحد المفاهيم الحلولية الاساسية في اليهودية الحاخامية يؤكد « أن الله موجود في كل شيء » . وحلولية التصور اليهودي هي حلولية كامنة في بنية اليهودية تنفجر في شكل حركات ماشيحانية (نسبة الى الماشيح او المسيح المخلص اليهودي) وهذا ما حدث بالنسبة للحسيدية . فنجد ان بعل شيم طوف يوصل العبارة لنتيجتها المنطقية ويؤكد ان الله موجود حرفيا في كل شيء ــ في النباتات والحيوانات وفي أي فعل انساني وفي الخير والشر ذاته . ويستخدم الحسيديون مصطلحات واستعارات صوفية تقليدية للتعبير عن رؤيتهم الحلولية المتفجرة ، فالخالق هو مثل النور الالهي اللانهائي الذي يختفي بشكل تدريجي حتى لا يبتلع كل شيء في جلاله وبهائه وحتى تتمتع المخلوقات بوجود مستقل . والعالم كله بمثابة ثوب لله صدر عنه ولكنه جزء منه ــ تماما مثل محارةالحيوان البحري المعروف بالحلزونة فهي تشرته الخارجية ولكنها مع هذا جزء لا يتجزأ منه (٣٠) . ويستخدم الحسيديون مثلا آخر لتفسير التنوع والتعدد الظاهرين في العالم ولتأكيد الوحدة المبدئية التي تنتظم الكون (وكل فكر صوفي حلولي هو في نهاية الامر فكر احادي ينكر انفصال الخالق عن المخلوق ، وينكر بالتالي استقلال الارادة الانسانية) . يجلس ملك عظيم فوق عرشه في وسط قصره ذي الابهاء العديدة المزينة بالذهب والفضة والاحجار الكريمة ويأتي الخدم لزيارته فيركز بعضهم على الذهب والفضة اكثر من اهتمامهم بالتأمل في طلعة الملك البهية ، ويقضون كل وقتهم في الابهاء الخارجية يجمعون الكنوز التي يجدونها ، وعملهم هذا يستوعبهم تماما حتى أنهم لا يبصرون وجه الملك بتاتا . ولكن الخادم العاقل يرفض ان يدع اي شيء يصرف اهتمامه عن الملك ، ولذلك فهو يسير ويستمر في السير حتى يصل الى العرش وسط القصر ، وحينما يصل الى هناك يكتشف على التو أن القصر والابهاء وكنوزها ان هي الا وهم صنعته مقدرات الملك الاعجازية ، وهكذا يخفي الخالق نفسه في الثوب المسمى بالكون (٣١) .

ويدل هذا بالتالي على ان الحسيديين يؤمنون بأن الله هو ذاته « كل شيء » وان ما عدا ذلك وهم وباطل ، لان الاشياء المخلوقة لا حقيقة لها (٣٢) . فكل المخلوقات لا وجود لها اذا نظرنا لها من زاوية الخالق ، (والقول بان « الله هو كل شيء » تختلف عن الصيغة الاسلامية القائلة بأن الله «خلق » كل شيء ، فالاولى تفترض التوحيد بين الخالق والمخلوق ، والثانية تفترض الانفصال) . أن الخالق ، مثل الشمس ، والمخلوقات مثل الاشعة (حسب التصور الحسيدي) اي انه لا وجود الا وجود الله ــ ولنلاحظ استعارة الشمس المرتبطة تمام الارتباط بفكرة الفيض الالهي (على عكس التصور الاسلامي الذي لا يمكن أن يأخذ بمثل هذه الاستعارة) .

وقد استفاد الحسيديون من القبالة او التراث الصوفي اليهودي وكتبها ونزعتها الكونية (وقد كانت القبالة هي بمثابة الشريعة الشفوية للحسيديين التي شرحها الوعاظ الحسيديون بشكل مبسط حتى اصبحت في متناول الجماهير (٣٣)) ، واذا كانت القبالة تحصر اهتمامها في الكون والاعتبارات الكونية فالحسيدية حاولت ان تربط بين الحقيقة النفسية والحقيقة الكونية (وان كان هذا هو ايضا احد اسس القبالة

الفكرية : كما في السماء في الارض ، وكما في الداخل (الذات) في الخارج (العالم) فنادي الحسيديون بأن يغوص الانسان في أعماق ذاته ، وفي داخل الذات تسقط الحواجز التي تفصل شيئا عن الاخر وفردا عن الاخر ، وفي داخل الذات يرتفع ويتسامى الانسان على حدود الكون والطبيعة ، الى ان يصل في النهاية الى ان الله هو الكل في الكل ولا يوجد سواه (٣٥) . ولعل تأكيد العنصر الذاتي هو محاولة من جانب الحسيديين للاحتفاظ بالحماس الماشيحاني لدى الجماهير ، ولكنه في الوقت ذاته محاولة لمحاصرة هذا الحماس وتبريده وتحديده حتى لا يتفجر بشكل عدمي فوضوي كما حدث في الحركات الماشيحانية السابقة للحسيدية مثل الشباتية ، وهي حركات وجدت نفسها مضطرة ان تحول نزعتها الفردوسية الى حقيقة واقعة ، فذهب الماشيح الدجال شبتاي تسفي الى صهيون ليعتلي عرش داود مما جر عليه وعلى اتباعه الهلاك، لذا آثر مشجاء الحسيدية الغوص في فردوس الذات على الذهاب الى صهيون (وان كان هذا لم يمنعهم من الذهاب الى صهيون حينما كانت الفرصة مواتية — اي أن الاحجام عن « الحركة » الغيبية والاكتفاء « بالتأمل » الغيبي ليس جزءا من البنية وانما هو ضرورة عملية برجماتية .

واذا كانت الرؤية الماشيحانية التقليدية رؤية ابوكاليبسية تحدث بغتة ، فالماشيحانية الحسيدية تدرجية، واصبحت الماشيحانية ليست مجرد وصول الماشيح وانما حركة بطيئة متصاعدة يشترك فيها كل افراد يسرائيل (٣٦) (وكلهم من المشجاء المخلصين حسب التصور التقليدي) : اي انها اصبحت ماشيحانية دون ماشيح — ماشيحانية تستند اساسا الى الذات اليهودية الجماعية .

هذه الماشيحانية الذاتية او النفسية المتفجرة ان صح التعبير لها نتائج فكرية وعملية عديدة انعكست على سلوك وتصورات الحسيديين ، سنجمل بعضها فيما يلي :

١ — تقبل الحسيديون الايمان التقليدي بان الشريعة المكتوبة (اي التوراة) والشفوية (اي التلمود وكتب القبالة) مرسلة من الله ، ولكن العالم كله ان هو الا كشف روحي الهي ، ولذا تصبح التوراة والشريعة الشفوية مجرد جزء صغير من الكل الاكبر الاشمل (٣٧) (والحسيديون بذلك يبطلون العمل بالشريعة تقريبا وابطال الشريعة حسب التقاليد اليهودية هو من حق الماشيح وحده) . ويصبح الهدف من دراسة التوراة ان يصبح الانسان نفسه « توراة » ، قانونا في حد ذاته .

والتوراة باعتبارها جزء من الكون تعكس الكون ايضا ولذا فكل من يدرس التوراة لا يجد فيها ابراهيم وموسى وحسب وانما يجد بلعام وهامان ايضا (٣٨) ، والخير والشر، اي ان التوراة لا تجسد فكرة القانون وانما اصبحت القانون ونقيضه .

٢ — يرى الحسيديون ان الهدف من حياة الانسان ليس هو فهم الكون او تغييره او حتى تنفيذ الاوامر والنواهي (المتسفاه) وانما هو « الدبكوت » او الالتصاق بالله والتوحد به . فدراسة التوراة وتنفيذ الاوامر والنواهي وكل العبادات هي في نهاية الامر ادوات ووسائل للتوحد بالخالق (٣٩) ، نرى هنا مرة اخرى اثر « الماشيحانية النفسية» .

٣ — يصاحب هذا الانكار لفكرة القانون والحدود ايمان بالحتمية المطلقة ، فاذا كان الكون هو الله ، واذا كان كل مخلوق هو جزء من الخالق ، فان كل شيء يصبح جزءا من خطة الهية محسوبة ، لا شيء يتم فيها بالصدفة ولا يوجد فيها مجال لاي ارادة انسانية (٤٠) مستقلة ، فعدم انفصال الخالق عن المخلوق فيه انكار لحرية المخلوق وفيه تأكيد لمقولة ان الانسان مسير تماما وانه غير مسؤول عن افعاله مهما بلغت من دناسة واجرام (ولنلاحظ هنا التشابه البنيوي بين الحسيدية والنيتشوية فكلاهما يؤكد فكرة الارادة المطلقة بانكار الحدود وكلاهما يؤكد الحتمية المطلقة (فكرة العود الابدي عند

نيتشه) ولعله ليس من قبيل الصدفة ان بوبر وبرديشفسكي الفيلسوفين النيتشويين الصهيونيين هما ايضا من اكبر المتحمسين للحسيدية) .

٤ ــ مع انكار الارادة الانسانية المستقلة ومع تأكيد ان الله هو كل شيء يصبح لا مجال لاي جدل ، ولا مجال للحزن او المأساة ، ولذا نجد الحسيديين يرفضون ثنائية الموقف الديني التقليدية ويحلون محلها احادية صوفية عمياء تشبه من بعض الوجوه الفلسفات المادية الميكانيكية في انكارها لاي وجود الا وجود المادة ــ ويجب ان نتذكر ان الفلسفة المادية الميكانيكية كانت فلسفة البورجوازية في عصر العقلانية البورجوازية التي كانت لا تؤمن الا بالرياضة والمال ــ والصوفية (الحسيدية) مثل المادية الميكانيكية هي فلسفة تبنتها الطبقات البورجوازية (صغار التجار وما اشبه) لتعبر عن شوقها الديني (لمزيد من الثروة) . ويلاحظ ان تصفية هذه الثنائية (التي هي في جوهرها انكار لوجود الله ــ لان وجود الله يفترض على التو وجود قطبين متعارضين ، التاريخ والله ، الانسان والخالق الارض والسماء وهكذا) يتضح في عدم اكتراث الحسيديين بالعالم الاخر وتركيزهم على هذا العالم (٤١) . فالفردوس او المطلق الذي يطمح المؤمن في الوصول لهما في العالم الاخر عن طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يطمع الصوفي في الوصول لهما الان وهنا عن طريق الذكر والدروشة (وهذا ما اسميه بتداخل المطلق بالنسبي او الفردوس بالتاريخ) .

٥ ــ اذا كان كل شيء له بعد واحد مطلق ، فانه ينبغي الا يحزن الانسان او يخاف (٤٢) ، فالشر او اليأس ان هما الا غلاف يكفي ان نعرف كيف نعرضه للنور الالهي حتى يتلاشى ويظهر ما تحته من خير ، وباختفاء اي وجود حقيقي للشر لا يوجد اي مبرر للحزن ، بل ان الحزن ليصبح عائقا يقف في طريق وصول المخلوق للخالق (ولا ادري كيف يتحدث بعض مؤرخي الحركة الحسيدية عن نزعتها « الوجودية » في تأكيدها لاهمية الفرد ، فكل نزعات الحسيدية تتجه نحو انكار الفرد والجدل واي استقلال انساني عن المطلقات) .

٦ ــ اذا كان الله هو كل شيء فان كل فعل انساني هو في نهاية الامر فعل رباني كامنة فيه «شرارات الهية » (٤٤) تنتظر ان ينقذها الانسان ويخلصها من خلال رغبته في ان يخدم الخالق ، فحتى مذاق الطعام هو انعكاس للقوة الروحية التي خلقت الطعام ، وهذا المذاق لا بد وان يؤدي بالانسان الى التأمل في الحيوية الالهية وبالتالي في الله ذاته . وقد جاء في كلمات احد القباليين التي يقتبسها الحسيديون ، ان الشرارات الالهية التي يحررها المرء تزود الشخيناه (التعبير الانثوي عن الحضرة الالهية وهي في الوقت ذاته كنيست يسرائيل او جماعة يسرائيل) بالمياه الانثوية التي تسبب بدورها تدفق المياه الذكورية وبالتالي تساعد في التوحيد بين الواحد القدوس والشخيناه (٤٥) ، وينتج عن هذه العملية التناسق الكوني (ولنلاحظ الاستعارة الجنسية التي تصف دائما علاقة الشعب بالخالق ــ والمصطلح الجنسي مصطلح شائع بين المتصوفين) . وبسبب اهمية الانسان (والانسان اليهودي على وجه التحديد) في هذا التوحيد الكوني وعقد الزواج بين الخالق والشخيناه ، كان الحسيديون ينطقون بهذه العبارة قبل ان يقوموا باي فعل : « من اجل توحيد الواحد القدوس تبارك اسمه ، بالشخيناه » ، كما كانوا يدخنون التبغ لانهم كانوا يعتقدون ان الشرارات التي يحدثها التبغ ، لها اثر خفي ودقيق على تحرير الشرارات الالهية (٤٦) .

٧ ــ الله اذن كامن في كل شيء حتى مذاق الطعام وحتى التبغ الذي يدخنه المرء ، ولذلك نادى الحسيديون بأنه يجب ان تتم عبادة الله بكل الطرق وان نخدمه بكل شيء (بالجسد والروح معا) وقد وجدوا سندا لهم في العبارة القائلة « ستجد الله في كل طرقك » التي وردت في سفر الامثال (٣\٦) . بل انهم ليذهبون ابعد من هذا فيفترضوا

انه كي تصل الى الروحانية الحقة لا بد وان تمر بالجسد وبالمرحلة الجسدية لان الروح ان هي الا شكل من اشكال المادة ، ولذلك يجب ان يجابه الانسان الشر بكل قوة حتى يمكنه تخطيه . وقد سمي هذا بالنزول في الويقات ثم الصعود ، او « اليريداه ثم العالياه » (٤٧) بل ان « اليريداه او الهبوط يصبح اعظم من « العالياه » او الصعود لانه أيسر وبالتالي فهو يقرب الانسان من الله . ان الجسد وكل النشاطات الانسانية (خاصة النشاط الاقتصادي مثل البيع والشراء) ان هي الا عربة او عرش للنزعات الروحية (٤٨) ، فالتجارة (دائما التجارة !) ليست عملا دنيويا محضا ، وانما هي بمثابة الصلاة حينما يصاحبها ارتباط بالله (٤٩) .

وقد قال احد قادة الحسيديين انه يتعين على الانسان ان يشتهي كل الاشياء المادية ، ومن ثم يرغب في عبادة الله (٥٠) وكان البعل شيم طوف يروي قصة الملك الذي اراد ان يعلم ابنه شتى صنوف الحكمة اللازمة ، واستدعى لهذا الغرض خيرة العلماء ولكن ابنه فشل في ان يستوعب ايا من دروسهم ، وتملك العلماء القنوط الا عالم واحد . وحينما رأى ابن الملك غادة حسناء تملكته الشهوة لمفاتنها فاشتكى العالم المتبقي للملك ، الذي اجاب قائلا : « ما دام اشتهى ابني شيئا ، حتى ولو كان شيئا جسديا ، فهو لا مناص من ان يصل الى صنوف الحكمة ! » وبالفعل امر الملك ان تحضر العذراء الى البلاط الملكي وامرها انه حينما يشتهيها ابنه فيجب الا تستجيب له الا بعد ان يحصل على حكمة ما ففعلت . وكلما اشتهاها كانت تطلب منه ان يتعلم حكمة ما حتى حصل على كل صنوف الحكمة وحينما اصبح عالما انصرف عن العذراء وتزوج من اميره تليق بمقامه (٥١) .

وكان بعل شيم طوف يروي اسطورة اخرى لها نفس المغزى تسمى اسطورة « الابن المفقود » وتحكي الاسطورة قصة الابن الذي اسر في الارض الاجنبية وهو يدخل الحاخامات المحليه مع أسريه ، (وكان اليهود في شرق اوروبا يشتغلون اصحاب حانات ويعملون في صناعة الخمور) ولكنه يحفظ سره الدفين طول الوقت (وما سره هذا سوى مفتاح الخلاص) . وبينما يشرب آسروه من اجل الشرب وحسب يشرب هو ليخبىء سعادته الحقيقية التي تكمن لا في الشرب وانما في خطاب ابيه (وسره) الذي يخبره عن قرب خلاصه من الاسر (٥٢) (من ارض الاغيار الاجانب) . والمعنى الكامن لهذه القصة انه لا يوجد طريق للخلاص من اسر المادة الا بالتعاون معها ظاهريا (مثل الماشيح : ظاهره فاسد وباطنه خير) .

لا بد اذن ان يغوص الانسان في الفرح الجسدي كي يصل « الى الفرح الروحي » بل ان الحسيدية لتصل الى ابعد درجات التطرف بتأكيدها « روحانية المادة » وايمانها انه كي يصل الرجل الى مرتبة الروحانية الحقة فعليه ان يشتهي امراة الى اقصى درجة حتى يطهر وجوده المادي بل ويتخلص منه تماما ، وذلك بسبب قوة رغبته (٥٣) — اي اننا لا يمكننا ان نصل الى الخير والروحانية المطلقين الا بالنزول في الشر والجسد والمادة ، وهذا مفهوم جديد للاخلاق ينفي الازدواجية التي هي اساس اي اختيار اخلاقي . بل اننا نجد ان جوهر الخير — حسب التصور الحسيدي — هو « معانقة الماديات بطريقة صوفية » او كما يسميه الحسيديون « عفوداه بجاشميوت » او العبادة والخلاص بالجسد (٥٤) بل وعبادة الله من خلال العلاقات الجنسية (واثر جوزيف فرانك ، الماشيح الدجال البولندي ، واضح على تفكير الحسيديين في هذه الناحية) .

٨ — نلاحظ انه ثمة تيارا جنسيا قويا كامنا في الحسيدية تتمثل في استعارة السائل الانثوي وزواج الخالق من الشخيناه ، وتتمثل ايضا في مفهوم « عفوداه بجاشميوت » وهو تيار تدعمه ايضا فكرة سقوط الحدود والقانون والرغبة الصوفية في الوصول الان وهنا ، فكرة اليريداه ثم العالياه . بل وقد ظهر اثر هذه الفلسفة الحلولية الجنسية على

سلوك الحسيديين انفسهم ، فكان بعضهم يجري عاريا في الشوارع او يرقص بشكل خليع وماجن او يتبول امام الناس (٥٥) . ولم يقتصر اثر الحلولية الحسيدية على سلوكهم الدنيوي وانما انعكست ايضا على الصلوات الحسيدية ذاتهـــا فهي تتسم بالحماس الجماهيري المجنون والتعبير عن النشوة-العارمة ، بل ان الصلوات تشبه من بعض النواحي حركات الزار ويتخللها حركات جنسية واضحة وفاضحة . وقد اتبع الحسيدية كثير من النسوة وكان بعل شيم طوف يصاحب عددا لا بأس به من النساء ، ولهـذا السبب اتهمه اعداؤه بالفساد الخلقي (٥٦) ، ولكن حتى لو صدقت ادعاءات الاعـداء فالمريدون لا يمكنهم رؤيتها على هذا الشكل ، فالرجل المرفوع عنه الحجاب يتصرف مثل الاله ويتزوج ممن يشاء ويعاشر من يشاء ، وكلها افعال ربانية ، تماما مثلما يتزوج اغا خان من ريتاهيوارث ، فيدخل السعادة على قلوب المريدين . ومن المعروف ان احـدى سمات الماشيح انه شرير من الخارج خير من الداخل ، ولذلك حينما ارتد شبتاي تسفي عن اليهودية واعتنق الاسلام لم يلمه اصحابه فهذه هي احدى علامات الماشيحانية . والامر بالنسبة لبعل شيم طوف لا يختلف كثيرا في هذا الشأن .

٩ ــ تعبر الحلولية الحسيدية عن نفسها في شكلين هما في الواقع شيء واحـد : حب عارم لفلسطين او ارتس يسرائيل ولجماعة يسرائيل (٥٧) (توحيد وتمركز حول الذات) في مقابل كره عميق للاغيار (استقطاب متطرف) . وقد كان الكره العميق للاغيار يستند لوضع الحسيديين الطبقي المتدني ، وهو وضع كان غريبا وشاذا كما بينا ، فالاغيار كانوا هم الحكومة البولندية والنبلاء والكنيسة الذين يقومون باستغلال هذه الجماهير (مـن خلال سلطة القهال) ــ وقد ترجم هذا الوضع نفسه الى صور ومفاهيم مستقطبة ، فجماعة يسرائيل هي الحمل بين الذئاب ، ويدور الكون حول محوريـن متعارضين : اورشليم وصور (ويعقوب وعيسو ، وعبادة الله والوثنية ، والطهر والدناسة ، ومملكة الله اليهودية ومملكة الشيطان) ، ولم تبن صور الا حينما تحطمت اورشليم . يقابـل هذا الاستقطاب الحاد (وهو استقطاب يسم كل الديانات الحلولية القديمة والمذاهب الحلولية الحديثة) التمركز الحاد حول يسرائيل ففي الفكر الحسيدي نجد ان ثمة تعظيما وتقديسا لشعب يسرائيل المرتبط بارتس يسرائيل المقدسة (٥٩) . وقد كان حب يسرائيل حبا دينيا عاطفيا عاما ، ولكنه كان يترجم نفسه ايضا الى فعل يأخذ شكل هجرة (او صعود ــ عالياه)الى ارض الميعاد . وهذه الهجرة هي الترجمة الفعلية لفكرة الخلاص التدريجي واقتراب العصر الماشيحاني عن طريق افعال اليهود (وقد بدأ الحديث في الاوساط الحسيدية عن اقتراب العصر الماشيحاني باعتبار ان الهجرة الحسيدية هـي احدى علاماته) . ومما شجع هذا التيار ان الحسيدية كانت تؤمن ان حياة الحسيدي حياة مقدسة ، ولاستكمال هذه القداسة كان لا بد للحسيدي ان « يخرج »من بين الاغيار المدنسين وبلاد الاغيار المدنسة ليستقر في الارض المقدسة ، وغاية كل قداسة ومصدرها في الوقت ذاته . ولكن لا بد وان نضع هذا التشوق لصهيون في اطاره الطبقي الفعلي ، فالبورجوازية الصغيرة اليهودية الهزيلة لم تتمكن من ان تلعب دورا اقتصاديا مستقلا له اهميته ولكنها لم تعد قانعة بدور التاجر الطفيلي او البائع المتجول ، بل ان هذا الدور ذاته لم يعد مطلوبا في مجتمع كان يكتسب اشكالا اقتصادية جديدة ، من هنا كان « حب صهيون » والرغبة في العودة لها (٦٠) ؛ فصهيون هي المكـان الـذي ستستقل فيـه البورجوازية الصغيرة اليهودية باقتصادها حيث يمكنها ان تنتعش وتلعب دورا مستقلا في الشرق المتخلف . وقد هاجر بالفعل بعض مريدي البعل شيم طوف واقاربه وتلاميذه الى فلسطين واستوطنوا فيها (وان كان هو قد بدأ رحلته الى ارض الميعاد ثم قفل راجعا) (٦١) . كما كانت تتم احيانا هجرات جماعية لاسر كاملة ، وكان يصاحب هـذه الهجـرات مظاهرات حسيدية .

بعد هذا العرض لبعض جوانب الحلولية الحسيدية يطرح هذا السؤال نفسه : هـل

من الممكن للمريدين العاديين « الوصول » لدرجة عالية من القداسة ومن الاتحاد بالخالق؟ هنا نجد ان الحسيدية لا تختلف كثيراعن اي تنظيم يصدر عن فكر حلولي في انه رغم فقدانه الاتجاه ودائريته (النزول يؤدي الى الصعود) ورغم مساواته المطلقة النظرية بين كل الاشياء (الله يحل في كل الظواهر بنفس الدرجة) الا انه يأخذ شكلا هرميا حادا جامدا (او على الاصح شكلا مخروطيا يدور حول نفسه وهو في هذا يشبه التصور اليهودي التقليدي) . وعلى قمةهذا المخروط يقف التساديك ، أو الصديق او الولي (ويطلق عليه ايضا « الربى » او السيد كما يدعى احيانا « بالادمور » وهي اختصار كلمات « ادونا نينو » و « مورينو » و « رابينو » او سيدنا واستاذنا ومعلمنا) . ومفهوم التساديك مفهوم محوري في التصوف الحسيدي ، فالتساديك وهو شخص له قداسة خاصة (او شفافية خاصة ، كما يقول المصطلح الصوفي في العالم العربي) ، وهي تقع في منزلة لا تتلو الا منزلة الخالق (بدرجة بسيطة (٦٢))، ولذلك كان الحسيديون يؤمنون أن كلمن يعارض التساديك فهو يهرطق او يجدف على الله (٦٣) ، وهو قد وصل الى هذه القداسة والشفافية الخاصة لا عن طريق التقوى او الدراسة وانما في لحظة اكتشاف نورانية لا يمكن للانسان العادي استيعابهـا .

لهذا السبب نجد ان التساديك يمتلك مقدرات اعجازية ، فهو يشفي الامراض ويعظ الناس (٦٤) بما يفيدهم ، ولكن الاكثر من هذا انه قادر على التأمل الصوفي الذي يربط بينه وبين الخالق ، ولذا فهو بمثابة السلم الموصل بين السماء والارض وبين الخالق ومخلوقاته من الناس (٦٥) ، وهو الذي يبعث الحياة في الكون اذ بدونه لا يمكن للقوة الحية ان تسري من الخالق الى الكون انه لا يشبه موسى وحسب بل انه بسبب اتصاله الطويل مع الخالق يصبح بمثابةابن الله الحقيقي (٦٦) ، بل ان الاعتقاد السائد ان الدنيا تستند الى دعامه واحدة هي التساديك ، واذا كانت الدنيا قد خلقت من اجل يسرائيل فالتساديكيون هم يسرائيل . ثم تضرب الكتابات الحسيدية مثلا بالاب الذي عنده ابن صغير مدلل يريد عصا يركبها وكأنها حصان ، فيساعده ابوه ويحضر له العصا وبذا يشبع رغبة الطفل . وهكذا يريد التساديكيون ان يقودوا الدنيا « والواحد القدوس قد خلق هذه العوالم ليجدوا الغبطة في قيادتها » والله هو بمثابة الاب للتساديكيين (٦٧) . بل ان التساديك له سلطة على الحياة والموت تفوق قدرة الخالق ذاته ، (وهذه الفكرة سائدة في الفكر الصوفي الغيبي حيث يتحدث الولي الواصل في البداية باسم الخالق ثم بعد ذلك يتحدث نيابة عنه ثم اخيرا يصل الى درجة ادعاء الالوهية) . فقد يقرر الخالق ان يلاقي فلانا حتفه في ساعة معلومة ولكن التساديك من خلال صلواته قد يؤجل هذا القرار لان روحه صافية (شفافة) يمكنها الوصول الى تلك العوالم التي لا يوجد فيها اي قرارات او حدود ، لان الرحمة وحدها هي التي تسود فيها (٦٨) . ولكن لم لم تمنح هذه القوى الخارقة والاعجازية لعظماء اليهود في الماضي ؟ ولم التساديك الحسيدي وحده ؟ للرد على هذا يقول الحسيديون ان « الشعب اليهودي » يوجد الان في المنفى ، ولذلك يحل الله في اي انسان متواضع ، شأنه في هذا شأن الملك المسافر الذي يمكنه ان يحط رحاله في اي منزل مهما بلغ تواضعه ، على العكس من هذا ، لو كان الملك في عاصمته فهو لن ينزل الا في قصره وحده . وفي الماضي كان الزعماء والانبياء اليهود وحدهم هم القادرون على الوصول الىالروح الالهية ، ولكن الشخيناه الان في المنفى ولذلك يحل الله في اي روح خالية من الذنوب (٦٩) (اي ان التساديك هو وسيلة اليهودي المنفي للوصول الى الله ـ اي انها الحلولية اليهودية في المنفى ، وبدلا من ان يحل الله في ارض الميعاد ويتكون الثالوث الحلولي الله ـ الارض ـ الشعب ، يحل الله في التساديك ويظل الثالوث على حاله بعد تعديل طفيف : الله ـ التساديك ـ الشعب في المنفى) .

لكل هذا تحول مفهوم الوساطة بين الخالق والمخلوق الى مفهوم محوري في الحسيدية

وظل يتطور حتى تحولت الحسيدية ككل الى « تساديكية » . لقد اصبح التساديك سوبرمان صوفي لا يمكن للجماعة ان توجد دونه (تماما كما لا يمكن للمخلوقات ان توجد بدون خالق) واصبحت مهمة المريدين هي التشبه بعادات ونمط حياة التساديك الذي يترأسها ، حتى حلت الشخصية محل العقيدة . ولقد كان بعض الحسيديين يقول ان التوراة هي كيان لا حدود له انتقل الى شخصية التساديك (٧٠) ولذلك كان من الشائع بينهم القول « لقد تحدث التساديك توراة » ، اي ان كلامه (بعد لحظة الوصول) في قداسة التوراة — اي في قداسة كلام الله ذاته ، وليس في هذا انحراف عن روح الدين اليهودي التي تساوي بين الشريعة المكتوبة والشفوية . ان التساديك لم يكن سوبرمان وحسب وانما شبه اله ان لم يكن الها بالفعل (وفي هذا وصول الى النتيجة المنطقية للحلولية الحسيديه وقديما قال الحلاج « ما في الجبة الا الله ») .

وكان المريدون يسافرون يوم السبت للتساديك ليسمعوا مواعظه وليأتنسوا بمشورته وقبل ان يترك المريد المنزل يدس في يد التساديك « بيتكا » — اي ورقة مكتوب عليها قائمة باسماء اسرة المريد و « مطالبهم » ، وملحق بها « فيديون » اي فدية او نقود للتساديك (اختصار « فيديون نفش » : اي فدية او خلاص النفس) (٧١) .

وكان التساديك يعيش على معونات مريديه فهم يساعدونه ماليا من فرط حبهم له وهو يعتمد عليهم ماليا من فرط حبه لهم ، اي ان المساعدة المالية تصبح وسيله للارتباط الروحي والعاطفي . ونظرا لهذا الارتباط المالي الذي لا تنفصم عراه يمكن ان تجاب دعوة التساديك نيابة عن مريديه لانهم اصبحوا جزءا واحدا (٧٢) — وقد قال احد الحاخامات الحسيديين ان حب المال يعد فضيلة ، ولقد غرس الله في قلوب التساديكيين الرغبة في النقود وجمع المال لانهم بهذا يرتبطون بحماية يسرائيل ككل ويرفعون الصلوات بالنيابة عنها . وكلما ازدادت النقود المدفوعة كلما ازدادت مرتبة التساديك عند الله فالتساديكيون الذين يفتحون البوابات بدعائهم ، هم مثل حراس البلاط الملكي : وكلما اقترب الحارس من الملك كلما ازداد المبلغ الذي يجب ان يدفع له (٧٣) . وكان التساديك يلبس الابيض ، وبعد تناول وجبة الطعام يبدأ في تفسير تعاليمه لمريديه ، بعد ان يترك « شيراييم » (اي فضلات الطعام) يتخاطفها المريدون لانها مصدر بركة ، اذ كانت الوجبة التي يتناولها التساديك بمثابة الطقس الديني . وبعد هذا الطقس يقوم المريدون بالرقص والغناء ويشاركهم في ذلك التساديك ، وحينما كان يموت التساديك كان يدفن في ضريح فاخر يحج اليه المريدون (٧٤) .

وكان بعض التساديكيين يتصفون بالتقوى والزهد والتضحية بالنفس لما كان كل تساديك يحاول ان يجسد احدى الصفات الحميدة (الانسان \ الصفة) . ويقال ان تساديك قد آل على نفسه الا يقول الا الصدق مهما كان الثمن ، ومرة راود السلطات الحكومية الروسية الشك في ان يهود قرية روسية يقومون بأعمال التهريب (وهذه هي شكوى تجار موسكو التي ادت الى اصدار قوانين مايو الخاص بمنع اليهود من الحركة خارج مناطق الاستيطان) . وقد وافقت الحكومة ان تسقط الاتهام ضد اليهود ان اكد التساديك انهم ابرياء . ولم يكن امام التساديك الا ان يقول الصدق ويودي برفاقه ، او يكذب ، ولذا صلى لله ان يقبض روحه قبل ان يأتي مندوب الحكومة ، وحينما اتى المندوبون وجدوه بالفعل ميتا (٧٥) . وكانت كل جماعة حسيدية تحاول ان تقتفي خطى التساديك ولذلك اصطبغت كل جماعة بصبغة فردية نابعة من شخصية زعيمها (٧٦) . ولكن لم يكن كل التساديكيين على درجة كبيرة من الزهد ، فقد تكونت اسر (مالكة) تتوارث الحكم والعرش وتعيش على جانب كبير من الثراء الفاحش (٧٧) ، مثل حفيد بعل شيم طوف الذي كان يعيش مثل النبلاء الاقطاعيين والذي كان يحتفظ بمهرج في قصره (٧٨) ، وكان يثور على اي تساديك يأتي الى مملكته ! ولكن الحسيديين فسروا هذا الفساد والثراء على انه ضروري « للوصول » .

وقد تحولت الحسيدية/التساديكية الى بيروقراطية دينية لها مصالحها الخاصة التي تهدد تلك البيروقراطية الدينية القديمة — الحاخامية والحاخامات . وحتى تتدعم ركائز هذه البيروقراطية لجأ الحسيديون لتغيير الصلوات واقتباس بعض العادات السفاردية (رغم انهم اشكناز) (٧٩) كما كان لهم طريقتهم الخاصة في الانشاد ، بل انهم كثيرا ما كانوا يشيدون معابدا خاصة بهم . وقد ركزوا على أساس تحكم الحاخامات في الجماهير اليهودية اي القوانين الخاصة بالطعام ، فعدلوا طريقة الذبح واصروا على طريقة معينة لهم وسكينا خاصا (٨٠) ، اي انه اصبح من الضروري لليهودي الحسيدي ان ينصرف عن الحاخام ليلجأ الى البيروقراطية الحسيدية حتى يحصل على طعامه الشرعي الذي يذبحه الذابح الشرعي . واينما كان للحسيديين اليد الطولى كانوا ينصبون تساديك بدلا من الحاخام مما تسبب في سقوط ارستقراطية الجيتو التقليدية . وناصب الحاخامات بدورهم الحسيدية العداء ، فشنوا الحملات العنيفة عليهم ، واطلق على هذا الفريق اسم « المتنجديم » اي الخصوم . وقد اعترفت الحكومتان الروسية والبولندية بالفريقين ، وكثيرا ما كان احد الفريقين يستعدي الحكومة على الفريق الاخر (٨١) .

ولكن الحسيدية رغم انها حركة واحدة الا انها انقسمت الى فرق متعددة ، ولعل اهم سبب لهذه الانقسامات هو ان كل جماعة كانت تدور حول تساديك واحد تتشبه به وباقواله وافعاله ، وكان من مصلحة كل تساديك ان يكون له اسرته وعرشه وبلاطه . وقد اتجهت بعض الفرق اتجاها صوفيا محضا بينما اتجه بعضها مثل حركة حبد اتجاها صوفيا ذهنيا يعتمد على دراسة القبالة والتلمود ، ولذلك اسست هذه الحركة الاخيرة مدارس تلمودية (٨٢) . وقد سببت الانتماءات القومية المختلفة للحسيديين الانقسام ايضا ، ففي اثناء الحروب النابليونية وجد الحسيديون الروس انفسهم ضد الحسيديين البولنديين ، وادعى حسيديو كل فريق ان تساديكييهم قد انضموا لاحد الاطراف المتنازعة وانهم استخدموا قوتهم السحرية لتحقيق النصر (ويبدو ان القوة السحرية للفريق البولندي كانت اضعف من قوة الفريق الروسي لان نابليون قد اندحر في النهاية !) ولكن من المعروف ان احد التساديكيين كان يميل الجانب الروسي ، كما ان شنيؤر زلمان مؤسس حركة حبد الحسيدية طالب اتباعه بالتجسس لحساب روسيا (٨٣) .

وعلى الرغم من الانقسامات والخلافات بين الحسيدية واليهودية الحاخامية الا انهم قد وحدوا صفوفهم في النهاية بسبب انتشار العلمانية والاستنارة والنزعات الثورية بين اليهود ، الامر الذي هدد كل البيروقراطيات الدينية من جذورها مما جعلها تتناسى خلافاتها (٨٤) . ومما ساعد على هذا الامر ، ان القهال كان قد تداعى كاطار تنظيمي وكان لا بد وان يحل محله اطار اخر واكتشف « المتنجديم » ان الحركة الحسيدية تقدم اطارا تنظيميا جديدا يمكنه ان يحل محل القهال ، ولذا انتشرت الحسيدية لا جغرافيا وحسب ، وانما عبر حدود الطبقات (٨٥) . وبذلك اصبحت الحسيدية اول حركة ماشيحانية تعرفها اليهودية وتقبل من جانب الحاخامات بل وتستوعب استيعابا كاملا في اليهودية ، وانضمت الجماهير الحسيدية لليهودية الارثوذكسية وجماعة اجودات اسرائيل (٨٦) . وقد اتت النازية على المراكز الرئيسية للحسيدية في شرق اوروبا (٨٧) ، ويظل هناك مركزان اساسيان للحسيدية ، واحد في الولايات المتحدة واخر في اسرائيل (٨٨) . وقد اتسم موقف بعض الحسيديين في بداية الامر بمعارضة الدولة الصهيونية لما تصوره باطلا بالاتجاهات العلمانية في الحركة الصهيونية ، كما انهم اعتبروا ان العودة الماشيحانية دون ماشيح هي هرطقة دينية وهم في هذا يتبعون اجودات اسرائيل (٨٩) ، ولكن بعد تكثيف النشاط الصهيوني تغير موقف الحسيديين اذ بدأوا يتجاوبون معه بل ان متحدثا باسم الحسيديين رفض قرار تقسيم فلسطين في احدى مؤتمرات اجودات اسرائيل حتى يتسنى اقامه دولة يهودية خالصة في كل ارتس يسرائيل ، ولكن بعد انشاء الدولة

ساند الحسيديون النشاط الصهيوني ، كما استقر العديد منهم في اسرائيل ، وهم الان من غلاة المتشددين في المطالبة بالحفاظ على الحدود الامنة والحدود المقدسة والحدود التاريخية . فالحاخام الحسيدي اهارون روكياح (١٨٨٦ — ١٩٥٧) استقر في تل ابيب وكان المريدون يحجون لزيارته هناك .وفي اثناء عدوان ٥٦ جلس يصلي بشكل متواصل وحيدا في حجرته يطلب النصر من الخالق بالنيابة عن جيش اسرائيل الذي يحارب ضده سبعة جيوش (؟) ولم يخرج من حجرته الا ليقول : « يا ابنائي لقد كسبنا الحرب بمعونة الخالق » (٩٠) . ويمتلك احد التساديكيين الان منزلا في تل ابيب ، وان كان بطبيعة الحال لا يزال عرشه في بروكلين في نيويورك وسط اتباعه الامريكيين الذين يقومون بالتمويل . ويتبع الحركة الحسيدية مجموعة من المدارس التلمودية المعاهد التربوية بل وبعض المستوطنات التعاونية . كما انها تملك احد البنوك في اسرائيل (يبلغ راسماله مليون ليرة اسرائيلية) ، ويبلغ عدد الحسيديين في العالم ٢٠٠ الف (٩١) ، ويمكن التعرف عليهم بسهولة فهم يصففون شعرهم بطريقة طريفة فيطلقون شعر الفودين والقفا ويضفرونه ، كما انهم يرتدون قبعة عالية سوداء .

وقد اثرت الحسيدية في الوجدان اليهودي المعاصر تأثيرا قويا ، ومما لا شك فيه ان فرويد الذي كان يعرف اسرار القبالة والذي كان عليما بالحركة الحسيدية قد تدعم اهتمامه بالجنس بالعلاقة بين الذات والكون نتيجة لاهتماماته الحسيدية/القبالية ، ويقال ان ادب كافكا (الذي كان عضوا في احد المؤتمرات الصهيونية) متأثر بالحسيدية ايضا (٩٢) . والفرق بين العبثية والتصوف هو شعرة دقيقة ، فالعبثية مثل التصوف تنكر الاتجاه والغاية ، وابطال كافكا الذين يدورون في حلقات ولا يدركون اي هدف للحياة لا يختلفون كثيرا عن المريدين من الحسيديين الذين يتبعون التساديك في كل شيء . وقد تأثر كذلك عجنون والكاتبة نيللي ساكس (اللذان تقاسما جائزة نوبل (٩٣)) بهذا التراث الحسيدي. وقد اثرت الحسيدية كذلك في المفكر الصهيوني بريديشفسكي ، كوني النزعة، وله كتاب عن الموضوع . كما ان تأثيرها واضح تماما على اعمال مارتن بوبر وفلسفته التي ترتكز اساسا الى الفكر الحسيدي وخاصة الايمان الحسيدي بالعلاقة التبادلية بين الخالق والمخلوق ، فالله يحل في كل شيء ويمتزج بمخلوقاته ، ولذا فهو يؤثر في مخلوقاته ولكن مخلوقاته بدورها تؤثر فيه ، ولذا يكتسب كل فعل مهما تدنى دلالة كونية . وقد وصفت فلسفة بوبر بأنها « حسيدية جديدة » (٩٥) ، ولبوبر كتاب عن الحسيدية . والدارس لسير المفكرين والزعماء الصهاينة يلاحظ ان عددا كبيرا منهم اما نشأ في بيئة حسيدية او تعرض للافكار الحسيدية وتأثر بها بشكل واع او غير واع ، بل يمكننا القول بان الصهيونية هي ضرب من ضروب « الحسيدية اللادينية » ان صح التعبير . وعلى الرغم من ان هذا الموضوع لم يدرس بعد بما فيه الكفاية ، فاننا سنحاول ان نوجز التشابه البنيوي بين الحسيدية والصهيونية واثر الطريقة الصوفية على الحركة السياسية في النقاط التالية :

١) الجماهير التي اتبعت الصهيونية ، كانت في وضع طبقي مشابه لوضع الجماهير الحسيدية ، فقد كانت جماهير بورجوازية صغيرة تابعة للراسمالية الام ، غير قادرة على التطور للامام مع الحركة الغربية العلمانية وغير قادرة على التقهقر الى داخل الجيتو ، وهي جماهير خرجت من الجيتو رغم انفها تحت ضغط التطور الراسمالي في المجتمع وهو تطور لم تساهم فيه هي بقسط كبير ولم تكن مدركة لابعاده ، وحتى حينما اسهمت فيه فقد ظلت واقفة على اطرافه وهامشه . ولذلك نجد ان التطور الراسمالي حررها من الاشكال الاقطاعية ثم اكتسحها في طريقه قبل ان تتأقلم مع الاوضاع الجديدة . وقد دخل صفوف الحركة الصهيونية بعض المهنيين بل وكبار التجار الذين سعرت حركة الانعتاق من رغباتهم وتطلعاتهم ثم تركتهم دون انجاز او تحقيق لمطامعهم ، اي ان هذه

القطاعات الاخيرة الاجتماعية رغم اختلافها من ناحية المضمون الاقتصادي عن الجماهير البورجوازية الصغيرة الا انها في علاقتها بالمجتمع ككل لم تكن تختلف عنها كثيرا . ولذلك نجد ان الجماهير الصهيونية مثل الجماهير الحسيدية كانت « تحب صهيون » حيث كانت تظن ان بامكانها الاستقلال باقتصادها وحيث يمكنها ان تنتعش ، ولكنه لم يمكنها ان تفعل ذلك في نهاية الامر ، لانها كانت شريحة اجتماعية واحدة لا تمتلك مقومات انشاء امة متكاملة ، ولذلك لم يمكنها ان تحقق اي نجاح يذكر الا بالاعتماد على الامبريالية العالمية — اي انها ظلت بورجوازية صغيرة تابعة عميلة !

٢) ساهمت الحسيدية ولا شك في اشاعة جو غيبي صوفي اضعف من انتماء يهود شرق اوروبا الحضاري والنفسي لبلادهم ، مما جعلهم مرتعا خصبا للايديولوجية الصهيونية . فقد صعدت الحسيدية من حب اليهود لارتس يسرائيل ومن كره الاغيار ، وزادت من حدة النزعة القومية (٩٦) في الفكر اليهودي (وهي جرعة تزداد دائما بازدياد النزعة الحلولية الوثنية)، ولذا نجد الحديث عن مركزية ارتس يسرائيل يزداد عن ذي قبل ومن الملاحظ ان الحسيدية والصهيونية تشتركان في الايمان باله حلولي يوجد في كل الاشياء اليهودية ويمنحها القداسة ، فاله الحسيديين الذي يوجد في الخير والشر وفي الحيوانات والارض والذي يذهب الى المنفى مع اليهود لا يختلف كثيرا عن اله الصهاينة المتجسد في الدولة الصهيونية وفي الارض المقدسة (وقد اشار ديان مرة للارض الفلسطينية قائلا انه لا يعرف ربا سواها) .

٣) ترجمت هذه النزعة القومية الدينية الحسيدية نفسها الى حركة هجرة ، ويمكننا ان نرى الهجرة الحسيدية على انها فاتحة وتمهيد للهجرة الصهيونية ، وعلى الرغم من ان الحسيدية ببنائها الجامد النخبوي قد عاقت الهجرة الى حد ما ، فهي كانت حركة تتسم بالسلبية والسكونية (اذ كان ينصب اهتمامها على الايمان والنوايا ولا تهتم كثيرا بالبرنامج العملي ومشاكل الاستيطان) . كما ان مفهوم التساديك كان يعوق الهجرة ، لان الجماعة كانت مرتبطة به ارتباطا عضويا ، لا يمكن للجماعة ان توجد بدونه ، على الرغم من كل هذا الا ان الحسيدية مهدت للهجرة الصهيونية على النحو التالي :

أ) كان اليهودي لا يذهب الى ارض الميعاد الا لغرض الحج ، اما النمط الذي كان يستوطن فكان العالم التلمودي المثقف ثقافة خاصة ، وقد احلت الحسيدية هذا النمط بنمط جديد وهو اليهودي العادي الفقير القادر على الدعاء والصلاة والذي تدفعه حاجته المادية للاستيطان .

ب) كانت الهجرة الحسيدية هجرة فردية في البداية ولكنها تحولت بمرور الوقت الى هجرات جماعية (كما هو الحال في هجرة عام ١٧٧٧ (٩٧)) وكانت هذه الجماعات المهاجرة تقابل بالترحاب من الطوائف اليهودية .

ج) ابقت الجماعات المستوطنة الحسيدية على علاقتها بيهود الدياسبورا ، بل وبدات نظام الجباية الذي تطور فيما بعد الى نظام الجباية اليهودية الموحدة .

٤) الصهيونية في نهاية الامر مثل الحسيدية حركة ماشيحانية هروبية من واقع تاريخي مركب الى حالة من النشوة الصوفية او الى اوهام ايديولوجية (بالمعنى السلبي للكلمة) عن ارض الميعاد التي تنتظر اليهود . فقد استفادت الصهيونية بالمفاهيم الحسيدية الماشيحانية في احلالها فكرة العصر الماشيحاني او الماشيحانية دون ماشيح محل المفهوم الارثوذكسي للعودة الشخصية للماشيح ، كما ان الفكرة الحسيدية الخاصة بان العصر الماشيحاني لن يأتي الا بالتدريج ومن خلال فعل اليهود انفسهم هو الاساس الفلسفي الديني الذي تستند اليه الصهيونية التي لا تنتظر عودة الماشيح وانما تعود بنفسها

لتستوطن فلسطين بالعنف ، وكلما ازدادت حركة الامة المقدسة فاعلية كلما ازدادت فرصة عودة الماشيح . والصهيونية تشبه الحسيدية في انها حركة ماشيحانية تغلغلت بين كل طبقات اليهود ، وحصلت على موافقة الحاخامات وتأييدهم .

٥) تدور الحسيدية والصهيونية حول فكرة البقية الصالحة اليهودية فتتحول الى فكرة « التساديك » في الحسيدية والى فكرة « النخبة » الصهيونية الرائدة ، والتسادكيون والرواد يتصورون انهم هموحدهم اصحاب الرؤية الحقة الصائبة . وقد كان بوبر المفكر النيتشوي الصهيوني يرى جماعات الحسيديين التي تلتف حول التساديك هي الجماعة الانسانية المثلى ، كما كان يرى ان الحسيدية لم تنجح في ان تلعب دورا اعمق في اليهودية بسبب عدم وجود ارض خاصة بها تطورها في حرية . ويعتقد بوبر انه لا يمكن بعث اليهودية دون الحماس الحسيدي ، وهو يرى ان الحالوتسيم الصهاينة قد بعثوا هذا الحماس، كما انه يرى ان الحركة التعاونية الصهيونية وثيقة الصلة بالحماس الحسيدي، وما مزارع الكيبوتس الا جماعات صغيرة تسكن فيها « الشخيناه » ! ان الحسيدي والحالوتسي يشتركان في طموحهما لتشييد مملكة الرب في الارض (٩٨) .

٦) تأثر الحسيديون والصهاينة بالادب القبالي (شأنهم في هذا شأن معظم المثقفين اليهود في اواخر القرن الثامن عشر في اوروبا) . ولذلك نجدهم يصطدمون باليهودية الحاخامية ويحاولون تطوير ضرب من الديانة الشعبية او الفولكلور الديني — ان صح التعبير — الذي يدغدغ الشعور بدلا من التجربة الدينية التقليدية في تمييزها بين الخير والشر وبين الروح والجسد .

٧) تؤمن الحسيدية بالخلاص في هذا العالم وتحويل التجربة الدينية الى تجربة شاملة تنتظم كل اشكال الحياة بخيرها وشرها . واسرائيل بالنسبة للصهاينة هي ايضا التجربة الدينية بعد تحويلها الى تجربة شاملة تنتظم كل جوانب الحياة « القومية » بخيرها الافتراضي (في مزارع الكيبوتس) وشرها الحتمي (في جيش اسرائيل) . بل اننا يمكن ان ننظر لفكرة العمل العبري الصهيونية على انها ضرب من «العفوداه بجاشميوت» او الخلاص بالجسد ، حيث يذهب اليهودي « الطفيلي » ليعمل في ارض الميعاد (او ليحارب فيها) ، وعن طريق العمل اليدوي (والغزو والسلب) يخلص نفسه من كل ما علق بها من ادران في المنفى . وقد قال بيجين « انا احارب اذن انا موجود » اي ان اكتساب الهوية الجديدة « الخيرة » لا يمكن ان يتم الا عن طريق الغوص في الشر .

٨) تؤكد كل من الحسيدية والصهيونية الجوانب اللاعقلية وغير الواعية في الانسان مما يجعلهما تهومان في المطلقات اللاتاريخية .

٩) وقفت الحسيدية والصهيونية ضد حركة الاستنارة اليهودية التي كانت تحاول حل المسألة اليهودية في شرق اوروبا بطريقة عقلانية تتفق مع الظروف التاريخية وطرحا بدلا من ذلك حلولهما الصوفية .

ويمكننا القول ان الحسيدية ولا شك ساهمت في اعداد بعض قطاعات جماهير شرق اوروبا لتقبل افكار الصهيونية الغيبية وذلك بعزلها عن الحضارات التي كانتتعيش فيها، وعن الحركات الفكرية التقدمية المختلفة ، وعن طريق اشاعة افكار صوفية حلولية شبه وثنية لا تتطلب اعمال العقل او الفهم او الممارسة الخلاقة وانما تتطلب الحركة العمياء المنتشية التي تشبه من بعض الوجوه حركة الجيش الاسرائيلي في ربع القرن الماضي .

المنهج ومصـــادر البحث

لعل الحصول على معلومات للكتابة عن ظاهرة يهودية صهيونية هو من أشق الامور على الباحث ، فمعظم الدراسات عن التراث اليهودي والصهيونية كتبها يهود او صهاينة او علماء متعاطفون مع الصهيونية . وقد واجهت هذه الصعوبة حينما كنت اكتب مقالي عن ماساداه الذي نشر في مجلة **قضايا عربية** ، وقد سميت هذا المقال السابق « توثيق مضاد » ، بمعنى انني اكتفيت من التوثيق بتفنيد الادعاءات الصهيونية ، دون محاولة طرح رؤية لحقيقة ماساداه (لان الامر لا يهمني كثيرا كعربي) . وكنت على وشك ان اتبع نفس المنهج في هذه الدراسة الا أنني لاحظت ان الحسيدية ليست اسطورة تستخدم في البرامج الصهيونية وحسب وانما هي رافد غيبي هام يصب في الصهيونية ، ويستمد منها الصهاينة كثيرا من اخيلتهم ورؤاهم وافكارهم بل ومصطلحهم ولذلك غيرت استراتيجية المنهج ، وقررت ان أقوم بعرض ظروف نشأة الحركة الحسيدية وبنية افكارهـــا وعلاقتها بالصهيونية ، حاشدا اكبر قدر ممكن من المعلومات التي حصلت عليها من المراجع (وكل المراجع التي استخدمتها هي مراجع صهيونية وليست يهودية وحسب) ولذلك استقيت من هذه المراجع المعلومات والحقائق وحسب ، واما التقييم النقدي لهذه المعلومات او الربط بينها من جهة وبين الحركة الصهيونية من جهـــة اخرى ، فالمراجع الصهيونية لا تساعد الباحث فيه بتاتا، اذ انها تأخذ موقف المدافع او المعتذر عن كل الظواهر اليهودية . وتزيد درجة الاعتذار والدفاع حينما تأتي للحسيدية لانها مصدر مباشر للصهيونية ولانها حركة مغرقة في الغيبية ، وقد اعتمدت في هذا البحث على المراجع التالية مرتبة حسب اهميتهـــا :

* Cecil Roth (ed.) *Encyclopedia Judaica* (Jerusalem: Keter House, 1972), Vol. 7.

(خاصة مفهومي العالياه والبرداه) وسنشير لها في الحواشي بـــ **الموسوعة اليهودية**

* Cecil Roth (ed.), The Standard Jewish Encyclopedia (London W.H. Allen, 1966).

(خاصة مفهوم التساديك) سنشير لها **بالموسوعة اليهودية المعتمدة**

* R. Patai, *Encyclopedia of Zionism and Israel* (New York: Herzl Press and McGraw Hill, 1971), Vol. 1.

(الحسيدية واسرائيل) سنشير لها **بموسوعة الصهيونية واسرائيل**

* واهم الكتب على الاطلاق واكثرها جدة كتاب

* Raphael Mahler, *A History of Modern Jewry 1178-1815* (London: Walentine & Mitchell, 1971).

(وقد سبر الكتاب الجانب الاجتماعي الطبقي للحركة ـ وهو شيء تغفله المراجع الاخرى تماما ، كما انه يتحدث عن الهجرة الحسيدية ، دون ان يربطها بالهجرة الصهيونية ، وهذا الكتاب من الكتب العلمية النادرة التي تعالج هذا الموضوع ورغم دفاعه الحار عن الحسيدية الا انه يضعها في سياق تاريخي وامـــام خلفيـــة اجتماعية) وسنشير لـــه « بهاظر » .

* Gershom G. Scholem, *Major Trends in Jewish Mysticism* (New York: Schocken Books, 1961).

(هذا كتاب يعرض افكار الحركة ـ مركزا على العلاقة بين العنصر الكوني والعنصر الذاتي ، كما يربط بين الحركة الحسيدية والحركات المشيحانية الاخرى ، ولكنه يكتفي بالعرض والتلخيص الفلسفي الذكي) سنشير لـــه « بشوليـــم » .

* David Rudavsky, *Modern Jewish Religious Movements: A History of Emancipation and Adjustments* (New York: Behrman and House, 1961).

(كتاب مدرسي للغاية ، وهو الكتاب الوحيد الذي يشير بشكل عابر لعلاقة الحسيدية بالصهيونية في مجال اشارته لبوبر) سنشير له « برودافسكي » .

* Solomon Schechter: *Studies on Judaism: Essays on Persons, Concepts and Movements of Thought in Jewish Tradition* (New York: Acheneum, 1970).

(في الكتاب مقال عام عن الحسيدية ليس فيه جديد) سنشير لـــه « بشختر » .

* H. Rabinowicz, *The World of Hassidism* (London: Wallentine and Mitchell, 1970).

(كتاب سطحي للغاية استقينا منه بعض المعلومات عن الخلفية الاجتماعية وتاريخ الحسيدية واثرها على الكتاب اليهود) . سنشير له برابينوفتش .

الحواشي :

١) الموسوعة اليهودية ١٣٩٤
٢) ماهلر ٤٣٥
٣) ن٠م (نفس المرجع) ٤٣٦
٤) ن٠م
٥) ن٠م
٦) ن٠م ٤٣٢
٧) ن٠م
٨) ن٠م ٤٤٦
٩) ن٠م ٤٤٧
١٠) ن٠م
١١) ن٠م ٣٤٢
١٢) ن٠م ٤١٧
١٣) الموسوعة اليهودية : ١٣٩٧
١٤) رابينوفتش ٢٨
١٥) ماهلر ٣٣٦
١٦) رابينوفيتش ٢٨
١٧) ن٠ف ٢٧
١٨) ن٠ف ٢٩
١٩) شختر ٣٢٧
٢٠) رودافسكي ١٢٠
٢١) ن٠ف ١١٧
٢٢) ن٠ف ٥٣١١
٢٤) ن٠ف ٤٤٧
٢٣) ماهلر ٥٢١
٢٥) ن٠ف ٤٤٩
٢٦) ن٠ف ٤٩٢
٢٧) ن٠ف ٤٤٧
٢٨) ن٠ف ٤٤٨
٢٩) الموسوعة اليهودية ١٤٠٣
٣٠) ن٠ف
٣١) ن٠ف
٣٢) ن٠ف ١٤٠٤
٣٣) ماهلر ٣٣٨
٣٥) شوليم ٤٣١
٣٦) ماهلر ٤٣٤—٤٣٥
٣٧) شختر ١٧٤
٣٨) ن٠ف ١٧٥
٣٩) الموسوعة اليهودية ١٤١٢
٤٠) ن٠ف ١٤٠٤
٤١) ماهلر ٤٤٤
٤٢) الموسوعة اليهودية ١٤٠٤
٤٣) الموسوعة اليهودية المعتمدة ٨٥١
٤٤) الموسوعة اليهودية ١٤٠٩
٤٥) ن٠ف ١٤٠٥
٤٦) ن٠ف
٤٧) ن٠ف ١٤١٠
٤٨) ماهلر ٤٤٥
٤٩) ن٠ف
٥٠) ن٠ف ٤٦١
٥١) ن٠ف
٥٢) الموسوعة اليهودية ١٤٠٨
٥٣) ن٠ف ١٤١٠
٥٤) ن٠ف ١٤٠٨
٥٥) ماهلر ٤٧٦
٥٦) شختر ١٧٢
٥٧) ماهلر ٤٣٣
٥٨) ن٠ف
٥٩) ماهلر ٥٢٨
٦٠) ماهلر ٤٥١
٦١) ن٠ف ٤٦٥
٦٢) ن٠ف ٤٥٣
٦٣) ن٠ف ٤٩٨
٦٤) الموسوعة اليهودية : ١٤٠٠
٦٥) ن٠ف ١٤٠١
٦٦) شختر ١٨١
٦٧) ماهلر ٤٧٢
٦٨) الموسوعة اليهودية ١٤٠٦
٦٩) ن٠ف
٧٠) شوليم ٣٤٤
٧١) الموسوعة اليهودية ١٤٠٠
٧٢) ن٠ف ١٤٠٦
٧٣) ماهلر ٥٠٤
٧٤) الموسوعة اليهودية المعتمدة ٥٨١—٥٨٢
٧٥) شختر ١٨٦
٧٦) شوليم ٣٤٤
٧٧) الموسوعة اليهودية المعتمدة ٨٥١
٧٨) ماهلر ٥٠٥
٧٩) الموسوعة اليهودية ١٤٠١
٨٠) ن٠ف ١٤٠١
٨١) ن٠ف ١٣٩٦
٨٢) ن٠ف ١٠١٤
٨٣) ن٠ف ١٣٩٦—١٣٩٧
٨٤) ن٠ ف ١٣٩٦
٨٥) ماهلر ٤٥٢
٨٦) رابينوفتش ٢٢١
٨٧) الموسوعة اليهودية المعتمدة ٨٥٠

٨٨) رابينوفيتش ٢٢٨
٨٩) ن.ف ٢٢١
٩٠) ن.ف ٢٢٥—٢٢٦
٩١) **الموسوعة الصهيونية واسرائيل** ٤٦٦
٩٢) رابينوفيتش ٢٣٩
٩٣) ن.ف

٩٤) **الموسوعة اليهودية** ١٤١٩
٩٥) **الموسوعة اليهودية المعتمدة** ٨٥٢
٩٦) ماهلر ٤٤٢
٩٧) ن.ف ٤٨٠
٩٨) رودانسكي ١٤٢—١٤٣

الرأسمال الصهيوني في الاقتصاد الأمريكي

سليم نصر

سوف نحاول في هذا المقال ان نعطي فكرة سريعة عن مكانة الرأسمال الصهيوني والمجموعات « المالية ـ الصناعية » الصهيونية في الاقتصاد الامريكي وعن الدور الذي تلعبه في تمويل الاقتصاد الاسرائيلي وجعله القاعدة الاساسية لغزوها اسواق العالم الثالث .

من ناحية اخرى نود ان نشير من الان الى ان الابحاث التي قمنا بها قد ادت بنا الى رفض المقولتين التاليتين : ان الرأسمال الصهيوني يهيمن على الاقتصاد الامريكي ويسيطر على قطاعاته الاساسية، وان الرأسمال الصهيوني يلعب دورا هامشيا ولا يشكل قطبا ذا اهمية بالمقارنة مع المجموعات البروتستنتية الانغلوسكسونية .

الحقيقة ان اهم كتلة اقتصادية صهيونية متبلورة ككتلة تأتي في المرتبة الثالثة بين الكتل الاقتصادية في الولايات المتحدة بعد كتلة مورجان وكتلة روكفلر وقبل كتلة ميللو وغيرها من الكتل المهيمنة على الاقتصاد الامريكي .

تتشكل الكتلة القائدة والمحورية للرأسمال الصهيوني في امريكا من مجموعة من بنوك الاستثمار العاملة في « وول ستريت » وحول اهمية « وول ستريت » كتب المعلق الاقتصادي ت.ا. وايز يقول: « ان القطب المالي الناخب للرأسمالية في العالم الحر يتكون من لا اكثر من ٦٠ شركة او مؤسسة مالية (في وول ستريت) والتي يملكها او يسيطر عليها حوالي ١٫٠٠٠ رجل اعمال . تقوم هذه البيوتات المالية ، بالتعاون مع بعض البيوتات البريطانية والاوروبية بتأمين ٧٥٪ من الاربعين مليار دولار من الرأسمال الجاري الذي تحتاجه الدول الصناعية (الرأسمالية) سنويا لتأمين نموها على المدى الطويل » .

من اصل الستين مؤسسة مالية التي يذكرها وايز ، تقوم ٩ مؤسسات بثلاثة ارباع العمليات .

وتنقسم المجموعات التسع الى قطبين . ١ ـ القطب « الينكي » المرتبط بمجموعتي مورجان ـ روكفلر ويتألف من البيوتات التالية : ـ

Morgan, Stanley, First Boston, Kidder, Peabody, Paine, Webber, Jackson and Curtis.

٢ ـ قطب البرجوازية الكبرى اليهودية النيويوركية ويتألف من البيوتات التالية :

Goldman, Sachs, Lehman Brothers, Lazard Frères, Carl M. Leeb Rhaades, Kuhn, Loeb.

ويتزعم البيوتات الصهيونية .. ة من كبار رجال الاعمال يشكلون معا نوعا من مجلس ادارة للكتلة الرأسمالية الصهيونية في امريكا وهؤلاء هم :

Frederick L. Ehrman (Lehman Brothers), Benjamin Buttenweiser (Kuhn, Loeb), Andre Meyer (Lazard Frères), John, M. Loeb (Carl M. Loeb, Rhaades), Sidney Weiuberg (Goldman, Sachs).

من اجل تقييم مكانة الرأسمال الصهيوني ضمن الرأسمال الاحتكاري الامريكي سوف نتناول على التوالي :

ا ـ مجموعة الشركات التابعة مباشرة وغير مباشرة لكتلة « وول ستريت » المالية الصهيونية .

ب ـ الكتل الرأسمالية غير الصهيونية المتحالفة مع كتلة « وول ستريت » (كتلة رجال النفط في تكساس ـ كتلة ديللون ، ريو النيويوركية) .

ج ـ مجموعة الشركات التي يسيطر عليها صهيونيون مستقلون .

د ـ مجموعة الشركات التابعة لكتلة «بفرلي هلز» الصهيونية في كاليفورنيا Beverly Hills .

أ ــ كتلة « وول ستريت » الصهيونية :

تتألف مجموعة الشركات التابعة لكتلة « وول ستريت » من ١٨ شركة تسيطر عليها مباشرة البيوتات المالية الصهيونية و ٨ شركات تسيطر عليها عبر بنك : «Manufacturers Hanover Trust»

وتسيطر الكتلة الصهيونية في « وول ستريت » على ١٨ شركة امريكية كبيرة منها ٦ شركات تجارية و ١٠ شركات صناعية وشركتي طيران . وفيما يلي قائمة تلك الشركات موزعة على القطاعات المختلفة مع حجم مبيعاتها وارباحها الصافية لعام ١٩٧٢ (بملايين الدولارات) : ــ

اسم الشركة	المبيعات الاجمالية	الارباح الصافية
Sears, Roebuck	١٠٬٩٩١	٦٢١
Federated Department Store	٢٬٦٦٩	١٠٨
Allied Stores	١٬٤٩٥	٢٨
May Department Stores	١٬٤٧٧	٤٧
McCrory	١٬٢٢٦	١٧
Gimbel Brothers	٨١٢	١٤
	١٨٬٦٧٠	٨٣٥

قطاع الصناعات الكهربائية والالكترونية وسلع الطائرات : ــ

R. C. A.	٣٬٨٣٨	١٥٨
Sperry Raud	١٬٨٢٣	٦٠
Wlirl pool	١٬٤١٦	٦٨
General Dynamics	١٬٥٣٩	٢٤
	٨٬٦١٦	٣١٠

قطاع المنتجات الغذائية وغلافاتها : ــ

	المبيعات الاجمالية	الارباح الصافية
General Foods	٢٬٤٢٣	٦٦
Continental Can	٢٬١٩٢	٣٩
	٤٬٦١٥	١٠٥

قطاع الصناعة المعدنية : ــ

American Metaldimax	٨٦٣	٦٦
Studebaker	٨٧٩	٣١
	١٬٧٤٢	٩٩

صناعات مختلفة : ــ

Owens Illinois Glass	١٬٦٣٦	٦٩
Clvett Peabody	٥٤٧	١٣
	٢٬١٨٣	٨٢

شركات طيران : ــ

Pan American	١٬٣٠٥	٢٨
Continental Airlines	٣٦٥	٩
	١٬٦٧٠	٣٧

ويكون ملخص التوزيع القطاعي للشركات التي تسيطر عليها مجموعة « وول ستريت » الصهيونية على النحو التالي : ــ

	المبيعات الاجمالية	الارباح الصافية
الصناعات الكهربائية والالكترونية	٨،٦١٦	٣١٠
الصناعات الغذائية	٤،٦١٥	١٠٥
الصناعات المعدنية	١،٧٤٢	٩٩
صناعات مختلفة	٢،١٨٣	٨٢
** مجموع القطاع الصناعي	١٧،١٥٦	٥٩٦
مجموع القطاع التجاري	١٨،٦٧٠	٨٣٥
مجموع قطاع النقل الجوي	١،٦٧٠	٣٧
المجمـــوع العـــام	٣٧،٤٩٦	١،٤٦٨

نلاحظ منذ الان ان التوزيع القطاعي يشير بوضوح الى الاهمية الخاصة التي تحتلها الشركات التجارية ضمن مجموعة الشركات التابعة لكتلة «وول ستريت» فخلافا للكتل الاقتصادية الاخرى تمثل مبيعات الشركات التجارية حوالي نصف مبيعات واكثر من ثلثي ارباح مجموع الشركات المعنية . من ناحية اخرى تمثل مبيعات الشركات التجارية التابعة للكتلة ١٨٫٩٪ من مبيعات اكبر ٥٠ شركة تجارية في امريكا و ٢١٫٨٪ من ارباح تلك الشركات ، بينما تمثل مبيعات وارباح الشركات الصناعية التابعة للكتلة ٦ الى ٧٪ من مبيعات وارباح اكبر ٥٠ شركة صناعية في امريكا .

يتمركز نشاط الشركات التابعة لكتلة « وول ستريت » اساسا في المجال التجاري ومن ثم في الصناعات الخفيفة (الغذاء) او الجريدة والصاعدة المعتمدة على العلم الحديث (الكهرباء — الالكترونيات) وليس لها اثر يذكر في المجالات التقليدية للصناعة الامريكية والتي لا تزال الى حد كبير مسيطرة وهي الحديد والصلب ، النفط ، الكيمياء ، الالات والمكينات .

يجب ان نضيف ان الشركات التي ذكرناها على انها تابعة لكتلة « وول ستريت » ليست ملكا للبنوك التي تتألف منها الكتلة وما تملكه تلك البنوك سوى نسبة ضئيلة من اسهمها لكن هذه النسبة هي اكبر نسبة من الاسهم تملكها كتلة بمفردها مما يسمح لها بالهيمنة الفعلية على الشركة حتى ولو كانت كتل اخرى تملك كميات من الاسهم . وفي بعض الاحوال تشارك كتلة « وول ستريت » مع مؤسسي الشركة او مع احد كبار المساهمين في السيطرة الفعلية على الشركة المعنية ، فتلك هي الحال بالنسبة لشركة جنرال داينامكس والرأسمالي الصهيوني هنري كراون ورئيس مجلس ادارتها ، وشركة سيرز روبك (اكبر شركة تجارية في العالم) وعائلة ستيرن الصهيونية وشركة فدراتد دبارتمنت ستورز وعائلة لازاروس الصهيونية وشركة ر.س.أ والرأسمالي روبرت سارنوف رئيس مجلس ادارتها ، وشركة اميركان ماتال كلايمكس وعائلة هولتشايلد وشركة اونس ايلينوي غلاس وعائلة ليفس .

مجموعة «Manufacturers Hanover Trust»

في عام ١٩٦١ تم دمج اثنين من كبار بنوك «نيويورك» التجارية وهما : Manufacturers Trust و Hanover Bank تحت اسم Manufacturers Hanover وفي عام ١٩٧٢ اصبحت تلك المؤسسة البنك الخامس في الولايات المتحدة من حيث موجوداته التي بلغت ١٦ مليار دولار !

وقد رأس اول مجلس ادارة للبنك الجديد شارلز ستوارت الذي كان يعمل مديرا في مؤسسة «Lazard Frères» والذي اعتبر المندوب السامي لكتلة « وول ستريت » الصهيونية . ويشغل جبرائيل هانج حاليا نفس المنصب . ويدخل ضمن عداد اعضاء مجلس الادارة روبرت سارنوف احد الحلفاء الاساسيين لمجموعة « وول ستريت » الصهيونية . ويعتبر المحللون الاقتصاديون ان ManufacturersHanoverTrust والشركات الدائرة في فلكها تقع بدورها في دائرة نفوذ وسيطرة البيوتات المالية الصهيونية الخمس بالتعاون مع بيت غير صهيوني حليف هو «Dillon, Read» لذلك سوف نستعرض تلك المجموعة من الشركات ونعتبرها تابعة ، بشكل غير مباشر ، لكتلة « وول ستريت الصهيونية » .

مجموعة الشركات التابعة لبنك Manufacturers Hanover Trust

	المبيعات الاجمالية (عـــام ١٩٧٢)	الارباح الصافية (عـــام ١٩٧٢)
الصناعات الخفيفة : سلع منزلية ، صابون ، منتجات غذائية ، ادوية		
Colgate — Palmolive	١٤٨٠٧	٧٦
American Home Products	١٤٥٨٧	١٧٥
Dana Corporation	٨٢٢	٤٥
	٥٤٢١٦	٢٨٧
الصناعة المعدنية غير الحديدية : ــ		
Reynolds Metal	١٤١٦٢	٢
Phelc — Dodge	٧٦٥	٨٢
	١٤٩٢٧	٨٤
الصناعات الكيميائية : ــ		
Union Carbide	٣٤٢١٦	٢٠٥
صناعات معدنية تمويلية : ــ		
Chrysler	٩٤٧٥٩	٢٢٠
Babcox and Wilcox	٩٥٥	٢٥
	١٠٤٧١٤	٢٤٥
صناعات مختلفة :		
Kraft Cocorp	٣٤١٩٦	٨٨

ويكون ملخص التوزيع القطاعي للشركات التـــي يسيطر عليها بنك: ــ «Manufacturers Hanover Trust» على النحو التالي : ــ

	المبيعات الاجمالية	الارباح الصافية
صناعات معدنية تمويلية	١٠٫٧١٤	٢٤٥
صناعات خفيفة كيمائية	٥٤٢١٦	٢٨٧
صناعات كيمائية اولية	٣٤٢١٦	٢٠٥
صناعات معدنية غير حديدية	١٤٩٢٧	٨٤
صناعات مختلفة	٣٤١٩٦	٨٨
* *		
المجموع العـــام	٢٤٤٢٥٩	٩٠٩٠

تتميز تلك المجموعة بالثقل الذي تحظه ثـلاث شركات صناعية كبرى : شركة Chrysler وهـــي ثالث شركة لصناعة السيارات في الولايات المتحـدة وخامس شركة صناعية بشكل عام . شركـــــة Union Carbide وهي ثاني اكبر شركـــة كيمائية في امريكا و Reynolds Metal وهي ثاني اكبر شركة امريكية في صناعة الالمنيوم ، كما تتميز المجموعة بالثقل الذي تحظه الصناعات الكيمائية

الاولية والمركبة الخفيفة اذ تمثل اكثر من ثلث مجمل المبيعات .

يجدر اخيرا الاشارة الى ان مجموعة «Manufacturers» تملك بالطبع قطاعا ماليا لا بأس بحجمه وبامكانياته ويتألف من المؤسستين التاليتين :

	الموجودات	الارباح الصافية
Manufacturers Hanover Trust	١٦،٢٢٦	٧٦
Continental Corp.	٤،٤٣٢	١٢٦
	٢٠،٧٥٨	٢٠٢

يحتل بنك «Manufacturers» المرتبة الخامسة بين البنوك التجارية الكبرى في امريكا ، اما «Continental» فتحتل المرتبة السادسة بين المؤسسات المالية العامة (التي تتعاطى بعض انواع الرهونات والتسليفات والتأمينات) . وبالطبع تقدم المؤسسات جميع انواع الخدمات والارشادات المالية للشركات الصناعية التابعة لكتل « وول ستريت » ومجموعة «Manufacturers» وتؤمن لهم الرأسمال الجاري والقروض وتشرف على بيع وشراء اسهمهم وسنداتهم وتساعدهم في عمليات الدمج والتوسع وابتلاع الشركات الصغيرة والمتوسطة الخ ... وهكذا تلعب البيوت المالية الخمسة دور العقل المخطط والمقرر وتلعب المؤسستان الماليتان دور القوة الضاربة والاحتياطي الاستراتيجي والوقود الضروري لسير اعمال ونمو وتوسع مجموعة الشركات التي اطلقنا عليها اسم « كتلة وول ستريت الصهيونية » والتي تمثل رأس حربة الرأسمال الصهيوني في الولايات المتحدة .

خلاصة القول ان كتلة « وول ستريت» الصهيونية بشقيها (البيوتات المالية ومجموعة بنك (Manufacturers Hanover Trust) تسيطر على ٢٧ شركة كبيرة بلغت مبيعاتها في عام ١٩٧٢ حوالي ٦٢ مليار دولار اي اكثر من ١٢٪ من مجمل مبيعات اكبر ٥٠٠ شركة صناعية في امريكا واكثر من عشرة اضعاف الناتج القومي الاسرائيلي واكثر من ضعفي الناتج القومي الحالي لمجمل الدول العربية .

يجب ان نذكر من ناحية اخرى ان ١٢ من اصل ٢٧ شركة تابعة للكتلة لها فروع واستثمارات مباشرة في اسرائيل وان الشركات التجارية التابعة للكتلة تساهم مساهمة جادة في تسويق البضائع الاسرائيلية عبر مخازنها الكبرى وان بنك Manufactures هو من المروجين الرئيسيين لسندات الخزينة الاسرائيلية في السوق المالية الامريكية — هذا عدا الضغوط والتأثيرات السياسية الهامة التي لا مجال للخوض فيها في اطار هذا المقال والتي تستحق بحثا كاملا .

ب . حلفاء كتلة « وول ستريت » :

لكن اهمية كتلة « وول ستريت » لا تتحدد فقط بحجم ومركز الشركات التي تسيطر عليها مباشرة . فالرأسمال الصهيوني عقد سلسلة من التحالفات مع مجموعات اقتصادية غير صهيونية ادت الى انشاء كتلة اقتصادية كبيرة مختلطة تشكل بالفعل الكتلة الثالثة من حيث الاهمية في الولايات المتحدة ومن ثم في العالم . وضمن هذه الكتلة تلعب بيوتات « وول ستريت » المالية دور المحرك والموجه والمغذي !

يتألف حلفاء الكتلة الصهيونية في « وول ستريت » من المجموعات التالية :

مجموعة « فورد » التي تضم اساسا شركة انتاج السيارات فورد (الشركة الصناعية الثالثة في الولايات المتحدة والعالم . بلغت مبيعاتها لعام ١٩٧٢ ٢٠ مليار دولار) وتضم ايضا Manufactures National Bank of Detroit ، بلغت موجوداتها لعام ١٩٧٢ : ٢٤٥ مليار دولار)

تقوم علاقة مجموعة «فورد» خاصة مع جولدمان ، ساخس اكبر البيوتات المالية الصهيونية ضمن كتلة « وول ستريت » . تلعب جولدمان ساخس دور بنك الاستثمار والمستشار المالي لشركة فورد ، فهي التي تبيع سندات الشركة لدى المؤسسات المالية والجمهور وهي التي تدبر لها بعض العمليات الخارجية (كشراء شركات في اوروبا وتحويلها الى فروع) وهي التي تساعدها على تخطيط سياستها المالية . ويتجسد هذا التعاون الوثيق بوجود سدني وينبرج ضمن مجلس ادارة شركة فورد وبوجود وينبرج وهنري فورد الثاني معا في عدة مجالس

ادارات لشركات كبرى .

من ناحية اخرى تملك شركة فورد مصنعا لتجميع السيارات في اسرائيل .

واخيرا وليس اخرا يشارك هنري فورد الكتلة الصهيونية في تمويلها لمرشحي الحزب الديمقراطي لرئاسة الجمهورية ويساهم معهم في الضغط على الادارة الامريكية من اجل سياسة خارجية اكثر انحيازا لاسرائيل ، وقد كان من ابرز الوجوه الامريكية التي حضرت « مؤتمر المليونيريين » الذي عقد في القدس في ايار ١٩٧٣ وضم كبار الراسماليين الصهاينة في العالم .

الحليف الثاني الكبير للكتلة الصهيونية هو «مجموعة تكساس» : تضم المجموعة بالاساس عددا من شركات النفط الامريكية التي تعتمد على الابار الامريكية لانتاجها والتي كثيرا ما تتناقض مصالحها (من حيث الأسعار وسياسة الاستيراد والضرائب وغيرها) مع مصالح شركات النفط الكبيرة والتي تملك استثمارات اساسية في الشرق الاوسط وفنزويلا (موبيل ، الخليج ، اسو ، كالتكس الخ) ويدخل ضمن المجموعة ايضا عدد من البنوك والشركات الصناعية والتجارية (خاصة في مجالات البتروكيمياء ، الصناعات الحربية ، الصناعات الالكترونية) . ونذكر على سبيل المثال بعض الوجوه البارزة في هذه المجموعة : جون مرشيون الذي يسيطر على مجموعة بنوك وشركات نفط وشركات بناء يتعدى حجم اعمالها المليار دولار . بول جيتي الذي يملك شركة جيتي اويل (بلغت مبيعاتها لعام ١٩٧٢ ١٤٤ مليار دولار) . وتقدر ثروة جيتي النفطية بحوالي ١٤٥ مليار دولار مما يجعله رابع اغنى رجل في الولايات المتحدة والعالم . والجر مادو الذي يعمل في مجال استخراج النفط وتقدر ثروته الشخصية بـ ٢٠٠ مليون دولار . والصهيوني ليون هس رئيس مجلس ادارة شركة النفط Amerada Hess بلغت مبيعاتها لعام ١٩٧٢ ١٤٣ مليار دولار) — وتقدر ثروة هس الشخصية باكثر من ٢٠٠ مليون دولار . وبول ثاير رئيس مجلس ادارة شركة L.T.V. (من اكبر الشركات الصناعية في تكساس وقد بلغت مبيعاتها لعام ١٩٧٢ — ٣٠٥ مليار دولار) . وتضم شركته ثلاث مؤسسات فرعية : LTV Aerospace اهم الشركات الامريكية لانتاج السلاح . و Jones Langhlin, احدى كبريات الشركات الامريكية لانتاج الصلب . و Wilson Eco ثالث شركة امريكية لانتاج اللحوم المجففة .

وتتعاون البيوتات المالية الصهيونية بشكل وثيق مع « مجموعة تكساس » تؤمن لها الرساميل التي تحتاجها عبر بيع السندات والاسهم ، وتقدم لها المشورة المالية والفنية ، وتعاونها في محاولاتها الاستيلاء على بعض المؤسسات التابعة لكتل اخرى (ككتل « مورغان » و « روكفلر » و « ملون » وغيرها) وتوسيع دائرة نفوذها .

ومن الجدير بالذكر ان « مجموعة راسمالية تكساس » تشكل على المستوى السياسي المصدر الاساسي الثاني لتمويل مرشحي الحزب الديمقراطي (بعد الكتلة الصهيونية) . وقد نجحت المجموعة بالفعل في ايصال « لندون جونسون » التكساسي الى سدة الرئاسة واستفادت منه كثيرا لتنمية اعمالها وتوسيع نطاق هيمنتها .

الحليف الثالث : لكتلة «وول ستريت» الصهيونية هو بنك الاستثمار النيويوركي «Dillon Read Eco» وقد كان لهذا البيت المالي دور هام في الثلاثينات حيث كان يسيطر على عدة شركات صناعية كبرى . لكن نفوذه تراجع بسبب عدم امتلاكه لبنك تجاري كبير يستطيع دعم وتغذية نفوذه على الشركات المعنية ، وما يهمنا هنا هو ان Dillon Read ساهم مع البيوتات الصهيونية في انشاء بنك : Manufacturers Hanover Trust عام ١٩٦١ والذي اصبح خامس بنك تجاري في امريكا ومكن المجموعة الصهيونية من امتلاك «بنكها التجاري الكبير» مقابل البنوك التجارية التي تسيطر عليها الكتل الانغلو — بروتستانتية .

من اجل اعطاء صورة عن الحجم النسبي لتحالف « صهاينة وول ستريت — فورد — تكساس » نثبت فيما يلي ارقاما عن حجم الاعمال التي تقوم بها الشركات التابعة للتحالف في المجالات الصناعية والتجارية والمالية .

للاسف ترجع الارقام التي سنوردها الى عام ١٩٦٣ لاننا لم نستطع الحصول على ارقام احدث بالنسبة للكتل الاخرى التي يهمنا ان نقارن حجمها مع حجم التحالف الذي نحن بصدده (الارقام بملايين الدولارات) .

	حجم الاعمال في المجال المصرفي والمالي	حجم الاعمال في المجال الصناعي والتجاري
المجموعة المباشرة لكتلة	٧٠٠	٥٠١٣٩
« وول ستريت الصهيونية »	٨٠٢٦١	٣٠٩٧٧
Manufacturers Hanover Trust	٣٠٤٨٨	٥٠٤١٦
مجموعة FORD	٩٠٨٧٦	٩٠٠٢١
مجموعة TEXAS	٤٦٣	١٠٢٤٩
Dillon, Read and Co.	٢٢٠٧٨٨	٢٤٠٨٠٢
المجموع العام للتحالف		

وفيما يلي قائمة بالكتل الاقتصادية الامريكيـــة الكبرى التي كانت في عام ١٩٦٣ تتعدى موجودات الشركات التي تسيطر عليها العشرين مليار دولار .

	حجم الاعمال في المجـال المالي والمصرفـي	حجم الاعمال في المجال الصناعي والتجـاري	مجموع حجم الاعمـــال
كتلـة مورجـان	٢٩٠٨٩٦	٣٩٠٦٥٥	٦٩٠٥٥١
كتلـة روكفلر	٣٤٠٧٤١	٢٨٠٢٣١	٦٢٠٩٧٢
التحالـف	٢٢٠٧٨٨	٢٤٠٨٠٢	٤٧٠٥٩٠
كتلة شيكاغو (Black, Blair, Stewart Baver, Palmer, Percy-)	١٤٠٣٤٥	٢٣٠٨٥٧	٣٨٠٢٠٢
كتلة بوستون (Adams, Cabots, Lowells)	١٨٠٥٦٤	٥٠٨٢٣	٢٤٠٣٨٧
كتلـة First National City Bank.	١١٠٦٧٧	١٠٠٤٢٢	٢٢٠٠٩٩

نلاحظ من هذا الجدول ان التحالف (صهاينـة وول ستريت + فورد + تكساس) يحتل بالفعل المرتبة الثالثة بين الكتل الاقتصادية الأمريكية الكبرى وقد قفل حجم اعماله عام ١٩٦٣ ١١٪ من مجموع حجم اعمال الست عشر كتلة اقتصادية التي تسيطر على ثلاثة ارباع الأقتصاد الامريكي .

مجموعة « كاليفورنيا » الصهيونية :

تشكل ولاية « كاليفورنيا » الامريكية الغربيـــة المجال الاساسي الثاني للرأسمال الصهيوني بعـد ولاية نيويورك . وتضم المجموعة في الأساس مصرفا تجاريا كبيرا تدور بفلكه اربع شركات وثلاث شركات مالية تعمل في بيع وشراء وتحسين العقارات وفي البناء والمقاولات .

يحتـــل مصرف Western Bancorporation المرتبة السابعة بين المصارف التجارية الامريكية . وقد بلغت موجوداته في نهاية عام ١٩٧٢ — ١٥٠٢ مليار دولار . يرأس مجلس ادارة المصرف كلفورد توتر لكن ابرز الاعضاء هو الرأسمالي الصهيونـي نكتور كارتر . وهو يرأس « النداء اليهودي الموحد » (وهو صندوق الجباية الصهيوني في امريكا) ، ويشغل في نفس الوقت عضوية اللجنة التنفيذية لبنك United California Bank الذي يشكل الذراع الخارجي لبنك Western Bancorporation ويجدر الاشارة الى ان كارتر قد وظف شخصيـــا ملايين الدولارات في الاقتصاد الاسرائيلي ، ويملك كميات محترمة من الاسهم في العديد من الشركات الصناعية والمالية والعقارية الأسرائيلية (منهـــا Nosher Cement, Elron, CLAL, C.T.I.C.) ترتبط الشركات الاربع التالية ببنك Western Bancop.

اسم الشركة	حجم الاعمال الاجمالي لعام ١٩٧٢	الارباح الصافية لعام ١٩٧٢	مجال العمل
Transamerican	٤٠٢٢١	٨٨	خدمات ، صناعة الترفيه والتسلية : سينما .
Signal Companies	١٠٤٣٨	٤٠	نفط وغاز وبتروكيمياء .
Celanese	١٠٣٨٣	٤٤	نسيج وملبوسات .
National General	١٠٠٢٠	٤٥	صناعة التسلية ، سينما
المجمـــوع	**٨٠٠٦٢**	**٢١٧**	

يتشكل القطب الثاني لمجموعة « كاليفورنيا » من ثلاث شركات مالية ــ عقارية : ــ

	الموجودات لعام ١٩٧٢	الارباح الصافية ١٩٧٢
H.F. Ahmanson	٤٠٧٥٩	٤٦٠١
Great Western Financial.	٤٠٣٠٧	٣٨٠٣
First Charter Financial.	٣٠٩٩١	٤٦٠٥

يملك الشركة الاولى البليونير الصهيوني هيـــام امباسو الذي جمع ثروته في مجال تجارة الاراضي واصبح من اثرياء اثرياء امريكا . ويسيطر علـى الشركة الثانية رجل الاعمال الصهيوني مارك تابر الذي ينشط ايضا في مجال البناء والعقارات . ويلعب تابر دورا سياسيا هاما ضمن المنظمات الصهيونية وضمن الحزب الديمقراطي في كاليفورنيا . اما شركة Great Western Financial

فيـرأس مجلـــس ادارتهـــــا ستـوارت دانس ويشترك في ملكيـــة اسهمهـا عدد مـن رجال الاعمال الصهاينة ومنهم بنيامين سويـــج (صاحب شبكة من الفنادق وشركات تأمين وبنوك) ج. دهان ولويس بوير (صاحب شركة مقاولات) والجدير بالذكر ان هؤلاء الثلاثة وظفوا اموالا فـي ثلاث شركات استثمار اسرائيلية هي PEC و AMPAL و Israel Investor Corp. وهم اعضاء في مجلس ادارة هذه الشركات !

خلاصة القول ان مجموعة « كاليفورنيـــا » الصهيونية رغم قلة عدد الشركات الصناعيـة التي تسيطر عليها تشكل كتلة اقتصادية ذات شأن اذ ان حجم اعمال الشركات السبع التي تتألف منهـا المجموعة بلغ عام ١٩٧٢ ــ ٢١ مليار دولار يضاف اليها موجودات البنـــك التجاري Western Bancorporation والبالغة ١٥ مليار دولار !

لكن ما يلفت النظر هو ان نشاطات تلك الكتلـة شديدة التمركز في مجالين هما تجارة الاراضي والبناء من جهة والنشاطات المرتبطة بالتسلية والترفيه من جهة اخرى (مسرح ، سينما ، فنادق ، سياحة ، تلفزيون ..) وتكاد المجموعة ان تكون غائبة تماما عن المجالات الصناعية الاساسية لكن وفرة السيولة لديها (بسبب طبيعة نشاطاتها) وسيطرتهـــا على العديد من وسائل الاعلام يجعلها تتمتع بنفوذ سياسي يفوق ثقلها الاقتصادي الفعلي !

ج ــ الصهيونيون المستقلون : ــ

أ ــ امبراطورية نورتون سايمون

خلال السنوات العشر الاخيرة ، بنى الرأسمالي الصهيوني نورتون سايمون مجموعة اقتصادية بلغ حجم اعمالها الاجمالي لعام ١٩٧٢ حوالي ثمانيـة مليارات من الدولارات ، واصبح سايمون ، الدخيل على البرجوازية الكبرى الامريكية التقليدية ، احد اعمدة الرأسمال الصهيوني في الولايات المتحدة . وقد وسع تدريجيا اشغاله في ثلاث اتجاهـــات ــ الصناعات الغذائية ، مواد البناء والسلع المنزلية والصناعة الكيمائية ــ (الارقام بملايين الدولارات).

اسم الشركة	المبيعات الاجمالية (عـام ١٩٧٢)	الارباح	القطـاع
«SWIFT»	٣٬٢٤٠	٣٧	اكبر شركة لانتاج اللحوم في الولايات المتحـدة .
«Norton Simon»	١٬١٠٨	٥٠	مواد غذائية ، مشروبات ، حديد .
«Evans Products»	٩٣٨	٢٨	مواد بناء وسلع منزلية مختلفة .
«Wheeling Steel Corp.»	٦٠٧	١٥	حديد ومنتجات معدنية .
«Wilco Chemical»	٢٩٢	١٢	منتجات كيمائية مختلفة
Max Factor,	٢٠٠	١٧	منتجات تجميلية وعطور
May Department Stores	١٬٤٧٧	٤٨	شبكة كبيرة من المتاجر والمخازن
المجموع العام	٧٬٨٦٢	٢٠٧	

ومن الجدير بالذكر ان اغلب شركات مجموعـة سايمون تملك مساهمات في شركات اسرائيليـة وبالاخص Evans Products و Witco Chemicals, و «Max Factor» وتشتري شركة SWIFT كميات من المنتجات الزراعية الاسرائيلية لكي تصنعها كمـا تشتري «May Department Stores» المعلبات والمنسوجات الاسرائيلية وتبيعها عبر مخازنها العديدة في الولايات المتحـدة .

مجموعة (Massachussets Investment Trust) «MIT»

يسيطر على شركة الاستثمار — MIT ثلاثة من رجال الأعمال الصهاينة وهم ك. جاكس ،ف . شنايدر ،ب . ميلزموف . تعمل شركة MIT بشكل « صندوق مشترك » (Mutural Fund) يوظـف اموال المساهمين — المدخرين في اسهم شركـات صناعية ناجحة تحقق ارباحا سنوية مرضية . وفـي حال بعض الشركات ، اصبحت تملك كمية مـن الاسهم كافية لتأمين سيطرة فعلية عليها مما جعلهـا تشكل نواة مجموعة مستقلة . وتدور الشركـات التالية في فلك

اسم الشركة	حجم الاعمال لعـام ١٩٧٢	الارباح الصافية لعـام ١٩٧٢	مجال عمل الشركة
Continental Oil	٣٬٤١٤	١٧٥	النفط والغاز والبتروكيمياء
C B S	١٬٤٠٣	٨٢	الاذاعة، السينما، التسلية
Union Pacific Railway	١٬٠٦٤	١٠٤	سكك حديدية ونقل
Phelps Dodge	٧٦٥	٨٢	المعادن غير الحديديـة (نحاس ، تصدير ، زنك)
New Mont Mining	٢٧٢	٤٤	الفحم والمناجم
المجمـوع	٦٬٩٤٧	٤٨٧	

من الجدير بالملاحظة ان الشركات التابعة لـ MIT تحقق نسبة مرتفعة من الربح مقارنة بحجم اعمالها. فقد بلغت هذه النسبة ٧٪ بينما هي ٥ر٧٪ في حال الشركات التابعة لبنك Manufacturers Hanover Trust الصهيوني و ٢ر٧٪ في حال الشركات التابعة لبنك Western Bancoporation وهذا الامر طبيعي اذا تذكرنا ان صرف « الصناديق المشتركة » هو بالضبط التوظيف في الشركـات الصناعية الرابحة !

يجب ان نذكر ايضا ان هناك عددا من الرأسماليين الصهاينة يشارك المذكور اعلاه في السيطـرة على الشركات الخمس . تلك هي الحال بالنسبـة لشركة C B S وحال كل من F. Pace, و H.W. J.E. Kircher و Blawelt, بالنسبة لشركة Continental Oil اما شركة Phelps Dodge فهي واقعة تحت النفوذ المشترك لمجموعة MIT ولبنك Manufacturers Hanover Trust .

الرأسمال الصهيوني في قطاع التجارة الداخلية

لقد ذكرنا في الفقرات السابقة الشركات التجارية التي تسيطر عليها كل من كتلة « وول ستريت» وكتلة

نورتون سايمون وتبلغ في مجموعها سبع شركات من ضمنها Sears, Roebuck اكبر شركة تجارية في العالم . وقد بلغت المبيعات الاجمالية للشركات السبع اكثر من ٢٠ مليار دولار ونستعرض الان عددا اخر من الشركات التجارية الكبيرة التي يملكها او يسيطر عليها رأسماليون صهاينة والتي لا ترتبط مباشرة بالكتل الصهيونية الانفة الذكر .

اسم الشركة	المبيعات الاجمالية (عام ١٩٧٢)	المجموع العام الارباح الصافية	المدير العام للشركة
Great Atlantic and Pacific Tea	٦٤٣٦٨	٥٠	William Kane
MARCOR	٣٤٣٦٩	٧٢	Leo H. Shoen Hofen
Lucky Store	١٤٩٨٨	٣٠	William H. Dyer
Food Fair Stores	١٤٩٨٠	١	Louis Stein
W.T. Grante	١٤٦٤٨	٣٧	Edward Staley
City Products	١٤٤٧٧	٣١	George T. Scharfenberger
Supermarkets General	١٤١٩٤	٤	Milton Permulter
Associated Dry Goods	١٤١٣٠	٤٢	Lewis P. Seiler
R.H. Macy	١٤٠٤١	٢٨	Donald B. Smiley
Stop and Shop	٩٩٤	٦	S. Ball
Zayre	٩٣٩	١٠	Stanley Feldberg
Ara Services	٨٤٤	٢٦	David G. Davidson
Arlen Realty and Development Corp.	٨٢٧	٢	Charles C. Basine
Vornado	٧٩٣	١١	Frederick Zissu
Juter State Stores	٦٨٩	— ٤٠	Sol. W. Cautor
Albertson	٦٨١	٧	Joseph A. Albertson
Arden Mayfair	٦٣٢	— ١	Albert J. Grosson
Giant Foods	٥٦٠	٨	Joseph B. Danzansky
Daylin	٤٨١	٩	Amnon Barness
المجموع العام	٢٧٤٦٣٥	٢٤٣	

نستنتج من الجدول السابق ومن المعلومات التي اوردناها سابقا عن سبع شركات تجارية تابعة لمجموعة « وول ستريت » ونورتون سايمون ان الرأسمال الصهيوني في امريكا يسيطر على ٢٦ من اصل اكبر ٥٠ شركة تجارية في الولايات المتحدة وقد بلغت المبيعات الاجمالية للشركات ال ٢٦ في عام ١٩٧٢ — ٥٧٤٧٨٢ مليار دولار اي ٥ر٥٤٪ من مبيعات اكبر ٥٠ شركة تجارية في امريكا (منها ٢٣٪ لشركات « وول ستريت » و ٣٠٪ للشركات المستقلة) ومن ناحية اخرى بلغت الارباح الصافية للشركات ال ٢٦ في نفس العام — ١٢٦ ، ١ مليون دولار اي ٦٠٪ من ارباح اكبر ٥٠ شركة تجارية في امريكا — .

الرأسمال الصهيوني في بعض القطاعات الصناعية:

١) قطاع الصناعات الغذائية والمشروبات :

يلعب الرأسمال الصهيوني دورا رئيسيا في هذا القطاع الذي اصبح حاليا شديد التمركز في الولايات المتحدة . وتضم قائمة اكبر مئتي شركة صناعية في امريكا ٢٦ شركة تعمل اساسا في مجال انتاج المواد الغذائية والمشروبات وتؤمن تلك الشركات الضخمة ما بين ٦٠ و ٧٠ ٪ من جميع ما يعرض على المستهلك الامريكي من ماكولات ومشروبات — وهناك ١٣ شركة من اصل الـ ٢٦ يملكها او يسيطر عليها الرأسمال الصهيوني . نستعرض فيما يلي هذه الشركات الصهيونية حسب اهمية حجم اعمالها . (الارقام بملايين الدولارات) .

اسم الشركة	رقمها في قائمة اكبر مئتي شركة صناعيـــة	المبيعات الاجمالية لعـــام ١٩٧٢ .	الارباح الصافية لعـــام ١٩٧٢ .
Kraft co foods	٢٩	٣٬١٩٦	٨٨
Swift	٢٨	٣٬٢٤٠	٣٧
General foods	٣٩	٢٬٤٢٣	٦٦
Beatrice foods	٤٢	٢٬٣٨٤	٧٧
Coca Cola	٦١	١٬٨٧٦	١٩٠
Consolidated foods	٦٨	١٬٧٩٩	٦٣
United Brands	٧٩	١٬٦٦٨	١٧
Jowa Beef Processors	١١١	١٬٣٨٤	٧
Carnation	١١٥	١٬٢٤٩	٥٥
Heinz	١٢٤	١٬١٥٣	٤٢
Seagram	١٧٧	٧٨٧	٢٣
Pet Milk	١٨١	٧٧٠	١٦
Hormel (GA)	١٩٢	٧١٩	٨
Mayer (O)	١٩٥	٧١٢	١٦
المجموع العام	١٤٤٠	٢٣٬٢٦٠	٧٠٥

نستنتج من الجدول ان الشركات الصهيونيـــة ال ١٣ قد حققت في عام ١٩٧٢ مبيعات بلغت ٢٠ مليار دولار وارباحا صافية بلغت اكثر من ٦٠٠ مليون دولار . وقد حسبنا من ناحية اخرى مـــا تحققه الشركات ال ١٣ الاخرى بلغ ١٣٤٧ مليون دولار كمبيعات اجمالية وحوالي ٥٠٠ مليون دولار كارباح صافية ــ وهكذا تكون الاحتكارات الصـهيونيـــة الضخمة قد امنت عام ١٩٧٢ حوالي ٦٠٪ من حجم اعمال قطاع الصناعات الغذائية والمأكولات فـــي امريكا . ومن المفيد ان نذكر ان ناتج هذا القطـــاع يمثل ١٠٪ من مجمل الناتج الصناعي في امريكا .

نثبت فيما يلي بعض المعلومات حول هويـــة الراسماليين الصهاينة الذين يسيطرون على الشركات الانفة الذكر .

اسم الشركة	رئيس مجلس الادارة	معلومات اضافيـــة
Swift	Robert W. Renerer	اكبر مساهمين: Henry Grown ٦٠٠٬٠٠٠ سهم) الذي يسيطر علـــى شركة General Dynamics الالكترونيـــة الضخمـــة و Jerome Eppler (٢٠٠٬٠٠٠ سهم) مصرفي صهيوني من نيويورك .
General Foods	Chawcey W. Cook	تابعة لكتلة « وول ستريت » الصهيونية .
Beatrice foods	S.J. Bartusch	تسيطر عليها عائلة Bantrych الصهيونية
Coca Cola	J. Paul Austin	اكبر المساهمين هو Abraham Feinberg: احد قادة الحركة الصهيونية في امريكا حيث يرأس « منظمة بيع سندات الخزينة الاسرائيلية » وهو عضو مجلس ادارة « النداء اليهودي الموحد » (V.J.A.) .
Coy olidated foods	Nattrau Cumings	نفسه هو اكبر المساهمين الاتف الذكر . Henry Crown. وهو شريك وصديق Cumings

Eli, M. Black ...	United Brauds
Curier J. Holman	Jowa Beef Processors.
Everett Olson	Carnation
R. Burt ...	Heinz
Ealgar M. Browfran	Seagram
Boyd F. Schenk.	Pet Milk
Moses B. Thompson	Hormel (G.A.)
Oscar G. Mayer Jr.	Mayer (O)

من النجوم الصاعدة Black في عالم الرأسماليين الصهاينة وتضم امبراطورية شركة John Morellco الشركة الرابعة لانتاج اللحوم في امريكا وشركة United Fruits لانتاج الموز . وهذه الشركة الشهيرة تسيطر على اقتصاديات عدة دول في امريكا الوسطى .

لا نملك معلومات تفصيلية عن هذه الشركة

لا نملك معلومات تفصيلية عن هذه الشركة تسيطر على هذه الشركة عائلة Heinz الصهيونية .

تسيطر على هذه الشركة عائلة Brouimau الصهيونية الكندية .

لا نملك معلومات تفصيلية عن هذه الشركة
لا نملك معلومات تفصيلية عن هذه الشركة
تسيطر على هذه الشركة عائلة : Mayer الصهيونية .

نود اخيرا ان نعطي فكرة موجزة عن الدور ومكانة الشركات الصهيونية في بعض الفروع الرئيسية من قطاع الصناعات الغذائية .

— ففي فرع اللحوم (الطازجة والمجففة) تؤمن ٦ شركات كبرى حوالي ٨٠٪ من حاجات السوق الامريكي ونوردها فيما يلي مرتبة حسب اهميتها : Armour, Wilson, (صهيونية) ، Swift, John Morell Eco, (صهيونية) ، Jowa Beef Processors, (صهيونية) ، Mayer. (صهيونية) .

ونستطيع القول ان الشركات الصهيونية تسيطر على اكثر من ٥٠٪ من السوق الامريكي للحوم .

وفي فرع المنتجات الحليبية (اجبان ، البان ، زبدة ...) تؤمن ٤ شركات كبرى حوالي ٧٠٪ من حاجات السوق الامريكي ونوردها فيما يلي مرتبة حسب اهميتها — Beatrice Foods, (صهيونية) ، Borden, Foremost, Laud 'O' Lake Creamerier.
وقد بلغت مبيعات الشركات الاربع ٦٫٥ مليار دولار فيمكننا القول ان الشركة الصهيونية تؤمن ٢٠ الى ٢٥ ٪ من حاجات السوق الامريكية للالبان والاجبان .

وفي فرع المنتجات الغذائية الحبوبية ، تؤمن ٤ شركات ضخمة ٩٠٪ من حاجات السوق الامريكية وهي بالترتيب : General Foods, (صهيونية) ، General Mills, Quaker Oats, Kellog. وقد بلغت مبيعات الشركات الاربع ٢ر٥ مليار دولار وبلغت مبيعات الاولى بمفردها ٢٫٤٢ مليار دولار . فيمكننا القول ان الشركة الصهيونية تؤمن اكثر من ٤٠٪ من السوق الامريكية للمنتجات الغذائية الحبوبية .

وفي فرع المشروبات (كحول ومرطبات) تؤمن ٧ شركات ضخمة ٨٠٪ من حاجات السوق الامريكية وهي بالترتيب : Coca Cola, صهيونية) ، American Brands, United Brands, Pepsi Cola, Standard Brands, (صهيونية) Seagram Jos. Sdultz Bewing, (صهيونية) (صهيونية) .

تبلغ مبيعات الشركات السبع ٩ر٢ مليار دولار ومبيعات الشركات الصهيونية الاربع ٤ر٩ مليار دولار ، فتكون الشركات الصهيونية قد استأثرت بـ ٤٥٪ من السوق الامريكية للمشروبات .

ولا بد ان نذكر ختاما ان هناك ثلاثة فروع هامة يلعب فيها الرأسمال الصهيوني دورا ثانويا الا وهي فروع الحليب والخبز والبسكر . وتتميز هذه الفروع بهيمنة رأسمال ذو اصل زراعي ومن المعروف انه لم يكن للرأسمال الصهيوني دور يذكر في الزراعة

الامريكيـــة .

خلاصة القول ان قطاع الصناعات الغذائيـــة والمشروبية هو احدى المجالات الاقتصادية الامريكية التي يهيمن عليها الرأسمال الاحتكاري الصهيوني بشكل واضـــح .

قطاع النسيج والالبسة :

لا يزال هذا القطاع التقليدي قليل التمركز اذ لا يضم سوى اربع شركات فقط تقع ضمن اكبـر مئتي شركة صناعية في امريكا وقد نشط الرأسمال الصهيوني منذ اجل بعيد في هذا القطاع ولا يزال يهيمن عليه حاليا هيمنة شبه تامة . يسيطـــر الرأسمال الصهيوني على سبع شركات من اصـــل اكبر عشر شركات تعمل في مجال النسيـــج والالبسة : —

اسم الشركة	قائمة اكبر ٥٠٠ شركـــة	المبيعات الاجمالية لعـــام ١٩٧٢ .	الارباح الصافية لعـــام ١٩٧٢ .
Celamese	(١٠٥)	١٤٢٨٤	٤٤
J.P. Stevens	(١٤٨)	٩٥٧	٥٤٨
United Merchants & Manufacturers	(١٧٨)	٧٨٧	١٥٤٣
Cluert Peabody	(٢٤٦)	٥٤٧	١٣٤٦
Kayser — Roth	(٢٥٤)	٥١٨	١٢
Levi Straus	(٢٦٠)	٥٠٤	٢٥
Lowe Lowen Stein & Sons	(٢٧٣)	٤٦٩	٦
		٥٤١٦٧	١٢٢٤٤

وحول هوية الرأسماليين الصهاينة الذين يسيطرون على الشركات السبع نورد المعلومات التالية : —

اسم الشركة	رئيس مجلس الادارة	معلومات أخرى
Celanese	William Brooks	هذه الشركة تابعة لنفوذ البنك الصهيوني United California Bank
J.P. Stevens	James O. Finley	هذه الشركة تابعة لنفوذ بنك : — Manufacturers Hanover Trust
United Merchants & Manufacturers	Merwin R. Haskel	كبار المساهمين هم عائلة Schwab والرأسماليين الصهاينة : — L. Max (&) P.I. Lavan.
Clnett Peabody	Henry Henley J.	هذه الشركة تابعـــة لكتلة « وول ستريت » الصهيونية .
Kayser Roth	Abraham Feinberg	Feinberg نفسه اكبر مساهم في الشركـــة وهو احد قادة الحركة الصهيونية في امريكا .
Levi — Strauss	Walter Haas	لا تزال عائلة Levis Straus الصهيونية تسيطر على الشركة .
Lowenstein & Son	Robert Bendleim	لا تزال عائلة Lowenstein الصهيونية تسيطر على الشركة .

قطاع الكيمياء الاساسية : —

تؤمن عشر شركات كبرى اكثر من ٨٠٪ مـــن انتاج هذا القطاع وقد بلغت المبيعات الاجماليـــة لهذه الشركات عام ١٩٧٢ — ١٧٠٥ مليار دولار . ويسيطر الرأسمال الصهيوني على شركتين مـــن اصل الشركات العشر : —

اسم الشركة	المبيعات	الارباح
Union Carbide.	٣،٢٦١	٢٠٥
Monsanto.	٢،٢٢٥	١٢٢
	٥،٤٨٦	٣٢٧

ونستنتج من هذا الجدول ان مبيعات الشركتين الصهيونيتين تمثل ٣١٪ من مبيعات الشركات العشر وتأتي الشركتين في المرتبة الثانية والرابعة بعد شركتي : Dow & E.J. Dupout Chemical.. (الاولى والثالثة) .

يرأس مجلس ادارة Union Carbide F. Perry Wilson, وتقع الشركة ضمن دائرة النفوذ المباشرة للبنك الصهيوني Manufacturers Hanover Trust وبرأس مجلس ادارة شركة Monsanto Edward J. Bock, ويملك هذا الرأسمال الصهيوني ، الى جانب مؤسس الشركة Queeny Monsanto كمية هامة من اسهم الشركة . كما ان البنك الصهيوني Goldman, Sacks يتمتع بنفوذ واسع على الشركة المعنية .

قطاع الصناعات الكيمائية المركبة :

يتضمن هذا القطاع الشركات التي تصنع وتركب المواد الكيمائية وتنتج سلعا وموادا للاستعمالات الشخصية والمنزلية — ويتألف القطاع من الفروع الاساسية التالية : فرع صناعة الادوية ، فرع صناعة الصابون والمواد المنظفة ، فرع صناعة العطور وسائر المواد التجميلية .

تؤمن ٢٧ شركة صناعية كبيرة اكثر من ٩٠٪ من انتاج هذا القطاع . وقد بلغت مبيعات تلك الشركات لعام ١٩٧٢ ٢٦،٥ مليار دولار — امنا الرأسمال الصهيوني ، فسيطر على ٨ من تلك الشركات حققت عام ١٩٧٢ مبيعات قدرها ١٠،١ مليار دولار اي ٣٨٪ من مجمل مبيعات الشركات السبع والعشرين .

نثبت فيما يلي قائمة بالشركات الصهيونية الثماني مرتبة حسب اهميتها : —

اسم الشركة	المبيعات الاجمالية لعام ١٩٧٢ .	الارباح الصافية	رقم الشركة في قائمة اكبر ٥٠٠ شركة صناعية
Procter and Gawble	٣،٥١٤	٢٧٦	(٢٠)
Colgate — Palmolive	١،٨٠٧	٦٧	(٦٧)
American Home Products	١،٥٨٧	١٧٥	(٨٤)
Bristol — Myers	١،٢٠١	٨٤	(١١٩)
Eli Lilly	٨١٩	١٢٦	(١٧٢)
Revon	٤٤٠	٣٧	(٢٨٧)
Miles Laboratories	٣٢٥	١٥	(٣٧٣)
Baxter Laboratories	٢٧٨	٢٢	(٤٠٨)
Max Factor	٢٠٠	١٧	
	١٠،١٧١	٨٣٩	

حول هوية الرأسماليين الصهاينة الذين يسيطرون على الشركات المذكورة فيما يلي بعض المعلومات :—

اسم الشركة	رئيس مجلس الادارة	معلومات اضافية
Procter & Gamble	Howard J. Morgens	لا تزال عائلات Procter و Cummingham تملك مجموعات كبيرة من الاسهم & Gamble الى جانب Morgens نفسه . ويملك بنك Goldman, Sacks الصهيوني النيويوركي نفوذا كبيرا على الشركة .

Colgate-Palmolive	David R. Foster	تقع الشركة في دائرة نفوذ بنك : Manufacturers Hanover Trust نفس وضع الشركة السابقة .
American Home Products.	William F. Haporte	
Bristol — Myers	Gowin K. MacBain	
Eli Lilly	Eugene Beesley	Eli Lilly الرأسمالي الصهيوني الذي اسس الشركة لا يزال اكبر المساهمين .
Revlon	Charles Revson	عائلة Beyson الصهيونية تملك اكبر مجموعة من الاسهم .
Mils Laboratories		
Baxter Lab.	William B. Graham	
Max Factor		

الى جانب تامينها ٣٨٪ من انتاج قطاع الصناعات الكيمائية المركبة تتميز مجموعة الشركات الصهيونية بانها تضم اكبر شركة امريكية لانتاج الادوية (American Home Products) واكبر شركة امريكية لانتاج الصابون والمعاجين الصحية (Colgate — Palmolive) واكبر شركة امريكية لانتاج المنظفات والمواد التجميلية (Procter & Gamble)

لا بد ايضا ان نذكر ان قطاع الصناعات الكيمائية المركبة يتميز بنسبة ارباح مرتفعة جدا مقارنة مع القطاعات الصناعية الاخرى ، فبينما بلغ معدل الربح السنوي على الرأسمال ١٠،٣٪ في مجمل الصناعات الأمريكية وصل هذا المعدل في فرع الادوية الى ١٥،٣٪ وفي فرع الصابون والمواد التجميلية الى ١٦٪ (وتلك هي اعلى نسبة حققها فرع صناعي امريكي) وبالطبع تحقق الشركات الصهيونية العاملة في هذا الفرع نسبا مرتفعة جدا من الربح على الرأسمال وقد وصلت هذه النسبة في حال شركة American Home Products الى ٢٦،٣٪ عام ١٩٧٢ !

قطاع المعادن غير الحديدية :

يتضمن هذا القطاع الشركات التي تنتج المعادن غير الحديدية كالالمنيوم والنحاس والرصاص والقصدير وغيرها من المعادن التي تدخل بكثير من المركبات والالات والسلع التي تنتجها الصناعة الحديثة — وفي كثير من المجالات تتضاءل اهمية الحديد والصلب وتحل تدريجيا مكانهما احدى المعادن غير الحديدية .

تسيطر ١٢ شركة كبيرة على ثلاثة ارباع اعمال هذا القطاع الصناعي النشط وقد بلغت المبيعات الاجمالية لتلك الشركات في عام ١٩٧٢ ١٠،٣ مليار دولار . وهناك سبع شركات من اصل الـ ١٢ يملكها او يسيطر عليها الرأسمال الصهيوني . نستعرض فيما يلي هذه الشركات الصهيونية حسب اهمية حجم اعمالها : —

اسم الشركة	رقمها في قائمة اكبر مئتي وخمسين شركة صناعية	المبيعات الاجمالية لعام ١٩٧٢ .	الارباح الصافية
Reynolds Metals	١٢٣	١٦١٦٢	٠،٦١
Kennecott Copper	١٢٥	١٦١٤٥	٤٧
Kaiser Aluminium & Chemical	١٤٢	٩٩٠	١٥
Chromalloy American	٢٤٨	٥٤١	٢٠
American Metal Climax.	١٦٦	٨٦٤	٦٦
American Smelting refining	١٧٣	٨١٤	٤٩
Plelps Dodge	١٨٣	٧٦٥	٨٢
		٦٦٢٨٠	٢٧٩

نستنتج من الجدول ان الشركات الصهيونية السبع قد حققت في عام ١٩٧٢ مبيعات بلغت ٦،٣ مليار دولار — وهكذا تكون الاحتكارات الصهيونية قد امنت في هذا العام حوالي ٦٠٪ من حجم اعمال قطاع المعادن غير الحديدية . ومن المفيد ان نذكر ان ناتج هذا القطاع يمثل حوالي ٤٪ من مجمل الناتج الصناعي الامريكي .

نثبت فيما يلي بعض المعلومات حول هوية الرأسماليين الصهاينة الذين يسيطرون على الشركات الآنفة الذكر :

اسم الشركة	رئيس مجلس الادارة	معلومات اضافية
Reynolds Metal	Richards Reynolds	رغم نفوذ عائلة Reynold المستمرة فان هذه الشركة تقع في فلك البنك الصهيوني : Manufacturers Hanover Trust
Kenne Cott Copper	Frank Milliken	اكبر المساهمين عائلة : Guggenheim الصهيونية
Kaiser Aluminium & Chemicals	Thomas J. Ready	اغلبية اسهم الشركة ملك لعائلة : Kaiser الصهيونية .
American Metal Climax	Ian McGregor	اكبر المساهمين عائلة Hoschschild الصهيونية وتقع الشركة في دائرة نفوذ كتلة « وول ستريت» الصهيونية .
American Smelting Refining	Charles F. Barker	اكبر المساهمين عائلتي : — Strawss & Guggenheim الصهيونيتين .
Phelps Dodge	George B. Munroe	هذه الشركة في دائرة نفوذ البنك الصهيوني : Manufacturers Hanover Trust
Chrom ... American	Joseph Friedman	لا نملك معلومات تفصيلية عن هذه الشركة .

نود اخيرا ان نعطي فكرة موجزة عن دور الشركات الصهيونية في فرعين رئيسيين من قطاع المعادن غير الحديدية . ففي فرع الالمنيوم تؤمن ثلاث احتكارات ٩٠٪ من انتاج الولايات المتحدة ونوردها حسب اهميتها Alcoa, Reynolds (صهيونية) ، Kaiser (صهيونية) ، وقد حسبنا ان الشركتين الصهيونيتين تسيطران على ٥٠ الى ٥٥٪ من السوق الامريكية للالمنيوم .

وفي فرع النحاس تؤمن اربع احتكارات كبيرة ايضا ٦٠٪ من الانتاج الامريكي للنحاس وهذه الاحتكارات هي : Kene Cott Copper (صهيونية) ، Phelps Dodge (صهيونية) ، American Smelting & Refining. (صهيونية) ، وقد بلغت مبيعات الشركات الصهيونية ٢،٧ مليار دولار مقابل مليار هي مبيعات للشركات غير الصهيونية ، وهكذا تكون الشركات الصهيونية قد امنت في عام ١٩٧٢ ٥٥ الى ٦٠٪ من الانتاج الامريكي من النحاس .

قطاع الصناعات الكهربائية والالكترونية :

يشكل قطاع الصناعات الكهربائية والالكترونية اكثر قطاعات الصناعة الامريكية حداثة واسرعه نموا ، خاصة في السنوات العشرين الاخيرة . ويعتمد هذا القطاع اساسا على النمو الهائل للقدرات العلمية والتكنولوجية كما يعتمد على حاجات الالة الحربية الامريكية ومستلزمات عملية غزو الفضاء ، ولكن دون الاستهانة بالسوق التي اصبحت تمثله « الالكترونيات المنزلية » (تلفزيونات ، ادوات منزلية ومكتبية مختلفة) .

لم يستطع الرأسمال الصهيوني ان يلعب دورا بارزا في الثورتين الصناعيتين الاولى (حديد ، فحم ، نسيج) والثانية (نفط ، صناعة تعدينية ، كيمياء اساسية) . لكنه وظف بكثافة خلال الثورة الصناعية الثالثة (ادوات كهربائية ، الكترونيات ، طاقة نووية) التي اجتاحت العالم الرأسمالي في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية . واليوم اصبح ناتج قطاع الكهرباء والالكترونيات يشكل اكثر من ١٥٪ من الناتج السنوي الاجمالي للصناعة الامريكية وهذه النسبة مرشحة لان تزيد في السنوات المقبلة .

ثماني عشرة شركة من اصل اكبر مئتي شركة صناعية في امريكا تنشط اساسا في مجال المنتجات الكهربائية والالكترونية ، وتؤمن هذه الشركات الضخمة اكثر من ٧٠٪ من الانتاج الاجمالي لهذا القطاع . يسيطر الرأسمال الصهيوني على تسعة من هذه الشركات الثماني عشرة نوردها فيما يلي حسب حجم اعمالها .

اسم الشركة	رقمها في قائمة اكبر مئتي شركة صناعية	المبيعات الاجمالية لعام ١٩٧٢ .	الربح الصافي لعام ١٩٧٢ .
Westinghouse	١٤٠	٥٤٠٨٦	١٩٨
R C A	١٩	٣٤٨٣٨	١٥٨
Xerox	٤٠	٢٤٤١٩	٢٥٠
Sperry Rand	٦٥	١٤٨٢٣	٥٨
Bendix	٧١	١٤٧٧٦	٥٦
Whirlpool	٩٧	١٤٤١٦	٦٨
Motorola	١٢٢	١٤١٦٣	٥٢
Zenitte Radio	١٧٦	٧٩٥	٤٨
Emerson Electric	١٨٤	٧٦٤	٦٣
		١٩٤٠٩٠	**٩٥١**

نستنتج من هذا الجدول ان المبيعات الاجمالية للشركات الصهيونية التسع قد بلغت ١٩ مليار دولار بينما بلغت مبيعات الشركات الثماني عشرة ٥٠ مليار دولار . يمكننا اذا ان نعتبر ان الشركات الصهيونية تستأثر بحوالي ٣٨٪ من سوق السلع الكهربائية والالكترونية .

R C A تؤمن اكثر من ٧٥٪ من الانتاج الامريكي للمصابيح الكهربائية وتسيطر على سوق التلفزيونات وان شركة Xerox تهيمن هيمنة تامة على سوق الة تصوير المستندات Photocopy وان شركة Zenitte هي اهم شركة منفردة لانتاج الراديوات في امريكا .

من ناحية اخرى من المفيد ان نذكر ان شركة

ولكن ، من هم الرأسماليون وما هي المجموعات الصهيونية التي تقف وراء هذه الشركات ؟ :

اسم الشركة	رئيس مجلس الادارة	معلومات اضافية
Westinghouse	Edward S. Reddig	اكبر المساهمين هما الرأسمالي الصهيوني : Harold Perlman (١٦٥٤٠٠٠ سهم) والصهيوني Jules Stein
R. C. A.	Robert Sarnoff	الشركة تقع في دائرة نفوذ « كتلة وول ستريت الصهيونية » من كبار المساهمين الصهاينة : Maitin B. Seretan الذي يرأس احد اكبر الشركات الامريكية لانتاج السجاد Coronet Judustries و JulienGoodman الذي يرأس شبكة التلفزيون N B C و Donald B.Smiley الذي يرأس شبكة المخازن الكبرى R.H. Macy والبيوتات المالية الصهيونية : Lehman Brothers & Lazard Frères
Xerox	C. Peter McColough	اكبر المساهمين هو البليونير الصهيوني : Max Palevski

S. Perry Raud	James F. Forster	هذه الشركة تقع في دائرة نفوذ كتلة « وول ستريت » الصهيونية .
Bendix	H. Blumenthal	
Whirlpool	John M. Platts	اكبر المساهمين هي شركة Seas Rabuck الصهيونية وهي اكبر شركة تجارية في امريكا .
Motorola	Robert W. Calvin	يسيطر عليها الرأسمالي الصهيوني R.W Galvin (١٧،٧٪ من الاسهم) .
Zenitte Radio	Joseph S. Wright	
Emerson Electric	Wallace R. Persons	تسيطر على هذه الشركة عائلة Symington الصهيونية (وابرز اعضاءها السيناتور الصهيوني) : Stuart Symington

قطاع النفط ومشتقاته :

يلعب هذا القطاع دورا هاما في الاقتصاد الامريكي وتعد شركات النفط الكبرى من اهم واضخم الشركات الصناعية في امريكا والعالم . ويلعب الرأسمال الصهيوني دورا ثانويا في هذا القطاع اذ انه لا يسيطر سوى على اربع شركات نفط هي :

اسم الشركة	رقمها في قائمة اكبر ٢٠٠ شركة	المبيعات الاجمالية لعام ١٩٧٢ .	الارباح الصافية لعام ١٩٧٢ .
Standard Oil of Indiana	١٥	٤،٥٠٢	٣٧٤
Continental Oil	٢٤	٣،٤١٤	١٧٠
Signal Companies	٩٦	١،٤٣٨	٤٠
Amerada Hess	١٠٧	١،٣٣٣	٢٦
		١٠،٦٨٨	٦١٠

رغم ان شركتي Continental (&) S. Oil of Indiana هما خامس وسادس شركة نفط في امريكا فان مجموع مبيعات الشركات الصهيونية الاربع والبالغ عشرة مليارات من الدولارات لا يمثل سوى ١٣٪ من مجموع مبيعات اكبر عشرين شركة نفط في امريكا والبالغ ٧٧ مليار دولار (يؤمن تلك الشركات اكثر من ٩٠٪ من انتاج القطاع) واكثر من ذلك فان المبيعات الاجمالية للشركات الصهيونية الاربع لا تمثل سوى ٢٢٪ من مجموع مبيعات اكبر اربع شركات نفط في امريكا (والعالم) والبالغ ٤٤ مليار دولار ! (هذه الشركات هي : (Mobil Oil, Exxon, Gulf Oil, Texaco من الذي يقف وراء الشركات الصهيونية الاربع ؟

اسم الشركة	رئيس مجلس الادارة	بعض المعلومات الاضافية
Standard Oil of Indiana	John E. Swearingen	اكبر المساهمين البليونير الصهيوني Blaustein
Continental Oil	John G. McHean	تسيطر على الشركة مجموعة من الرأسماليين الصهاينة : K.L. Isaacs, P. Malozemoff J.E. Kincher, H.W Blauvelt F. Pace وغيرهم .
Signal Companies	F.N. Shum Way	اكبر المساهمين الرأسمالي الصهيوني : S.B. Mosher
Amerada Hess	Leon Hess	اكبر المساهمين الرأسمالي الصهيوني : Leon Hess

حول بعض الشركات الصناعية الصهيونية الاخرى :

يلعب الرأسمال الصهيوني دورا هامشيا في بعض القطاعات الصناعية الهامة خفيفة كانت (كالورق والخشب والزجاج والتبغ) ام ثقيلة (الحديد والصلب ، تحويل المعادن ، الالات والتجهيزات المعدنية ، الطائرات والفضاء ، والاسلحة الحديثة) وفي كثير من تلك القطاعات لا تتعدى حصة الشركات الصهيونية ١٠٪ من ناتج القطاع . رغم ذلك فان الرأسمال الصهيوني يسيطر على بعض الشركات الكبرى التي تعمل في هذه المجالات :

اسم الشركة	رقمها في قائمة اكبر ٢٠٠ شركة صناعية امريكية .	المبيعات الاجمالية لعام ١٩٧٢ .	الارباح الصافية لعام ١٩٧٢ .
Chrysler	٥	٩٬٧٥٩	٢٢٠
Continental Can.	٤٩	٢٬١٩٢	٣٩
Owens Illinois	٨١	١٬٦٣٦	٦٩
Singer :	٤٧	٢٬٢١٧	٨٧
General Dynamics	٨٧	١٬٥٣٩	٢٤
Inland Steel	٩٣	١٬٤٦٩	٦٦
Bab Cox & Wilcox		٩٥٥	٢٥
		١٩٬٧٤٦	٦٠٢

من الجدير بالملاحظة بالنسبة لتلك الشركات ان Continental Can. هي ثاني اكبر شركة امريكية لانتاج غلافات وعلب المواد الغذائية المجففة و Singer اكبر شركة في العالم لانتاج الات الخياطة وOwens Illinois ثاني شركة امريكية لانتاج الزجاج ، و General Dynamics من اكبر الشركات الامريكية لانتاج الطائرات والسفن الحربية ... وحول هوية الرأسماليين الصهاينة الذين يقفون وراء هذه الشركات نورد المعلومات التالية : —

اسم الشركة	رئيس مجلس الادارة	بعض المعلومات
Singer	Donald P. Kincher	لا تزال تسيطر على الشركة عائلة : Singer الصهيونية الامريكية .
Continental Can.	Robert S. Hat Field	هذه الشركة تقع في دائرة نفوذ كتلة « وول ستريت » الصهيونية .
Owens Illinois	Raymon H. Mufford	نفس الملاحظة السابقة مع ذكر للنفوذ المستمر الذي تتمتع به عائلة Levi الصهيونية .
General Dynamics	David Levis	يسيطر عليها البليونير الصهيوني: Henry Crown بالتعاون مع شريكه الصهيوني : — Nathan Cumings رئيس مجلس ادارة : — Consolidated Foods
Ivland Steel	Frederick G. Jaicks	يسيطر عليها الرأسماليون الصهاينة : K.L. Isaacs– F. Schneides P. –Malozemof.
Kraft co Corp.	William O. Beers	تقع هذه الشركة في دائرة نفوذ بنك : Manufacturers Hanover Trust

بعض الاستنتاجات حول مركز ودور الرأسمال الصهيوني في الاقتصاد الامريكي :

لا بد لنا الان من ان نحاول اجمال وتلخيص التحليل التفصيلي الذي قدمناه فيما سبق للدور الذي يلعبه الرأسمال الصهيوني في مختلف قطاعات وفروع الاقتصاد الامريكي :

الكتـــل الصهيونية

سوف نبدأ بتقديم جدول يوجز الثقل الاقتصادي النسبي للكتل الصهيونية التي تملك كيانا مستقلا والتي تعرضنا لها في مجرى هذا الفصل ، مع توزيع حجم اعمالها حسب القطاعات الاقتصادية الرئيسية:

الكتلـــة	مـــال	تجارة	نقـــل	خدمـــات	صناعـــة	المجمـــوع
« وول ستريت » Manufacturer		١٨٬٦٧٠	١٬٦٧٠		١٧٬١٥٦	٣٧٬٤٩٦
Hanover Trust	٢٠٬٧٥٨				٢٤٬٢٥٩	٤٥٬٠١٧
Western Bancorporation California	١٥٬٢١٤			٥٬٢٤١	٢٬٨٢١	٢٣٬٢٧٦
Group	١٣٠٬٥٧					١٣٠٬٥٧
Norton Simon		١٬٤٧٧			٦٬٣٨٥	٧٬٨٦٢
M I T			١٠٬٩٤	١٬٤٠٣	٤٬٤٥٠	٦٬٩٤٧
المجموع العام	**٤٩.٢٩**	**٢٠٬١٤٧**	**٢٬٧٦٤**	**٦٬٦٤٤**	**٥٥٬٠٧١**	**١٣٤٬٦٥٥**

نستنتج من الجدول السابق الملاحظات الاساسية التالية :

١ — لا تزال البيوتات المالية الكبرى في نيويورك (والتي ذكرناها في بداية هذا الفصل) القطب الاساسي للراسمال الصهيوني الامريكي بالفعل فان حجم الاعمال الاجمالي للشركات التابعة لهذا القطب مباشرة او عبر بنك Manufacturers Hanover ، يبلغ اكثر من ٧٢ مليار دولار اي من مجمل حجم اعمال الكتل الصهيونية المذكورة .

٢ — تشكل مجموعة « كاليفورنيا » بشقيها ، (الشركات الثلاث) Western Bancorporation القطب الثاني من حيث الاهمية اذ يبلغ حجم اعمالها الاجمالي اكثر من ٣٦ مليون دولار اي ٢٠٪ من مجمل حجم اعمال الكتل الصهيونية .

٣ — يمكننا من ثم ان نستنتج ان الراسمال الصهيوني في امريكا يتمركز اساسا بين ايدي البرجوازية اليهودية الكبرى في نيويورك والتي دخلت الى صفوف الطبقة الحاكمة الامريكية في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن. لكن بدأ ينمو في الطرف الثاني من الولايات المتحدة ، في جنوب كاليفورنيا ، وفي الاربعينات والخمسينات من هذا القرن ، قطب صهيوني اخر يرتكز على صناعات التسلية والترفيه على البناء والمقاولات ، على النشاطات المصرفية والتأمينية . ومن ناحية اخرى برز في السنوات العشر الاخيرة صهاينة مستقلون حديثو النعمة استطاعوا ان يبنوا لانفسهم بسرعة امبراطوريات لا بأس بحجمها وبسرعة نموها (منهم Norton Simon مجموعة الـ — Sanl Steinberg — Eli M. Black — M.I.T. وغيرهم) .

٤ — تحتل النشاطات التجارية والمالية حيزا من اعمال الكتل الصهيونية يفوق بشكل ملحوظ الحيز الذي تحتله تلك النشاطات في الاقتصاد الامريكي عامة . ولكن لا بد ان نؤكد ان هذا الحيز اقل مما اعتادت ان تصوره الاوصاف التقليدية للنشاطات الاقتصادية الصهيونية . ولا بد ان نشير ايضا الى ان النشاطات الصناعية تستأثر بالحيز الأساسي من اعمال الكتل الصهيونية الجديدة الصاعدة . واخيرا اذا اردنا ان نأخذ فكرة عن مكانة اكبر كتلة صهيونية مكونة (كتلة وول ستريت — منفكترز) . بين الكتل الاقتصادية الرئيسية في امريكا يأتي الترتيب على الشكل التالي :

	المبيعات الصناعية	الموجودات المالية	المجموع
كتلة « روكفلر »	٥٣	٨٠	١٣٣
كتلة « مورغان »	٥٤	٣٣	٨٧
كتلة « وول ستريت» منفكترز الصهيونية	٤١	٢٠	٦١
كتلة «ملون ـ دوبون»	٢٥	١٠	٣٥
مجموع الكتل الاربع	**١٧٣**	**١٤٣**	**٣١٦**

التوزيع القطاعي للرأسمال الصهيوني

في الجدول التالي نحاول ان نعطي فكرة شاملة عن **التوزيع القطاعي للرأسمال الصهيوني** موجزين التحليل الذي قمنا به في هذا الفصل لاهم القطاعات الاقتصادية التي يتواجد فيها هذا الرأسمال ولا بد بالتذكير ان هذا الجدول يأخذ بعين الاعتبار ليس فقط الشركات التابعة للكتل الصهيونية المحددة (كما ظهرت في الجدول السابق) بل مجمل الشركات التابعة للرأسمال الصهيوني بما فيها العديد من الشركات التي يسيطر عليها رأسماليون صهاينة افراد او عائلات والتي لا ترتبط مباشرة بأي من الكتل التي استكشفنا معالمها ـ يهدف الجدول اذا الى اعطاء صورة اجمالية لمكانة الرأسمال الصهيوني في الاقتصاد الاميركي وفي قطاعاته الاساسية :

القطاع الصناعي :

الفرع	عدد الشركات الكبرى	عدد الشركات الصهيونية	مبيعات الشركات الصهيونية	ارباح الشركات الصهيونية	حصتها من حجم اعمال الفرع .
المواد الغذائية والمشروبات	٢٦	١٣	٢٣،٢٦٠	٧٠٥	٦٥٪
نسيج والبسة	١٠	٧	٥،١٦٧	١٢٢	٦٠٪
المعادن غير الحديدية	١٢	٧	٦،٢٨٠	٢٧٩	٥٠٪
الصناعات الكهربائية والالكترونية	١٨	٩	١٩،٠٩٠	٩٥١	٣٨٪
الصناعات الكيمائية المركبة	٢٧	٨	١٠،١٧١	٨٣٩	٣٨٪
الصناعات الكيمائية الاساسية	١٠	٢	٥،٤٨٦	٣٢٧	٣١٪
النفط	٢٠	٤	١٠،٦٨٨	٦١٠	١٣٪
صناعات مختلفة	ـــ	٦	١٩،٧٤٦	٦٠٢	ـــ
مجموع القطاع الصناعي		**٥٦**	**٩٩،٨٨٨**	**٤،٤٤٠**	

نود اولا ان نعطي الايضاحات التالية :

١ ـ المقصود « بالشركات الكبرى » (في العمود الثاني) هو عدد من الشركات تؤمن في الفرع المعني اكثر من ٧٠٪ من حجم الاعمال الاجمالي . ان كبر او صغر هذا العدد يشير الى مدى تمركز هذا القطاع ودرجة نزوعه الى وضع شبه احتكاري .

٢ ـ المقصود « بالشركات الصهيونية » (في العمود الثالث) هو هذا القسم من « الشركات الكبرى » الذي يسيطر عليه الرأسمال الصهيوني .

٣ ـ ان النسب الواردة في العمود الاخير ليست بالطبع سوى تقديرات تهدف الى اعطاء فكرة واضحة عن الحصة التي تستأثر بها الشركات الصهيونية من الانتاج الاجمالي للفرع المعني .

وبعد هذه الايضاحات ننتقل الى الملاحظات الأساسية :

١ ـ يتوزع التواجد الصهيوني في القطاع الصناعي الاميركي اساسا على ثلاثة محاور : الصناعات الخفيفة التقليدية (مواد غذائية + نسيج) حيث تبلغ مبيعات الشركات الصهيونية

٢٨ مليار دولار اي ٢٨٪ من مجمل مبيعات الشركات الصناعية الصهيونية .

— الصناعات الكهربائية والالكترونية (فرع حديث العهد وسريع النمو) حيث تبلغ المبيعات ١٩ مليار دولار اي ٢٢٪ من مجمل مبيعات الشركات الصناعية الصهيونية .

— الصناعات الكيمائية بمختلف مراحلها حيث تبلغ المبيعات ١٥،٥ مليار دولار اي ١٥،٥٪ من مجمل مبيعات الشركات الصناعية الصهيونية .

هكذا تكون حصة هذه المحاور الثلاثة من مجمل القطاع الصناعي الصهيوني ٦٥٪ من المبيعات .

بالطبع مقابل هذا التمركز في القطاعات الثلاثة ، نلاحظ غياب او ضعف الرأسمال الصهيوني في قطاعات لا تزال تلعب دورا بالغ الاهمية في الصناعة الامريكية ومنها ، الحديد والصلب ، تحويل المعادن ، صناعة الالات والمكينات ، انتاج السيارات والطائرات والسفن ، صناعة النفط ، صناعة الأسلحة ، والخشب والورق، الكوتشوك ومشتقاته الاسمنت . ولا نقول بالطبع انه لا توجد شركات صهيونية تعمل في هذه المجالات لكن تقديراتنا هي ان حصتها من ناتج القطاعات المذكورة لا تتعدى العشرة في المئة في احسن الاحوال .

القطاع التجاري :

يسيطر الرأسمال الصهيوني ، عبر كتلة او عبر الرأسماليين الصهيونيين المستقلين على ٢٦ شركة كبرى للتسويق والتوزيع والتجارة الداخلية . وتقع هذه الشركات جميعا ضمن عداد اكبر ٥٠ شركة تجارية في الولايات المتحدة !!

في عام ١٩٧٢ حققت هذه الشركات الصهيونية مبيعات بلغت ٥٧ مليار دولار وارباحا صافية بلغت ١،٢٢٦ مليون دولار . وبذلك تكون قد استأثرت بـ ٥،٥٪ من مبيعات و بـ ٦٠٪ من ارباح اكبر ٥٠ شركة تجارية في امريكا .

يمكننا اذا ان نستنتج بصورة شبه مؤكدة ان الرأسمال الصهيوني يسيطر على حصة من التجارة الداخلية الامريكية تتراوح ما بين ٥٠٪ و ٦٠٪ . ويشكل هذا التواجد الكثيف في القطاع التجاري احدى السمات التقليدية للرأسمال الصهيوني مع الاخذ بعين الاعتبار ان هذا النشاط لم يعد منذ وقت بعيد يمارس على مستوى المتجر او الشركة الصغيرة بل اصبح يتمركز في مؤسسات ضخمة تملك مئات المخازن والمتاجر الكبرى الموزعة عبر الولايات المتحدة . ولا يقل حجم اعمال او مستوى ارباح هذه الشركات عن حجم اعمال وارباح الشركات الصناعية والمصارف الكبرى بل يتعداها في بعض الاحوال .

من الجدير بالذكر ايضا ان كتلة « وول ستريت» تتميز عن الكتل الصهيونية الاخرى بامتلاكها شركات تجارية تؤمن حوالي ٤٠٪ من مبيعات الشركات الصهيونية — وتؤمن شركات مستقلة ٥٠٪ من تلك المبيعات اما الكتل الصهيونية الاخرى فتركز نشاطاتها اساسا في المجالين المالي والصناعي . هذه الوقائع والارقام والنسب تعني اذا ان الرأسمال الصهيوني يحتل مكان الصدارة في مجال التجارة الداخلية الأمريكية عبر امتلاكه شبكات واسعة من المتاجر والمخازن الكبرى التي تغطي مجموع المدن الهامة والولايات الأمريكية . ومن خلال سيطرته على جزء هام من التجارة الداخلية ، يملك الرأسمال الصهيوني تأثيرا لا يستهان به على مجمل الصناعات التي تنتج سلعا استهلاكية والتي تشكل الشركات التجارية وشبكات المخازن طريقها الرئيسي الى التسويق « الصناعات الغذائية ، النسيج والملبوسات والأحذية ، المفروشات ، الادوات المنزلية الكهربائية (غسالات ، برادات ، راديوات) الادوية المنتجات التجميلية .. » ولا بد ان نذكر ان الرأسمال الصهيوني يلعب دورا اساسيا ومباشرا في تلك القطاعات الصناعية الخفيفة والاستهلاكية .

القطاع المالي :

يتكون القطاع المالي من ثلاثة فروع اساسية — فرع المصارف ، فرع شركات التأمين وفرع المؤسسات المالية العامة .

* فيما يتعلق بشركات التأمين لا يلعب الرأسمال الصهيوني دورا يذكر ولا يتمتع بنفوذ مقرر في اي من اكبر ٥٠ شركة امريكية تتعاطى مختلف اشكال التأمينات — ونقدر ان حصة الرأسمال الصهيوني من حجم اعمال هذا الفرع قد لا تتعدى الخمسة بالمئة .

* فيما يتعلق بالمصارف ، يسيطر الرأسمال الصهيوني على اربعة بنوك من اصل اكبر خمسين مصرفا تجاريا في الولايات المتحدة .

اسم البنك	الموجودات عـــام ١٩٧٢	الارباح الصافية عـــام ١٩٧٢ .	معلومات اضافية
Manufacturer Hanover Trust	١٦،٣٢٦	٧٦،٥	تابع لكتلة « وول ستريت »
Western Bancorporation	١٥،٢١٤	٦٨،٦	تابع لكتلة « كاليفورنيا »
First Philadelphia Corp.	٤،٩٤٥	٣٨،٧	يملك ٤١،٦٪ من اسهم بنك : First International Bank of Israel وهو البنك الرابع في اسرائيل
Security National Bank	٢،١٨٥	١٣،٩	يملكه الرأسمالي الصهيوني : Eli M. Black الذي يعمل في حقل المشتريات والفاكهة المجففة .
المجموع العام	٣٨،٦٧٠	١٩٧،٧	

يجدر الاشارة الى ان البنوك الاربعة تحتل على التوالي المرتبة الخامسة والسابعة والواحـــدة والعشرين والخمسين في قائمة اكبر ٥٠ بنك امريكي وان مجموع موجوداتها تمثل ١١٪ مـــن مجمـــوع موجودات البنوك الخمسين .

فيما يتعلق بالمؤسسات المالية العامة التـــي تتعاطى الرهونات والنشاطات العقارية وبعـــض انواع التأمينات والتسليف التجاري وغيرها فـــان الرأسمال الصهيوني يحتل موقعا هاما اذ يسيطر على ١١ شركة من اصل اكبر ٥٠ مؤسسة مالية في الولايات المتحدة وتنحصر تلك الشركات بين نيويورك (٥ شركات) وكاليفورنيا (لوس انجلس وبفرلي هيلز ــ ٦ شركات) فيما يلي قائمة بتلك الشركات مرتبة حسب حجم موجوداتها في عام ١٩٧٢ : ــ

اسم الشركة	الموجودات	الارباح الصافية	بعض المعلومات
Continental Corp.	٤،٤٣٢	١٢٦،٦	تابعة لبنك «Manufacturers»
H.F. Ahmanson	٤،٧٥٩	٤٦،١	يملكها البليونير الصهيوني : ــ Hyam Ahmanson
Great Western Financial	٤،٣٠٧	٣٨،٧	يسيطر عليها الرأسماليون الصهاينة B.Swig Louis Boyor & J.D.Shane
Transamerica	٤،٢٢١	٨٨	من كبار المساهمين الرأسماليـــين الصهاينة : Arthur & Victor Carter Krin
First Charter Financial	٣،٩٩١	٤٦،٥	يسيطر عليها رجل الاعمال الصهيوني Mark S. Taper
C. I. T. Financial	٣،٥٣٣	٨٥،١	يسيطر عليها احد كبار اعضاء كتلة « وول ستريت » : John Schiff
City Industries	٣،١٤٠	٦٩،٧	يسيطر عليها الرأسمالي الصهيوني: Robert Dowling الذي ينشط في مجال الصناعات الترفيهية .
Leasco Corp.	١،٣٦٤	٤١	يسيطر عليها الرأسمالي الصهيوني Sanl Steinberg وتعمل اساسا في حقل تأجير الكمبيوتر والاجهـــزة الالكترونيـــة .

American International Group	١٤،٩٤	٤٤	يسيطر عليها الرأسمالي الصهيوني Maurice Greenberg وتعمل اساسا في حقل الملاحة والتجارة الدولية .
National General	١٤،٢٠	٤٥،٢	يسيطر عليها الرأسمالي الصهيوني : Eugene V. Klein
D.H. Baldwin	٨٤١	٩،٨	يملك نفوذا اساسيا فيها الرأسمالي الصهيوني : Jra Guilden
Bache	٧٦٢	٧،٣	تسيطر عليها عائلة Bache الصهيونية وتعمل اساسا في حقل تجارة الاسهم والسندات .
المجموع العام	**٣٣،٤٦٤**	٦٤٧	

يمثل المجموع العام لموجودات المؤسسات المالية الصهيونية الاحدى عشرة ٣٣ مليار دولار اي ما يوازي ٢٧٪ من مجموع موجودات اكبر خمسين مؤسسة مالية في الولايات المتحدة . ونستطيع القول ان الرأسمال الصهيوني يحتل في هذا المجال مركزا قويا ينمو باستمرار في السنوات الاخيرة وان نشاط اكبر الشركات الصهيونية العاملة في هذا المجال ينصب على التنمية العقارية والمقاولات وتأجير الالات الالكترونية وتمويل الصناعات الترفيهية في ولاية كاليفورنيا وبدرجة اقل في ولاية نيويورك .

جدول موجز لحجم اعمال الشركات الصهيونية في مختلف مجالات الاقتصاد الامريكي : —

المجال	حجم الاعمال (بمليارات الدولارات)	
الصناعة	١٠٠	١٨٪ من مبيعات اكبر ٥٠٠ شركة صناعية.
التجارة	٥٧	٥٥٪ من مبيعات اكبر ٥٠ شركة تجارية.
الخدمات	١٠	
المصارف	٣٨	١١٪من موجودات اكبر ٥٠ مصرفا في امريكا.
المؤسسات المالية العامة	٧٢ ٣٤	٢٧٪ من موجودات اكبر ٥٠ مؤسسة مالية .
المجمـوع	**٢٣٩**	

ملحق الكتل الاقتصادية الامريكية

(أ) كتلة « روكفلر »

البنوك التابعة للكتلة	موجوداتها عام ١٩٧٢ (بمليارات الدولارات)
Chase Manhattan Pan Bank	٣٠
First National City Bank	٢٤،٣
First National City Bank of Chicago.	١١،٤
Wachovia Bank	٣،٣
	٧٩

الشركات الصناعية التابعة للكتلة	مبيعاتها عام ١٩٧٢ (بمليارات الدولارات)
Standard Oil of New Jersey	٢٠،٣
Mobil Oil	٩،١
I T T	٨،٥
Cater Pillar	٢،٦
Borden	٢،١
United Aircraft	٢،٠
Reynolds Tobacco	٢،٠
Burlington Industries	١،٨
Allied Chemicals	١،٥
N C R	١،٥
General Mills	١،٣
Anaconda	١،٠
Bruns Wick	٠،٦
Container Corp.	٠،٥
	٥٣

(ب) كتلة « مورغان » :

البنوك التابعة للكتلة	موجوداتها لعام ١٩٧٢ (بمليارات الدولارات)
Morgan Garanty Trust	١٦،٤
Banker's Trust	١٣،٣
Guard Trust	٣
	٣٢،٧

الشركات الصناعية التابعة للكتلة	مبيعاتها لعـــام ١٩٧٢ (بمليارات الدولارات)
General Electric	١٠٫٢
General Telephone & Electronics	٩٫٥
Socony Mobil Oil	٩٫١
V.S. Steel	٥٫٤
Con — Edison	٥٫٢
Atlantic Rich Field	٣٫٣
American Can.	٢
Cities Service	١٫٨
Colombia Gas System	١٫٤
American Cyanawid	١٫٣
Olin Mathiesson	١٫٢
Standard Brands	١٫٢
Crown Zellerbach	١٫١
Scotts Paper	٠٫٨
Johns Mannville	٠٫٨
	٥٤

(ج) كتلة « ملون — دوبون »

البنوك التابعة للكتلة	موجوداتها لعام ١٩٧٢ (بمليارات الدولارات)
Mellou National Bank & Girard Trust	٧٫٤
First Boston Corp.	١٫٤
	٨٫٨

الشركات الصناعية التابعة للكتلة	مبيعاتها لعام ١٩٧٢ (بمليارات الدولارات)
Gulf Oil Corp.	٦٫٢
E.I. Dupont	٤٫٣
Philipps Petroleum	٢٫٥
North American Rockwell	٢٫٣
Boeing	٢٫٣
Armco Steel	١٫٩
T R W	١٫٧
Alcoa	١٫٧
Martin Marietta	١٫٠
Pullman	٠٫٧
Koppers	٠٫٦
	٢٥٫٢

مراجعات

محجوب عمر ، **حوار في ظل البنادق** ، (دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥)

[١]

مما لا شك فيه ان التحديد العلمي الموضوعي لطبيعة الكيان الصهيوني وتركيبه وظروف نشأته ، واتجاه تطوره ، من الامور الحاسمة في فهم طبيعة المرحلة التي تمر بها الثورة العربيـــة ، ووضع البرنامج السياسي الثوري المتلائم مع هذه المرحلة وتناقضاتها الرئيسية والثانوية ، وكيفية حلها . وقد جاء كتاب « حوار في ظل البنادق » ليحسم النقاش حول عدد من المسائل الجوهرية مثل مفهوم « الامة » و« الطبقة » و« التاريخ » ، و« التجمع الصهيوني » ، ودحض نظرية المنـادين بوجود « بروليتاريا اسرائيلية » و« طبقة عاملة يهودية » أو « أمة اسرائيلية في طور التكوين » .

ونبتت فكرة هذا الكتاب ، كما يذكر المؤلف ، اثر حوار استمـر ثلاث ليال متواليـة في صيف ١٩٧٠ ، وفي معسكر عمل دولي أقامته « فتح » بضواحي مدينة الكرك في جنـوب الاردن ، وتم التعرض في هذا الحـوار للأمة ، والطبقـة ، والتاريخ ، والخصوصية ، ومستقبـل فلسطين الديمقراطية . وظل الكتاب مؤجلا الى أن برزت قضية الاتحـاد الشيوعي الثـوري في فلسطـين المحتلة ، ومحاكمة « الرفيق رامي ليفنه » بصفته عضوا في تنظيم « الجبهة الحمراء » ، الى جانب رفيقه يهودا اديف ، وقد بدا هذا الاخير اكثـر وضوحا في موقفه من مقاومة الاغتصاب الصهيوني بالعنف والنضال من أجل فلسطين ديمقراطية . فازدادت فكرة الكتاب الحاحا كحوار مع « الرفاق الذي اتخذوا « موقفنا » ، وهكذا جاء الفصلان الاول والثاني « حوارا » مع الرفيق رامي ليفنه ، ورفاقه الذين يحملـون نفس المـواقف ، أو هم يقتربون منها أو تخطوها الى الافضل » .

وفي أعقاب حرب تشرين ، وبدء نضوج ثمارها ، « أصبح واضحا للجميع ان اي « حل » للتناقض الحاد والقائم والمستمر في فلسطين يبدأ في كل شكل من أشكاله من فلسطين ومن **فعل** شعبها » . وأتى خطاب الاخ أبو عمار في الامم المتحدة ليعزز فكرة الكتاب المركزية حول « فلسطين الديمقراطية » .

يضم الفصل الاول من الكتاب خطابا مفتوحا « الى الرفيق رامي ليفنه » ، وهو نقاش للكلمة التي ألقاها ليفنه خلال محاكمته في حيفا « بتهمة » انضمامه الى تنظيم « الجبهة الحمراء » . وينقسم حديث المؤلف مع ليفنه ورفاقه الى أقسام ثلاثة : « أولا — المواقف والافكار المشتركة . ثانيا — ملاحظاتكم على حركة فتح ، والمقاومة بشكل عام . ثالثا — ملاحظـاتنا على مصـدر الخطأ في بعض أفكاركم » .

وتشمل «المواقف والافكار المشتركة» (١) مفهوم الدولة العلمانيـة الديمقراطية التي يعيش فيهـا المسلمون واليهود والمسيحيون مع بعضهم البعض . وحيث ستكون الارض « للسواعد التي تحررهـا بالسلاح » . كما ان هذه الدولة الديمقراطية هي أ — عربية بالضرورة ، ولكن « ليس معنى ذلك ان كل من ليس عربيا لا بد أن يغادر فلسطين » اذ ان عروبة الانسان لا تقاس بديانته ، كما ان العروبة نفسها ليست « عرقية » ، اضافة الى ان الوطن العربي « عرف ويعرف أقليات غير عربية تعيش في مساواة كاملة مع العرب » . ب — ان هذه الدولة هي جزء أو ستكون جزءا من دولة عربية موحدة تقدمية كبرى ، ستنشأ « تتويجا لنضال الجماهير العربية من اجل التحرر والحريـــة » (٢) العنف ، ويعتبر المؤلف الاتفـاق على العنف ،

والدفاع عنه ، « نقطة التقاء ايجابية وهامة » و(لا يقلل منها أنكم تتحفظون « بضرورة توافر بعض الشروط ») . ويتصف هذا العنف بكونه سبيلا وحيدا لتحرير الارض المغتصبة ، وبأنه « عنف جماهيري منظم » وهو « يتطور الى حرب شعبية شاملة وطويلة الامد تجند أوسع الفئات والقوى الجماهيرية . وسيكون هناك مكان في هذه الحرب لكل القوى الثورية العربية ، ويتوقع في مراحل مقبلة أن تساهم معنا وبنشاط فئات من الجماهير اليهودية التي قدمت الى الوطن المحتل .

٣) استقلالية الارادة الجماهيرية الثورية ، حيث تتجسد هذه الاستقلالية بتحرير الارادة الجماهيرية الثورية الفلسطينية من أي وصاية عربية أو غير عربية ، دون أن يعني ذلك دعوة « اقليمية » أي (« انفصالية » عن مجموع الامة العربية) . اذ ان الشعب الفلسطيني شعب عربي وقضيته قضية العرب جميعا . غير أن الجماهير الفلسطينية بحكم ظروفها التاريخية تمثل طليعة النضال العربي ومحوره .

٤) الفصل بين الصهيونية وبين اليهود كيهود انطلاقا من اعتبار الصهيونية كحركة استعمارية استيطانية سياسية ، واليهودية كدين وليس كعرق خاص مميز أو « قومية مستقلة » . غير ان تمييز الصهيوني من غير الصهيوني في الوطن المحتل مسألة لا تتوقف عند مجرد اعلان « المستوطن » ، « انه ليس صهيونيا لكي يكون غير ذلك ، وانما يجب أن يناضل ضد الكيان الصهيوني ومن أجل القضاء عليه لكي يتحقق له فعلا التحرر من الصهيونية » .

أما « ملاحظاتكم على حركة فتح والمقاومة بشكل عام » فتنقسم الى مجموعتين : ١) النظرة الى « التجمع الاسرائيلي » وتقدير لينه ورفاقه انه « مجتمع قومي » ، وانه « مجتمع طبقي » . ٢) عدم وضوح بعض أفكار حركة فتح ومواقفها اليومية ، ويرجىء المؤلف المجموعة الاولى الى فصول تالية ، بينما يناقش المجموعة الثانية ملاحظة ، ملاحظة ، على حد تعبيره .

تتعلق المجموعة الثانية بالرد على ملاحظات رامي ليفنه في خطابه أمام المحكمة حول : ١ ــ « الانتصار على اسرائيل والثورة الاجتماعية في العالم العربي . ٢ ــ الانتصار على « اسرائيل » ، وعلاقة الجماهير اليهودية بالايديولوجية الصهيونية . ٣ ــ الفصل بين الصهيونية والرجعية (العربية) . ٤ ــ العلاقات بين قيادات المقاومة والحكومات الرجعية في المنطقة . ٥ ــ أعمال ارهابية ضد مواطنين أبرياء (!!) » .

ويمكن تلخيص هذا الرد بما يلي :

أولا : ١ ــ ان الانتصار العسكري على الدولة الصهيونية ليس حلما ، وانما هو ثمة وسعي لتحقيق انتصار الثورة عبر سلسلة طويلة من المعارك المعتمدة على اسلوب حرب الشعب ، حيث سيؤدي ذلك ليس فقط الى تحرير الارض والجماهير العربية ، وانما أيضا تحرير اليهود أنفسهم من الابتزاز والقمع الصهيوني .

٢ ــ لا تفصل الثورة الفلسطينية بينها وبين الثورة العربية .

٣ ــ ان التغيير الاجتماعي العميق سيكون نتيجة للثورة المسلحة ضد الاستعمار وقاعدته الصهيونية التي ستؤدي الى تفجير طاقات الجماهير العربية وتوحيدها .

٤ ــ ان « عملية » التحرير غير معزولة عن عملية التغير الاجتماعي في البلاد العربية فهي تؤثر فيها وتتأثر بها .

ثانيا ــ ان الفصل الحقيقي « بين الجماهير اليهودية المستغلة في اسرائيل والايديولوجية الصهيونية » يكون بأن تنفصل فعلا الجماهير اليهودية عن الصهيونية .

ثالثا ــ أن التناقض الرئيسي الذي يحكم المرحلة التاريخية الحالية للأمة العربية كلها هو التناقض بين هذه « الامة » وبين الاستعمار وقاعدته الصهيونية . غير ان حركة فتح ، بالمقابل ، لا تنصب نفسها بديلا للقوى الثورية في البلاد العربية ، كما انها لا تعمل بانعزال عنها .

رابعا : لا يمكن للثورة في كل الاحوال أن تضع على قدم المساواة « الكيان الصهيوني » وأي نظام عربي مهما بلغت درجة ارتباط هذا النظام العربي بالامبريالية . ولا يعني ذلك عدم النضال ضد ارتباط هذا النظام أو ذاك بالاستعمار على كل الساحات ، أو تأجيل هذا النضال . اذ ان الحلقة الرئيسية

للنضال ضد الاستعمار في الامة العربية وهي النضال ضد الكيان الصهيوني يرفع حدة الصدام مع الاستعمار على كل الساحة العربية وبمختلف المستويات . وعبر هذا النضال يصار الى عدم بعثرة الجهود الثورية المعادية للكيان الصهيوني ، وتكشف الطبيعة اللاتاريخية لهذا الكيان .

خامسا : ان الثورة لا توافق على « الانتقائية » في تقييم أعمال العنف ، فتعتبر حرب اكتوبر مبررة وعادلة ، كما تعتبر معركة فندق سافوي مبررة وعادلة ، وليست « ارهابية » .

ويدور الفصل الثاني حول المفاهيم والثمار التي ولدت بعد انطلاق الكفاح المسلح الفلسطيني ، والذي طرح سؤالا ملحا أمام الجميع : « من الذي يحتل موقعا أصيلا في التاريخ : فلسطين أم الكيان الصهيوني المسمى « اسرائيل » » ؟

وبينما برزت أفكار تقترب أكثر فأكثر من التصور الصحيح للقضية ، برزت أفكار جديدة ذات صلة بالاطروحات الماضية ، وذلك حول :

(١) تمايز « مجتمع اسرائيلي » عبر السنوات بكل تناقضاته الداخلية وقوانين حركته الخاصة به « والتي خلقت امة اسرائيلية في طريق التكوين». أو حول الصراع في المنطقة بما هو « صراع قائم بشكل أفقي بين قوميتين مختلفتين » وصولا الى « ان النضال يكون فقط على اساس تحالف الشغيلة العرب واليهود ضد ما يسمى بالبرجوازية العربية واليهودية » . الى جانب أفكار أخرى يعلنها المؤلف خاطئة من الناحية التاريخية والقومية والطبقية .

فالتجمع الصهيوني ظاهرة مصدرة من العالم الخارجي الى الوطن العربي وهو بذلك ظاهرة مؤقتة ودخيلة بينما نرى فلسطين هي الظاهرة التاريخية الاصيلة . ومن ثم فان تاريخ هذه الظاهرة ليس تاريخا اجتماعيا متمايزا لا في فلسطين ولا حتى خارج فلسطين ، ولا هو امتداد لحركة مجتمع متميز طورته تناقضاته الداخلية الى ما هو عليه الآن . فما هو اذن القانون الذي يحكم حركة الواقع القائم حاليا على أرض فلسطين المحتلة ؟

قبل كل شيء ، ان النزاع القائم في فلسطين بشكل أفقي انما هو نزاع بين قومية واحدة هي العرب الفلسطينيين وبين قوة غازية استعمارية هي التجمع الصهيوني ، وبالتالي فهو ليس نزاعا بين قوميتين . وقانون هذا الصراع هو القانون العام الذي يحكم الصدام بين حركة التحرر الوطني العالمية وبين الاستعمار العالمي .

وفي الفصل الثالث يناقش المؤلف الافكار المتداولة حول « القومية اليهودية » و« القومية الاسرائيلية » .

ويوضح المؤلف ان الدعوة الصهيونية الى دولة يهودية ظهرت في مرحلة « كان الرأسمال فيها يتخطى حدوده « القومية » ... منتقلا الى مرحلة الاحتكار والامبريالية ... اي ان الدعوة الصهيونية هي أول الدعاوى الفاشية في عصرنا الحديث » . ويثبت المؤلف فشل هذه الدعوة في تجسيد «القومية اليهودية » عبر الدولة الصهيونية وذلك انطلاقا من النتائج التي برزت بعد مرور سبعة وعشرين عاما : (١) بروز التقسيم العرقي في صفوف اليهود أنفسهم . (٢) اتساع الهوة بين اليهود داخل الكيان الصهيوني واليهود خارجه . (٣) ــ تعميق الخلافات الدينية وتنوع التفسيرات المذهبية .

اذا كان الامر كذلك ، فما هو مستقبل ظاهرة التجمع الاسرائيلي ؟ ويتوسع المؤلف في هذه المسألة انطلاقا من أن هذا التجمع يفتقر الى شروط تمايزه التاريخية ، بحيث يمكن ان يشكل أمة ، أو حتى يشكل ظاهرة متمايزة . اذ ان للأمة أو أي جماعة بشرية متمايزة ، شروطا معينة لا بد من توفرها لها ، وهي : (١) تآلف تاريخي . (٢) لغة واحدة . (٣) استقرار على أرض محددة ، حدودها اللغة والتبادل والسوق والانتاج ، واستخلاص الثروة على مدى تاريخي . (٤) ثقافة مشتركة تعبر عن تكوين نفسي مشترك . (٥) اقتصاد مشترك بحيث يمكن تمييزه في الواقع الاقتصادي المتشابك ، حتى وان كان خاضعا أو تابعا .

وبناء على هذه الشروط يخلص المؤلف الى ان التجمع الاسرائيلي يعاني « تمايزا » لا « تآلفا » . وهذه الحركة في اتجاه اللاتآلف ستتفاقم للاسباب التالية: أ ــ لم تأت الجماعات التي قدمت الى فلسطين من بلد واحد . ب ــ لم تصل هذه الجماعات الى فلسطين في وقت واحد ، ولا حتى في اوقات **متقاربة ولا متشابهة.**

ج — لم تصل هذه الجماعات في ظروف متشابهة: لا من حيث دوافع « المجيء » ولا « ظروف المجيء » المحلية والعالمية ، ولا ظروف « الاستيعاب » في فلسطين ـ المحتلة . د — ان وسائل « الاستيعاب » الصهيونية قد فشلت ، وستفشل .

اما شرط توفر اللغة الواحدة فهو مفقود لكون اللغة العبرية « غير السائدة » وانما الرسمية والمستخدمة الان هي لغة قديمة ، ميتة ، واعاد الصهاينة احياءها قصدا ، وهو عمل ضد التاريخ ، ولذا لن ينجح . وتقول الخبرة التاريخية انه لا يمكن صك لغة حسب الطلب ، لانها نتاج النشاط التاريخي للجماهير .

ويسهب المؤلف في تحليل الشروط التي لا بد من توفرها لكي يمكن القول بان هذه « الارض » هي وطن هذا «الشعب» . وينظر الى هذه الشروط من زاوية وعي الطبيعة ووعي الحياة الاجتماعية كنتاج للتطور الاجتماعي وينشأ عن متطلبات الانتاج الاجتماعي ويوجد في المجتمع فقط وللمجتمع، ولهذا كان وعيا اجتماعيا . وان الشعور بالانتماء الى ارض بعينها .. وطن ، هو جزء من الوعي الاجتماعي الذي يجمع بين الوعي الاعتيادي والوعي العلمي بالواقع ، وفقا لتعبير انجلز . ويخضع هذا « الوعي الاجتماعي » لعملية التبادل الجدلية في التأثر والتأثير بالواقع الفعلي . ومن ثم يبدو جليا خطأ الفكرة القائلة « بالقومية اليهودية » ، فلم يحدث ان كان « لليهود »نشاط اجتماعي منفصل عن بقية الشعوب التي عاشوا بينها وفوق نفس الارض معها .

فهل يمكن ان تقوم الارض التي اغتصبها الصهاينة بدور الوطن لهم ؟ ويأتي الجواب بالنفي لان : ١ — ارض فلسطين لم تبق طوال الفي عام في الوعي الاجتماعي للذين قدموا الى ارضها بعد ذلك . ولم تكن دافعا لهم بالمجيء . ٢ — لا يمكن ان يدعي احد انهناك تصورا واحدا لحدود هذا « الوطن » لدى القاطنين على ارض فلسطين المحتلة . ٣ — لا يمكن ان ننشأ بين هذا التجمع البشري الصهيوني وبين الارض القاطن عليها علاقة تاريخية من خلال النشاط الانتاجي له .

وهل يمكن لتجمع يفتقر الى التآلف التاريخي واللغة الواحدة والارض المحددة كوطن ان تكون له ثقافة مشتركة ؟

ان فرض لغة ميتة ، وبالتالي غياب لغة واحدة ، انما يعني ايضا غياب ثقافة مشتركة واحدة لهذه الجماعات . علاوة على الفروقات الثقافية بين الاشكنازيم والسفارديم ، وانتماء كل منهما الى خلفيات ثقافية متفاوتة ، ووجود التضارب الثقافي داخل هاتين المجموعتين .

ويبقى ان اقتصاد الكيان الصهيوني قد قام على تبرعات ، وديون ، ورؤوس اموال مصدرة ، وارض مغتصبة . اي في كلمات اخرى اوضح ان « اسرائيل » هي مجرد فرع بنك او قاعدة عسكرية او منشأة من المنشآت التي تقيمها الامبريالية في مكان ما ، وتصرف عليها لتحقيق هدف اخر . ويقر الجميع بان « الاقتصاد » الصهيوني كله في فلسطين المحتلة ، بما في ذلك القطاع الخاص ، يعتمد على المساهمات الخارجية ، وهذه تتدفق اساسا عبر مسالك تسيطر عليها الدولة .

من هنا يطرح المؤلف ان ليس امام التجمع الصهيوني الحالي ، كظاهرة عابرة في تاريخ المنطقة الا **التمثل** في فلسطين العربية الديمقراطية.

ويصل المؤلف في الفصل السابع الى « طرح تقدير « جديد » لطبيعة الصراع الذي يحكم الكيان الصهيوني من داخله ، اي طبيعة التناقض الداخلي فيه ، وذلك باعتباره صراعا « عرقيا » لا « صراعا طبقيا » ، وان هذا التجمع البشري ليس مقسما الى طبقات (بالمعنى العلمي للكلمة) وانما هو مقسم وسينقسم الى مجموعات بشرية تتمايز في البداية على اساس التقسيم « العرقي» (اشكنازيم وسفارديم) لتتطور من خلال هذا الصدام الى مجموعتين واضحتين « اوروبية » و « شرقية » . تنضم الاخيرة منها الى المعسكر العربي انتماء وتعرضا للقهر . ومن ثم نضالا وثورة » .

ويبنى هذا الاستنتاج على اساس ان الطبيعة الاستيطانية للعدو الصهيوني تتناقض حتما مع فكرة تقسيم المستوطنين الصهاينة الى مستغل ومستغل ، وما يترتب على هذه الفكرة من خطة

للتحالفات ، وبالتالي خطة للقتال . ويمثل المستغل كل مستوطن ، اما المستغل فهو كل عربي فلسطيني طرد من ارضه وحرم من حقوقه .

ولا ينقسم التجمع الصهيوني الى طبقات انطلاقا من التعريف الذي اعطاه لينين للطبقات وتحديد ماركس لها في البيان الشيوعي .

يقول لينين : « ان الطبقات هي تسمية لفئات كبيرة من الناس تختلف بالمكان الذي تحتله تاريخيا في نظام معين للانتاج الاجتماعي وبعلاقتها (التي تتعزز في اغلب الاحيان وتتشكل في القوانين) بوسائل الانتاج ، وبدورها في التنظيم الاجتماعي للعمل . وبالتالي لطرق الحصول على حصصها من الثروة الاجتماعية وبمقدار هذه الحصص . والطبقات هي فئات من الناس يستولي بعضها على عمل البعض الاخر وذلك لاختلاف المكان الذي تحتله في قطاع معين من الاقتصاد الاجتماعي » .

وقد حدد ماركس في البيان الشيوعي : « ان الطبقة الاجتماعية لا تتشكل بصورة نهائية الا بظهور التضامن الطبقي ، بالاضافة الى وحدة الدور في الانتاج ، والمصالح الاقتصادية المشتركة ويفترض هذا التضامن الطبقي وجود الوعي الطبقي الذي لا يمكن بالتالي ايجاده الا عن طريق الايديولوجية الطبقية » .

ويسحب المؤلف هذين التعريفين على التجمع الصهيوني في فلسطين ويخرج باستنتاج ان هذا التجمع لا يوجد فيه تمايز طبقي بالمعنى العلمي ، كما انه لا يوجد احتمال لان تتشكل فيه طبقات . وبالتالي :

١ ــ ليس هذا التجمع البشري ظاهرة ايجابية تاريخية .

٢ ــ لا توجد ضمن هذا التجمع اي مجموعة بشرية يمكن القول بانها تتمتع « بثبات » نسبي ، فالهجرة والهجرة المضادة عملية مستمرة منذ قيام هذا الكيان .

٣ ــ لا توجد اية فرصة يمكن ان تتشكل فيها طبقات داخل هذا التجمع .

٤ ــ ان الطبقة العاملة الصهيونية الاسرائيلية المزعومة لا تفتقر فقط الى ثبات في التكوين النفسي ، وانما هي تفتقر حتى الى الثبات في علاقاتها بادوات الانتاج .

٥ ــ لا يمكن القول بوجود طبقة « برجوازية » في التجمع الصهيوني .

٦ ــ ان الانقسام العرقي بين سكان هذا الكيان يصبغ الصراع القائم في داخل الكيان بصبغة عنصرية .

٧ ــ ان الحديث عن الاغنياء والفقراء في التجمع الصهيوني صراع على اقتسام معونات واموال مستقدمة من الخارج وليس على اقتسام ثروات البلاد المحلية .

٨ ــ ان الصراع الطبقي في المجتمعات التاريخية الرأسمالية يؤدي الى قيام ديكتاتورية البروليتاريا . ولا يمكن ان يؤدي الصراع داخل التجمع الصهيوني الى هذه النتيجة ، بل الى تقويض هذا الكيان كله .

٩ ــ من هنا ايضا الفرق بين دولة فاشية كالمانيا النازية ، والدولة الصهيونية . في الاولى ناضلت البروليتاريا من اجل المانيا الديمقراطية ، اما في الثانية فان الجماهير العربية ، وكل القوى الثورية والمقهورة تناضل من اجل اسقاط الكيان الاستعماري الصهيوني كله ، اي من اجل فلسطين ديمقراطية .

ويضم الكتاب ، علاوة على ذلك ، خطاب الاخ القائد ياسر عرفات في الجمعية العامة للامم المتحدة في دور انعقادها العادي التاسع والعشرين ولدى افتتاح المناقشة الخاصة بـ « قضية فلسطين » في الجمعية العامة ، وذلك في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ . كما يضم ملحقين وهما بمثابة مقالين نشر احدهما في مجلة «صوت عمال الاردن » ، في ٢٤ ــ ١١ ــ ١٩٧٢ ، والاخر في العدد الخاص ٤١ ــ ٤٢ من شؤون فلسطينية بمناسبة الذكرى العاشرة للانطلاقة المسلحة (كانون الثاني ــ شباط ١٩٧٥) ولا يخرجان في مضمونهما عن فصول الكتاب الرئيسية .

يبقى ان نورد هذه الملاحظات :

١ ــ يبدو ان المؤلف يعتبر ان النضال الاممي يتحقق بانضمام مناضلين من غير العرب الى صفوفنا . وذلك كما ورد في ص ٤٧ : « اننا نرحب بل ونسعى لان يكون بين صفوفنا مناضلون من غير العرب لنحقق بالفعل الموضوعي جذورنا في حركة النضال الاممي ضد الاستعمار .. » .

يحتاج هذا المفهوم للنضال الاممي الى تعميق اكثر ، حتى لا يصار الى فهمه وكأن المؤلف يعتقد ان الاممية والنضال الاممي هما مجرد انخراط مناضلين من غير العرب في صفوف ثورتنا . ذلك ان النضال الاممي الصحيح يتحقق بالفعل الموضوعي بالنضال المشترك ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد لكل شعب على ارضه وفي مواجهة اعدائه الرئيسيين . ولا نظن ان المؤلف يقصر فعلا المسألة على الجانب الاول منها .

٢ ــ اذا كان صحيحا ان الحديث عن الاغنياء والفقراء في التجمع الصهيوني وعن الصراع بينهم ليس دليلا على « صراع طبقي » لانه صراع على اقتسام معونات واموال مستقدمة من الخارج وثروة البلاد المحلية التي مصدرها الارض المسروقة من اصحابها العرب الفلسطينيين ، فهو بالمقابل ليس في التحليل الاخير امتدادا «للانقسام الحضري بين شعوب البلاد الصناعية الغنية وشعوب البلاد الزراعية » ، اذ ان الصراع بين شعوب البلاد الصناعية وشعوب البلاد الزراعية ليس صراعا عنصريا ، بل هو صراع استقلالي تحرري ثوري ، وبالتالي يختلف في مضمونه عن الصراع بين الاشكنازيم والسفارديم . ولا يصح مطابقتهما ووضعهما على الصعيد نفسه .

٣ ــ تكثر في الكتاب الاخطاء المطبعية ولا شك بان المؤلف لا يتحمل مسؤولية هذه الاخطاء ، وقد طبع الكتاب اثناء الاحداث الدامية الاخيرة في لبنان مما جعل طباعته متسمة ببعض السرعة، وعدم قدرة المؤلف على مراجعتها .

يبقى ان هذا الكتاب مادة غنية وخصبة ، ويشكل محاولة جريئة ورائدة في تفسير معنى الامة والطبقة وطبيعة التجمع الصهيوني و « تطوره » ومستقبله . ونحن حتما لم نتناول كل ما يضمه من حوار وطروحات وافكار ، وهو بلا شك كتاب تثقيفي ضروري لكل ثوري مناضل ومقاتل في صفوف الثورة الفلسطينية والعربية .

يوسف شويري

[٢]

يقع الكتاب في ١٨٤ صفحة ويشتمل على مقدمة وأربعة فصول بالاضافة الى ملحقين وهما مقالان سابقان للكاتب يدوران حول موضوع الكتاب . صدر الكاتب كتابه بخطاب الاخ أبو عمار في الامم المتحدة ، وهو تصدير القصد منه الايحاء للقارىء أن مواضيع الكتاب تدور في اطار هذا الخطاب . وقد أكد الكاتب هذا الانطباع عندما أشار في المقدمة الى أنه استأذن الاخ أبو عمار في نشر الكتاب وفي تصديره بخطابه في الامم المتحدة (ص ١٠) .

وقبل أن أبدأ في عرض ومناقشة الآراء التي اشتمل عليها الكتاب ، لا بد من الوقوف أمام نقطة منهجية غاية في الاهمية ، وهي اشارة الكاتب في المقدمة الى أن فصول الكتاب « وان استندت والتزمت بمبادىء وأهداف وأساليب حركة التحرير الوطني الفلسطيني ــ فتح ــ الا انها ولكونها موجهة لقطاع معين من المعنيين بالقضية ، هو قطاع الملتزمين أو المعلنين التزامهم بالماركسية اللينينية كمنهج وكفكر ، فانها ، أي فصول الكتاب ،

تقدم أفكار الثـورة الفلسطينية من زاوية رؤيـة حاولت أن تكون ماركسية لينينية ، توحيدا للغة الحوار دون المساس بجوهر الافكار » (ص ١٠) . ان هذه الاشارة من الكاتب تعني ، ان لديه لغتين للحوار ، لغة ماركسية لينينية ، ولغة أخرى ، غير ماركسية . وكل لغة توجه لقطاع معين وتستخدم بالطريقة التي تناسب الكاتب . ولا أدري كيف يمكن الالتزام بلغتين للحـوار في مناقشة قضية مـن القضايا . هل القضية مجرد لعب بالالفاظ والكلمات واستخدامها بهذه الطريقة أو تلك ، ام انها قضية منهج بالاساس ؟ وهذا ما جعلني أؤكد بعد قراءتي للكتاب ، ان محاولة الكاتب أن تكون رؤيته ماركسية لينينية فشلت ، وانه كان أسير نهج انتقائي قام على فهم مشوش وسطحي للماركسيـة . وهذا واضح في استخدامه لبعض المقولات الماركسية ، التي استخدمها وفسرها كما يريد بعد أن قطعها عن سياقها العـام . اضافة الى الصـاقه مواقف بالماركسية غريبة عنها ، مثل قوله « ان اللينينية تؤيد أي وحدة حتى ولو قامت بها قوى رجعية » (ص ٦٢) ، وهو تعميم غير صحيح لمواقف اتخذها ماركس وانجلز ولينين من بعض الحركات القومية في أوروبا ضمن ظروف تاريخية معينة . فماركس مثلا ، أدان الحركـة القومية التشيكيـة سنة ١٨٤٨ ووصفها أنها « المخفر الامـامي للقيصرية الروسية » ، في حين أيد ماركس وانجلز حركة توحيد المانيا ، ووصف انجلز في احدى رسائله لماركس ، ما يقوم به بسمارك مـن أجل توحيد المانيا بأنه « جزء من عملنا » . وهذا هو جوهر الماركسية الـذي أكده لينين بقولـه « ان روح الماركسية كلها ، نظامها كله ، يقضي بأن تدرس كل اطروحة من طروحاتها من المنظور التـاريخي فحسب ، وبالارتبـاط بتجربة التاريخ العينيـة فحسب » (١) .

تدور فصول الكتاب حول مناقشة بعض الآراء والمواقف لليسار الاسرائيلي الجديد ، من خلال ما عرضته المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « ماتسبين » والتحالف الشيوعي الثوري « الجبهة الحمراء » والكاتب يؤكد في البداية على وجود مواقف مشتركة بين هاتين المنظمتين وبالتحديد ، الجبهة الحمراء ، وحركة المقاومة الفلسطينية بشكل عـام هي : فلسطين الديمقراطية كهدف ، والعنف الثـوري كوسيلة نضـالية ، وتأكيد « استقلاليـة الارادة الجماهيرية الثـورية » والفصل بين الصهيونيـة واليهـود كيهود . ثم ينتقـل الى تحديد نقـاط الاختلاف ، فيرى أنهـا تنقسم الى مجموعتين ، الاولى : تدور حول نظرة اليسار الاسرائيلي الجديد الـى « التجمع الاسرائيلي » ووصفه له بأنـه « مجتمع قومي ، ومجتمع طبقي » ، أما الثانية : فتدور حول أوجه نقد هذا اليسار لبعض مواقف حركـة المقاومـة الفلسطينية وتحـديدا فتح . (ص ٥٣ — ٥٤) .

بالنسبة للمجموعة الثانية من أوجه الاختلاف ، جهد الكاتب خلال عرضه لها أن يدافع عن فتح ، وأن يرد على الانتقادات الموجهة اليها . وهنا غرق الكاتب في دفاع لفظي سطحي دون أن يتعمق لا في دراسة أدبيات منظمات اليسار الاسرائيلي الجديد ، ولا في تحليل موقف فتح من قضايا الثورة العربية السياسية والاجتماعية . فالكاتب اعتمد في عرضه هنا ، على ما ورد فقط في دفاع رامي ليفنه أثناء محاكمته بتهمة الانتساب للجبهة الحمـراء ، ولم يرجع الى ادبيات هذه المنظمات التي تعطي موقفا متكاملا وواضحا عن العلاقة الديالكتيكية بين الصراع ضد اسرائيل والامبريالية في العالم العربي ، وترابط هذا الصراع مع الثـورة الاجتماعية في الاقطـار العربية (٢) . وهو موقف لا يختلف من موقف منظمات المقاومة ذات النهج الماركسي وان أختلف في بعض جوانبه ومنطلقاته عن موقف فتح .

بالاضافة الى ذلك ، فان الكاتب في الوقت الذي أكد فيه في البداية ، ان هناك لقاء مشتركا حول العنف الثوري كوسيلة نضالية ، عاد واشار الى وجود نوع من الخلاف حول مفهوم هذا العنف لدى هذه المنظمات ، استنادا على فقرة وردت في دفاع ليفنه المذكور ، الذي ميز فيه بين « أعمال ارهابية » موجهة ضد مواطنين أبرياء « تساهم في ابقاء ، بل زيادة الكراهيـة والخوف المتبـادلين بين الشعب العربي واليهودي » وبين أعمال عنف ثورية أخرى ضد الكيان الصهيوني . (ص ٦٤) . وعلى الرغم من أن الكاتب أدان هذا الموقف ووصفه بالانتقائية ، الا انه في تقديري لم يتعمق في مناقشة قضية العنف الثوري الفلسطيني ضد كيـان عنصري استيطاني ومعسكر بكامله على الطريقة الاسبارطية . صحيح أن هناك اتفاقا عاما حول ممارسة العنف الثوري ، الا انه تظهر أحيانا بوادر لرفض بعض أشكـال

هذا العنف بحجة انه يصيب مواطنين أبرياء . ان العنف الثوري الفلسطيني لا يمكن أن يميز بين بريء وغير بريء ، في وقت لم تؤد ممارسة هذا العنف الى عملية فرز **واضحة وواسعة** في المجتمع الاسرائيلي بين من مع الصهيونية ومن ضدها ، ذلك أن العنف الثوري في مواجهة مجتمع عبىء من رأسه حتى أخمص قدميه بايديولوجية عنصرية شوفينية ، تصبح مجالات الاختيار والتمييز أمامه محدودة جدا وشبه معدومة ، اضافة الى أن الاختيار أو التمييز بين أشكال العنف ولمن توجه ، لا تتحدد عبر ان ممارسة هذا الشكل من أشكال العنف يصيب مواطنين أبرياء أم لا ، بل عبر دراسة مدى تأثير هذا الشكل من أشكال العنف على العملية الثورية برمتها وعلى احداث التغيير المطلوب في المجتمع الاسرائيلي . ومن هنا فان عملية سافوي والعمليات الانتحارية الاخرى ، ليست أعمالا ارهابية ، بل شكلا من أشكال العنف الثوري ، يدخل في صلب العملية الثورية ، وفي صلب النضال ضد الصهيونية والكيان الصهيوني .

فيما يتعلق بالمجموعة الثانية من أوجه الاختلاف ، وهي الاساسية ، ينطلق الكاتب من مناقشة آراء اليسار الاسرائيلي الجديد حول المجتمع الاسرائيلي ، وهل هناك وجود لأمة يهودية ، أو لأمة اسرائيلية تكونت أو انها في طور التكوين .

يؤكد الكاتب أن لا خلاف حول رجعية وخرافة فكرة الامة اليهودية أو القومية اليهودية ، ويؤكد المقولات الماركسية بهذا الخصوص . الا أن الخلاف يبرز حول هل هناك أمة اسرائيلية ؟ سواء متكونة أو أنها في طور التكوين .

يرفض الكاتب بالمطلق وجود أمة اسرائيلية ، كما يؤكد انه لا توجد أمة اسرائيلية في طور التكوين ، ولا يمكن أن تتكون أمة اسرائيلية اطلاقا. ويبرهن الكاتب على وجهة نظره بالاستناد الى التعريف الماركسي للأمة ، ومدى انطباق هذا التعريف على المجتمع الاسرائيلي أو « التجمع الاسرائيلي » كما يصفه الكاتب . وملاحظاتي على مناقشة الكاتب هذه ، والتي أفرد لها القسم الاعظم من كتابه ، كثيرة ، سأكتفي بايراد الاهم منها .

١) انني أتفق مع الكاتب في عدم وجود أمة اسرائيلية ، كما انني ارفض فكرة « وجود أمة اسرائيلية في طور التكوين » . غير انني اختلف مع الكاتب في الحكم المطلق الذي أصدره ، فما يقرر في النهاية امكانية تكون وضع جديد أم لا ، نتيجة الغزو الصهيوني لفلسطين ، ليس ما نصدره من أحكام مطلقة ، بل الجهد الثوري والنضالي الذي تبذله الحركة الوطنية العربية ومن ضمنها الفلسطينيين ، للحؤول دون تكريس هذا الوجود واكتسابه صفات معينة تجعله أقرب « الى أمة اسرائيلية في طور التكوين » . واستناد الكاتب على عدم امكان تطور أمة اسرائيلية على غرار تطور الامة الامريكية في أمريكا الشمالية استناد ضعيف وغير صحيح (ص ٧٨ — ٨٠) . ذلك أن عدم قدرة مجتمعات سكان أمريكا الشمالية الاصليين على مواجهة غزو الرجل الابيض لها ، لم يكن وليد أن هذه المجتمعات « وصلت الى طريق مسدود في تطور علاقاتها ووسائل انتاجها » (ص ٧٨) بل كان وليد عملية الابادة الشاملة التي مارسها الرجل الابيض ضد السكان الاصليين . صحيح ان المجتمع العربي الفلسطيني كان يمثل حالة متمايزة ومتقدمة عن وضع مجتمعات سكان أمريكا الشمالية الاصليين ، مما ساعد مع توفر عوامل أخرى ، على افشال سياسة الابادة الشاملة التي شنها العدو الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني . ولكن هذا لا يعني أن هذه المجتمعات كانت في حالة بدائية « مقضي عليها بالفناء والعقم » سواء تم غزو الرجل الابيض أو لم يتم . ولا أدري ان كان الكاتب يعمم حكمه هذا أيضا على بعض المجتمعات الافريقية التي كانت في حالة بدائية أيضا ، ولكن لم يقض عليها على الرغم من غزو الرجل الابيض لها . وذلك لأن هذا الغزو جاء في مرحلة تاريخية مختلفة ، كما ان كثافة الغزو لم تكن بحجم تلك التي وجهت الى أمريكا الشمالية .

٢) ان الاسلوب الذي انتهجه الكاتب للبرهنة على عدم وجود أمة اسرائيلية ، لا يمكن وصفه الا أنه اسلوب ميكانيكي . فالبرهنة على موقفه لا تتم من خلال اجراء مطابقة ميكانيكية للتعريف الذي أورده للأمة على المجتمع الاسرائيلي . ذلك أن وجود عدة عوامل لتكون الامة ، لا يعني ان الامة لا تتكون الا بوجود هذه العوامل مجتمعة وجمعها جمعا ميكانيكيا . فعملية تكون الامم عملية تاريخية طويلة ، تدخل فيها عوامل عديدة ، وقد

يبرز عامل أو أكثر بصفته العامل الاكثر تأثيرا في تكوين الأمة من العوامل الاخرى ، وقد يغيب تأثير أحد العوامل في مرحلة ، ليبرز تأثيره الواضح في مرحلة أخرى .

اضافة الى ذلك فانه يبدو لي أن الكاتب غير مستوعب بشكل جيد للتعريف الذي أورده للأمة ، فالتعريف الذي أورده ورد في دراسة ستالين — المسألة القومية — وقد تعرض هذا التعريف لبعض أوجه النقد في الادبيات الماركسية لاحقا ، ولا سيما فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية المشتركة كاحدى العوامل الاساسية في تكون الامة . وهل عدم توفر هذا العامل ينفي وجود الامة ؟ مثلا هل وجود كيانات عربية مستقلة بدون حياة اقتصادية مشتركة فيما بينها ، ينفي وجود الامة العربية ؟.

كذلك فان عدم استيعاب الكاتب للتعريف يبرز في تحويله عملية التكوين التاريخي للأمة الى عملية تآلف . فالتعريف الستاليني للأمة يقول « ان الامة جماعة ثابتة من الناس **تألفت تاريخيا** على أساس وجود لغة مشتركة وأرض مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة وتكوين نفسي مشترك يجد تعبيره في الثقافة المشتركة » . والكاتب حول « **تألف تاريخيا** » الى « **تآلف تاريخي** » (ص ١٠٩) وناقش الموضوع على هذا الاساس لينتهي الى النتيجة ان اليهود « لم يكونوا متآلفين ، ولم يتآلفوا ، ولن يحدث ذلك أيضا في المستقبل ، اذ لا يتوفر لهم عامل واحد في سبيل التآلف » . أي أن القضية هنا ليست العملية التاريخية لتكون الامة ، وما يتولد عن هذه العملية من صياغة وتكوين خصائص معينة لهذه الامة ، بل عملية انسجام وتآلف ، فطالما يهود بولنيا يرفضون السكن مع يهود المانيا (ص ١١٤) اذن لا انسجام ، اذن لا وجود لأمة اسرائيلية ؟!

ان الكاتب لو كان مستوعبا للتعريف الذي أورده فعلا ، لاستند على هذا العامل « العملية التاريخية لتكون الامة » في تأكيد عدم وجود أمة اسرائيلية . الا أن الكاتب على العكس من ذلك أخذ يتحدث عن الانسجام والتآلف بين التجمعات الاثنية المختلفة التي يتكون منها المجتمع الاسرائيلي .

٣) تبقى ملاحظة أخيرة ، تتعلق برفض الكاتب لوجود صراع طبقي في المجتمع الاسرائيلي ، ويصر أن الصراع هو صراع اثني فقط (الملحق ١ — ص ١٥٧ — ١٦٣) ومن هذا المنطلق فانه يرفض تحليل منظمات اليسار الاسرائيلي الجديد عن الطبقات في المجتمع الاسرائيلي ، ويرفض أية خصوصية ممكنة للمجتمع الاسرائيلي بهذا الخصوص . والكاتب هنا يستخدم المنهج الماركسي أيضا بطريقة مغلوطة . فالماركسية اذ تؤكد على العام وترفض أن يحل الخاص محل العام في تحليل أية ظاهرة أو قضية ، فانها ترفض أيضا أن ينفى الخاص على حساب العام . فلينين يؤكد « حين يعمد المرء الى تحليل قضية اجتماعية ، أيا كانت ، توجب عليه النظرية الماركسية اطلاقا أن يضع تلك القضية في نطاق تاريخي معين ، كما تشترط عليه أيضا ، اذا كان الموضوع يدور حول بلد بمفرده أن يأخذ بعين الاعتبار الخصائص الملموسة لهذا البلد » .

ان أشكالا من الصراع الاثنية وطبقية ، توجد في المجتمع الاسرائيلي ، وان غلبة الصراعات الاثنية — العرقية — على الصراعات الطبقية لا تنفي وجود صراع طبقي ، بل تعني ان الصراع الطبقي يدور ضمن الوضع الخاص لتكون المجتمع الاسرائيلي وهو مجتمع مبنيء بالايديولوجية الشوفينية والعنصرية . كذلك لا يعني الاعتراف بوجود صراع طبقي في المجتمع الاسرائيلي ، انه يعني الاعتراف بوجود أمة اسرائيلية . فمجتمعات ما قبل تكون الامم شهدت صراعات طبقية ، ذلك ان الصراع الطبقي وجد منذ أن وجدت الملكية الخاصة واستغلال الانسان للانسان .

---

١ — لينين المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٥ ص ٢٣١ .

٢ — أنظر ، القاضي ، ليلى سليم ، المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ماتسبين ، مركز الابحاث الفلسطينية .

غازي الخليلي

محمد حسنين هيكل ، **الطريق الى رمضان ،**
(دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٥)

هذا كتاب اخر عن حرب رمضان التي يسميها الصهيونيون « حرب يوم الغفران » ، والتي يسميها بعض العرب حرب اكتوبر ، او حرب تشرين ، او حرب ١٩٧٣ . ولعل الكتاب الجديد هو افضل ما صدر عن هذه الحرب من كتب حتى الان لثلاثة اسباب مهمة :

اولا : لاهمية المؤلف ، فهو محمد حسنين هيكل . هيكل الصديق المقرب من عبد الناصر ، ومن السادات كذلك في المرحلة الاولى من حكمه. هيكل مستودع الكثير من اخبار الدولة واسرارها. هيكل الامبراطور الصحافي الذي تربع على قمة مجد القلم والكلمة . هيكل الذي اتيح له ان يكتب — في موضوع هذا الكتاب وفي غيره مما كتب وسيكتب — لا كمراقب خارجي يصطاد المصادر ويبحث عن المراجع ، بل كشاهد « من الداخل » ، من داخل السلطة ، من داخل « اللعبة » ، من داخل المسرح السياسي وما فيه من اروقة مثيرة ، واجتماعات خطيرة ، ووثائق ولقاءات مع شخصيات مصرية وعربية واجنبية بيدها الحل والربط .

ومن كتاب « الطريق الى رمضان » نفسه نستدل على مدى اهمية هيكل السياسية فيما يتجاوز — دون ان ينتقص — اهميته الصحافية . ففي العام ١٩٦٨ ، وحينما اصيب الرئيس عبد الناصر بأزمة قلبية خطيرة ، الف عبد الناصر لجنة سداسية للاشراف على تسيير ادارة البلاد، برئاسة انور السادات ، وعضوية شعراوي جمعة ، والفريق محمد فوزي ، وسامي شرف ، وامين هويدي ، ومحمد حسنين هيكل . وعندما ابدى هيكل اعتراضه على الاشتراك في اللجنة ، قال له عبد الناصر بحضور السادات : « انت تعرف الخطوط الاساسية لتفكيري . ان الاخرين كلهم يشغلون مناصب رسمية ، اما انت فتعرف الطريقة التي يعمل بها عقلي ، ولذا فاني اريدك في هذه اللجنة » .

الميزة الاولى للكتاب اذن تكمن في شخصية الكاتب نفسه الذي تابع اجتماعاته مع عبد الناصر ثم مع السادات وكبار المسؤولين السياسيين والعسكريين ، ومع الشخصيات الاجنبية ، طيلة الفترة التي « يؤرخ » لها ، بل وخلال الايام والليالي التي شهدت حرب رمضان نفسها بما فيها من تفجرات وحالات صعود وهبوط . اذن فنحن امام كاتب جيد ، ومطلع جيدا ، ورافق بنفسه مجريات الكثير من الاحداث التي يعرض لها ، راصدا ذكيا ومتابعا ثاقب النظر .

ثانيا : والسبب الثاني لاهمية الكتاب مقارنا بسواه من المؤلفات عن حرب رمضان ، يتمثل في سلامة المقترب وصحة المدخل . فالكتاب لا يقفز الى حرب رمضان وكأنها انجاز مقطوع الصلة بالزمان والمكان ، بل يتناولها بدءا من نقطة الانطلاق الصحيحة التي كان ينبغي البدء منها ، وهي حرب ١٩٦٧ ومخلفاتها وذيولها والقرارات المستجيبة لها .

وتبرز اهمية هذه الميزة ، اذا ما القينا نظرة على ذلك الركام الغريب من ادبيات حرب رمضان الذي يتعمد لاسباب سياسية محضة ومكشوفة ، الكتابة عنها وكأنها نوع من النبت الشيطاني المدهش الذي يطفو فجأة فوق الصخور بلا جذور او مقدمات . ولعل هذا هو سر الحملة التي انفجرت في وجه هيكل كما يشير في المقدمة التي وضعها للنسخة العربية المترجمة . فهيكل يحاول ان يعيد « الفضل » الى اصحابه ، احياء كانوا ام اموانا ، في السلطة ام خارجها ، سياسيين او عسكريين » عبر مرحلة ممتدة من الزمن استغرقت ست سنوات ونيف من الاعداد العسكري والسياسي والاعلامي والاقتصادي ، بدءا من حرب ٦٧ الفاجعة ، ومرورا بالاعوام الثلاثة الاخيرة من عمر عبد الناصر التي قضاها مشغولا ليل نهار بالتهيئة لها ، وانتهاء بعهد السادات وقرار اكتوبر المشترك مع الرئيس الاسد في سوريا .

ثالثا : والميزة الثالثة في الكتاب انه ينطلق من افق شامل لا يحصر جهده في اطار الحرب بمعناها العسكري الضيق كقتال وخطط وتسليح

وميدان صراع وتكتيكات وهجوم ودفاع ، بل يضع الحرب في اطارها المناسب من خلال رؤية شاملة للعوامل السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والنفطية والاعلامية المتفاعلة والمتقاطعة التي تؤثر في منجزات الميدان سلبا وايجابا .

والكتاب وضعه هيكل بالانجليزية اصلا ، وصدر عن دار « كولينز » البريطانية بعنوان « الطريق الى رمضان — القصة الداخلية لاستعداد العرب لحرب اكتوبر ١٩٧٣ التي كادوا ان يكسبوها » . وصدر عن دار النهار للنشر في بيروت مترجما بعنوان « الطريق الى رمضان » فقط ، ولا بد من استعمال حسن النية لفهم سبب استبعاد القسم الثاني من العنوان الاصلي ، فيجوز انه في تقدير البعض يترك في نفس القارىء انطباعا مسبقا عن « عدم كسب » الحرب ... مع ما في مثل هذا الانطباع من مجافاة للادبيات السائدة .

ولا بد لي هنا من ان افتح قوسين واسعين للغاية ، للحديث عن الكتاب ككل شيء فيما عدا المضمون :

اولا : ان الاخراج الفني للكتاب ليس بالمستوى اللائق ، بل ان تصميم غلافه بالذات على درجة من « عدم الجمال » لا تعهدها في منشورات « النهار » الانيقة عادة .

ثانيا : ان الترجمة جيدة ، والاسلوب رشيق وسلس ، وان كانت هناك هنات ثانوية لا تعيب الجهد الواضح في اتقان الترجمة . فمرة يصف الجنرال زئيرا بانه مدير او رئيس المخابرات العسكرية ، ومرة ثانية بانه نائب مدير المخابرات (ص ٣٩) . وفي صفحة ٣٦ عندما يسأل الفريق اول اسماعيل كبار الضباط عما اذا كانت هناك اية دلائل على ان العدو ادرك حقيقة ما يحدث ، أجيب عن سؤاله بأنه ليس هناك شيء « ايجابي» يمكن ان يقال في هذا الشأن . وعوض « ايجابي» كان الاسلم ان يقول مؤكد ، او ثابت ، او ملموس ، او قاطع الخ .. وقوله في صفحة ٤١ ان مئير طلبت الى ايبان ابلاغ نيكسون بأن لدى اسرائيل « دلائل » قاطعة على ان المصريين على وشك ان يهجموا ... والاصح « ادلة » . وقوله ان عبد الناصر طلب الى الاتحاد السوفياتي تزويده بمعدات الجسور « كقرض » .. والصحيح « كاعارة » (ص ٥٥) . وقوله ان الوزارة الاسرائيلية رفضت مشروع روجرز باعتباره « تهدئة » للعرب ، والادق « ترضية » ص ٨٧. وهو يصف سعد الشاذلي مرة بانه « لواء » ومرة بانه « فريق » على الصفحة نفسها (٢١٤). ويقول جبل « هرمون » كما ينطق بالانجليزية ، وهو بالعربية حرمون (ص ٢٢٨) .

ثالثا : فيما يتعلق باللغة ، من الواضح تماما ان هناك تعجلا ادى الى بعض الهنات غير المبررة ، ان بالنسبة لبعض قواعد اللغة ، او بالنسبة للتركيب ، او بالنسبة لسياق المعلومات : « تعترف » يجب ان تكون « تعرف » ص ٢١ ، « خمس سنوات تالية التدريب المركز » .. من التدريب ص ٥٨ ، « والذين كانت ساهمت اعمالهم الفذة في » ... كانت اعمالهم الفذة قد ساهمت في .. ص ٦١ ، « حضره وزيري الحربية والداخلية » .. « وزيرا » طبعا ص ٣٨ ، « اما العالم العربي فكان في حالة البلبلة كاملة » .. عبارة يمكن ان تكون في اية صيغة الا هذه (ص ٤٩) « قضيت ليالي طويلة » .. ليال (ص ٥١) . « ان يزودونا » .. ان يزودنا (ص ٥٥) . « في بداية العام ١٩٦٧ بدأ عبد الناصر يفكر بتنشيط جبهة ثانية » .. والصحيح ١٩٦٨ (ص ٦٣) . « يخلعان احزمة مسدسيهما» .. والصحيح « حزامي » (ص ٦٤) « ارسل طلبه » .. في طلبه (ص ٦٦) . ان شعار البعث وحدة اشتراكية حرية ، والصحيح «وحدة حرية اشتراكية » (ص ٦٩) . يقول جربا مع الخطأ الشائع « برود » والصحيح « برودة » (ص ٨٠) لان البرود صيغة جمع لبرد بضم الباء . ويقول « ولكن ليس من أن يصفوا » والاسلم دون ان يصفوا ، أو لا ان يصفوا الخ .. (ص ٩٣) . « سيعتبرون سكوته » ص ٩٤ .. والصحيح « سكوتنا » .

ويتحدث المترجم عن الدشداشة (الرداء المحلي في الكويت وبعض اقطار الجزيرة) بصيغة المذكر وهي مؤنثة (ص ٩٦ و ص ٩٧) . « لكن القذافي كان سافر » .. والاسلم « كان قد سافر » ص ٩٩ . « وكانت بعض اقرب العناصر بدأت » .. والصحيح « بدأ » ص ١٠٢ . ويقول « ولما تمضي » والصحيح « تمض » ص ١٠٣ .

« في دار السفارة السوفيتية لا تبعد » والسليم « التي لا تبعد » ص ١٠٦ . « ان هناك كثيرون » والصحيح كثيرين (ص ١٤٤) . « لم يكن الاتحاد السوفياتي يزود بها حلفاؤه » والصحيح حلفاءه (ص ١٥٢) . « على درجة جعلت الخ .. » الى درجة (ص ١٥٢) . « يزايدون بعضهم بعضا » والاصح يزايدون بعضهم على بعض ، هذا اذا قبلنا لفظة « يزايدون » تمشيا مع الدارج ، لان الاصح يزاودون (ص ١٨٤) . « وكان دهشتها» طبعا وكانت (ص ١٨٨) . « ارتكب الاسرائيليون — في هجومهم المضاد على الجبهة المصرية في حرب رمضان — الاخطاء نفسها التي ارتكبها المصريون في العام ١٩٧٠ » والصحيح في العام ١٩٦٧ (ص ١٩٢) . « طلب الرئيس نيكسون عقد اجتماع لمجلس الامن القومي » والصحيح مجلس الامن الدولي لان مجلس الامن القومي هيئة وطنية اميركية خالصة (ص ١٩٣) ، « انهما يعتقدان اسرائيل » والصحيح يعتقدان بان اسرائيل (ص ١٩٧) ، « اعلان حالة التأهب النووي كانت غلطة » والصحيح كان غلطة لعودتها الى « اعلان » وليس الى « حالة » (ص ٢٣٠) . وفي الصفحة نفسها يقول « من نواحي » وهذا خطأ شائع كثيرا والصحيح نواح.

رابعا : ذلك فيما يتعلق بالاخراج والترجمة واللغة . أما فيما يخص التصحيح المطبعي فالامر يشكل فاجعة حقيقية بلا تجاوز أو مبالغة . ولا ندري اذا كان من واجبنا أن نبحث عن العذر التخفيفي لدار النشر المعنية في الاحداث الدامية المؤلمة في لبنان وما خلفته من شلل على كثير من أصعدة الحياة العامة والانتاج ، لكن الذي ندريه حقا هو أننا سجلنا قائمة بالاخطاء المطبعية التي تمكنا من ملاحظتها أثناء القراءة ، لو ابتغينا نشرها لاقتضى الامر منا عدة صفحات . فمثلا هناك حروف مبهمة غامضة تحل محل الكلمات والمفردات المقصودة يحتاج المرء الى ان يكون « منجما مغربيا » كي « يحزرها » ، واكتفي بالاشارة الى أرقام الصفحات التي توجد فيها هذه المجموعات العشوائية من الاحرف : ٤٩ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١٠٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢٠ ، ٢٣٣ .

أضف الى ذلك ان هناك العديد من الكلمات الناقصة أو الغائبة في الكثير من العبارات ، مثلا : « حيث كانت فترة نسبيا » ص ٩٧ ، فمن المؤكد ان العبارة تنقصها كلمة ما ، ولا داع للتكهن . وكذلك قوله « ... بعد الموت فربما كانت النهاية » (ص ٩٧) . « وفي يوم ... أغسطس » متى ؟ (ص ١٧٦) . وقوله أيضا « الدول .. للبترول » وواضح ان المقصود كان المنتجة للبترول (ص ٢٤٧). وقوله « أقيم سد رملي عال انشاؤه في » (ص ٢٢) الخ ...

أما الاخطاء المطبعية المحضة فلن نذكرها هنا لكثرتها كما قلنا ، لكننا نغتنم هذه المناسبة لنعرب عن الاسف لظهور كتاب بمثل هذه الاهمية ، على مثل هذا المستوى من الاخطاء وعدم العناية والاهمال . وليس من المغالاة في شيء اذا ما تمنينا اعادة طباعة الكتاب ، كي يخرج الى الناس بالصورة اللائقة السليمة .

أما الكتاب من حيث مضمونه ، فهو مقسم الى سبعة فصول ، وان اثنين من فصوله مقسمان الى عدة أجزاء . (وفي هذه المناسبة نشير الى انه كان من الانسب لو قلب الآية فقسم الكتاب الى سبعة أجزاء ، على أن يقسم ذانك الجزءان الى فصول لأن العادة جرت على ان « الجزء » أعم من « الفصل » وليس العكس !) .

طبعا هناك المقدمة التي خص بها هيكل الطبعة العربية ، والتي يرد فيها ببعض الايضاحات الضرورية ، على « من ساءهم بعض ما كتبت عن غير قصد ، وبغير سبب » !

أما الفصل الاول فهو عن « المفاجأة » ، ويتناول فيه الاعداد المباشر لحرب رمضان على الجبهتين المصرية والسورية ، والاجتماعات العسكرية والسياسية التي انعقدت لهذه الغاية ، وترتيبات الاخداع والتمويه التي انتهت بمباغتة الكيان الصهيوني في الساعة الثانية وخمس دقائق من بعد ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ . ويخلص القارىء من هذا الفصل الى ان مفاجأة العرب لأعدائهم تمت بسبب الاعداد الجيد والكتوم الذي قاموا به من ناحية ، وبسبب الغطرسة الاسرائيلية التي أعمت الصهيونيين عن رؤية الواقع ، بل وحرمتهم من الاستفادة من بعض الاخطاء المصرية من ناحية ثانية .

وبعد هذا الفصل ، يعود هيكل بطريقة « الفلاش باك » السينمائية الى الوراء .. الى « وقفة ناصر

الاخيرة » ، وهو عنوان الفصل الثاني الطويل من الكتاب . ويتناول في هذا الفصل الآثار التي ترتبت على هزيمة ١٩٦٧ ، والاتصالات العربية ، ودور الفلسطينيين ، والثورة الليبية وحكاية القنبلة الذرية التي « حلمت » القيادة الليبية بشرائها ، ومؤتمر القمة في الرباط ، والعلاقات مع الاتحاد السوفياتي ، ومسألة مشروع روجرز وقبول عبد الناصر به ، ومجزرة أيلول في الاردن ، ومؤتمر القاهرة الذي انتهى بوفاة عبد الناصر .

والفصل الثالث بعنوان « السادات يركب العاصفة » ويعرض فيه للمشكلات التي تعرفها : مسألة وقف اطلاق النار ، والاطاحة بجماعة علي صبري ، والانقلاب اليساري في السودان ، والمواقف السوفياتية من التوجهات المصرية الجديدة ، وحكاية الجاسوس راندوبولو الذي عمل لصالح المخابرات الامريكية ، والاتصالات السرية بين واشنطن والقاهرة التي كانت تجري عن طريق أجهزة المخابرات في الدولتين ، وقضية سنة الحسم التي انتهت بلا حسم ، وقضية امدادات الاسلحة السوفياتية لمصر وما رافقها من مشكلات وطلبات ورحلات ، ثم قرار الرئيس السادات ابعاد الخبراء السوفيات ، ثم فصل عن القذافي وثورة ليبيا يورد فيه هيكل حكاية الباخرة كوين اليزابيت — ٢ التي حملت عددا من أثرياء اليهود في الولايات المتحدة وأوروبا الى اسرائيل بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لاغتصاب فلسطين ، والتي أمر القذافي بتدميرها في البحر الابيض المتوسط ردا على اسقاط الطائرة المدنية الليبية فوق سيناء ، ثم مسألة تنامي العلاقات المصرية — الامريكية ، والضغوط العديدة الاقتصادية والنفسية والعسكرية والعربية والدولية التي « كانت تدفع الرئيس — السادات — بعناد نحو الحرب » . . .

والفصل الرابع من الكتاب عن الحرب ذاتها ، وتطوراتها الميدانية يوما بعد يوم على الجبهتين بصفة عامة ، وانتهائها بقرار وقف اطلاق النار والقرارين الصادرين عن مجلس الامن الدولي الرقمين ٣٣٨ و٣٣٩ .

ثم الفصل الخامس عن حالة التأهب النووي التي أعلنتها الولايات المتحدة ، ويتابع فيه الاتصالات العربية والدولية لوقف اطلاق النار عمليا .

والفصل السادس (أربع صفحات) يكرسه هيكل لصفات ومزايا حرب رمضان على وجه الاجمال .

وفي الفصل السابع والاخير يتناول معركة النفط التي انتهت بنجاح كامل و« رائع » للولايات المتحدة الامريكية !

أما وان هذه « المراجعة » للكتاب قد طالت نسبيا ، فيستحسن أن أسجل فيما يلي بعض الملاحظات والانطباعات :

١ — لعل أخطر ما في الكتاب شهادة هيكل في قضية الخلافات والاختلافات التي أحاطت بعملية ادارة الحرب أساسا . فالحرب أرادها الرئيس السادات « محدودة » كما أبلغ بذلك مجلس الامن القومي المصري في أول اكتوبر ١٩٧٣ ، بل لعله أرادها « محدودة جدا » الى درجة دفعت بريجنيف الى التساؤل بدهشة : « الى أي حد هي محدودة ؟ » . وعلى هذا فلقد رسمت الخطط المصرية أصلا على أساس « الاكتفاء » بعبور القناة وتطهير خط بارليف ، وايجاد موطىء قدم للقوات المصرية على شريط ضيق شرقي القناة . ولهذا فان القوات المصرية ما ان حققت هذه الاغراض في الايام الاولى من القتال ، حتى اعتبرت مهمتها منتهية من الناحية الاستراتيجية . ولعل هذا هو سبب الخلاف مع القيادة السورية التي يبدو انه كان لها تصور مختلف لمحدودية الحرب ، الامر الذي تسبب في نشوء ظاهرة « الوقفة المصرية » بين يوم ٨ اكتوبر وانتهاء يوم ١٣ اكتوبر ، وهو الاسبوع الخطير للغاية الذي ركزت فيه اسرائيل معظم قواها الضاربة ضد سوريا . بل ان هيكل يقول بصراحة « كانت هناك في الفترة ما بين يوم ٨ اكتوبر ويوم ١٠ اكتوبر فرصة . . وضاعت . واعتقادي الشخصي انه لو كان التقدم نحو الممرات قد استمر ، والاستيلاء عليها قد تم ، لأمكن تحرير سيناء كلها ، مع ما يترتب على تحريرها بنصر كهذا ، من نتائج سياسية لا يمكن تقديرها » ص ١٩٤ .

ولقد كان السوريون يرون ان الهجوم المصري يجب أن يستمر حتى تحرير الممرات . ثم يتبين ان هذا كان موقف السوفيات أيضا . ذلك ان السفير في القاهرة فينوجرادوف يقول لهيكل يوم ٩ اكتوبر : « لقد كنت اليوم في اجتماعات مستمرة مع ملحقينا العسكريين . وأقول لك الحق انهم غير مرتاحين

الى النحو الذي يتطور اليه الموقف . ولست أدري السر في عدم تقدم قواتكم . لماذا لم تدعموا مكاسبكم وتبدأوا الاندفاع الى الممرات ؟ ان هذا ليس بالامر المنطقي الذي يجب على جيشكم أن يفعله فقط ، لكنه يساعد أيضا على تخفيف الضغط عن السوريين » ص ١٩٧ . ثم نستنتج من خلال السطور ان السوريين بعثوا بثلاث عشرة رسالة استنجاد الى القيادة المصرية حتى يوم ١٣ اكتوبر ، أي خلال أيام « الوقفة » .

ولقد تسببت هذه « الوقفة » المصرية في ذلك الاسبوع الحاسم والمصيري من تطورات الميدان ، في خلق نزاع آخر داخل القيادة المصرية ذاتها ... وان قصة سعد الدين الشاذلي التي يعيد هيكل روايتها لم تعد جديدة على أحد ، وكذلك قصة « ثغرة » الدفرسوار — أبو سلطان المعروفة .

وفي الكتاب معلومات موضوعية قيمة للراغب في معرفة الحقيقة حول مواقف كل الاطراف العربية والدولية من قرار وقف اطلاق النار ومقدماته ونتائجه .

٢ — يتبين من الكتاب ان ابتعاد مصر عن المعسكر السوفياتي ، واقترابها من المعسكر الامريكي ، عمليتان كانتا تسيران بصورة تدريجية ، ومتصاعدة ، ومتوازية . واللافت للنظر ان هيكل حين يروي حكاية ابعاد الرئيس السادات للفنيين السوفيات اعتبارا من يوم ١٧ يوليو — تموز ١٩٧٢ ، يختتم الحكاية بما يلي : « ولقد درست كل الوثائق المتصلة بالموضوع ، وتحدثت مع معظم الاشخاص المتصلين به اتصالا وثيقا ، لكني مع ذلك وجدت نفسي لا أزال عاجزا عن معرفة السبب بالضبط الذي ضغط على الزناد فأطلق قرار الرئيس » .. أي قراره بابعاد الخبراء السوفيات . لكن هيكل يقول بعد ذلك كلاما ذا مغزى خاص حين يذكر ان السادات أبلغ الصحافيين المصريين انه كان قد قرر منذ ديسمبر ١٩٧١ بوجوب وقفة في العلاقات مع الاتحاد السوفياتي . كما أبلغ الرئيس السادات الصحافيين ان الامريكيين كانوا قد وجهوا اليه رسالة قبل يوم واحد من مقابلته للسفير السوفياتي لابلاغه بقرار سحب الخبراء السوفيات . كما يلاحظ هيكل ان الامير سلطان وزير الدفاع السعودي كان في زيارة لواشنطن قبل أن يصدر الرئيس قراره الخاص بسحب الخبراء السوفيات ، كما كان كمال أدهم في القاهرة وقت صدور القرار . ويتساءل هيكل عما اذا كانت هذه مجموعة مصادفات ؟!!

وبموازاة ذلك ، يسرد هيكل فصولا طويلة عن العلاقات المتنامية بصورة وطيدة مع الولايات المتحدة ، والاتصالات المستمرة معها ، سواء عن طريق الابواب السرية بين أجهزة المخابرات في البلدين ، أو بالمراسلات والزيارات واللقاءات المعروفة .

٣ — حبذا لو أعطى هيكل عناية أكبر للتطورات الحربية على الجبهة السورية ، وكذلك للدور الذي لعبه الفلسطينيون في الحرب سواء بعملياتهم الفدائية ، أو عبر جيشهم النظامي . على ان هيكل ينصف المقاومة تماما حين يعطي تركيزا كبيرا على أهمية عملية المقاومة في النمسا ضد حركة الهجرة الى فلسطين ، وهي العملية التي أشغلت اسرائيل كليا من قمتها الى قاعدتها في الفترة الحساسة التي سبقت الحرب مباشرة .

٤ — يتضح من الكتاب ان خطط العمليات المصرية التي نفذت في حرب رمضان ، كانت امتدادا للخطط المرسومة منذ عهد الرئيس عبد الناصر والفريق عبد المنعم رياض والفريق محمد فوزي . وهذا أمر طبيعي وسليم ولا ينبغي ان يكون مدعاة للانتقاص من أهمية دور الرجال والقادة الذين تحملوا عبء الحرب وتضحياتها فعلا .

٥ — ملاحظة طريفة ننقلها عن هيكل بالحرف لأنها تكشف طبيعة العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة : « أبلغني دونالد بيرجس المشرف على رعاية المصالح الامريكية في القاهرة ، أنه لمجرد سريان مفعول وقف اطلاق النار ، ستقوم الولايات المتحدة باعداد ترتيبات يستدعى اسحق رابين السفير الاسرائيلي في واشنطن بموجبها الى اسرائيل ليصبح رئيسا للوزراء ، وبعدها يمكن توقع بعض التقدم الحقيقي » . (ص ٩٢) . انه برهان آخر على تناهة كل ما يروجه الاعلام العربي السطحي عن « خضوع » الولايات المتحدة الامريكية للنفوذ الصهيوني . وانه دليل جديد على ان اسرائيل هي « الخاضعة » للمخططات الامريكية . أفلا يكفي « تعيين » السفير في واشنطن رئيسا للوزراء في تل أبيب للاقلاع عن سقم الاوهام التي يعيش عليها بعض العرب ؟

٦ — وبمناسبة الحديث عن الاعلام العربي الرسمي ، نشير الى ما سجله هيكل عن غياب الاعلام المصري « الذي بدا وكأنه أصيب بنوبة قلبية » بعد الايام الاولى للمعركة ، وعودة الشعب للاستماع الى الاذاعات الاجنبية (ص ٢١٤) ، ونورد ما ذكره هيكل من أن أجهزة الاعلام في القوات المسلحة المصرية طبعت ووزعت على جميع الجنود العاملين ، بعد يوم أو يومين من عبور القناة ، منشورا يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم . ان النبي صلى الله عليه وسلم موجود معنا في المعركة . يا جنود الله ... الخ .. » ثم يقول المنشور : « ان أحد الرجال الصالحين رأى في المنام النبي محمد صلى الله عليه وسلم يرتدي رداء أبيض ومعه شيخ الازهر يشير بيده ويقول : تعالوا معي الى سيناء . وقيل ان عددا من الرجال الاتقياء قد شاهدوا الرسول يسير بين الجنود تكسو وجهه ابتسامة رحيمة وتحيط به هالة من النور من كل جانب » . ثم يمضي المنشور الى القول : « يا جند الله .. من الواضح ان الله سبحانه وتعالى معكم » .

٧ — ناحية تستوجب الاهتمام نستخلصها من سرد هيكل لوقائع الحرب ، تتعلق بسوء وضعف وتردي المواصلات والاتصالات ، سواء بين العواصم العربية ، أو في داخل الدولة ذاتها . وما كان يترتب على ذلك من عواقب سلبية للغاية . فالرئيس البكر يمضي أياما دون ان يتمكن من الاتصال بدمشق أو القاهرة . والاتصالات بين دمشق والقاهرة ليست على ما يرام . والوحدات المصرية في منطقة الدفرسوار لم تتمكن من اقامة اتصال ملائم ، أو ان الآخرين فشلوا في الاستفادة منها كما ينبغي ، وكذلك فيما يتعلق بالاتصالات مع القوة المصرية الخاصة التي بلغت بير جفجافة يوم ١٧ اكتوبر والتي ذكرت ان الطريق أمام القوات المصرية الى الممرات مباشرة مفتوح الخ ... فاقامة نظام حديث للمواصلات والاتصالات أمر ضروري ، والاهم من ذلك الانتفاع بالمعلومات وسرعة توصيلها الى الجهة المعنية .

٨ — لعل ما يقدمه هيكل في ثنايا جميع الاجزاء والفصول ، من وصف للرجال والمواقف ، وسرد للكثير من اللمسات الذاتية واللمحات الشخصية والانطباعات الوجدانية ، هو أفضل ما في الكتاب في المنظور « الصحافي » المحض . فمن غير هيكل كان بوسعه أن يقدم هذه المتابعة لتطورات صحة عبد الناصر ، ورسم شخصية القذافي ، ووصف ما كان يجري في الاجتماعات مع القادة السوفيات ، ومع القادة السوريين ، و« كواليس » القمم العربية ، والملامح الفلسطينية ، وغير ذلك كثير ؟ وعلى سبيل المثال ، يرسم هيكل الكثير من ملامح الشهيد العظيم عبد المنعم رياض الذي يقول ان عبد الناصر كان يعلق عليه آماله لقيادة جيش التحرير . وها هو عبد المنعم رياض يقول لهيكل ذات يوم : « ليست لدي فائدة في كل هذا الكلام عن الحل السلمي . ان الجيش لا بد أن يقاتل ، واذا لم تتح له الفرصة للقتال ، فان رجالنا كلهم سيصبحون عبيدا ، وتصبح نساؤنا كلهن بغايا » .

محمد نصر

هاني مندس ، **العمل والعمال في المخيم الفلسطيني** ، بيروت ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٤

تشكل الدراسة الميدانية التي وضعها الكاتب هاني مندس عن مخيم تل الزعتر تحولا ملحوظا في طبيعة الدراسات التي كتبت عن أوضاع الشعب الفلسطيني . وذلك لشدة تقربها وتعايشها مع الواقع العيني لحياة المخيم الفلسطيني . فبالرغم من أن عنوان الدراسة يدل على تخصصها بدراسة أوضاع العمل والعمال ، فانها تجاوزت ذلك لتتناول الناحية الاجتماعية لحياة سكان المخيم ، فكانت دراسة اقتصادية اجتماعية تناولت جميع أوجه الحياة في تل الزعتر . هذا وقد تعرض الكاتب الى كثير من المسائل السياسية والحقوقية ، وأورد كثيرا من الملاحظات في هدف أن يساعد على دفع النضالات النقابية والسياسية الى الامام بناء على معطيات الواقع المعيشي للفلسطينيين .

أراد الكاتب من دراسته هذه ان تكون احدى الدراسات عن المخيمات الاخرى وذلك من أجل تحقيق الاهداف الاساسية التالية : « أ — تقصي طبيعة مشاكل وعلاقات العمل والاجور التي يعيش في ظلها الفلسطينيون . ب — تعيين نسبة التداخل الاقتصادي — الاجتماعي مع الوضع اللبناني . ج — تحديد مجالات قوة العمل الفلسطينية الاكثر تأثيرا في عملية ودورة الاقتصاد اللبناني . د — محاولة فهم حجم وحدود العمل النقابي والسياسي الفلسطيني المستقل . هـ — حدود وامكانية قيام عمل فلسطيني — لبناني مشترك ... و — توضيح صورة التركيب الاجتماعي الطبقي الجديد ... داخل المخيمات وخارجها بوجه عام » (ص ٢٦) .

ان تحقيق مثل هذه الاهداف تتطلب بصراحة جهدا كبيرا للغاية ومساهمة فرقة خاصة من الباحثين . من الطبيعي ان الكاتب لم يستطع بجهوده الفردية ان يحقق كثيرا من تلك الاهداف بالرغم من انه استعان لذلك بمساهمات شخصية وتنظيمية لكنها ظلت محدودة .

أورد الكاتب في مقدمته المنهجية خلاصة تجربته في اخراج هذه الدراسة ، فشكلت بالتالي دليل عمل لغيره من الباحثين حيث عرض كامل الصعوبات التي تواجه الباحث في ظروف المخيم الفلسطيني .

وتبين لنا ان هناك عراقيل كثيرة أمام عملية جمع المعلومات الاحصائية خاصة بما يتعلق بالدخل أو المعاش أو الاجرة اليومية للعمال والموظفين وذلك لشدة تخوف الفلسطيني وحذره الذي تراكم تاريخيا وأدى الى نشوء حالة نفسية مميزة ، تجعله يشك في عملية جمع الاحصاءات والمعلومات لكثرة ما ورد من مشاريع تصفوية عن طريق وكالة الغوث وبعض الهيئات الدولية والحكومات المختلفة . ولكن من الملاحظ ان الكاتب قد تأثر كثيرا بمثل هذه العراقيل خاصة واننا نلاحظ من خلال المطالب والملاحظات التي أوردها شدة تعلقه بأحاسيس الناس المباشرة والتزامه بعفويتهم . ونرى كذلك انه بالغ كثيرا في مدى تأثير تلك النفسية التي عاد بها الى أصولها القروية في فلسطين قبل ٢٥ سنة . أما الحقيقة فان الشعب الفلسطيني حاليا كبير الثقة بالثورة الفلسطينية وكافة مؤسساتها . فلو ان الكاتب اتبع طريق اشراك التنظيمات واللجان الشعبية (كما ينصح بنفسه) لما تأثر بتلك الصعوبات الطفيفة ولكن الكاتب استوضح تلك النقطة بعد أن خاض التجربة كلها بنفسه .

السكان والاوضاع الاجتماعية العامة في المخيم :

يعتبر هذا الفصل القسم الاول من الكتاب اذ يتناول مسألة السكان وأوضاعهم الاجتماعية بشكل عام . فنرى فيه رصداً لعملية نمو عدد السكان مرفقة باحصاءات مع تبيان أسباب تزايد هذا العدد من اقتصادية والاجتماعية وسياسية ... فنمو قطاع الصناعة على سبيل المثال كان العامل الاساسي لهجرة أهالي المخيمات الاخرى خاصة من الجنوب الى مخيمات بيروت وخاصة تل الزعتر الذي يقع في أهم منطقة صناعية من مناطق بيروت ومحافظة جبل لبنان .

يصف الكاتب في هذا الفصل حالة السكان الاجتماعية والتي تنطبق بمعظمها على باقي سكان المخيمات الاخرى ، حيث عاشوا في ظل نفس الظروف الصحية والسكنية والتربوية الخ .. ووكالة الغوث هي المسؤولة عن بؤس الشعب الفلسطيني وتتحمل الدولة اللبنانية نفس القدر من

المسؤولية تجاه شقاء سكان المخيمات حسب رأي الكاتب . ان كل ما أورده الكاتب من معلومات وأرقام عن حدود خدمات الوكالة ليس بالشيء الجديد فقد كتب من قبل الكثير عن مسؤولية الوكالة تجاه الشعب الفلسطيني وتخلفها في اداء واجباتها تجاه الشعب الفلسطيني . ولكن الشيء الجديد الذي يتعرض له الكاتب هي الآثار الاجتماعية والنفسية وبشكل خاص الآثار النفسية . وكما ذكرنا أعلاه فان الكاتب قد بالغ في شدة تأثير تلك النفسية مما دفعه للانجرار أمام عفوية الناس بتبنيه المطالب من الوكالة تلك التي أوردها في كتابه .

من الضروري هنا أن نتعرض لهذه المسألة التي يثيرها الكاتب ، فقد أعار انتباها خاصا في التحدث عن نفسية الفلسطيني . ولكنه لم يستطع ان يميز خصائص النفسية القديمة العائدة الى الاصول القروية ولم يبين حدود تأثيرها خاصة بالنسبة الى النفسية الجديدة التي نشأت على أساس اقتصادي واجتماعي جديد لا يمت بصلة الى القرية .

من المفيد جدا لمثل هذه الدراسة ان تعرض آثار مسؤولية الوكالة عن حالة الشعب الفلسطيني لفترة عشرين أو ٢٥ سنة من الهجرة . ولكن يصبح من غير المفيد ان نعيد صياغة مطالب أهالي المخيم من الوكالة وكأنها برنامج عمل نضالي مطلبي . ان تبني هذه المطالب انما يعني تلبية حاجيات الناس الذين ما زالوا يتميزون بالنفسية القروية القديمة . ان الوكالة هي التي عملت على تجميع الفلسطينيين داخل المخيم الواحد تبعا لأصولهم القروية . فجمعت أهالي قرية هونين في احدى زوايا المخيم وأهالي علما وفراضه وغيرها من القرى الفلسطينية في أماكن أخرى من المخيم نفسه . وابقت الوكالة بالتالي على العلاقات العشائرية القروية ولكن بصورة اصطناعية . فليس هناك من قاعدة مادية انتاجية لبقاء مثل هذه العلاقات . فهي اصطناعية هذه المرة لأنها تجعل من معونات وخدمات الوكالة قاعدة مادية لاستمرار النزعة التي يقول الكاتب انها قروية ... ان بقاء مثل تلك العلاقات العشائرية الاصطناعية جعل عملية سيطرة الوكالة والدولة اللبنانية تامة وأكيدة لأنها توصلت الى أهالي المخيم عن طريق الوجهاء وكبار أعضاء العائلات المختلفة . لذلك يجب الادراك ان أهالي المخيم يعيشون في حالتين نفسيتين متعارضتين :

أ — النفسية الاصطناعية - التي- أبقت عليها الوكالة والتي تعود أصولها الى القرية الفلسطينية. والتي لم يعد لها أي أساس انتاجي اجتماعي بل اتخذت من خدمات الوكالة ركيزة مادية لوجودها .

ب — النفسية الجديدة هي نفسية « الوحدة الاجتماعية السياسية » التي تحدث الكاتب عنها في مؤخرة الكتاب . نتجت هذه النفسية عن الظروف الانتاجية الجديدة التي تطورت منذ أواخر الخمسينات وأفرزت واقعا جديدا لسكان المخيم .

ان ما بقي من آثار نفسية القروي هو جانب الحنين والارتباط الروحي بالارض المفقودة ، وهذا ما دفع الى استمرار النزعة الوطنية للفلسطينيين . أما الواقع الاجتماعي الحالي — التشتت والبؤس ومعاملتهم كأجانب في البلاد المضيفة واستغلال قوة عملهم وعدم اعطائهم أدنى حد من الحقوق المدنية والسياسية . هذا الواقع هو الذي دفع الفلسطينيين الى النشاط السياسي الحالي . وبديهي أن النشاط السياسي الثوري الحالي له الدور الرئيسي في تعبئة طاقات الشعب الفلسطيني من أجل استرجاع الوطن .

فبناء على هذا لا يمكن ان نضع كافة المطالب من الوكالة في برامج المنظمات الفلسطينية النقابية والسياسية . اذ ان هذه المطالب تعبر عن عقلية « اللاجىء » الذي خرج لتوه من فلسطين ويطالب ببديل مباشر عن الارض . وهكذا فان خدمات الوكالة قامت بتلبية الحد الادنى لاستمرارية حياة الشعب الفلسطيني بعد ان خسر كل مقومات الحياة مباشرة بعد النكبة والهجرة .

لنرى الآن كيف أغفل الكاتب جانبا مهما من حياة الشعب الفلسطيني وهو حق نشاط الثورة الفلسطينية العلني الذي انتزع عام ١٩٦٩ . لذلك لم يكن الكاتب جريئا ليخاطب الفلسطيني بلهجة تتطلب منه الاعتماد على النفس والاستغناء التدريجي عن خدمات الوكالة . فقد كتبت هذه الدراسة في أواخر عام ١٩٧٢ ونشرت عام ١٩٧٣ . أثناء تلك السنوات وقبلها طرأت تغيرات جذرية على طبيعة الاوضاع الاجتماعية داخل مخيم تل الزعتر ، وأصبحت منظمات الثورة هي المسؤولة المباشرة عن حياة الشعب الفلسطيني . ان معظم

المطالب التي صاغها هاني مندس قد تحققت أو بدأت تتحقق منذ اللحظة الاولى لتواجد قوات الثورة . ففي مجال السكن فقد بدأ الفلسطينيون في بناء مساكن جديدة بدل اكواخ التنك ولا يوجد الآن مرحاض عام واحد بل زودت المساكن بالماء والمراحيض والكهرباء . فان الذي حرم الفلسطينيين من بناء أو ترميم منازلهم ليس الفقر المدقع كما يصور البعض ولكن تدخل الدولة اللبنانية التي أرادت الحفاظ على الارض المستأجرة لصالح أصحابها العقاريين . أما في مجال التغذية فلا حاجة على الاطلاق لخدمات الوكالة اذ أصبح الفلسطينيون جماعة منتجة عاملة . وعلى صعيد الخدمات الطبية فقد وجد منذ عام ١٩٧٠ اكثر من مستوصف وبوجد الآن اثنان من المستشفيات أحدهما تابع لمنظمة الهلال الاحمر التي تسعى الى بناء أكثر من مستشفى داخل المخيمات وخارجها . وعلى صعيد الصحة العامة فقد بدأت عملية تغطية المجاري والاعتناء بنظافة الممرات التي رصفت بالاسمنت والحديد .

أشار الكاتب في بعض مواضع كتابه الى ضرورة تكثيف نشاط أهالي المخيم ولكنه لم يعط الاهتمام الكافي لهذه المسألة . والوكالة على أي حال تتجه ان شئنا أم أبينا الى تقليص حجم خدماتها ولا يمكن أن يتعدى موقف الثورة من الوكالة اكثر من عدم مطالبتها بأي شيء جديد والتحفظ أمام ضرورة استمرار خدماتها . فلو ان امكانيات الثورة كافية للاستغناء حتى عن الخدمات التربوية لطالبنا بذلك . ولكن المسألة من جديد ليست بيدنا . ولا ننس ان للشعب الفلسطيني الذي يدفع الضرائب كاملة للدولة اللبنانية مطالب من الحكومات اللبنانية فيمكن في يوم من الأيام ان نطالب وزارة التربية بادارة مدارس الاونروا وهذا حق شرعي ومباشر . فالخلاصة انه في ظروف تصاعد الثورة لا يوجد لنا مفر يمكن التمسك به لمطالبة الوكالة بالحاح كما يبرزه الكاتب هاني مندس .

حجم المؤسسات : يقدم الفصل الثاني عرضا مكثفا عن حجم المؤسسات ونسبة العمال الفلسطينيين الى باقي عمال هذه المؤسسات . ومن خلال الجداول الاحصائية الواردة في هذا الفصل يستخلص الكاتب معظم استنتاجاته عن الوضع العام للعمال الفلسطينيين في المخيم . فقد بينت هذه الجداول عدة أمور : ١ — ان نسبة العمال الفلسطينيين الى العمال بشكل عام أعلى في المؤسسات التي تضم من ١٠ — ٢٤ عاملا من نسبتهم في المؤسسات الكبيرة والصغيرة التي تضم اكثر من ٥٠ عاملا وأقل عن ١٠ عمال . ٢ — عدد العاملات الفلسطينيات مرتفع جدا بالنسبة لعدد العمال الذكور في المؤسسات الكبيرة .

يظهر الكاتب تشاؤما ملحوظا من هذه النتائج على صعيد الآثار الطبقية والسياسية — التنظيمية . ويعرض أسباب هذه النتائج هذه الاسباب التي لا نعتبرها كافية .

— يقول الكاتب ان انخفاض نسبة العمال الفلسطينيين في المؤسسات الحرفية (أقل من ٥ عمال) تعود الى أسباب العائلية . وبهذا ينسى ان الحرفيين الفلسطينيين بمعظمهم يعملون في حرفياتهم الخاصة ، وهم كذلك لا يستخدمون أحدا من خارج اطار العائلة أو القرابة .

— السبب في عدم وجود نسبة عالية في المؤسسات الكبيرة يعود (حسب الكاتب) فقط الى عدم الحصول على اجازة عمل وبالتالي عدم شمول العمال بالضمان الصحي والاجتماعي . هذا بينما نرى على الوجه الآخر ان المؤسسات الكبيرة في قطاع الغذاء والنسيج لا تشترط اجازة العمل . وهم يستخدمون العاملات اللبنانيات والفلسطينيات لانخفاض الاجرة ، وهناك عدد من الاسباب — عدا انخفاض الاجرة — التي تمنع العمال الفلسطينيين الذكور من العمل في هذه المؤسسات . فان حجة طلب الاجازة التي تقف عائقا شكليا لا تشكل السبب في عدم تمركز العمال الذكور في المؤسسات الكبيرة .

ولمعرفة أسباب هذه الظواهر ينبغي دراسة عدة مسائل بشكل خاص ، منها ان المؤسسات التي تضم من ١٠ — ٢٤ عاملا (حيث يوجد نسبة عالية للفلسطينيين) لم تكن طوال الوقت على نفس الحجم خاصة في فترة أواخر الخمسينات وأوائل الستينات . فقد كانت حرفيات أصغر حجما استخدمت عددا غير قليل من القاصرين أبناء سكان مخيم تل الزعتر . وفي هذه الحرفيات تعلم القاصرون المهن المختلفة خلال عدة سنوات وشكلوا فئة العمال الماهرين خاصة في قطاع الميكانيك والموبيليا والمنجور الخ .

وحصل هؤلاء على أجور أعلى بمجرد انتقالهم من مؤسسة الى أخرى بعد تخصصهم في المهنة المحددة . ولدى هذه الفئة من العمال الماهرين الاسباب الكافية لعدم توجههم للعمل في المؤسسات الكبيرة وتفضيلهم البقاء في تلك المؤسسات الصغيرة المتطورة نسبيا :

أولا : ان الحد الادنى للأجور الرسمي منخفض بالتأكيد عن أجورهم كفئة « معلمين » في المصانع الصغيرة .

ثانيا : لا يتخلى العامل الماهر عن مهنته ومهارته مقابل استخدامه في مصنع يعتمد في أساسه على المكننة .

ان وجود المصانع الكبيرة قد ضايق بشكل ملحوظ المصالح الحرفية الصغيرة والمتوسطة مما أدى كذلك الى هجرة أكثر العمال الماهرين الى الخارج — فمعظم المهاجرين من تل الزعتر هم من العمال الماهرين .

لماذا نجد أن نسبة العمال اللبنانيين في المؤسسات الكبيرة أكبر منها في المؤسسات الصغيرة ، وبالمقابل انعدام أو انخفاض نسبة العمال الفلسطينيين في تلك المؤسسات ؟. يعود السبب في ذلك بكل بساطة الى أصل الاعداد المهني لجموع العمال من الطرفين . فالاعداد المهني للفلسطينيين كان في غالبيته كما ذكرنا عن طريق العمل المبكر والتحصيل المهني داخل المؤسسة في القطاع المعين مما ساعد على ربطهم بهذه المؤسسات الصغيرة . بينما نرى أن مصدر قوة العمل في المؤسسات الكبيرة هو الريف اللبناني . فالفلاح الذي ترك أرضه لا يعرف عن الصناعة شيئا ولا يملك بالتالي أية مهارة أو خبرة . فالمكان الوحيد الذي يستقطبه هو المصنع الكبير المكنن الذي لا يتطلب مثل هذه المهارة أو الخبرة .

ان دراسة ما ورد أعلاه بشكل خاص يوضح هذه المسألة بشكل كاف . لذلك فان هذا الفصل من الكتاب غير كاف ، ولا يأخذ من المسألة سوى جانب واحد غير هام ولا يعطي سوى القشرة الخارجية التي يدركها العمال بأنفسهم ونعني جانب اشتراط الاجازة أو المعيقات من القوانين الاخرى المتشددة . ان التحول الاجتماعي لفئة لا تتم بازالة بعض القوانين أو المعيقات القانونية كما يقول الكاتب ، بل هي عملية معقدة تاريخية واقتصادية ونفسية . لذلك لا معنى أبدا لقول الكاتب : « ينبغي التصدي للمعيقات والاسباب التي تقف حجر عثرة أمام تطور العمال الفلسطينيين وتحول قسم كبير منهم الى بروليتاريين » (ص ٨٣) . فالمنطق والعلم يقولان بأن الوضع الطبقي للعمال الفلسطينيين سيتغير بتغير الظروف الاقتصادية (الموقع الانتاجي — المهارة — الاعداد المهني — النفسية الخ) وعندها ستتغير القوانين بلا شك .

توزع العمال الفلسطينيين حسب القطاعات والمهن : يتناول هذا الفصل الكبير (٨٥ — ١٦٦) كل المسائل والمعلومات التي تتعلق بعدد العمال الفلسطينيين من المخيم وتوزعهم على مختلف المهن والقطاعات الاقتصادية ، وهو يشكل المقدمة للفصل الرابع الذي يتناول الناحية الطبقية لتوزع العمال في المهن والقطاعات المختلفة في هذا الفصل نجد كثيرا من النماذج الحية التي تعطي صورة واضحة ومفصلة عن نوع العمل وأوضاعه وشروطه وحجم الاجور والتعويضات الخ . ان هذه النماذج ، وهي كثيرة جدا ، تنقل الصورة كما هي ظاهرة في الواقع ، فجمعت ما هو ضروري لهذه الدراسة وما هو غير ضروري وقد جاءت كتقرير عن أوضاع العمال بشكل عام في المصانع وخصائص كل مهنة وحرفة ، وليس فيها ما يخص الفلسطيني سوى مسائل العلاقات القانونية . فمن خلال هذا التقرير يمكن التعرف على خصائص كل مهنة من الناحية الصحية والاجرة ومتطلبات المهنة في مجال صيانة القوة العاملة وزيادة الانتاجية وكل ما يتعلق بالعلاقات بين أصحاب العمل والعمال . والتقرير بالاضافة الى ذلك يعطي احصاءا شاملا لعدد العمال الاجمالي وعددهم في كل مهنة وعدد العاطلين عن العمل الخ . وكل ما نستطيع قوله عن هذا التقرير انه يشكل مادة مفيدة وغنية للنقابات وخاصة الاتحاد العام لعمال فلسطين فرع تل الزعتر بحيث يشمل المعلومات التي ينبغي على اتحاد العمال نفسه جمعها ليستطيع اتخاذ الخطوات اللازمة في الوقت المناسب للدفاع عن العمال والتعرض لحل مشاكلهم الخاصة والعامة .

أما في الفصل الرابع فنجد أرقاما وجداول تبين باختصار نسبة عمال وعاملات المخيم الى مجموع

السكان ، وتوزعهم — بالارقام — على القطاعات المختلفة ، الزراعة والصناعة والخدمات . وبالتالي يبين هذا الفصل التحول الذي طرأ على التركيب الاجتماعي للسكان مع مقارنة المخيم مع باقي الاحياء الشعبية اللبنانية .

ومن احدى غايات الكاتب في عرضه ودراسته للوضع الفئوي للعمال هي معرفة حدود مساهمة كل فئة من العمال ومجموع السكان في النشاطات السياسية — التنظيمية والنضالية . يقسم الكاتب العمال الى ثلاث فئات : « ١ — فئة البروليتاريا (العمال الصناعيون في المؤسسات الكبيرة) . ٢ — أشباه البروليتاريا (الفئات العمالية الكادحة خارج المؤسسات الكبيرة) . ٣ — فئات عمالية رثة (الفئات العمالية التي تزاول أعمالا هامشية وخدمات ثانوية) » (ص ١٧٣) .

يرتكب الكاتب هنا خطأ في التمييز بين الفئة الاولى والثانية ، اذ ان البروليتاريا ليس بالضروري ان توجد في مؤسسات كبيرة أو صغيرة ما داموا يبيعون قوة عملهم لصاحب العمل ولا يملكون أدوات الانتاج . فالفئة الاولى والثانية اذن هم بروليتاريا . فان التمركز أو عدم التمركز لا يغير في جوهر الامر شيئا على صعيد التقسيم الطبقي . فالبروليتاريا تنشأ داخل الورش والمصانع الصغيرة في الاصل ثم تبعا لتطورات اقتصادية معينة تحصل عملية التمركز . ولا شك ان هذا التمركز يؤدي الى تغيير في نفسية العمال ويعطي خصائص اجتماعية أرقى منها في حال عدم التمركز . أما عن اصطلاح « أشباه البروليتاريا » فانه يستخدم للفئات التي تملك أدوات انتاج ولكنها لا تكفي لاعالتها فتضطر الى بيع قسم من قوة عملهم خلال موسم أو فترة معينة من أوقات العمل . ولا نجد مثل هذه الفئات الا في الريف حيث يوجد الى جانب العمال الزراعيين الذين لا يملكون وسيلة الانتاج (الارض) فئة من أشباه البروليتاريا التي تملك قطعة صغيرة من الارض ويبيعون قوة عملهم لغيرهم من الملاكين .

أما على صعيد تصنيف الفئات غير العمالية فان الكاتب يقع في خطأ آخر . وبالرغم من تحفظه « المنهجي الوجيه » لا يحق للكاتب ان يصنف فئات البرجوازية الصغيرة « الكادحة » في صفوف فئات العمال نتيجة تأرجح الوضع المهني ومستوى الاجر — اذ ان التقسيم الطبقي أو الفئوي لا يعتمد اطلاقا على مستوى الاجرة ، هذا من الناحية النظرية العلمية . أما اذا ظن الكاتب ان هناك خصوصية في المخيم الفلسطيني فهو مخطىء أيضا . فلو كان الامر كذلك لنسفنا كل الاسس التي اعتمد عليها الكاتب في تصنيفه للفئات العمالية وخاصة الفئات العمالية الرثة . فان دخل بعض هذه الفئات (بائع بانصيب مثلا) يبلغ أحيانا ثلاثة أضعاف أو أربعة أضعاف دخل البروليتاريا أو أشباه البروليتاريا ، ومع ذلك فهم لا يشكلون فئة أرقى اجتماعيا . لذلك فان الكاتب قد اخطأ في اعتبار العاملين لحسابهم الخاص من صفوف العمال خاصة باعة الخردة أو تحف شرقية أو في مهنة التريكو والخياطة . ان ارتكاب مثل هذا الخطأ يكرس الخطأ الموجود في اتحاد العمال (فرع تل الزعتر) فمسؤول الاتحاد موظف وأعضاء مجلس الاتحاد بمعظمهم من « المعلمين » الصناعيين أو أصحاب الدكاكين وتجار الخردة الصغار وغيرهم من فئات ارستقراطية العمال .

العمل النقابي الفلسطيني : يقع الكاتب في نفس خطأ الاقتصاديين عندما يحدد بشكل عام أهمية العمل النقابي .. ففي أكثر من مكان في الكتاب يذكر ان العمل السياسي الجماهيري ينطلق من الحاجيات المباشرة للجماهير . وان النضال المطلبي هو نقطة الانطلاق في نجاح أي عمل سياسي واسع . فكما ان الكاتب قد اندفع عمليا خلف عفوية جماهير المخيم وذلك بعرضه لتلك المطالب باسم الاهالي ، فانه يؤكد ذلك على المستوى النظري ولكن الواقع قد أثبت بدون شك ان العمل السياسي للثورة الفلسطينية قد نجح وتطور واستقطب كل الجماهير منذ اللحظة الاولى دون ان يكون هناك حاجة لتحقيق أية مكتسبات مادية مباشرة وآنية . وهذه الواقعة تثبت عكس ما يحاول الكاتب أن يشدد عليه . فان نزعة المكتسبات الحالية والمباشرة هي نزعة عفوية نقابية محدودة . ولا ينجر خلفها سوى البسطاء من الناس .

دور النقابة في ظل الثورة : ذكر الكاتب انه لا يوجد علاقات استغلال داخل صفوف التجمعات الفلسطينية . لأن الصراع الطبقي داخل وحدة المخيم لا يوجد لها أساس مادي . وبالتالي فان للعمل النقابي الفلسطيني مجال آخر للنشاط داخل الوحدة الاجتماعية الفلسطينية . ان أهم القضايا المطلبية

التي حددها الكاتب نفسه هي الغاء اجازة العمل ومعاملة الفلسطيني كعاملة المواطن اللبناني ورفع القيود والعراقيل القانونية ... فاذا كانت هذه هي أهم المطالب فاننا نقول انها ليست مطالب اقتصادية أكثر مما هي مطالب سياسية وهذا ما أشار اليه الكاتب في الفصل الخامس ص ٢٠٢ . لذلك فان أمر تحقيق هذه المطالب يخرج عن نطاق حدود العمل النقابي . فكما استطاع النشاط السياسي للثورة الفلسطينية ان يكسر كثيرا من القوانين المعيقة لحرية حركة وتنقل الفلسطيني وحرية نشاطه العسكري والسياسي الواسع النطاق ، فان الثورة قادرة في المستقبل القريب ان تشل فعالية القوانين المعيقة الاخرى تبعا لحاجيات الثورة الضرورية والاساسية من أجل تطورها ونموها . أما عن دور العمل النقابي الفلسطيني في مجال النضال المطلبي داخل المصانع من أجل رفع الاجور وغيرها فانه لا يوجد أي دور قيادي أو مبادر وذلك لعدم وجود أدنى حد من تمركز القوى العاملة الفلسطينية داخل كافة المصانع . لذلك فالدور الاساسي والرئيسي يعود للنقابات اللبنانية في هذا المجال وكما لاحظنا ان كل مكسب اكتسبته الطبقة العاملة اللبنانية على صعيد الاجور وغيرها قد أفادت منه الفئات العاملة الفلسطينية بشكل اوتوماتيكي . لذلك فان دور العمال الفلسطينيين يقتصر على المساندة والتأييد ولا يمكن أن يتعداه الى مجال المبادرة أو قيادة الاضراب-الاقتصادي أو غيره من وسائل النضال النقابية .

فما هو دور النقابة في داخل الوحدة الاجتماعية السياسية للفلسطينيين ؟ في ظل الثورة لا يتعدى دور النقابة على قيادة المشاريع الاصلاحية العامة داخل المخيم . وحشد الطاقات من أجل انجاز تلك المشاريع الاصلاحية كبناء الملاجىء وانشاء المستوصفات والقيام بحملات صحية عامة الخ . والنقابة بالتالي لا تشكل أكثر من مدرسة للعمل الإجتماعي النافع داخل المخيم نفسه . أما على الصعيد الدولي فان النشاط الاعلامي في فترة صعود الثورة واكتساب الاصدقاء هي المهمة الاساسية والممكنة . ان أي انحراف في تحديد مهام النقابة الفلسطينية لا يؤدي الا الى الارتباك والبلبلة . فالوضع النقابي الفلسطيني له مميزات خاصة نظرا لتشتت الشعب الفلسطيني وعدم تمركز قواه العاملة . وهذا ما يدركه الكاتب نفسه ولكنه حين يتعرض الى دور النقابة وواجباتها فانه لا يتعدى ذكر الكلاسيكيات العامة التي تنطبق على كافة النقابات في العالم وتسقط من الحساب الوضع المميز على الصعيد الفلسطيني خاصة في ظل صعود الثورة .

الخاتمة :

لا شك ان الكتاب حافل بكل جديد على صعيد المعلومات والاحصاءات ، ولكنه على صعيد بعض الاستنتاجات والاحكام فان الكاتب لم يستطع ان يتخلص من النزعة العفوية التي عبر عنها سكان مخيم تل الزعتر لذلك فانه اندفع الى الالتزام بالمطالب التي يراها الناس العفويون مناسبة وضرورية ولكنه لم يصغ بنفسه هذه المطالب بناء على الواقع العيني الذي عايشه بنفسه فهناك الكثير من المطالب والارشادات التي تساعد الفلسطيني أن يدرك ما هو جديد في حياته ووضعه ولكنه لا يستطيع ادراكها بنفسه . والجرأة والصدق في طرح الجديد من مميزات الكاتب الثوري الملتزم . أما الالتزام بعفوية الجماهير والاستسلام لنفسيتها التي تراكمت تاريخيا فليست سوى علامة السلبية والجمود .

عدنان الفول

تقارير

مؤسسة صامد :
محاولة لبناء مؤسسة انتاجية

تحمل مؤسسة صامد اسم « جمعية معامل ابناء شهداء فلسطين » ومرخص لها من قبل السلطات المحلية للعمل داخل مخيمات الفلسطينيين في سوريا ولبنان . وقد ظهرت الى الوجود في العيد الخامس لانطلاقة الثورة الفلسطينية في العام ١٩٧٠ وقد بدأت عملها في الاردن داخل مخيمات الفلسطينيين هناك ، وبعد مجازر ايلول والاحراج حظرت السلطة الاردنية اعمال هذه المؤسسة وقامت باغلاق فروعها داخل الاردن ، جاء في قرار تأسيسها تحديد اهدافها على النحو التالي :

اولا : استيعاب اكبر عدد ممكن من ابناء وبنات شهداء الثورة الفلسطينية في مراكز مهنية تتبع الجمعية لتأهيلهم بمهنة شريفة تؤمن لهم العيش الكريم .

ثانيا : استيعاب اكبر عدد ممكن من ابناء وبنات شهداء الثورة الفلسطينية والمتضررين في سبيلها للعمل في مرافق الجمعية .

ثالثا : رفع المستوى المعيشي والثقافي والاجتماعي لاسر شهداء فلسطين والجرحى والمتضررين من اجلها .

رابعا : توفير السلع التي تنتجها الجمعية لابناء المخيمات واسر الشهداء والمتضررين بأسعار تتناسب ودخلهم المحدود .

خامسا : العمل على تأمين مورد ثابت لاسر الشهداء والمتضررين .

سادسا : تشجيع انتاج الشعب الفلسطيني بمختلف الوسائل .

ان قراءة هذه الاهداف المحددة لجمعية صامد يوضح ان الدافع الاول وراء تأسيسها كان حماية أسر الشهداء . والاهداف جميعها تقريبا تدور حول اسرة الشهيد سواء في اولوية العمل في مرافق الجمعية او في تلقي التدريبات في المراكز المهنية التابعة للجمعية ، والاهداف الاخرى تؤكد على رفع مستوى المعيشة وتأمين مورد ثابت للاسرة بعد فقد معيلها ، واما الهدف السادس والاخير فيلقي على عاتق الجمعية تشجيع انتاج الشعب الفلسطيني بمختلف الوسائل . وهكذا نرى ان اساس فكرة انشاء جمعية صامد يكمن في ضرورة ايجاد حل لمشكلة عملية واجهت الثورة الفلسطينية وهي مشكلة اسرة الشهيد او الجريح او المتضرر ، فلم يكن في ذهن المؤسسين في بداية الامر اكثر من ايجاد مؤسسة ذات طابع خيري وانساني لرعاية اسر الشهداء . في اغلب الظن، ان المؤسسين قد لاحظوا وعاشوا المآسي التي لحقت بالاسر والعائلات الفلسطينية التي فقدت معيلها بعد ثورة ١٩٣٦ ونكبة عام ١٩٤٨ عندما فقد الشعب الفلسطيني كيانه وتشرد ابناؤه في انحاء الارض ، وذاقت اسر الشهداء طعم الذل والهوان ، ولهذا وفي غمرة النضال شعر قادة الثورة باهمية هذا الجانب في حياة كل مناضل ، وقد جاءت هذه المؤسسة لتتعهد الاسرة والاولاد بالعلم والرعاية .

ان مما يلفت النظر هنا ان هذه الاهداف جاءت خالية تماما من اية اشارة الى تنمية موارد الثورة . فالهدف السادس للجمعية يشد الى « تشجيع انتاج الشعب الفلسطيني » دون ان يربط بين هذا الانتاج وبين وضعه في خدمة

الثورة ، وهذا ما يؤكد ما قلناه من ان مؤسسة صامد كانت في بداية نشأتها مجرد جمعية خيرية انسانية تتولى شؤون اسر الشهداء وهذا النقص في تحديد اهداف صامد يعود بالدرجة الاولى الى ان تأسيسها قد جاء في مرحلة المد الثوري وهي مرحلة يغلب فيها الحماس ، ولم تكن الثورة قد واجهت بعد ، الحاجة الى بناء مؤسسات انتاجية توفر للثورة احتياجاتها المختلفة ، مضافا الى هذا ان عدم وجود ارض يمكن استغلالها على نطاق واسع قد ابعد عن ذهن المؤسسين مسألة تنمية الموارد لتأمين احتياجات الثورة .

تطور جديد وأهداف جديدة

ولكن وبعد اربع سنوات ، مرت فيها الثورة بتجارب ومحن كثيرة فان احدى نشرات صامد تتحدث عن الانجازات التي حققتها صامد على النحو التالي :

اولا : رسم الخطوط المدئية لخلق الاقتصاد الفلسطيني الثوري المتكامل .

ثانيا : خلق واستقطاب الكوادر الفنية الثورية.

ثالثا : اكتساب الخبرة من خلال الممارسة العملية للمشاركة في بناء القطاع العام الفلسطيني .

رابعا : رفع المستوى المعيشي والثقافي للاسر التي يشارك ابناؤها في العمل في صامد .

خامسا : محو الامية في كافة المشاغل .

سادسا : التوعية السياسية والتعبوية والتنظيمية بكافة الوسائل .

سابعا : المشاركة في الحملات الاعلامية لصالح الثورة من خلال المعارض التي تشارك فيها صامد وابراز الوجه الحضاري والانساني للثورة . وادخال القضية الى كل القلوب وكل البيوت من خلال ادخال منتوجاتها .

ان صامد تتحدث هنا لاول مرة عن « خلق اقتصاد ثوري وعن بناء « القطاع العام الفلسطيني » وترتبط ربطا واضحا بين الانتاج والقتال فحيث تدخل المنتوجات تدخل القضية ، والحديث عن خلق اقتصاد ثوري وعن بناء قطاع عام نقل صامد من مؤسسة انسانية وخيرية الى مؤسسة انتاجية . وبهذا التحديد لاهداف صامد تكون الثورة الفلسطينية قد عبرت بوضوح عن حاجتها الى موارد مالية واقتصادية تخضع لاشرافهاوتوجيهها ، وعلى الاغلب فان تطور علاقة الثورة بالاقطار العربية على نحو متفاوت يخضع لاعتبارات عدة ، قد وضع الثورة امام ضرورة توفير حد ادنى من الموارد المستقلة لضمان استمرار الثورة ذاتها في مراحل الجزر والحصار ، وتجدر الاشارة هنا الى ان الثورات عموما تقوم بمراجعات شاملة في مراحل الجزر والحصار لتستكمل اسباب قوتها لتعاود الهجوم من جديد ، ومن الواضح ان مراجعة الثورة الفلسطينية لتجربتها المريرة في الاردن قد حتمت عليها ضرورة العمل على تأمين موارد ثابتة ومستقلة ، وهذا ما يفسر لنا الاشارات الاولية ، الواردة هنا حول موضوعة رسم الخطوط المبدئية لخلق الاقتصاد الفلسطيني ، والحديث عن اكتساب الخبرة للمشاركة في بناء القطاع العام الفلسطيني ، ورغم هذا التطور الهام الا ان هناك نقصا واضحا في تحديد أهداف « صامد » بوضعها الجديد حتى تكون قادرة على التحول الى مؤسسة انتاجية فلا بد من أن تحدد أهدافها بدقة اكثر .

مؤسسة صامد في خمس سنوات

تأسست صامد في عام ٧٠ وقد بدأت بصورة بطيئة وتدريجية . فأخذت شكل التأهيل المهني لابناء وبنات الشهداء والجرحى والمتضررين من أبناء الثورة الفلسطينية . وتطورت الفكرة عام ٧٢ من مراكز تأهيل لتأخذ شكل معامل واخذت تتوسع وتتطور فأقيمت المشاغل في المخيمات في كل من لبنان وسوريا وخطط للانتاج في مراحله الاولى لتلبية احتياجات المقاتلين : الكنزة ، الكلسات ، البدلة العسكرية ، وغطت معظم احتياجات قوات الثورة .

وفي العام ١٩٧٣ اقيمت مشاغل القميص والبنطلون والكنزات المدنية ، والاشغال اليدوية والتطريز ، وتطورت امكانياتها التقنية واقيمت مشاغل في مخيم اليرموك وخان الشيخ في سوريا، ومشاغل جديدة في بيروت . وهكذا اكتمل الانتاج ليشمل الملابس الرجالية ، ملابس الاطفال ،

الملابس النسائية ، بالاضافة الى تلبية بعض احتياجات القوات من الملابس العسكرية .

وفي العام ١٩٧٤ سجلت المعامل بشكل رسمي كجمعية خيرية في لبنان وبالفعل صدر قرار تسجيل الجمعية بشكل رسمي ، مما يؤهلها لدخول الاسواق التجارية في الاقطار العربية او في الخارج ، خاصة وان عدد العاملين يصل الى الف عامل وعاملة موزعين على فروع الانتاج المختلفة ، التطريز ، الاشغال اليدوية ، المنجرة ، مشاغل الصوف ، مشاغل الخياطة ، وجميع هؤلاء العاملين من ابناء او اسر المناضلين من ابناء الشعب الفلسطيني في المخيمات .

ميادين عمل المؤسسة

في المجال الفلسطيني : اولا : تأمين اسر الشهداء داخل المخيمات بايجاد عمل لهم داخل المخيم وبأجور معقولة .

ثانيا : تأمين بعض الحاجيات داخل المخيم بأسعار معقولة .

ثالثا : مشاركة المرأة في العمل .

رابعا : محو الامية بين العاملين والعاملات في المعامل .

خامسا : سد احتياجات القوات المسلحة للثورة من السراويل والكنزات والكلسات والسترات .

سادسا : تدريب اعداد كبيرة من العمال في مختلف المجالات .

في المجال العربي : ان تحرك صامد لم يقتصر على اوساط الجماهير الفلسطينية وتجمعاتها في المخيمات الفلسطينية في سوريا ولبنان بل امتد الى الساحة العربية ومن انجازاتها :

اولا : شاركت في مختلف المعارض التي اقيمت في معظم البلدان العربية خلال السنوات الماضية .

ثانيا : اقامت معارض خاصة بانتاجها في عدد من البلدان العربية .

ثالثا : اقامت معارض دائمة في كل من لبنان وليبيا وهناك اعداد لاقامة معارض مماثلة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، الجمهورية العربية اليمنية ، تونس ، الصومال ، السودان والجزائر .

في المجال الدولي : اشتركت على المستوى العالمي في عدة معارض دولية منها معرض لايبزغ الدولي ، معرض الجزائر الدولي ، معرض الدار البيضاء الدولي ، معرض تونس الدولي ، معرض طرابلس الدولي ، معرض القاهرة الدولي ، معرض دمشق الدولي ، معرض بغداد الدولي ، معرض بوخارست الدولي ، بالاضافة الى مشاركتها في معارض اوغندا ، تنزانيا ، السنغال وباريس .

كذلك اقامت معارض خاصة بانتاجها في عدد من البلدان منها ابو ظبي ، دبي ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، باكستان ، الصين ، اميركا ، بلجيكا . ووزعت منتوجات صامد وتراث شعبنا في اكثر الاقطار التي زارتها وفود الثورة كما وجهت لها دعوات للمشاركة في المعرض الدولي في رومانيا ، بلغاريا ، تشيكوسلوفاكيا .

المشاغل ودورها
الاقتصادي والسياسي

خلال خمس سنوات من عمر مؤسسة صامد امتد نشاطها الى اغلب المخيمات الفلسطينية داخل سوريا ولبنان ، وتشكل هذه المشاغل نوبات صغيرة اقتصادية وسياسية تحمل في احشائها وعودا كبيرة ، ولكن وبحكم الاهداف المحدودة وراء انشاء صامد في اول الامر ، فان هذه المشاغل لم تؤثر بعد على اقتصاديات المخيم ، فلا يشكل عدد العاملين فيها الا نسبة محدودة للغاية من عدد العمال في المخيم ، كذلك فان انتاج هذه المشاغل لم يفرض نفسه في وجه المنتوجات الاخرى من السوق المحلي ، ولكن ينتظر بعد هذه الاشارات الى دور صامد في المرحلة الجديدة من تطورها ان يتوسع العمل في هذه المشاغل ويزداد الانتاج ، خاصة اذا عرفنا ان الثورة الفلسطينية تشتري القسم الاكبر من احتياجاتها من السوق المحلي وباسعار السوق ، في الوقت الذي يمكن فيه تحقيق فائدة مزدوجة عن طريق تكليف مؤسسة صامد بتلبية هذه الاحتياجات ، مما يحقق انعاش المخيم بتشغيل اكبر عدد من العاملين والعاملات في العمل داخل هذه المشاغل ، ويوفر للثورة لوازمها ، ويدا عاملة خبيرة ومعامل تحت

اشرافها المباشر ، كذلك لا بد من ملاحظة ان فرص العمل امام الفلسطينيين في المخيمات ليست متوفرة بشكل ثابت ، وهذا ما يدفع العديد منهم الى الرحيل بحثا عن العمل في الخارج . وفي الوضع الحالي ، فان بقاء العمال داخل المخيمات وعدم هجرتهم الى البلدان العربية الاخرى يضمن للثورة توفير حماية قوية للمخيم ، وهذه قضية هامة لا بد ان تعطى حقها من الاهتمام من قبل الثورة ، حتى يتم وضع خطة عمل مؤسسة صامد للاعوام القادمة بحيث تضمن تشغيل اكبر عدد ممكن من عمال المخيمات .

ولكن ورغم محدودية الدور الاقتصادي الذي تلعبه مشاغل مؤسسة صامد داخل المخيمات الفلسطينية . الا ان هذه المشاغل تلعب دورا سياسيا هاما في المخيمات ، فكل مشغل من هذه المشاغل يحمل اسم احد الشهداء الفلسطينيين ، ويقوم عمال المشغل بدور المفوضين السياسيين وسط العائلات والاحياء في المخيمات ، اذ يحكم عملهم في هذه المشاغل يطلعون اولا بأول على اخبار النضال الفلسطيني .

ويجري نقل هذه الاخبار الى الاهالي ، بحيث تقوم خلية المشغل بربط الجمهور بالثورة ، ويظهر جليا هذا الدور السياسي للمشغل بالعلاقات التي تسود العاملين ، واحساسهم بمسؤوليتهم عن العمل والآلات والانتاج ، مما يطرح امام العمال صورة جديدة للعمل تختلف نوعا عن الصورة المألوفة ، وهذا الوضع يعكس نفسه على بقية العاملين في المؤسسات الخاصة خارج المخيم ، فالمشاغل تدار من قبل « اللجان الثورية للعمل والانتاج » والتي يجرى انتخابها من قبل العمال انفسهم ، ورئيس اللجنة هو ايضا من بين العمال ، ومجرد تثبيت هذه المبادىء في ادارة المشاغل التابعة لصامد يطرح امكانات واسعة لتطورها وجذب العمال للعمل فيها . وهنا لا بد من التشديد على ضرورة تدعيم الدور السياسي لمشاغل صامد بدور اقتصادي واسع داخل المخيم ، وذلك لبناء اقتصاد ثوري يسهم بشكل فعلي وفعال في تدعيم قدرة الشعب والثورة . وتجدر الاشارة هنا الى ان حركات التحرر الوطني ربطت مسألة تنمية الموارد الذاتية ، بقدرة الثورة على مواصلة القتال ، والثورة الفلسطينية ، بعد كفاح عشر سنوات ، لا بد لها من اعطاء هذا الموضوع ما يستحقه من اهتمام .

ونورد فيما يلي قائمة باسماء مشاغل صامد :

اسم المشغل	الاسم الجديد
مشغل القميص	مشغل الشهيد ابو يوسف النجار
مشغل البنطلون	مشغل الشهيد غسان كنفاني
مشغل الصوف المدني	مشغل الشهيد كمال عدوان
مشغل الصوف العسكري	مشغل الشهيد ابو علي اياد
مشغل الجاكيت	مشغل الشهيد ابو صبري
مشغل المنجرة	مشغل الشهيد عبد الفتاح عيسى حمود
القسم الفني	
مشغل التطريز — تل الزعتر	مشغل الشهيد كمال ناصر
مشغل التطريز — القاسمية	مشغل الشهيد محمود الهمشري
مشغل التطريز — عين الحلوة رقم ١	مشغل الشهيد حسين ابو العز
مشغل التطريز — عين الحلوة رقم ٢	مشغل الشهيدة ندى اليشرطي
مشغل التطريز — البرج الشمالي	مشغل الشهيد وائل زعيتر
مشغل التطريز — الرشيدية	مشغل الشهيد احمد موسى

ويشير تعميم صادر عن صامد ، بأنه يتوجب على كل العاملين في المشاغل ان يدرسوا جيدا حياة هؤلاء الشهداء الابطال ، والاقتداء بهم في تضحياتهم من اجل ثورة شعبنا الظافرة .

النظام الداخلي لمؤسسة صامد

شروط العضوية وادارة المؤسسة

العضوية تقسم الى اربعة انواع يمكن التفريق بينها كالتالي :

اولا : عضو شرف ، وهذا تكون له صفة استشارية ويسميه مجلس الادارة الخاص بالمؤسسة .

ثانيا : عضو عامل ، وهو الشخص المنتسب الى احدى لجان الجمعية .

ثالثا : العضو المشارك ، وهو الشخص الذي يقوم بالمشاركة في اعمال الجمعية خارج اللجان ويسدد الاشتراك الشهري فيها .

رابعا : العضو المساند الذي يساعد في اعمال الجمعية دون دفع اشتراكات محددة .

وتتلخص واجبات العضو كالتالي : تسديد الاشتراكات الشهرية المحددة ، حضور الاجتماعات التي يدعى اليها حسب صفته ، تنفيذ قرارات وتوجيهات الهيئة العامة ومجلس الادارة ، وتسقط العضوية في حالة الاستقالة او مخالفة القانون الاساسي او النظام الداخلي .

ادارة صامد : تضم مؤسسة صامد وفق نظامها الداخلي اربع لجان وخمسة اقسام .

اللجان : اللجنة المالية ،لجنة التخطيط والانماء لجنة الاعلام ، لجنة العلاقات المعنية .

تتألف كل لجنة من ثلاثة اعضاء على الاقل مجلس الادارة ورئيسها من بين الاعضاء كما ينتخب نائب للرئيس ومقرر وتجتمع بدعوة من رئيسها .

واما الاقسام فهي : قسم الانتاج ، قسم التسويق والمبيعات ، قسم العلاقات العامة ، قسم المحاسبة ، قسم الشؤون الذاتية (شؤون الموظفين والعمال) .

الهيئة العامة : تتألف من جميع المنتسبين للجمعية وتجتمع بناء على دعوة من رئيس مجلس الادارة المنتخب .

مجلس الادارة : يدير اعمال الجمعية ويتألف من ثمانية اعضاء ينتخبون من بين المرشحين في الهيئة العامة ، ومدة ولايته ثلاث سنوات وينتخبون بدورهم رئيس الجمعية الذي يمثل الجمعية رسميا.

ويختص مجلس الادارة بالامور التالية :

- ادارة اعمال الجمعية .
- تحقيق اهداف الجمعية .
- اعداد الدراسات والتقارير اللازمة امام الهيئة العامة .
- تعيين الموظفين والمستخدمين ومتابعة شؤونهم .
- وضع موازنة الجمعية .
- انشاء اللجان والاقسام ووضع الخطط المرحلية والدائمة لكافة الاقسام .
- اتخاذ جميع التدابير اللازمة لتنفيذ اهداف الجمعية والحفاظ على حقوقها .
- اقرار المساعدات السنوية او الطارئة لعائلات الشهداء والجرحى والمتضررين .
- اقرار قوائم البعثات والدورات المهنية في الداخل والخارج .

هيئة مكتب مجلس الادارة : ينتخب اعضاء مجلس الجمعية خمسة من بينهم ليشكلوا هيئة مكتب مجلس الادارة ويتألف من الرئيس ، نائب الرئيس ، امين السر ، امين الصندوق ، امين العلاقات العامة .

تجرى انتخابات الهيئة سنويا وتجتمع شهريا على الاقل . تقوم بتنفيذ قرارات المجلس والاشراف على أعمال اللجان والاقسام . وصلاحية الرئيس تتلخص في رئاسة جلسات مجلس الادارة وهيئة مكتبه والهيئة العامة ، ويدعوها للاجتماع ؛ واية اجتماعات تتم في نطاق الجمعية ، ويمثل الجمعية ازاء الغير ، ويدعو الى الاجتماعات . ويجوز له اتخاذ التدابير اللازمة في الحالات الطارئة والاضطرارية . وهي أعلى سلطة في الجمعية وتختص بالامور التالية :

- انتخاب اعضاء مجلس الادارة .
- التصديق على التقرير السنوي .
- الموافقة على تعديل القانون الاساسي .
- الموافقة على حل الجمعية .
- البت في المقترحات والتوصيات المقدمة .

المكتب التنفيذي : يتكون من مسؤولي الاقسام

والفروع وايـة كفاءات أخرى يرى مجلس الادارة ضمها اليه ، ويشرف على تنفيذ قراراته ، كما انه يقوم بالربط بين كافة الاقسام والفروع .

وايضا يهتم النظام الداخلي بتنظيم العمل داخل المؤسسة من حيث مشاكل التعيين ، والدوام وساعات العمل ، والعقوبات ، والحقوق والواجبات ، والاجازات . ويحدد النظام الداخلي كيفية تشكيل المكتب التنفيذي وصلاحياته ومهملته وواجباته وقراراته واجتماعاته . كما يحدد مهام كل قسم ومسؤولياته وكيفية تحديد اختصاصاته . بالنسبة للنظام المالي فان النظام الداخلي يحدد مسألة صلاحيات الصرف ، والرواتب والاجور ، شؤون الخزينة ، المشتريات ، المبيعات ، امور التبرعات العينية والنقدية ، الجانب المالي للمصارف والفروع والاسواق الخيرية والمصروفات سواء الانتاجية او الادارية .

ويتشكل رأسمال المؤسسة من الواردات التالية :-

اولا : ٣٧٥ الف ليرة لبنانية تدفعها حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) .

ثانيا : الموجودات الثابتة من مبان وعقارات وآلات .

ثالثا : واردات اخرى مثل الاشتراكات ، الهبات والتبرعات والاعانات .

ريع المشاريع التي تقوم بها الجمعية ، ريع الاموال المنقولة وغير المنقولة التي تعود للجمعية .

واقع العاملين في صامد

تضم معامل ومشاغل صامد حوالي الف عامل، وتبلغ نسبة العاملات ٧٥٪ من مجموع العاملين، والعاملات من ابناء المخيمات ، ويعود السبب في ارتفاع نسبة العاملات الى مسؤولية مؤسسة صامد عن ايجاد عمل لاسر الشهداء وزوجاتهم . كذلك فان اهتمام صامد منذ تأسيسها باحياء التراث والازياء الشعبية الفلسطينية ، وخاصة الاثواب المطرزة . جعل العنصر النسائي غالبا في مشاغل الخياطة والتطريز والحياكة .

والملاحظ ان مؤسسة صامد لا تعتمد نظام الاجور المعمول به في المؤسسات الرأسمالية ، بل تعتمد النظام المالي للثورة ، حيث يعامل العامل نفس معاملة المقاتل ، بحيث يجري تحديد المرتب على ضوء الحالة الاجتماعية للعامل ، فالعامل المتزوج والذي يعيل اسرة كبيرة ، يتقاضى راتبا يسد حاجته رغم انه قد يكون عاملا عاديا غير مختص ، ولا يملك خبرة خاصة، ومن جهة اخرى فان هناك علاوات خاصة بالخبرة الفنية تدفع للعامل تتراوح بين ٢٥ الى ٥٠ ل.ل. لكل عامل . والعمال الذين يتلقون دورات تدريبية في البلدان الاشتراكية يتلقون بدورهم علاوة محددة عند عودتهم للعمل بعد اكمال دوراتهم .

وفي كل مشغل صندوق يموله العمال ويستحقه احدهم كل شهر ، وفي ادارة المؤسسة يوجد صندوق العمال المركزي لمساعدة العمال المحتاجين ولحالات الطوارىء .

وتدفع مؤسسة صامد مكافأة للعاملات داخل البيوت في اعمال التطريز والخياطة . والصوف . ويراعى في المكافأة حاجة العائلات والجهد المبذول .

وتعتمد صامد نظاما متقدما للضمان الصحي والاجتماعي ، حيث يتلقى العامل وافراد اسرته العلاج المجاني على حساب صامد ، وفي حالة وفاة العامل اثناء العمل يدفع راتبه كاملا مدى الحياة الى زوجته ، كذلك في حالة الاصابة التي تقعده عن العمل ، وتتحمل مؤسسة صامد نفقات العلاج سواء كان المرض او الاصابة اثناء العمل او خارجه .

تقييم الانتاج والاسعار

اهتمت مؤسسة صامد في بداية عملها باحياء الازياء الشعبية الفلسطينية ، وكان وراء هذا الاهتمام حرص الثورة الفلسطينية على حماية هذا الزي الشعبي من السرقة والاندثار بفعل التشرد الفلسطيني بعد ان بدأ العدو الصهيوني يجمع هذا التراث ويصدره الى العالم على انه زي صهيوني . بالاضافة الى ان معظم العاملات تجيد هذا النوع من العمل . وقد ادت مؤسسة صامد دورا هاما في احياء التراث الشعبي الفلسطيني الى جانب الهلال الاحمر الفلسطيني ، وهناك معرض دائم للتراث الفلسطيني يقيمه الهلال الاحمر على مدار السنة ، وينتقل بين الاقطار العربية والاوروبية .

وبعد خمس سنوات من انتاج صامد لهذه الازياء الشعبية ، فانها حققت نجاحا في حماية التراث الشعبي واعادته الى اصله الفلسطيني ، الا ان الاسعار المرتفعة لهذه الازياء لا تجعلها قابلة للتداول في الاوساط الفلسطينية فالثوب من النوع الممتاز يصل ثمنه الى « ٥٠ » دينارا أردنيا ، وبالطبع فهذا الثمن ، ليس له صفة تجارية ، بقدر ما انه للتشجيع ولدعم امكانات المؤسسة .

ولم تصل صامد بعد الى انتاج الازياء والاثواب الشعبية لبيعها في السوق المحلي . ويقول المسؤولون في صامد ان سبب ارتفاع هذه الاسعار يعود الى الوقت الطويل والجهد المضني الذي تحتاجهما العاملة في تطريز الثوب .

اما انتاج مؤسسة صامد من الملابس الاخرى (البنطلون ، الجاكيت ، القميص والانتاج الصوفي) فهو لا يقل جودة عن البضاعة الموجودة في الاسواق العربية من حيث الحداثة ، المتانة والنوعية ، وهناك نقص في التصميم ، وهذا يرجع الى حداثة عهد بعض العاملين وقلة التجهيزات والماكينات الكافية والمناسبة . ولدى مقارنة اسعار منتوجات صامد باسعار السوق نجد ان سعر بعض المنتوجات اقل من سعر السوق واخرى اعلى وهذا يرجع الى ارتفاع كلفة الانتاج للقطعة في بعض المشاغل ، اضافة الى انه لا توجد دراسة واضحة حول اسعار السوق .

فريال عبد الرحمن

الحرب في لبنان : خروج عربي آخر ، بعد مصر ، من استراتيجية الكفاح الفلسطيني المسلح

لم تعد الحرب في لبنان ، التي فجرها الانعزاليون الطائفيون في شهر نيسان (ابريل) من العام الماضي ، على ذات القدر من الغموض والتداخل ، كما كانت عليه في بداية تفجرها ، من جهة اهدافها واغراضها البعيدة . فعند اصابة معروف سعد ، نائب مدينة صيدا السابق ، كان البعض يظن ان الهدف من عملية الاغتيال لا يتجاوز ابعد من الرغبة المحدودة في اسقاط تجربة حكومة رشيد الصلح ، التي تشكلت وقتها على قاعدة جديدة هي قاعدة هيمنة الفريق الوطني اللاطائفي وحلوله محل الزعامات المسلمة السنية التقليدية ، وكذلك هيمنة هذا الفريق وحلوله محل بعض التقليديين من الطوائف الاخرى . ولقد جرى التعبير عن ذلك بدخول عباس خلف ، نائب رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، وزيرا ارثوذكسيا ، وماجد حماده ، وزيرا شيعيا ، وخالد جنبلاط ، وزيرا درزيا ، كان واضحا ايضا ان من اهداف تلك الاحداث وضع الجماهير الوطنية في مدينة صيدا الجنوبية خصوصا وجماهير الجنوب اللبناني عموما ، وهي اكثر الجماهير اللبنانية التي تتقبل الوجود الفلسطيني المسلح على قاعدة وطنية بسبب العدوانية الاسرائيلية المجاورة ، في مواجهة القمع الرسمي بقرار من حكومة الغلبة الوطنية مما سيضع الفريق الوطني وتجربته في الحكم وكذلك المقاومة الفلسطينية امام خيارات صعبة وخطيرة بعلاقاتهما مع جماهير هذه المناطق الوطنية. ورغم ان الحكومة استطاعت الخلاص في صيدا ، فان الحرب لم تتوقف . بل اتسعت وانتقلت الى مدينة بيروت بمجزرة عين الرمانة المذكورة جيدا . بعد ذلك سقطت حكومة رشيد الصلح ، لكن من غير ان تنتهي الحرب التي اتسعت لتشمل طرابلس ، في شمال لبنان ، وزحلة في الشرق . وبدأت الاغراض البعيدة للحرب تتكشف بحيث يمكن اختصارها بأنها **حرب القوى الانعزالية والطائفية ، وكلاء الرأسمالية المحلية والامبريالية الاميركية والاوروبية ، ضد الايديولوجية الوطنية الفلسطينية وايديولوجية الحركة الوطنية اللبنانية**

المتوخية الاسلوب الديمقراطي في الصراع والنضال والساعية لوضع لبنان في ظروف العمل العربي القومي المعادي للصهيونية وللعدوانية الاسرائيلية. ان الحرب ضد المضمون الوطني المسلح للوجود الفلسطيني ، اضافة الى انها تسهل تمرير مشاريع التسوية في المنطقة بالشروط الاميركية ، تحاول جاهدة ان تحل ازمة النظام اللبناني الوطنية المتمثلة بعجزه الفاضح عن تأمين الحماية الوطنية لابناء الجنوب اللبنانيين وللتجمعات الفلسطينية في وجه الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة . فالمقاومة الفلسطينية ، متحالفة بذلك مع الموقف السوري ، هي احد المتراسين اللذين يعيقان التسوية على اساس الشروط الاميركية ، كما انها العنصر الطارىء الذي عرى السياسة المتخاذلة للنظام اللبناني القائمة على الحماية والضمانات الاميركية والاوروبية . وهي ايضا المناخ الثوري لنمو ظروف غلبة الفكر الوطني المتصادم مع العدوانية الاسرائيلية . في مواجهة ذلك تسعى الرأسمالية اللبنانية الى الخروج من هذا المأزق طارحة شعارات السيادة والامن والاستقرار ، عبر وكلائها السياسيين والطائفيين، على قاعدة قمع محاولة الحاق لبنان بظروف النضال العربي القومي وحصر الوجود الفلسطيني (ان لم يكن بالمقدور الغاؤه) ضمن التجمعات الفلسطينية السكنية . ومن الطبيعي ان توظف الرأسمالية التنظيمات والمليشيات الانعزالية لاعادة الامن والاستقرار اللذين وحدهما يمكنان الرأسمالية من « تعميم الازدهار » ويمكن الاقطاع السياسي والطائفي الاحتفاظ عن جدارة بوكالته داخل مؤسسات النظام التنفيذية والتشريعية والادارية. اما المتراس الثاني ، الذي توجه اليه القوى الانعزالية حربها ، فهو هذا النمو العظيم للحركة الشعبية اللبنانية ، مستقلة ومسلحة ومستفيدة كذلك من تجربة حزبية تاريخية لمعظم اطرافها الاساسية . ان هذه الحركة الشعبية تعطي الان سوابق جذرية في النضال الوطني والمطلبي على امتداد المنطقة العربية كلها . وهذه الريادة النضالية هي التي مكنت القوى الانعزالية من الاستفادة من الوضع العربي متهمة الحركة الوطنية احيانا بالتبعية « للشيوعية الملحدة » واحيانا « لليسار الدولي » . ورغم محاولات الحركة اللبنانية الوطنية وضع حدود اصلاحية متواضعة لشروط نضالها في كل بياناتها وبرنامجها الاصلاحي وعن طريق التأكيد ان الحركة الوطنية لا تريد غير الغاء مرحلة لبنان النبلاء والاقطاعيات والانتقال الى مرحلة لبنان الواحد بشروط الحد الادنى من انظمة القرن التاسع عشر الاوروبي ووضع لبنان في ظروف العمل العربي القومي ، رغم ذلك فان القوى الانعزالية لا زالت قادرة على جعل هوامش التناقض بين اطراف النضال الوطني في لبنان والوضع العربي واسعة يمكن الاستفادة منها .

اخذ الوجود الفلسطيني بمقياس الحليف الوطني :

ان الحلقة المركزية في النضال الشعبي في لبنان هي ضد ان يظل لبنان الرسمي يعالج الوجود الفلسطيني المسلح على أساس انه « امر واقع مفروض » ، يسعى الى رده بالقوة بين وقت وآخر ، كما اظهرت احداث ايار (مايو) ١٩٧٣ ، وجعل هذا الوجود مقبولا على قاعدة الحليف الوطني المعادي للعدوانية الاسرائيلية والامبريالية الاميركية والاوروبية . وطبيعي ان يتطلب هذا انجاز معركة **عروبة الوضع اللبناني** حتى لا تظل هذه « العروبة » قائمة على الحياد الذي يتيح للرأسمالية المحلية القيام بدورها الوسيط في اسواق الداخل العربي وجذب رؤوس الاموال . كما ان جعل الوجود الفلسطيني وجودا وطنيا حليفا يلغي كل الترهات حول « السيادة على كل الاراضي اللبنانية » كي تحل مكانها علاقات الحلفاء الوطنيين بين كل المؤسسات اللبنانية الرسمية والشعبية ومؤسسات المقاومة على « كل الاراضي اللبنانية بما فيها كسروان وزغرتا » . كما ان ذلك سيهزم الايديولوجية الانعزالية لتنمو في ترابها ايديولوجية بديلة معادية لاسرائيل والامبريالية والرجعية ومتحالفة مع النضال الوطني الفلسطيني واضعة كل التجاوزات والسلبيات الفلسطينية داخل اطارها ومضمونها الفردي ومتخلية عن المعالجة العسكرية والتحريض الطائفي للوجود الفلسطيني والذهاب الى حد الاشتراط « بان يرمي الفلسطينيون اسلحتهم لكي يرمي الكتائبيون اسلحتهم في البحر » حسب ما يعلنون . فالاستعداد المنظم والمسلح والتحريض الاقليمي لا يمكن مقارنته بهذه التجاوزات الا بمقدار ما تضعف هذه التجاوزات اجهزة الدولة

القمعية وتحد من دورها المعادي للنضالات الشعبية وتنسج مناخا عاما للعمل المنظم ضد العدو القومي الاسرائيلي . ولقد اتضح عداء القوى الانعزالية للايديولوجية الوطنية الفلسطينية ولايديولوجية النضال الوطني اللبناني وقت اختارت هذه القوى الاسلوب الفاشي متخطية دور النظام، الذي يمثل الشرعية كما يحبون القول . ومن الاهمية ان نلاحظ في هذا المكان ان الحركة الوطنية تصر على هزيمة القيادات الانعزالية واستبدالها ، في معادلة النظام اللبناني ، بقيادات ديمقراطية تقبل التعامل مع الوجود الفلسطيني على قاعدة الحد الادنى المتمثلة بالحوار والوثيق والبروتوكلات بعد ان ترفض اسلوب المعالجة العسكرية . وهزيمة هذه القيادات الانعزالية ستكون الباب الطبيعي لهزيمة الايديولوجية الانعزالية في الاوساط الشعبية الملتحقة بهذه القيادات ، ومن المهم ان تلتزم كل اطراف الحركة الوطنية اللبنانية بضرورة العمل من اجل هيمنة القيادات المسيحية الديمقراطية ، تماما كما تلتزم المقاومة الفلسطينية بذلك .

ظروف تخلي الانعزاليين عن المشروع الفاشي الطائفي :

من البداهة القول ان القوى الانعزالية لن تتخلى تحت اية ظروف ، **ما عدا ظروف الهزيمة العسكرية والايديولوجية والسياسية** ، عن مشاريعها في هزيمة الايديولوجيتين الوطنيتين الفلسطينية واللبنانية . ذلك ان ارتباط القوى الانعزالية المحليةالتاريخي بالسياسات الامبريالية، ثم ان الهجمة الاميركية ضد حركة التحرر العربي مستفيدة من مأزق الوضع العربي الرسمي ، المتمثل بخروج مصر عقب اتفاقية سيناء من استراتيجية الكفاح الفلسطيني المسلح ، يجعل سياسة قهر المقاومة الفلسطينية وافراغها من مضمونها الوطني المسلح ، لاعادة هذا المضمون الى ما كان عليه قبل العام ١٩٦٥ ، كوجود انساني ، على رأس قائمة السياسات التي تتوخاها الامبريالية واسرائيل من الحرب في لبنان . كما ان قهر الايديولوجية الوطنية اللبنانية على رأس قائمة السياسات التي تتوخاها اولا الرأسمالية المحلية وثانيا الرجعية العربية واميركه . ومن المؤكد ان هذه الاغراض للحرب في لبنان ستجعل من خيارات القوى الانعزالية محكومة سلفا للحد الاقصى المتمثل بقهر المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية . ولما كان ذلك يحتاج الى موازين قوى غير متوفرة حتى الان بانتظار دخول اطراف محلية (الجيش كمؤسسة مغربلة بفعل الانسحابات المحتملة) او خارجية (اسرائيل) يمكن ان تحقق « النصر الحاسم » ، فأي الخيارات بقيت ؟ بقي خيار الحد الادنى : التقسيم . وعلى عكس ما يعتقده البعض من استحالة تنفيذ هذا المشروع لاسباب اقتصادية وعملية وعربية ودولية ، فنحن نعتقد بان الوصول الى حافة التقسيم (وهي سياسات ظاهرة الان في قبرص وانجولا وحتى في البرتغال) هي من اخطر السياسات الامبريالية المعاصرة التي تقوم على اسلوب « الحروب من الداخل ». وفي لبنان تبرز الان كل فواصل التقسيم على جوانب ما يمكن تسميته « بالحدود غير المعلنة ». وهذه الفواصل هي اشكال مختلفة من العوائق والموانع التي تختلف من منطقة الى اخرى . ففي الاماكن التي لم ينزل فيها الجيش ، الذي تريده القوى الانعزالية الحامي القوي على طول حدود هذه « الدولة » ، تقوم حدود من الرعب والذبح والتراشق بالنيران مما يجعل التعامل ، حتى البريء منه ، مع داخل هذه « الدولة » مستحيلا . ومن الممكن وضع خريطة لحدود هذه « الدولة » عبر الفواصل البارزة التالية : في الشمال ، حيث تتداخل المناطق بين زغرتا وطرابلس وحيث يصعب اقامة حدود بواسطة « طريق دولي » يحميها اسلوب التراشق بالنيران ، كان لا بد من الاصرار على اقامة منطقة حدود يحميها الجيش عبر منطقة عازلة . وحالة التداخل المعقدة في الشمال تتكرر في مدينة زحلة . فهناك اقام الجيش ايضا منطقة عازلة . وتشكل سلسلة جبال لبنان الغربية حدودا طبيعية مثالية . كما يشكل البحر ، امتدادا من طرابلس حتى بيروت ، الحدود الغربية . وتبقى مدينة بيروت وحدود هذه « الدولة » الجنوبية الاكثر صعوبة . واذا كانت طريق الشام (وهي التسمية الشعبية التاريخية للطريق الفاصل بين بيروت الشرقية وبيروت الغربية) ابتداء من ساحة الشهداء حتى طريق صيدا القديم مرورا بالطريق الدولي بين الشياح وعين الرمانة ،

حدودا يحميها هذا النمط من التراشق المدفعي ، فان الحدود الجنوبية للتقسيم غير محددة حتى الان وان كان من الممكن ان تكون طريق بيروت — دمشق الدولية كما كانت في عهد القائمقاميتين . ومهما يكن من امر رقعة هذه « الدولة » فانه من المؤكد ان وجهة المشروع الانعزالي ستكون صوب تصفية الجيوب الوطنية والطائفية داخل هذه الحدود بعد ان امكن سيادة الايديولوجية الكتائبية الانعزالية الى حد كبير . ولم يبق لانجاز عملية تصفية الجيوب الوطنية الا الرغبة في تجاوز حافة التقسيم الى تثبيت ذلك على الاصعدة المحلية والدولية وما سيتبعه من حتمية الوصول الى حرب وحدة لبنان التي ستخوضها كل القوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية والعربية .

قاعدة للعمل الفلسطيني في لبنان :

ان سيادة الايديولوجية الكتائبية العنصرية والانعزالية ، وهي الايديولوجية المارونية الوحيدة المنتظمة بمؤسسات عسكرية وسياسية واقتصادية قوية ، داخل حدود التقسيم ، ستجعلها معادية لاي اتجاه مسيحي ديمقراطي ومتحالفة بشروط الهيمنة مع الاتجاهات المتطرفة الاخرى مثل الرابطة المارونية والرهبانيات التي تتوسلها الكتائب اتجاها سياسيا داخل المؤسسات المارونية وتحاصر به الاتجاه الديني المعتدل للبطريرك الماروني نفسه. كما ان هذه الايديولوجية الكتائبية ستتوسل الاسلوب الصهيوني بادعاء التفوق والغلبة والحضارة معتمدة على مؤسسات عسكرية وثقافية واقتصادية قوية . وبقدر ما يعني ذلك من تحد تاريخي ومصيري لمضمون الايديولوجية الوطنية اللبنانية ، فان الايديولوجية العنصرية الانعزالية الكتائبية هذه **بمظهرها السياسي الداعي للانفصال عن استراتيجية النضال الوطني ضد العدو القومي الصهيوني** ، يشكل اخطر ما تواجهه حركة النضال الفلسطيني بعد تجربتها مع النظام الاردني ، الذي مثل مظهر القهر الوطني والطبقي لنصف الشعب الفلسطيني ، وتجربة خروج مصر من الوضع العربي المقاتل . والخطورة الجدية الكامنة في الايديولوجية الكتائبية هي ان ارض هذه الايديولوجية وشعبها هما جزء من تاريخ المنطقة العربية في المشرق وجغرافيته . وقد يتيح ذلك للامبريالية والاسرائيل فرصة جديدة وجدية لاجهاض المخرج الوحيد لاستراتيجية الكفاح الفلسطيني المسلح المتمثل بالانتقال بالثورة الفلسطينية الى اطار عربي قومي اكثر عمقا يوفر لها كل المستلزمات الضرورية « لحرب الشعوب طويلة الامد » . ذلك ان هذا الانفصال ، من النوع العربي ، عن النضال الوطني الفلسطيني ، بعد الخروج المصري ، سيعيد ثانية المنطقة العربية الى المناخ الشعوبي بشكل لا يقدر احد على تقدير نتائجه اطلاقا الا بحدود ان حقبة زمنية طويلة من الحروب الاقليمية والاهلية والطائفية ستمزق المنطقة وتعيق الى سنين طويلة كل استراتيجية حركة التحرر العربي في الاستقلال والوحدة والتقدم والسلام . ان خطورة الايديولوجية الكتائبية على مجمل استراتيجية الكفاح الفلسطيني وعلى مجمل ما تسميه بعض المقاومة الفلسطينية الامن القومي للمنطقة العربية ، تجعل هوامش التعارض بين بعض المقاومة الفلسطينية والجسم الاساسي للحركة الوطنية اللبنانية تتسع . فبقدر ما يصر البعض في المقاومة على ان الحلقة المركزية في العمل الفلسطيني (خصوصا في لبنان) هي المحافظة على المضمون الوطني المسلح للثورة الفلسطينية واحباط المؤامرات الجارية من اجل افراغ المقاومة من هذا المضمون ، تصر الحركة الوطنية على القول ان المحافظة على الثورة الفلسطينية واستراتيجية الكفاح الفلسطيني المسلح لا يتحقق عن طريق الرغبة الذاتية في تجنب المعارك خصوصا ان الحرب في لبنان ليست حربا مفتعلة اطلاقا بل هي « حرب من حروب الداخل » ضد ايديولوجية النضال المعادي للصهيونية والامبريالية المتمثلة بالايديولوجيتين الوطنيتين الفلسطينية واللبنانية . ومن المؤكد ان هزيمة المقاومة الفلسطينية على قاعدة الشروط في الوضع اللبناني الطائفي تتحقق من غير التصفية العسكرية كما حصل في الاردن . ذلك الوضع الاردني كان محكوما لشروط حسم مسألة السلطة الممثلة للفلسطينيين . بينما في لبنان المسألة هي هزيمة ايديولوجية النضال الوطني المعادي للصهيونية والامبريالية ولو بشروط « الانفصال » الطائفي والاقليمي تماما كما خرجت مصر وانكفأت الى « الوطنية المصرية المحلية » . والمقاومة الفلسطينية ، اذن ، لا تقدر ان تعفي نفسها من

معركة لبنان مهما رغبت وتمنت . واذا كانت الحركة الوطنية اللبنانية تسعى الان لاقامة جبهة وطنية عريضة لتخوض معركة وحدة لبنان الملتحق بظروف واستراتيجية النضال العربي ، فليس امام المقاومة الفلسطينية ، في هذه المرحلة ، الا ان تكون طرفا عسكريا اساسيا داخل هذه الجبهة متوخية التحالف وتاركة **مسافة كبيرة لاستقلال الحركة الوطنية التنظيمي والسياسي** ، اللذين وحدهما يشكلان ضمانة ضد ان يطفو الطائفيون التقليديون من المسلمين على واجهة النضال ، وضد ان تتحول المطالب الوطنية ، التي ترفعها الحركة الوطنية اللبنانية ، الى مجرد مطالب طائفية للمسلمين .

ناشي طه

وفاة اول امين عام عربي للحزب الشيوعي الفلسطيني

في عددها الصادر في مطلع تشرين الاول (اكتوبر) الماضي ، نعت « العامل » * الفقيد رضوان الحلو . واكتفت النشرة الشيوعية بالاشارة الى انه كان للفقيد دور مرموق في كل من الحركة الشيوعية والنقابية العمالية بفلسطين في عهد الانتداب البريطاني .

على ان اسم رضوان حسن الحلو ارتبط بقضية تعريب « الحزب الشيوعي الفلسطيني » ، اكثر من غيرها . فالمعروف ان هذا الحزب سبق الى الوجود الاحزاب الشيوعية العربية كلها ، حيث تأسس في اذار (مارس) ١٩١٩ ، وان لم يحمل يومها اسم الحزب الشيوعي ، بل اشتهر باسم « موبسي » ، وهي تجميع للحروف الثلاثة الاولى من الاسم الكامل للحزب بالعبرية : « مفلاجات بوعاليم سوسياليستيم » ، وتعني بالعربية : « حزب العمال الاشتراكي » . ولم يكن اسم الحزب وحده عبريا ، بل كانت عضويته ايضا خالية من غير المستوطنين اليهود ، طوال اكثر من ست سنوات بعد انشائه .

على ان صدامات اول ايار (مايو) ١٩٢١ بين المستوطنين اليهود والمواطنين العرب ، في يافا وتل ابيب ، اعطت سلطات الاحتلال البريطاني المبرر لضرب الحزب ، فنفت خمسة عشر من قادته ، وطاردت بقية اعضائه ، وضيقت عليهم الخناق ، مما اضطرهم الى الانضواء تحت لواء حزب « بوعالي زيون » اليساري الصهيوني . وسرعان ما انفجر الصدام بين الماركسيين وبين الصهيونيين اليساريين ، في مؤتمر بوعالي زيون ، المنعقد في دانزيغ في ايلول (سبتمبر) ١٩٢٢ ، حيث اختار الماركسيون الاندماج في الحركة الشيوعية العالمية ، في حين رأى الصهيونيون اليساريون الانضواء تحت راية الصهيونية . وتحول قادة بوعالي ،فعلا ، الى قادة حزب المباي الصهيوني المعروف . واعاد الشيوعيون بناء وتشغيل حزبهم ، الذي حمل — منذئذ — اسم « الحزب الشيوعي الفلسطيني » ، واعترفت « الاممية الثالثة » رسميا به ، في شباط (فبراير) ١٩٢٤ .

على ان صراعا جديدا سرعان ما نشب بين اقلية تحتل ثلاثة مقاعد في اللجنة المركزية للحزب ، وتتهم الاغلبية — التي تحتل خمسة مقاعد في اللجنة نفسها — بالانهزامية والجمود . وفي المؤتمر السادس للحزب (تموز ١٩٢٤) تمكنت الاقلية من تنحية الاغلبية ، ورفعت — في هذا المؤتمر — شعار « تعريب الحزب » ، لاول مرة منذ انشائه .

وحتى ذلك الوقت ، عجز الحزب عن اجتذاب عناصر عربية ، ربما بسبب توجس العرب من المستوطنين اليهود ككل ، ولغرابة الافكار الماركسية على المجتمع العربي الفلسطيني ، الذي كانت تسوده — انذاك — الافكار السلفية ، ويعمه الجهل ، وتنهش الامية اغلبيته الساحقة .

وتحت الحاح « الاممية الثالثة » على ضرورة

---

* نشرة سرية شهرية ، يصدرها الحزب الشيوعي

تعريب الحزب ، اوفدت اللجنة المركزية للحزب ، في العام ١٩٢٧ ، ثلاثين عضوا عربيا الى موسكو لتلقي مبادىء الماركسية اللينينية في « جامعة كادحي الاردني ، ويوجهها الى الطبقة العاملة الاردنية. الشرق » . وضمت هذه البعثة اقلية متعلمة ، مثل عبد الغني الكرمي ونجاتي صدقي وشقيقه ، كما ضمت عامل البناء ، رضوان حسن الحلو .

ونشلت هذه البعثة ، التي ارادت بها « الاممية الثالثة » تكوين نواة من الكوادر العربية تحل محل القيادة اليهودية للحزب . وجاء هذا الفشل لعدم تهيؤ اغلب العناصر الموفدة للكفاح الثوري ، بسبب تكوينهم الطبقي والفكري معا . وكان هذا الانتقاء احدى مؤامرات الصهيونيين الذين نجحوا في التسلل الى قيادة الحزب انذاك ، ومن ثم التحكم في انتقاء عناصر عربية غير صالحة للعمل الثوري ، للتأكيد للاممية الثالثة بعدم صلاحية عرب فلسطين لقيادة الحزب !

على ان هبة البراق (آب ١٩٢٩) فضحت امر العناصر الصهيونية داخل قيادة الحزب . اذ لم تر اللجنة المركزية للحزب في هذه الهبة اكثر من مجرد « مذبحة لليهود » . واستنكرت « الاممية الثالثة » هذا التحليل ، وشددت على ضرورة الاسراع بتعريب الحزب ، بهدف التخلص من تأثير الافكار الصهيونية الاستعمارية على قيادة الحزب . وانتهت « الاممية الثالثة » الى اعتبار هبة البراق « ثورة من الفلاحين ضد الاستعمار البريطاني واعوانه من الصهيونيين » . وسرعان ما اطيح باغلب اعضاء اللجنة المركزية ، ونشرت صحيفة « الثوري الجديد » الموسكوفية ، انه قد كشف امرهم كعملاء للاستعمار ، يدعون للصهيونية تحت ستار من الهجمات المفتعلة على الصهيونية .

على ان تأمين المقدمات الضرورية لتصحيح مسار الحزب تطلب عاما ونصف العام عقب الهبة ، خاضت خلالهما القوى الثورية معارك ضارية ضد القوى الانتهازية في الحزب ، تلك التي عرقلت محاولات التعريب .

وعاد رضوان الحلو من موسكو ، في اوائل العام ١٩٢٩ ، مع بقية رفاقه . وشارك في مؤتمر العمال العرب الفلسطينيين الاول (كانون الثاني ١٩٣٠) ، والذي ضم ٦١ عضوا . الا انه لم يشارك في المناقشات الحامية الدائرة ، واحتفظ لنفسه بموقف المتفرج !

أما الحزب فبدأ باتخاذ المزيد من خطوات التعريب . وفي العام ١٩٣٣ تم تعيين رضوان الحلو أمينا عاما للحزب ، فكان أول من يتولى هذا المنصب من الاعضاء العرب . واقترن بزوجته سمحة ، العضو اليهودية في الحزب . على ان تولي الحلو الامانة العامة للحزب لم يغير من الامر شيئا ، اذ لم تزد عن كونها مجرد اجراء شكلي . فادقاع رضوان الفكري جعله عاجزا عن التأثير في خط الحزب او ممارساته .

وتعاظم المد الوطني في فلسطين ، فانفجرت انتفاضة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣ ، ولعب الحزب فيها دورا ملحوظا ، اعتقل على اثره العديد من اعضائه .

ثم قامت حركة القسام المسلحة (اواسط تشرين الثاني ١٩٣٥) واتخذ الحزب منها موقفا ايجابيا . وما ان نشبت ثورة ١٩٣٦ المسلحة حتى سارع الحزب الى المشاركة في صف الحركة الوطنية وضد الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية معا . مما فجر الصراعات القومية داخل الحزب ، بين الاعضاء اليهود الذين اخذوا على الحزب انخراطه في صف المعركة الوطنية ، وبين الاعضاء العرب الذين حبذوا هذا الانخراط ورحبوا به . وهجرت غالبية الاعضاء اليهود الحزب احتجاجا على موقفه هذا . وبرزت ازمة الحزب مع بروز ازمة الحركة الوطنية ، عند انتكاس الثورة في اواخر العام ١٩٣٩ .

ففي اثناء الثورة انشىء قسم خاص لليهود في الحزب . ومع اشتداد الصراع بين جناحي الحزب اصدرت اللجنة المركزية للحزب قرارها بحل القسم اليهودي وسكرتاريته ، وذلك في اواخر ١٩٣٩ . على ان القسم اليهودي اعترض على قرار الحل ، ولم ينفذه . وفي آب (اغسطس) ١٩٤٠ انعقد المؤتمر الثامن للحزب ، وعاد للحزب نشاطه بعد طول توقف ، على ان القسم اليهودي استمر في ممارسة نشاطه الانقسامي ، ولم يعد للحزب الا عدد ضئيل من اعضاء هذا القسم . واستمر الصراع بين الحزب والقسم زهاء العامين على انه تم وضع حد لهذا الانقسام في تموز (يوليو) ١٩٤٢ ، حين عاد اعضاء القسم اليهودي الى الحزب . على ان الامين العام ،

رضوان الحلو ، طالب بضرورة تشديد الهجوم على الصهيونية ، ورفض فكرة التعاون في الحركة الصهيونية في مجال مقاومة الفاشية . ومن هنا جاء تحفظ الحلو على عودة القسم اليهودي ، هاعميت الى الحزب . وسرعان ما تبلورت كتلة يهودية معارضة داخل الحزب ، تزعمها صموئيل ميكونيس ، السكرتير العام الحالي لماكي . واستغلت الخلافات داخل الحزب الى ان انتهت بتشكيل الاعضاء العرب لتنظيمهم المستقل : « عصبة التحرر الوطني » ، في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٣ . على ان رضوان الحلو نأى بنفسه عن عملية الخروج هذه ، وغدا الشيوعيون في فلسطين اربع كتل رئيسية : كتلة الحلو ، عصبة التحرر ، القسم اليهودي ، والاتحاد الشيوعي التعليمي ، الذي ضم العناصر اليهودية الاكثر اقترابا من الخط الصهيوني .

وعجز الحلو عن اتخاذ موقف حاسم ومحدد حيال الخلاف القومي المحتدم بين الكتلتين العربية واليهودية . على ان اعضاء كتلته سرعان ما انسلوا منضمين للعصبة ، وبقي الحلو وحيدا ، في حين حمل القسم اليهودي — برئاسة ميكونيس وماير فلنر (السكرتير العام الحالي لركح) واستر فلينسكا — اسم « الحزب الشيوعي الفلسطيني »، منذ ايار (مايو) ١٩٤٤ .

وحتى وقوع نكبة ١٩٤٨ ، لم يرتبط رضوان الحلو بأي من العصبة او الحزب او الاتحاد . وفي العام ١٩٤٩ القت سلطات الامن الاردنية القبض على شقيقة للحلو ، كانت تحمل مجموعة من المنشورات الشيوعية ، في الطريق من القدس الى عمان . عندها تقدم رضوان الحلو الى السلطات الاردنية مدعيا انه صاحب هذه المنشورات ، وان شقيقته حملتها دون ان تعلم كنهها . ودخل رضوان السجن ليخرج منه اكثر بعدا عن الحزب الشيوعي الاردني ، الذي تشكل في صيف العام ١٩٥٠ ، نتيجة اندماج ماركسيي شرق الاردن وعصبة التحرر الوطني الفلسطينية .

وعندما وجهت السلطات الاردنية ضربتها الشرسة الى الحركة الوطنية الاردنية ، في ربيع العام ١٩٦٦ ، رأى خبراء التحقيق والتعذيب ، الذين استجلبتهم هذه السلطات من المانيا الغربية ، الاستعانة بمعلومات رضوان الحلو القديمة ، في تعقب الشيوعيين في الاردن . وعندما احضر هؤلاء الخبراء رضوان الحلو ، لم يستفيدوا منه بشيء .

وعاش رضوان بقية سني عمره هادئا في اريحا . وفيها اسلم روحه عن خمس وستين سنة في ايلول (سبتمبر) الماضي ، بعد حياة سياسية حافلة ، كانت — بلا شك — اكبر بكثير من قدراته الفكرية والنضالية .

على ان وفاة رضوان الحلو تطرح — من جهة اخرى — قضية اكاديمية، فبوفاته نكون فقدنا مرجعا حيا هاما في تاريخ الحركة الشيوعية بفلسطين ، الذي لم يكتب بعد . وهو ليس المرجع الحي الاول الذي نفقده ، اذ فقدنا ، قبل اكثر من عام ، اثنين من كبار قادة الشيوعيين الفلسطينيين ، هما : خليل شنير ، وجبرا نقولا . ولعل مما يزيد في القيمة العلمية لهذه المراجع الحية الافتقار الشديد للمراجع الاساسية وللوثائق المباشرة حول هذه الحركة .

واعتقد ان في هذا ما يكفي لحفزنا على الاسراع بكتابة تاريخ الحركة الشيوعية بفلسطين ، مستفيدين بمن تبقى من قادتها على قيد الحياة .

عبد القادر ياسين

في ضوء انتخابات الناصرة
المسؤولية السياسية لمنظمة التحرير تجاه العرب في اسرائيل

بالرغم من الطابع المحلي لانتخابات رئاسة وعضوية المجلس البلدي التي جرت في الناصرة يوم التاسع من كانون الاول (ديسمبر) الماضي ، فان النتائج التي أسفرت عنها تلك الانتخابات تتعدى في أهميتها وأبعادها نطاق الناصرة المدينة ، لتصبح حدثا مهما ليس فقط لنصف مليون فلسطيني يعيشون في اسرائيل منذ ثمانية وعشرين عاما تقريبا ، بل لتتعدى ذلك الى النطاق الفلسطيني بأسره ، داخل الوطن المحتل وخارجه .

واذا كانت السلطات الاسرائيلية المعنية قد أدركت مبكرا مخاطر نتائج التحالفات الانتخابية في الناصرة* ، وحذرت جماهير المدينة من عواقبها على لسان أكثر من وزير ومسؤول في الحكومة الاسرائيلية ، فان جماهير الناصرة والقيادات الوطنية الفلسطينية داخل المدينة وخارجها ، كانت تدرك هي الاخرى أهمية استرداد عاصمة العرب في اسرائيل لوجهها الحقيقي ، وجهها الفلسطيني المناضل .

هكذا اذن ، كانت الناصرة تخوض معركتها الانتخابية صراعا بين الارادة الفلسطينية وقاهريها ، بين ذاتها الوطنية ومزوريها ، ومع انتمائها للوطن ضد محتلي الوطن . وكان للناصرة ما أرادت ضد ما أريد لها ، وجعلت من يوم التاسع من كانون الاول عام ١٩٧٥ ، فيصلا بين زمنين .

مطلبية المظهر وسياسية المحتوى

ان حرص الوطنيين الفلسطينيين في الناصرة على ان تدار معركة الانتخابات ضمن الدائرة المطلبية وتحت شعارات القضاء على الفساد والرشوة وتحسين الخدمات البلدية ، لم يغيب عن المعركة هذه وجهها السياسي واستقطاباتها السياسية .

فلقد كان هذا هو الفهم الذي عبر عنه المسؤولون الاسرائيليون في تحذيراتهم لسكان الناصرة من مغبة تأييدهم لمرشحي القائمة الوطنية — قائمة جبهة الناصرة الديمقراطية — واختيارهم لتوفيق زياد رئيسا للبلدية . فقد قال موشيه برعام وزير العمل والشؤون الاجتماعية الاسرائيلية في احدى زياراته التحريضية لسكان الناصرة ضد القائمة الوطنية : « انه لأمر طبيعي ان أي شعب وأية دولة لا يحتملان أن تكون داخل الدولة مدينة برئاسة حركة ليس لها أي ارتباط بدولة اسرائيل ، وهي خاضعة للشيوعيين ، ومتأثرة بالاستعمار السوفياتي ، ومن ناحية اخرى متأثرة بالوطنية السوداء في العالم العربي . ولا أعتقد بأن دولة اسرائيل ملزمة بالاهتمام بمدينة يرأسها شخص قد يكون عميلا لعرفات ولجميع منظمات المخربين في اسرائيل » (نشرة رصد اذاعة اسرائيل الصادرة عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ٧٥/١٢/٦).

واذا كان هذا هو الفهم الاسرائيلي لمعركة الانتخابات تلك ، فان مدينة الناصرة العربية ، لم تكن أقل ادراكا لفحوى معركتها البلدية . فالذين صوتوا لجبهة الناصرة الديمقراطية ، كانوا مدركين حق الادراك انهم يصوتون لعروبة المدينة ، ويحتجون ضد سياسات الحكم الاسرائيلي ليس في الناصرة وحدها بل في الجليل والمثلث والنقب .

الا أن ما يعنينا من وراء ذلك الفوز الكبير الذي حققته العناصر الوطنية في الناصرة ، هو ذلك التحول الكبير والمهم في الولاء السياسي للغالبية العظمى من سكان الناصرة . فمن خلال عملية المسخ والتزوير للارادة القومية العربية بشكل خاص والعربية في اسرائيل بشكل عام ، تعاقبت على المجلس البلدي في الناصرة أغلبية مرتبطة بالاحزاب الصهيونية . حتى أن بعض عناصر تلك المجالس البلدية كانت ترتبط بأكثر الاحزاب الصهيونية تطرفا وتنكرا للحقوق الوطنية الفلسطينية . وقد تم كل ذلك من خلال عزل المعارك الانتخابية عن الواقع السياسي الاضطهادي للعرب في اسرائيل ، وبتغييب الهموم الوطنية الحقيقية للأقليات العربية .

---

* حصل التحالف الانتخابي المكون من الشيوعيين (راكاح) ورابطة الاكاديميين (المهنيين) والتجار ورجال الدين على أحد عشر مقعدا من سبعة عشر . وفاز توفيق زياد الذي كان على رأس هذا التحالف بمنصب رئيس البلدية .

وللحقيقة ، فقد نجحت السلطات الاسرائيلية طوال الاعوام الطويلة الماضية بطبخ مجالس بلدية متعاقبة ومتوافقة مع المذاق الاسرائيلي . وبالكاد كانت العناصر الوطنية ، في الناصرة على وجه الخصوص ، تنجح بايصال عدد من ممثليها الى عضوية تلك المجالس ، لتشكل في أحسن الاحوال أقلية قوية ومتماسكة .

الا أن النتائج التي أسفرت عنها عملية الانتخابات الاخيرة ، جاءت هذه المرة مختلفة الى الحد الذي يمكن وصفه بانقلاب في الولاءات السياسية للغالبية الكبرى لدى أكبر تجمع سكاني عربي في اسرائيل . والاهمية المضاعفة لتلك النتيجة هي حدوثها في الناصرة ، عاصمة النصف مليون عربي في اسرائيل ، ومركزهم الحضاري والسياسي . وبالتالي فانه يمكن القول أن تجربة الناصرة هذه سوف تكون قدوة لغيرها من التجمعات العربية في اسرائيل ، وان تعميمها مسألة وقت ليس الا .

واذا كان المحتوى السياسي لمعركة الانتخابات البلدية ماثلا بوضوح لدى سكان الناصرة من جهة والسلطات الاسرائيلية من جهة ثانية ، فان التحالفات الانتخابية قد جاءت هي الاخرى لتؤكد كافة المعاني التي سبق استخلاصها ، معلنة عبر هويات رموزها الانتخابية عن الهوية السياسية لانتخابات رئاسة عضوية المجلس البلدي في الناصرة . اذ انها المرة الاولى في تاريخ الانتخابات البلدية لمدينة الناصرة ، التي يأتلف فيها الشيوعيون ذوي المواقف الصلبة في الدفاع عن الارض والحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ، مع رابطة الاكاديميين العرب التي تضم خريجي الجامعات والمعاهد العليا الاسرائيلية ، اضافة الى التجار ورجال الدين . وبالرغم من أن القواسم المشتركة بين هؤلاء جميعا كثيرة ، فلا نشك لحظة في ان التقائهم حول التنديد بالسياسة العدمية للحكومة الاسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية ، بما فيها حقه باقامة دولة ما ، كانت احدى أهم القضايا التي وسعت اطار هذا الائتلاف الوطني وصلبت من عوده .

وهكذا ، فان استطرادنا المطول في التثبت من الهوية السياسية لمعركة الانتخابات هذه ، والتأكيد على سياسة التحالفات الانتخابية ، ليست أكثر من محاولة للتعرف على الحبل السري الذي يربط بين نضال المواطنين العرب في اسرائيل والنضال الفلسطيني بأسره ، وسعت الشقة أو ضاقت بين سائر الاهداف والشعارات المعلنة . الامر الذي يرتب التزامات متبادلة ، ليس بين فرقاء ، وانما بين جبهات متعددة للشعب الفلسطيني ، يقع عبء الالتزام الرئيسي فيها والمسؤولية الكبرى منها على عاتق جبهة الثورة الفلسطينية وتعبيرها السياسي المحدد بمنظمة التحرير الفلسطينية .

الاستجابة لبرنامج الثورة وطرحها المرحل

ما اجمعت عليه ردود الفعل وتعقيبات الرسميين وكتاب المقالات الاسرائيلية ، هو ان انتصار جبهة الناصرة الديمقراطية في معركة انتخابات البلدية ، انتصار لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وان الاغلبية الكبيرة من أصوات الناخبين التي حازت عليها قائمة الجبهة ، ما كانت لتتحقق بهذا القدر لولا التأييد الدولي المتعاظم الذي حظيت به المنظمة خلال العامين الاخيرين .

ونحن اذ نقر بصحة التحليل الاسرائيلي هذا ، طارحين جانبا التحريض الذي تضمنته هذه التعقيبات ضد التركيبة الحالية لمجلس بلدية الناصرة ، فاننا نستطيع ان نقر أيضا وبثقة كبيرة ان التعاطي الواعي والمتطور لمنظمة التحرير الفلسطينية مع الحقائق الراهنة للواقع الفلسطيني ، قد أسهم بدوره في تحقيق هذا الانتصار على هذه الجبهة الفلسطينية المتقدمة جدا — الى حد التداخل — مع الكيان الاسرائيلي . فليس من قبيل المصادفة مثلا أن تشن اذاعة صوت الثورة الفلسطينية ، وقبل أيام من تاريخ انتخابات الناصرة ، هجوما شديدا ضد كافة العناصر المرتبطة بالاحزاب الصهيونية في الناصرة ، دون ان تعلن تأييدها لأي من العناصر الوطنية المرشحة . وهذا الموقف في حد ذاته ، قياسا الى الاعوام السابقة ، يعتبر مؤشرا ذا دلائل مهمة على التطور الطبيعي في عقل الثورة الفلسطينية ، هذا التطور المرتكز قاعدته على البرنامج المرحلي للثورة الفلسطينية .

وفي بحثنا عن الجذر الاساسي لانتصار الناصرة الفلسطيني ، باعتبار الناصرة ترمز الى جبهة متقدمة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، نجد ان ايجابيات حرب تشرين الوطنية هي الارضية التي نبتت عليها بقوة مختلف الانتصارات التي حققتها

المنظمة طوال العامين الماضيين . فمنذ تلك الحرب ما زالت شعلة الكفاح الوطني الفلسطيني بمختلف أشكاله متوهجة . وعلى هدي منها تنتظم الجماهير الفلسطينية حالة نهوض وطني عارمة ، عبرت عن نفسها في الضفة الغربية على وجه التحديد بانتفاضتين شعبيتين متتاليتين خلال فترة العامين الاخيرين . واذا كان موضوعنا هذا يقتصر على المعاني الفلسطينية لانتخابات الناصرة ، فاننا نستطيع الرؤية بوضوح ، مشاهد حالة النهوض الوطني بين الفلسطينيين العرب في اسرائيل كذلك . ولم يكن فوز القائمة الوطنية في انتخابات الناصرة مؤخرا الا تتويجا لحالة النهوض الوطني على تلك الجبهة المتقدمة لكفاح الشعب الفلسطيني . فخلال السنوات القليلة التالية على حرب تشرين ، تعاظمت المشاركة النضالية ، لهذا التجمع الاساسي من الشعب الفلسطيني المتخندق في حلق اسرائيل وبين ظهرانيها . وتعددت صور هذه المشاركة بالنضال الوطني لتتخذ حينا شكل انخراط أوسع من ذي قبل بالكفاح المسلح ، وحينا بالتمرد على قانون الخدمة العسكرية الالزامية لابناء الطائفة العربية الدرزية بصورة أعمق وأشمل ، وحينا آخر بالنضال مع عرب الضفة الغربية وقطاع غزة — إعتصاما وتظاهرا — ضد سياسات اسرائيل المتعلقة بمصادرة الاراضي والاعتقال الكيفي ونسف البيوت ... الخ . وبيستوقفنا مليا الى جانب كل ذلك ، ما تشهده الجامعات الاسرائيلية ، خاصة الجامعة العبرية ، من أشكال وصور التمرد في صفوف الطلاب العرب على قوانين وأنظمة الجامعات الاسرائيلية ، خصوصا ما تعلق منها بقانون الحراسة الالزامي في الجامعة ، واستطاعتهم فوق ذلك تكريس لجنة طلابية خاصة بهم ومعبرة عن قضاياهم النقابية الطلابية ، بنفس سياسي والتزام فلسطيني عاليين .

وبغير ما استعراض لأشكال وتعبيرات المشاركة في النضال الوطني لهذا التجمع المهم من الشعب الفلسطيني ، فان أي متتبع للشؤون العربية في اسرائيل يستطيع أن يرى بوضوح الاستجابة العربية الواسعة في داخل الوطن لنداء الثورة وأهدافها وشعاراتها وبرامجها المعلنة ، عبر العديد من النضالات اليومية والمواقف السياسية . وفي هذا المجال فان الاشارة الى نضالات وبرنامج القائمة الشيوعية الجديدة (ركاح) — الموقع الكفاحي الاساسي للمناضلين العرب في اسرائيل — وما يتضمنه من التزام بالدفاع والمطالبة بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني بما فيها حقه في تقرير المصير واقامة دولته الوطنية الخاصة به ، لتؤكد التلاحم النضالي بين سائر التجمعات الفلسطينية ، داخل الوطن وخارجه ، على هدي من البرنامج المحلي المقرر في الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في حزيران (يونية) ١٩٧٤ .

وهكذا يتأكد ان النتائج الايجابية لحرب تشرين الوطنية من جهة ، والتعاطي الثوري المنضبط ببرنامج النقاط العشر للقيادة السياسية الفلسطينية مع نتائج الحرب هذه من جهة ثانية ، هما الركيزتان الاساسيتان لكافة الانتصارات السياسية الفلسطينية على مختلف الجبهات ، ومن ضمنها الانتصار الذي حققته العناصر الوطنية في الناصرة . ولا نعتقد بأنه كان بامكان القيادة السياسية للشعب الفلسطيني ان تحقق كل هذه الانتصارات المهمة بالاستناد الى وقائع حرب تشرين وحدها ، دون التعامل ايجابيا مع هذه الوقائع ، بالنفس الذي عبر عنه البرنامج المرحلي ذي النقاط العشر .

التعامل مع القضايا السياسية الراهنة للعرب في اسرائيل

في ضوء هذه القراءة المركزة للاهمية السياسية لانتصار الناصرة على الصعيد الفلسطيني كله ، وبنتيجة ابرازنا للعوامل الرئيسية الكامنة وراء هذا الانتصار ، فان التساؤل الذي يطرح نفسه هو : ما هي المسؤوليات المترتبة على كاهل منظمة التحرير الفلسطينية ازاء هذا الانتصار الذي تحقق على احدى جبهاتها الامامية ؟

ان منظمة التحرير باعتبارها القيادة السياسية للشعب الفلسطيني كله ، ويقع عليها عبء قيادة النضال في ميادينه المختلفة ، يترتب عليها بهذا الانتصار جملة مسؤوليات سياسية محددة بالموقع والمحيط الذي تحقق من خلاله ، ونعني بذلك النصف مليون عربي الذين يعيشون في اسرائيل .

لقد اتبعت منظمة التحرير طوال السنوات الماضية سياسة الابتعاد عن القضية السياسية للعرب في اسرائيل . وبقي طرحها السياسي في هذا المجال يتلخص في ان المصير السياسي لنصف مليون عربي في اسرائيل يتقرر بتحقيق الاهداف الاساسية

والكبرى للنضال الفلسطيني ، أي بتحقيق شعار الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين . ولم تجر أية مراجعة لهذا النهج السياسي تجاه العرب في اسرائيل حتى عندما أقر البرنامج المرحلي القاضي باقامة سلطة وطنية للشعب الفلسطيني على جزء من أرضه (الضفة الغربية وقطاع غزة) . اذ انه في الوقت الذي أصبح فيه برنامج السلطة الوطنية محددا للمستقبل السياسي لفلسطينيي الضفة والقطاع ، ومحور نضالهم ونضال التجمعات الفلسطينية خارج الوطن ، فان العرب في اسرائيل الذين لم يشملهم برنامج السلطة الوطنية ، يتكرس مع هذا البرنامج مرة أخرى تجاهل قضيتهم السياسية في المدين الراهن والمتوسط .

من هنا فان التعامل مع القضايا السياسية الراهنة للعرب في اسرائيل ، يجب أن يتجاوز ذلك المحظور التاريخي القائل بأن هذا التعامل سيفسر على انه اعتراف باسرائيل واقرار بشرعية احتلالها لفلسطين . فاحتلال اسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة لم يحل دون التعامل مع قضاياهما انسياسية ، بدءا من الاستيلاء على الاراضي لاقامة المستوطنات ومرورا بقضايا الانتخابات البلدية وانتهاء بتحديد الخيار السياسي للسكان فيهما ، دون أن يعني ذلك كله الاعتراف باسرائيل أو الاقرار بشرعية احتلالها ، مع الادراك سلفا بأن الوضع القانوني للضفة الغربية وقطاع غزة مختلف عنه للناصرة والجليل والمثلث والنقب . الا أن هذا الاختلاف لن يمنع من التعامل مع القضايا السياسية لسكان هذه المناطق الاخيرة ، وان كان سيجعله مختلفا عن التعامل مع القضايا السياسية لسكان الضفة والقطاع . فهل يكون الاهتمام الفلسطيني بانتخابات الناصرة بداية للتعامل مع القضايا السياسية للعرب في اسرائيل ؟ وهل يمكن اعتباره مؤشرا على التطور في فهم المنظمة لقضايا العرب في اسرائيل ؟

ان التاريخ السياسي والكفاحي لمنظمة التحرير يحفل بشواهد عدة على امتلاك المنظمة لسياسة ما تجاه العرب في اسرائيل . ولكن هذه السياسة ظلت انية وقصيرة المدى ومرتبطة باهداف محددة . ولا نذيع سرا اذا ما قلنا ان التعامل في مجال العمل العسكري ، الذي تضاعف وتعمق اشواطا بعيدة ، كان هو الشكل الرئيسي من تعامل فصائل منظمة التحرير مع العرب في اسرائيل ، وان ذلك كان محل الاهتمام الرئيسي من قبل قيادة منظمة التحرير . الا انه بالرغم من الاهمية التي لا تثمن لمثل هذا التعامل وذاك الاهتمام ، فانه يجب ان يكون موازيا للتعامل السياسي مع تنظيماتهم الوطنية وقضاياهم السياسية .

وعليه فان وضع تصور اولي لسياسة فلسطينية تجاه العرب في اسرائيل لا بد وان ترتكز الى مجموعة من الحقائق الثابتة التي يمكن ايجازها كما يلي :

١ ــ ان العرب في اسرائيل هم جزء اساسي من الشعب الفلسطيني . وبالتالي فان تناول قضاياهم والتعامل معها يختلف باختلاف الواقع الذي يعيشونه . ان هذا الفهم يقود بالضرورة الى اعتبار جبهة العرب في اسرائيل احدى الجبهات الرئيسية لنضال منظمة التحرير الفلسطينية وقلعة من قلاعها المتقدمة . وبالتالي مرة اخرى ، فان على منظمة التحرير انطلاقا من هذا الاعتبار بذل المزيد من الاهتمام لتحقيق المزيد من الانتصارات السياسية وغير السياسية على هذه الجبهة المهمة .

٢ ــ ان التعامل في الميدان العسكري يجب ان يكون متوازيا مع العمل في الميدان السياسي . اذ انه لا يعقل ان تضم منظمات المقاومة مئات الشباب من العرب في اسرائيل ، دون ان يبذل بالمقابل اهتمام بقضايا مجتمعهم الخاص بظروفه وبوضعه وبتطلعاته . وبالتالي فان تعزيز اللحمة النضالية بهم تتعمق اكثر بمزيد من التفاعل الفلسطيني الرسمي بقضاياهم .

٣ ــ ان الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين هي هدف بعيد المدى لنضال الشعب الفلسطيني وان تحقيقها يحتاج الى سنوات عديدة . وبالتالي فان امكانية تحقيقها لاحقة على امكانية تحقيق الدولة الوطنية على جزء من الارض التاريخية للشعب الفلسطيني . اي ان بقاء نصف مليون عربي وتكاثرهم في اسرائيل سوف يستمر لسنوات ، الامر الذي يرتب عند وضع تصور لسياسة فلسطينية تجاههم ، اخذ هذه الحقيقة القاسية بعين الاعتبار .

٤ — ان المعضلات التي يواجهها مجتمع العرب في اسرائيل مختلفة عما عداها من معضلات لمختلف التجمعات الفلسطينية الاخرى ، وذلك باختلاف الوضع القانوني وظروف الاضطهاد القومي . اذ ان المجتمع العربي في اسرائيل ، اضافة الى استلابه لحقوقه السياسية كسائر التجمعات الفلسطينية الاخرى ، مستلبة حقوقه المدنية والقومية، ويعاني من سياسة فرض الاحكام العسكرية وسياسة نهب الاراضي وغير ذلك .

ان الانتصار السياسي المهم الذي حققته جبهة الناصرة الديمقراطية في الانتخابات الاخيرة، يجب ان يفتح اعين منظمة التحرير الفلسطينية جيدا على واقع المجتمع العربي في اسرائيل ، وان يكون مناسبة لمراجعة سياسة المنظمة تجاههم على ضوء فهمها لشعار السلطة الوطنية القاضية باقامة دولة مجاورة لنصف مليون عربي ، تشدهم اليها هموما مشتركة وتطلعات مستقبلية واحدة .

عيسى الشعيبي

مناقشات

أطروحة شرق الاردن الفلسطينية : مغالطة منهجية وتجاوز تاريخي

نشرت مجلة شؤون فلسطينية (العدد رقم ٤٩ ، آب ١٩٧٥) مقالا بعنوان « محاولة اولى في اطروحة: شرق الاردن الفلسطينية » للكاتب عصام سخنيني ، كما نشرت في العدد المزدوج الذي تلاه نقدا لهذه الاطروحة ، وتفنيدا لمنطلقاتها الاساسية بقلم عبد الحفيظ محارب ، الذي مخض مضمون الاطروحة بثلاث مقدمات هي : ضرورة ايجاد قاعدة انطلاق او ارتكاز آمنة للثورة ، حتمية تناقض الثورة مع الانظمة العربية في النهاية ، ثم ضرورة تعديل عور اصاب التاريخ ، وذلك فيما يتعلق بنشوء الكيان الاردني (الكيان — الدولة ، او الكيان — النظام) كما يسميه الباحث اولا ، ووضع (الفلسطينيين — الفلسطينيين) في الاردن ، ثانيا . ثم يوجه بعد ذلك الاخ محارب الدعوة على صفحة المجلة لكل من يأنس من المثقفين الاردنيين في نفسه الرغبة والاطلاع على الواقع الاردني الكائنين لان يساهم في توضيح جوهر اطروحة الباحث سخنيني التي اعتبرها الناقد من اخطر الطروحات التي قدمت وذلك ليس بسبب « المغالطات الكامنة » فيها فقط ، بل ولانها قد تخدع في مظهرها حيث تختصر المسافة بين « التشرد والتحرير » ، بينما هي في الواقع « تعرقل المسار الثوري السليم لشعبنا » .

يحاول الكاتب ايجاد مخرج للمقولتين الاوليين من خلال مغالطتين يركبهما في معرض تصديه للقسم الاول من المقولة — المقدمة الثالثة ، والتي تتعلق بنشوء الكيان الاردني .

المغالطة الاولى هي ربطة الكيان الاردني بالنظام، واعتبارهما « وجهين لعملة واحدة » و « التحامهما التحاما عضويا » لتأدية دور وظيفي محدد لخصه الكاتب بمهمة « انجاح المشروع الصهيوني». وضرب الثورة الفلسطينية . اما المغالطة الثانية فهي نفي وجود هذا الكيان اصلا قبل وجود النظام ، وخارج هدف الاستعمار المثبت سابقا ، واعتبار ان «الكيان الاردني كيان طارىء دخيل على تاريخ المنطقة » .

لقد تعرض الناقد محارب الى هاتين المقولتين ، وانني بعد ان اعتبر ما قاله جزءا من ردي، واوافقه كلية ، ارى ضروري ايراد بعض الملاحظات العامة .

اولا — اريد ان أقرر منذ البداية انني ضد الكيانية مهما كان شكلها ، او زيها بمفهومها القطري ، وخارج اطار القومية العربية ، منطلقة من مفاهيم اجتماعية وفكرية وسياسية تقدمية ثورية انسانية .

ثانيا — ان هناك نوعا من التزييف للمفهوم القومي لدى معظم الانظمة والمنظمات العربية ، ما جعل من السهل التستر على الكثير من الممارسات الكيانية الاقليمية على المستويين المحلي والعالمي ، واضفاء صفات قومية وحدوية تقدمية عليها ، من خلال تنظير ايديولوجي ينخره العطب في اكثر من جهة . وهذا الواقع لا تفلت منه اية ساحة عربية .

ثالثا — ان الدراسة العلمية الشاملة تشير الى ان هناك تناقضا بين الانظمة والكيانات في جميع دول العالم النامية ، ودول العالم الثالث ، ومن ضمنها الدول العربية ، حيث تأتي الأنظمة فيها بفعل قوى وعوامل خارج اطار تفاعل وتصارع مكونات هذه الكيانات الذاتية — اي ليست تعبيرا عن واقع هذه الكيانات وحقيقتها . واستطيع ان اوسع هذا التصميم ليشمل حتى بعض المنظمات الوطنية — الكيانية .

رابعا — من هذا المنطلق لا يمكن — ولا بأي اعتساف حتى — جمع الكيان والنظام لاي مجموعة في اطار وظيفي وضمن مفهوم نظري وواقعي واحد، مهما بلغت درجة التعاون ، والارتباط بينهما .

اذ ان قوى الفعل النقيضة تبقى تفعل فعلها بفعل حتمية الصراع داخل هذا الكيان ونظامه (الذي هو افراز للعلائق الانتاجية السائدة) ، ومن جراء نمو بناه الاجتماعية المختلفة وتطورها حتى تبلغ مرحلة التناقض .

خامسا — وبنتيجة ذلك لا يمكن ربط النظام الاردني بالكيان الاردني كما فعل عصام سخنيني في اطروحته الا اذا كان النظام والكيان يشكلان طبقة اجتماعية كاملة ومنسجمة — وهذا ما لم يبرهنه الباحث من جهة ، وما يدحضه الواقع والوقائع التاريخية من جهة اخرى وخاصة فيما يتعلق ببروز النظام المصطنع (لا الكيان) اولا ، ثم واقع الكيان كما تفضح عنه ارقام العاطلين عن العمل من ابناء الضفة الشرقية، مستوى التعليم الذي يقدم اليهم ، مستوى الدخل السنوي للفرد هناك ، نوعية الخدمات المدنية والاجتماعية التي تقدم اليهم ومستواها ... وحتى حقهم السياسي الذي يشكل اكبر نسبة في قائمة الدين التي يطالبون بها النظام . (ان اكبر قبيلتين في الاردن — بني حسن ، وبني حميدة ليس لهما اي تمثيل سواء في مجلس النواب او في الحكومة) .

سادسا — كنت اتمنى ان تقدم لنا الاطروحة تعريفا او تحديدا لما يقصده الباحث بالكيان . اي ما هي الركيزة النظرية والمادية التي استند اليها في تعريف الكيان حتى توصل الى نتيجة نفي وجود الكيان الاردني قبل مجيء الاستعمار ... ! والى اعدام الانتمائية الكيانية الاردنية وتغييبها قبل ظهور ما سماها الباحث « بمدرسة وصفي التل المعروفة » .

اذا كان قصده بالكيان الارض ، فالضفة الشرقية هي كالضفة الغربية جزء من بادية الشام او بلاد الشام او الهلال الخصيب . نعم انها جزء من فلسطين كما هي فلسطين جزء منها (١) . أما « فلسطين الكبرى » التي يتحدث عنها الباحث فكفاني الناقد محارب اجر التعرض الى ذلك . كما انني لا اشك في ان الباحث يعرف ان البتراء وهي مدينة في جنوب الضفة الشرقية كانت عاصمة تاريخية مهمة لمملكة عربية قديمة هي مملكة الانباط. وكذلك كانت عمان ، عاصمة الادوميين ، والتي كانت تحمل اسم « ربة عمون » . ولا اظنه نسي جرش المدينة الرومانية الشهيرة ، والكرك التي وقعت فيها اشهر معارك الفتح الاسلامي خارج الجزيرة العربية ، هي معركة مؤتة ، حيث ما زالت قرية هناك تحمل هذا الاسم .

واذا كان قصده بالكيان البشر او السكان ، فلا اعتقد ان بمقدوره القول انه عندما اتى الى الاردن وجدها خالية من الناس سوى عائلات الشركس ، والهاشميين ، والنور .

ان الكيان ارض وشعب، وأركز على كلمة شعب، لان ابناء الاردن الذين حجب النظام دورهم ، وفعاليتهم ، وممارساتهم القومية ، وجيرها لخدمة اهدافه الخاصة بذات الطريقة التي جير بها امكانات الشعب الفلسطيني ذاته في السابق والان ، هم شعب ، ومنهم من كان في الاردن قبل مجيء الفتح الاسلامي العربي ، وقد « عزوا » الرسول (نصروه) في حربه مع الروم وذلك باسم العروبة ، رغم بقائهم على دينهم ، وذلك في معركة مؤته ، فسموا « بالمزيزات » وما زالو يحملون لقبهم هذا في مدينة مادبا ... وسيبقون (٢) .

ثم ان هذا الكيان كيان عربي وطني ، وقد قاوم النظام واربابه من المستعمرين قبل وصفي التل ، وعلى لسان والد وصفي التل ، الشاعر الاردني الذي اضطهده النظام وشرده بسبب (اردنيته !) في عشرينات هذا القرن ، والتي دافع عنها وعن كيانها ضد النظام ، كما دافع عن فلسطين وعن هويتها وشعبها ضد الصهيونية ، في شعره ومواقفه على حد سواء :

يا رب ان بلفور انفذ وعده
كم مسلم يبقى وكم نصراني
وكيان مسجد قريتي من ذا الذي
يبقي عليه اذا ازيل كياني
وكنيسة العذراء اين مكانها
سيكون ان بعث اليهود مكاني . (٣)

سابعا — كنت اتمنى ان ينطلق الباحث في ربطه الكيان بالنظام من حقائق مادية مبررة اجتماعيا وتاريخيا وعلميا ضمن تشكل التحالفات الاجتماعية والوظيفية في الكيانات التي قد تنشأ . فالكيان مفهوم مادي ذو مضمون اجتماعي وانتروبولوجي واثنولوجي قبل ان يكون جهازا وظيفيا . وهو واقع حياتي يومي قبل ان يكون انتماء معنويا او هوية . من هنا وقع الباحث في الخطأ عندما قفز عن حقيقة استبار المضمون الاجتماعي والانتروبولوجي الذي يشكل جوهر الكيان ليتحدث عن « الانتمائية الكيانية الاردنية » التي ظهرت مؤخرا ، كشعور معنوي ، لم يحدد الباحث ايضا مضمونه المادي ، رغم اضفاء صفة المرضية عليه . فهو ، على ما يبدو ، غير مدرك لحقيقة ان « الانتمائية » ، او الهوية انما هي تبلور لتفاعلات مقومات الكيان المذكورة مع الظروف والمستجدات ضمن اطار الصراع التاريخي

بين نماذج العلائق الانتاجية ، وادواتها الاجتماعية المنبثقة عنها ، التي تتحدى الكيان .

من هنا ظهرت حقيقة حركية الانتماء (باعتباره هوية معنوية مرتبطة بواقع سياسي اجتماعي مادي محدد) ، وخضوعها لعوامل الفعل الموجهة والمقصودة من قبل القوى الفاعلة تاريخيا وواقعيا في قرارة الكيان من اجل توظيفها في المجال الذي تحدده لها هذه القوى .

ثامنا — ان غموض كلمة الكيان والتباسها هو الذي جرد الأطروحة من اي قيمة او اهمية . ويبدو ان الغموض هن السادر الوحيد الذي يمكن فرضية الكاتب من الوقوف على قدميها ، اذ انه لو اعطى للكيان اية مضمون لسقطت اطروحته بين يديه .

يضاف الى ذلك اغفال الباحث امرين هما الاساس في اعطاء اطروحته اي قيمة ، وخاصة فيما يتعلق بتحديده لطبيعة الكيان الاردني ، وهما : العامل التاريخي لنشوء الكيانات الاقليمية العربية ، اولا ، ثم تفاوت اشكال هذه الكيانات بحكم الاختلاف في مستوى وطبيعة القوى المحركة للصراعات داخل الوحدات الكيانية العربية ، واختلاف الاحداث السياسية التي مر بها الوطن العربي .

تاسعا — ربما كان بامكان الباحث القول انه كان هناك كيان قبلي في الاردن قبل تاسيس الامارة ، او ان هذا الكيان لم يكن ذا طابع محدد . وربما كان باستطاعته ايضا ان يقول ان الضفة الشرقية في الاردن لم تشهد احداثا سياسية بارزة، وصراعات ضد الاستعمار كتلك التي شهدتها فلسطين مثلا او سوريا او العراق ... الخ . واكثر من ذلك يستطيع الباحث القول ان الاردن لم تشهد كيانا سياسيا مميزا كالكيان السوري او العراقي او الفلسطيني ... وهنا ليس المسؤول هم الاردنيون وحدهم ، اذ ماذا سيكون مصير الكيان العراقي لو ان نوري السعيد ما زال يحكم هناك ، او السوري كما لو بقي فيصل وسلالته كما هي الحال في الاردن مع بقاء سلالة عبدالله .

ان بروز النظام الهاشمي في الاردن ، وغياب الكيان الوطني الاردني بغض النظر عن محتواه السياسي والاجتماعي انما هو دليل على ضعف القومية العربية وتخلف الممارسات القومية عن مستوى المهام المطروحة ، وليس دليلا على انتفاء الكيان الاردني كحقيقة تاريخية ، مهما كانت الكيفية الملحقة بهذا الكيان .

عاشرا — لقد وقع الباحث في خطأ اخر عندما خلط بين الاحساس بالكيان ووعيه تاريخيا ، ومحاولة تجسيده من خلال ممارسة سياسية وفكرية عملية من جهة ، وبين النصرة الكيانية — التي هي طفح مرضي نتيجة توجيه خاطىء للاحساس الكياني باعتباره امرا طبيعيا لدى كل فرد ينتمي الى مجموعة قبل ان يذوب او يلتحم ، او يتحول الى مجموعة اخرى او متحد ضمن شروط ذاتية وموضوعية منسجمة ومتطابقة مع تطلعاته وواقعه وثقافته .

حادي عشر — من هنا كان بامكان الباحث المذكور القول ان الكيان الاردني مصادر ، او مشوه ، او مدفون تحت قشرة اجتماعية ميتة تاريخيا هي القبلية او البداوة، ولكن ليس لينفيه ، او يدعي ان وجوده وقيامه امرا مصطنعا ؛ ثم ليربطه بالنظام .

مرة اخرى ، كيف يمكن لتشرشل وعبدالله ان ينشئا بجرة قلم كيانا يعيش ، ويقوم بالدور الذي اسنده اليه الباحث — اعتسافا ؟ وهنا اسأله : هل كان وعد بلفور (المرسوم) عام ١٩١٦ كافيا لاقامة الكيان الصهيوني ، وهل كان بالامكان اقامة الدولة الصهيونية لولا عمليات الهجرة التي سبقت الوعد ، وعمليات الاستيطان وما رافقها من اوضاع استيطانية سهلتها الدولة المنتدبة ، التي التزمت بتنفيذ الوعد — بريطانيا ؟

ان ما ولد في مؤتمر تشرشل — عبدالله عام ١٩٢١ وما يتحدث عنه الباحث هو النظام في الاردن ، الذي زرع شتلا في رأس الكيان الاردني في غياب الوعي الاجتماعي الكافي ، والممارسة القومية الواضحة ، واني وان كنت اتفق معه على تحديده لدور النظام ، ولا يخالفنا احد ، اخالفه على تعميمه هذا الدور ليشمل الكيان . اذ انه في تعميمه هذا يخالف بديهية تاريخية هي ان الجماهير دائما وطنية بعد ان تتوفر لها الطليعة القيادية التي تجسد مطامحها وتطلعاتها . وهنا اعود فاكرر ان ترهل العمل القومي وتعثره ، وبروز الكيانات القطرية — ولهذين الامرين اسباب لا مجال لبحثها هنا — هما اللذان جعلا الكيان الاردني يظهر وكأنه اداة طيعة في يد النظام .

بعد هذا لا اعتقد ان ضمير الباحث يقبل ان يتهم الاردنيين بتهم النظام ، وهم الكفة الخفيفة فيه .

انني اعتقد لو ان الباحث ذهب ودرس علاقة الكيان بالنظام التي بدأت عام ١٩٢٣ وحتى الفترة التي تمت بها توحيد الضفتين ، ثم الفترة التي تلت ذلك حتى الآن لخرج بحكم اخر غير الذي خرج به.

ولكن كيف بامكانه ذلك وقد نفى وجود الكيان خارج نطاق النظام وكأن الاردنيين « جيش انكشاري هاشمي » .

ليذهب الباحث وليدرس تاريخ الكيان في هاتين الفترتين وما قبلهما ليجد من هم الذين قادوا الانقلابات العسكرية ضد النظام حتى الان ، ليذهب وليدرس تاريخ القبائل ذاتها وقرى الشمال الاردني وعلاقتها بالنظام . ثم ليذهب وليتعرف على اسماء السجناء السياسيين وليجد نسبة الاردنيين بينهم .

كما انني لا اجد تعبيرا يقابل كلمات الباحث التي يقول فيها بتغيير « البنية الكيانية » ، « واقتحام المسألة الكيانية » . فاذا كان قصده بالتغيير التحويل الثوري فلا خلاف معه ابدا ، ولكن لماذا الاقتحام اذن ؟ ولماذا بناء « كيان — ثورة » ؟ لماذا لا يكون صريحا وواضحا فيقول اما بناء كيان ثوري في الاردن ، فيحد ساعتها مادته البشرية وطبيعته الاجتماعية ، او احلال «كيان — ثورة» محل « كيان — دولة » . وهنا اسأله : كيف ؟

هل بالامكان بناء « كيان — ثورة » ، (ولم استطع ان احدد هوية هذا الكيان البشرية والاجتماعية والوطنية) خارج اطار اجتماعي وثقافي وتراثي ، وبالتالي تاريخي متميز . وكيف يقوم كيان على انقاض كيان اخر دون ان يكون احدهما غير شرعي . واذا درسنا تاريخ شرقي الاردن اجتماعيا وبشريا وجدنا ان هناك كيانا موجودا وسابقا لهوية النظام التي زرعت حول عنقه بفعل عوامل خارجة عن ارادته ، ادركنا ان الكيان الاصطناعي هو « الكيان — الثورة » الذي يتحدث عنه الباحث بالكيفية التي ظهر فيها في اطروحته ، سواء من خلال محاولة تبرير شرعية « زراعته شتلا » او من خلال القفز عن الحقائق التاريخية المادية التي تتعلق بحقيقة الواقع الاردني .

يقول الباحث « أن الانتمائية الكيانية الاردنية ظلت عائمة على السطح ، ولم تصبح من تراث الجماهير المتأصل في وجدانها الوطني لفترة طويلة من تاريخ شرق الاردن ... وان كانت في الفترة الاخيرة قد اتخذت شكلا مرضيا ... وقد بدا هذا الشكل مع وصفي التل ومدرسته .

الحمد لله ، لقد اعترف هنا بوجود جماهير في الاردن .. ثم اعترف بوجود انتماء لدى هذه الجماهير . وكيف يكون هناك جماهير تملك انتماء وليس لديها كيان سوى جهاز الدولة ؟ لقد اقترب من الحقيقة من غير قصده وان كانت غايته تبرير مغالطة اخرى . اعتقد ان عدم اطلاع الباحث على التاريخ العربي بصورة كافية ، ثم عدم تمكنه من حقائق وحيثيات الواقع الاجتماعي والسياسي للشعب الاردني ، وغياب المعرفة النظرية المتعلقة بمضامين الكيانات الاجتماعية والانتروبولوجية ، كل هذه الأمور جعلته يستسهل صياغات نظرية ومفاهيمية فقط خالية من اية دلالة مضمونية . صحيح انه لم يكن هناك قبيلة تحمل اسم « الاردن » ، لكن كان هناك عشرات القبائل في الجنوب والشمال والشرق وعشرات القرى في الوسط والشمال الغربي وفي الغرب ، وهناك مدن اربد والسلط وعمان والكرك قبل مجيء عبدالله ، وقبل لقائه بتشرتشل — وهو التاريخ الذي يحدده الباحث كبداية « للكيان الاردني المصطنع » ، ثم صحيح انه لا توجد قبيلة « هاشمية » في الأردن ليصبح الكيان واقعا ...! وبهذا المعنى هل جميع ابناء العربية السعودية من آل سعود !؟

يبدو ان الباحث غير ملم بحقيقة بديهية حول تطور المجتمعات العربية الحديثة ، وهي ان الانتقال من مرحلة البداوة والقبلية اي حالة المدنية قد تم مباشرة دون المرور بالمرحلة الفلاحية التي غابت في تطور بعض المجتمعات العربية — وخاصة الفنية منها — الحديثة ، وذلك بفعل وصول الالة والمدنية مباشرة فنقلت العربي من الخيمة الى الفيلا .

ثم يقول « ان الانتمائية الكيانية الاردنية ، قد تطورت بشكل مرضي على يد مدرسة وصفي التل المعروفة » . انني لا اعتقد ان الباحث سيجمع الانتمائية والكيانية ، الاولى كموصوف ، والثانية كصفة ، فهما لو قمنا بالدراسة الانتروبولوجية العلمية اصطلاحان يختلفان باعتبار ان الانتماء هو دائما للكيان وبالتالي لا يمكن وضعهما امام صفة اخرى لهما هي « الأردنية » ، لو كان مدركا لمدلولات المفاهيم المستخدمة الاجتماعية العلمية والتاريخية . انه بالامكان القول « الانتمائية الاردنية » مع تبيان المضمون الاجتماعي لهذه الانتمائية ، اي تحديد هوية الأردن ككيان فتخرج بطبيعة الانتماء ...! والمقصود هنا هو ان الانتماء وعي الكيان تاريخيا ، والخطل او الاعتوار قد يكون بالانتماء وليس بالكيان ، ولذلك اذا اردنا وصف الانتماء بأنه مرضي لا يمكن ربطه بالكيان باعتباره صفة له الا اذا اردنا اثبات انتفاء الكيان، وساعتها نتحدث عن ذلك من منظار اخر ، ولا نتحدث عن الانتمائية . اذ انه بمجرد الاقرار بوجود الانتمائية فمعنى ذلك اننا سلمنا حقيقة بواقعية الكيان ووجوده ، والا ، فما هو مصدر الانتماء ».؟

ثم انه لا يمكن الحديث عن « كيان ــ ثورة » كما يقول الباحث كبديل . ان الكيانية مهما البست من صفات لا يمكن ان تكون بديلا منطقيا لكيان اخر . ان الانجاز القومي ، والفعل القومي ، والنظرية القومية ، من خلال منظور تقدمي ثوري هما البديل لاي كيانية في العالم العربي .

بعد هذا اعود لاقول ان المفاهيمية الخالصة هي كل رأسمال البآحث ، وانه لو اتى ليطبق ما تتضمنه اطروحته على ارض الواقع لوجد حقائق مغايرة ، ولخرج بنتائج مختلفة ومناقضة لما توصل اليه . انه سيجد كيانا اجتماعيا وانتروبولوجيا وديمغرافيا يختلف عن النظام من الناحية الفعالية والطاقة والفعل ، ثم يسبق هذا النظام وجودا وواقعا من جهة التاريخ .

لقد كان تاريخ شرق الاردن تاريخ قبائل ، وتجمعات حضرية ، تحت سلطة الوالي التركي ، كما كان تاريخ لبنان ، تاريخ طوائف ، وكما كان تاريخ فلسطين تاريخ قرى ومدن . وعليه فان استلام النظام الهاشمي لهذا الكيان ، وطبعه بطابع معين لا يدين هذا الكيان بتهم النظام ، كما ان عدم بروزه بشكل سياسي محدد ومستقل ــ او ثورة تحرر وطني ــ لا ينفي وجود هذا الكيان ، او يبرر مقولة الباحث في اعتباره « كيانا دخيلا طارئا على تاريخ المنطقة » . اذ ان وجوده كواقع كان امرا مفروغا منه ولا اعتقد ان هناك مشقة على اي باحث في اثبات ذلك تاريخيا وعلميا ، وان بقيت مهمة التعبير السياسي عنه اما للنظام (الذي كان له الحظ الاكبر) او للثورة ذاتها ، او لاحزاب قومية . انتظم فيها الاردنيون وقادوها .

لقد كان النظام في الاردن عملية زراعة خارجية ــ شتلا ــ لانتمائية خارجة تاريخيا عن واقع هذا الكيان ، وعن حقيقة وجوده ، وسيبقى هذا النظام كذلك مثله مثل « كيان ــ ثورة » الذي يتحدث عنه الباحث .

انني لا انكر انه بعد مجازر ايلول برز لدى الاطراف جميعها احساس كياني سياسي ونمروي ، وحتى قبل ايلول ، وهو فيما يخص الجانب الاردني كان احساسا محايدا لدى النخبة الغالبة ، وكرد فعل عفوي وطبيعي لبروز كيانية اخرى لم تستطع ان تستوعبه ، بل تحركت مركزيا ضمن دائرة كيانية شبه مغلقة او من خلال رؤيا قومية اجتماعية عاجزة ، وبقيت كذلك ، وما زالت خارج اطار التغيير الدعاوي . وان كان ذلك يعود لاسباب خارجة في بعض الاحيان عن ارادة التحكم بها .

واخيرا اني ادعو الباحث ، باسم كل الاردنيين ــ الفقراء ، ان يترك التجريبية النظرية ، والتقنين الوطني والثوري من خلال تراكيب مفاهيمية بحتة تخبىء وبالا قوميا ــ وخاصة قد يستغلها اعداء الجماهير العربية في الاردن ــ وليذهب الى الاردن وليتعرف على مادة « الكيان ــ الدولة » ! ليرى حالة الفقر والبؤس التي يعيشها اكثر من ثلاثة ارباع السكان ... وليرى « الكيانية » العربية الاصيلة على ملامح الاجداد المتبقين ، اذا كان التاريخ همه ، او ليرى الاجيال المعذبة التي تتعلم على ضوء فتيل الزيت (السراج) ، وليدخل البيوت التي رصيدها بيض الدجاج ، ووجباتها الخبز والشاي ، اذا كان الواقع مبتغاه . وساعتها ادعوه ان يقارن بين « الكيان ــ الدولة » او الكيان « النظام » ، اهل العروش والتيجان ومعذبي الصحراء والقرى والارياف الاردنية .

انه سيجد لماذا لم يتشكل في الاردن حزب اقليمي انعزالي يميني خارج حزب السلطة الذي هو حزب ابناء الضفتين . ثم سوف يفاجأ حين يجد كم هم اتباع « وصفي التل » بين الجماهير الاردنية المسحوقة ومثقفيها .

---

(١) كتب ابن خلدون « ان الاردن جزء من فلسطين كما هي فلسطين جزء من الاردن . وكلاهما جزء من بادية الشام ... » (ابن خلدون ، عبد الرحمن ، مقدمة ، طبعة ؟ ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ص ١٠) .

(٢) **تاريخ شرق الاردن** ، بقلم روكس بن زائد العزيزي

(٣) ديوان « **عشيات وادي اليابس** » ، مصطفى وهبة التل ، تحقيق محمود السمراء .

محاولة ثانية في اطروحة : شـــرق الاردن الفلسطينية

(١)

تتخذ هذه المحاولة شكل حوار مع الرد الـــذي نشره الاخ عبد الحفيظ محارب بعنوان « المطلوب تغيير النظام وليس الكيان » في العدد ٥١/٥٠ من « شؤون فلسطينية » ، على مقالي المنشور في العدد ٤٩ من المجلة نفسها بعنوان « محاولة اولى في اطروحة شرق الاردن الفلسطينية » . وفي هذه المحاولة الثانية اناقش ما اورده الاخ عبد الحفيظ بغرض التوصل من خلال ذلك الى تثبيت بعـــض القضايا التي حاولتها سابقا او توضيحها وتجذيرها.

الشرق اردنيون :

اعترض عبد الحفيظ على هذا الاصطلاح وطرح تساؤلات استنكارية عنهم من مثل « من هم ؟ » و « من اي بلاد قدموا ؟ » واجابة على ذلـــك اقول ان استعمال هذا الاصطلاح تم بهدف محـــدد هو تمييز المواطنين الذين كانوا يعيشون في المملكة الاردنية الهاشمية (واخلافهم طبعا) قبل ضـــم فلسطين الوسطى (او الضفة الغربية) اليها ، تمييزهم من اصطلاح « الاردنيين » الذي شمـــل بعد الضم الشرق اردنيين والفلسطينيين الذيـــن جرى الحاقهم بالجنسية الاردنية ، وهم سكـــان فلسطين الوسطى ومن لجأ اليها والى شـــرق الاردن من المناطق الفلسطينية المحتلة . ليس في التعبير اذن غموض او ابهام ، ولكنه يأتي من خلال الضرورة المنهجية من جهة ، ومن حيث الضرورة السياسية من جهة ثانية ، ذلك بان تعبير «الاردنيين» لا يزال ، من جانب دستوري اردني ، ومن جانب القانون الدولي كذلك ، ينطبق على الفلسطينيين المتجنسين بالجنسية الاردنية .

وفي الحقيقة انا لم اعتبر الشرق اردنيين فلسطينيين لسبب واحد هو ان اصطلاح «الفلسطينيين» اطلق منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى على المجموعـــة السكانية العربية التي كانت تعيش في فلسطـــين بحدودها الانتدابية ، دون سواهم ، وترسخ هذا الاصطلاح طوال ما يزيد عن نصف قرن . وان مما يزيد ترسيخه ظهور مشكلة **خاصة** بهذه المجموعـــة السكانية ، اوجدت هموما **خاصة** مشتركة لديهم ، ترتب عليها مصالح **خاصة** بهم واهداف متماثلة ، مما يجعل الاصطلاح يأخذ ليس فقط معنى تراثيا ، وانما معنى محايثا لهذه المشكلة الخاصة وما يترتب عليها من هموم ومصالح واهداف . ولا يتناقض ذلك مع حقيقة ان الشعبين الفلسطيني والشـــرق اردني (البعض يفضل لفظ « الشعب » عند الحديث عن « شعوب » الامة العربية) عاشا في كيانـــين سياسيين منفصلين على ارض فلسطين التاريخيـــة (اصطلاح سأتناوله بعد قليل) ، من حيث ان الكيانين كليهما — وهذا رأي يسهـــل الدفـــاع عنه — كانا مصطنعين جزىء بهما الوطن العربـــي الواحد ، وبغيرهما من الكيانات ، الى نتف اقليمية وشظايا في ضوء مصالح الدول الكبرى . واذا لـــم يطلق تعبير « الفلسطينيين » على الشرق اردنيين ، فلم يكن ذلك نتيجة استناد الى التاريخ او للوقائع الجغرافية او الحقائق الاثنية ، وانما بتأثير مـــن الدول الكبرى (بريطانيا وفرنسا على وجه التحديد) التي مزقت الارض ونتفت الشعب واطلقت على المزق تسميات تخدم من خلال مدلولاتها مصالحها واهدافها في الوطن العربي .

ومع هذا فانه تجدر الاشارة الى ان اصطـــلاح « الفلسطينيين » الذي ترسخ بقيام فلسطين الانتدابية كان يتفاعل منذ ما قبل الحرب العالمية الاولى فـــي الرأي العام الفلسطيني . وكي لا تتهم هذه المحاولة بالاقليمية ، علي ان اذكر هنا ان الفلسطينيين كانوا مؤسسين في الاتجاه القومي الذي استهدف انفصال الامة العربية ، على اساس قومي ، من جنـــد الامبراطورية العثمانية . ويكفي الاستشهاد في هذا الصدد بجمعية العربية الفتاة (التي عرفت فيما بعد باسم الفتاة) التي اسسها في باريس عدد من الطلبة العرب ونقلت الى بيروت في العام ١٩١٣ والى دمشق في العام ١٩١٤ والتي كانت اول جمعية عربية تطالب بالاستقلال الكامل لا مجرد الحكـــم الذاتي ضمن الامبراطورية العثمانية . وموطـــن الاستشهاد هنا ان اثنين من مؤسسي الجمعيـــة السبعة كانا فلسطينيين (هما عوني عبد الهـــادي ورفيق التميمي) . وقد اوصل هذا الاتجـــاه القومي ثلاثة من الزعماء الفلسطينيين المنخرطين في الحركة القومية الى اعواد المشانق (هم احمـــد عارف الحسيني ومصطفى الحسيني وعلي النشاشيبي **الذين اعدموا في ايار ١٩١٦ بقرار من الديـــوان العرفي الذي شكله جمال باشا في عاليه**) .

مع هذا الانتماء القومي للفلسطينيين ، فان هؤلاء واجهوا في مطلع القرن العشرين **وضعا خاصا** تمثل في التحديات التي تفتتها الحركة الصهيونية في اوجههم . ذلك ان الهجرة والاستيطان الصيونيين طرحا امام الفلسطينيين مهمات متميزة من مهمات الحركات العربية السياسية التي كانت تتفاعل آنذاك . وقد كانت الاخطار الناجمة عن العدوان الصهيوني قبل الحرب الاولى في صدد احياء شعور وطني متميز اتخذ له محورا الدعوة الى تركيز **الهوية الفلسطينية** شعبا ووطنا . ولم يكن هذا الشعور مخلوقا من عدم ، وانما كانت مكوناته الاساسية معطيات التاريخ العربي الذي احتفظ باسم فلسطين واورثه لأجيال عربية متلاحقة . وكانت وظيفة الخطر الصهيوني في هذا المجال هي انه استحث ظهور هذا الارث وخلق مبررات بعثه . وكانت ارهاصات الهوية الفلسطينية هنا تشير الى بداية تشكل وعي على الذات الوطنية وعلى وحدة الشعب ، بحيث اخذ مفهوما «الشعب» و «الوطن» يدخلان المصطلح السياسي الفلسطيني بشكل واضح في السنوات القليلة التي سبقت الحرب العالمية الاولى . وكان ابرز رموز هذا التيار نجيب نصار في جريدته « الكرمل » كذلك فاننا لا نقلل من اهمية الجمعيات الفلسطينية التي تكاثرت في العام ١٩١٣ والتي كانت تستحث هم الفلسطينيين للتصدي للاخطار المحدقة بهم .

والسؤال الذي يطرح هنا هو : اين موقع شرق الاردن في هذا التيار الفلسطيني ؟ هناك عدد من العوامل تحكم الاجابة عن هذا السؤال :

العامل الاول ان شرق الاردن كانت قبل الحرب، ولزمن طويل مضى ، منطقة ركود سياسي مما يجعل التعرف على اتجاهات سكانها السياسية امرا متعذرا ان لم يكن مستحيلا . ويكفي ان نذكر هنا انه من بين ٦١ اسما اوردها المؤرخون لاعضاء « الفتاة » لم يرد اسم واحد من شرق الاردن ، على الرغم من ان الأسماء تتوزع بين مدن بيروت ودمشق وصيدا ونابلس وحيفا وبغداد وبعلبك واللاذقية والقدس وغزة وطولكرم وحلب وحمص .

العامل الثاني انه حتى وقت متأخر من الحكم العثماني كانت اجزاء رئيسية من بلاد شرق الاردن تتبع داريا لمدن فلسطينية غربي النهر . فالبلقاء التي تقع بين نهر الزرقاء والموجب كانت اداريا تابعة للواء نابلس ، كما ان متصرف نابلس (واحيانا متصرف القدس) كان مسؤولا عن جباية الاموال الاميرية من المناطق الواقعة جنوبا حتى الكرك . كذلك ففي بعض الفترات التاريخية كانت اجزاء من منطقة عجلون تابعة لقائمقامية طبريا .

العامل الثالث ان عددا كبيرا من العشائر في مناطق شرق الاردن قدمت من فلسطين (غربي النهر) في فترات مختلفة في اثناء العهد العثماني . ونستطيع في هذا المجال ان نعدد اكثر من خمسين عشيرة قدمت من هناك وتوزعت في مناطق مختلفة في شرق الاردن من الشمال الى الجنوب .

في ضوء هذه العوامل هناك عدد من الدلائل تشير الى ان الفلسطينيين (غربي النهر) كانوا يعتبرون شرق الاردن جزءا من بلادهم. من ذلك مثلا — بجانب دلائل اخرى — ان خليل السكاكيني ، الكاتب الفلسطيني ، كان يستعمل في العام ١٩١٣ اصطلاح فلسطين ليشمل الأراضي الواقعة الى الشرق من نهر الاردن .

كانت الحرب العالمية الاولى ، بنتائجها ، حاسمة في المسائل الكيانية ، اذ قسمت الوطن العربي الواحد — هو واحد على الرغم من تقسيماته الادارية في العهد العثماني — الى عدد من الكيانات ، قاومها عرب فلسطين (الانتدابية هنا) مقاومة ستظل رصيدا لهم في نضالهم القومي . فمن الجدير بالذكر ان اول عمل قامت به الجمعيات الاسلامية — المسيحية التي قادت النضال الفلسطيني في بداية الاحتلال البريطاني ، كان اعلانها « اننا لا نتخلى عن مطالبنا المنحصرة في استقلال سوريا المتحدة من طوروس الى رفح ونرفض الهجرة الصهيونية رفضا باتا ، ونرفض فصل فلسطين عن سوريا » . كذلك نشير الى ان المؤتمر الفلسطيني الاول الذي انعقد في القدس بين ١/٢٧ و ١٩١٩/٢/١٠ كان دلالة واضحة على هذا الاتجاه . فقد حاول الانجليز ان يصرفوا المؤتمر عن قرار الوحدة السورية وان يقنعوه بطلب استقلال فلسطين باشراف بريطانيا ، غير ان المسعى فشل ، وقرر المؤتمر اطلاق اسم سوريا الجنوبية على فلسطين .

بيد ان الظروف السياسية التي احاطت بالمنطقة والتي كانت اقسى من طموحات الفلسطينيين في الوحدة السورية، جعلت فلسطين بحدودها الانتدابية

حقيقة كيانية واقعة . ونشير الى هذه الظروف تعدادا : * التنافس البريطاني — الفرنسي في المنطقة وتوزيع سوريا (الكبرى) بين مصالح الدولتين . * الموقف البريطاني الذي رسم حدود الكيان الجغرافية اثر سقوط مملكة فيصل في دمشق مما وأد طموحات الوحدة * اقامة امارة شرق الاردن وحدة ادارية اولا ثم كيانا سياسيا فيما بعد . * الهموم الفلسطينية الخاصة التي نجمت عن الخطر الصهيوني .

وهكذا ، فعلى الرغم من ان مؤتمر سان ريمو في العام ١٩٢٠ ، الذي منح بريطانيا الانتداب على فلسطين ، جعل فلسطين الانتدابية تشمل شرق الاردن كذلك دون تعيين لحدودها الشرقية ، فان بريطانيا في العام ١٩٢٢ (بعد ان اقامت امارة شرق الاردن في العام ١٩٢١) اعلنت ان شرق الاردن « ليست جزءا من فلسطين » ، مكرسة بذلك وجود كيانين منفصلين ، وبالتالي بروز تقسيمات بشرية : اردنية وفلسطينية ، او اردنيين وفلسطينيين .

واشير هنا الى انه حتى ذلك التاريخ لم يكن اصطلاح « الاردنيين » قد دخل في قاموس المنطقة السياسي . فعندما احتج مشايخ شرق الاردن (تعبير جغرافي هنا) في شهر ايار ١٩٢٠ الى الجنرال بولز ، الحاكم العسكري لفلسطين ، على بعض تصرفاته ، ورد في هذا الاحتجاج تعبيرات من نوع « نحن شيوخ القبائل ورؤساء العشائر القاطنون وراء نهر الاردن والبحر الميت » و « نحن عربان شرق الاردن » . ولكن الاحتجاج لم يستعمل قط تعبير « الاردنيين » .

فلسطين التاريخية :

يخلط عبد الحفيظ خلطا واضحا بين فلسطين التاريخية و « ارض اسرائيل الكبرى » ، ويعتبر « ان اصطلاح فلسطين التاريخية وكذلك فلسطين الكبرى ، هما اصطلاحان روجت لهما الحركة الصهيونية في ادبياتها كثيرا ، ليس خدمة للتاريخ من خلال بحث موضوعي (اذا كانت هناك فلسطين كبرى) وانما بغرض خدمة اهدافها ومآربها الرامية الى توسيع نفوذها واحتلالها ، في الفرص المناسبة ، لمزيد من الاراضي العربية ، على اساس انها تعيد ، بل وتحرر اجزاء من ارض الاباء والاجداد ، ارض اسرائيل الكبرى ، (فلسطين الكبرى) » .

ان الخطأ في هذه المقارنة متأت بالاساس من الجهل بحقائق التاريخ التي زيفتها الصهيونية كما شاءت ، تزييفا صدقه كما يبدو بعضنا ووقع في فخه ومن هذا البعض عبد الحفيظ نفسه . نوضح ذلك .

في البداية يجب ان نذكر ان « فلسطين » ليست مصطلحا صهيونيا . وعبد الحفيظ ، بصفته متبحرا في الصهيونية ، يعلم بلا ريب ان الادبيات الصهيونية التي يشير اليها تفضل استعمال « ارتز اسرائيل » او (ارض اسرائيل) بديلا لذلك وقد وصل الامر حدا ان الكتابات الصهيونية عندما تترجم وثائق عن لغات اخرى يرد فيها اسم فلسطين تترجم الاسم الى « ارض اسرائيل » ، واذا كانت بعض الكتابات الصهيونية تستخدم لفظ «فلسطين» فانما يعود ذلك الى مجاراة رأي عام غير صهيوني (وغير يهودي كذلك) استخدم اللفظ للدلالة على هذه المنطقة من العالم . وهنا صلب القضية ومحورها الاساسي . فـ « فلسطين » لم تكن يوما من الايام جزءا من التراث اليهودي ، وانما هي كانت **على الرغم** من هذا التراث .

فمن المتعارف عليه ان اسم فلسطين منحه ، بعد تعديلات لفظية ، الفلسطينيون للارض التي اقاموا عليها منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وفي هذه العجالة نبرز هنا اننا نخالف التراث الديني (اليهودي والذي ورثه الفكر المسيحي) الجهة ان اسم فلسطين ، او فلسطيا حسب هذا التراث كان يطلق فقط على السهل الساحلي الجنوبي لفلسطين الممتد بين يافا وغزة وطوله خمسون ميلا وعرضه خمسة عشر ميلا . فان لدينا من القرائن التاريخية ما يثبت ان الفلسطينيين قبل اقامة مملكة داوود وسليمان ، كانوا قد استوطنوا معظم الاراضي الفلسطينية الواقعة الى الغرب من نهر الاردن وان تلك الفترة بالتحديد كانت مسؤولة عن اطلاق الاسم بشمولية اكثر مما يوحي به العهد القديم . كذلك تؤكد القرائن التاريخية ان هذا الاسم استمر في التفاعل خلال القرون الاربعة التي اعقبت قيام مملكة داوود وسليمان ثم ما بعد انقسام المملكة . وتؤكد هذه القرائن ايضا ان سكان البلاد لم يخضعوا للنفوذ اليهودي بل انهم على العكس من ذلك جعلوا « القومية اليهودية » في كثير من الاحيان تحس بقوة اثرهم احساسا ينذر بالكارثة .

وبدون هذا الرأي فاننا لا نجد تفسيرا لحقيقة ان الاشوريين في نحو القرن الثامن قبل الميلاد كانوا يعنون بـ « بلستيا » ليس المدن الساحلية فحسب وانما كذلك منطقة اليهودية (حسب الاصطلاح اليهودي) . أما بعد سقوط مملكة يهودا (٥٨٧ ق.م.) فقد اصبح الاسم اكثر تعميما وصار يشتمل الاراضي الواقعة على ضفتي نهر الاردن . وفي عهد المؤرخ اليوناني هيرودتس (٤٨٤ — ٤٢٥ ق.م) كانت كلمة « بالستين » تطلق على كل من الجزئين الساحلي والداخلي من البلاد حتى الصحراء العربية .

ولا شك ان الصهيونية لم تكن مسؤولة عن اطلاق الاسم بهذه الشمولية ، ولم يكن لليهود كذلك في تلك الحقبة التاريخية شرف هذه التسمية . فهم قد اطلقوا على الارض حال غزوهم لها اسم ارض اسرائيل وارض العبرانيين وارض الموعد والارض المقدسة (بتعبيرين شاعريين) ، غير ان هذه التسميات جميعها ظلت محصورة في اليهود انفسهم دون سواهم . وقد وقع اليهود عندما كتبوا تاريخ المنطقة فريسة عدائهم التاريخي للفلسطينيين القدامى ، اذ كانت العلائق بينهم طوال ما يزيد على عشرة قرون علائق صراع ، فقلصوا دورهم وبالتالي اسمهم الذي منحوه للارض .

وهكذا استمر تفاعل الاسم وانتشاره حتى منتصف القرن الرابع الميلادي عندما شكل الرومان ولاية Palaestina Salutaris لتشمل فلسطين كما هي معروفة حاليا واقساما من شرق الاردن ، كما اطلق الاسم نفسه على الجولان وحوران . وفي نحو العام ٤٠٠ م ظهرت الاقسام والتسميات التالية :
١ — فلسطين الاولى وتشمل مناطق نابلس والقدس والخليل والسهل الساحلي حتى رفح بالاضافة الى المنطقة الواقعة الى الشرق من نهر الاردن بين نهر الزرقاء ووادي الموجب . ٢ — فلسطين الثانية تضم وادي الاردن والجليلين الشرقي والاوسط والقسم الشمالي من الاراضي الواقعة الى الشرق من نهر الاردن . ٣ — فلسطين الثالثة وهي بلاد الانباط وديار السبع

وقد ورث الفتح الاسلامي هذه التقسيمات الادارية مع بعض التعديلات ، فاصبحت فلسطين الاولى بشكل عام جند فلسطين الذي كان يمتد من رفح الى اللجون ومن يافا الى عمان ، كذلك الحق به اقسام من فلسطين الثالثة مشتملا على زغر قرب البحر الميت وجبال الشراة . اما الاقسام الاخرى من فلسطين الثالثة فقد الحقت بجند دمشق ، واصبحت فلسطين الثانية جند الاردن في العهد الاسلامي .

وقد انتهى هذا التقسيم مع الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي ، غير ان اسم فلسطين استمر في الوجود بخلاف اسم الاردن الذي لم يحفظ التاريخ له ذكرا منذ ذاك . ففي القرن الثالث عشر الميلادي يعدد ياقوت في «معجم البلدان» من اسماء مدن فلسطين : عسقلان والرملة وغزة وارسوف وقيسارية ونابلس واريحا ويافا وبيت جبرين ، **وكذلك عمسان** .

اذن هناك فلسطين تاريخية ليست هي « اسرائيل الكبرى » ، وهي لم توجدها الحركة الصهيونية ولا دعاوتها ، وانما اطلق الاسم شعبها الذي عاش فيها وفرضه فرضا ، وورث العرب هذا الاسم واورثوه لاجيال متعاقبة على مر القرون . كذلك فان الاسم لم يكن يغطي فلسطين الانتدابية فقط وانما شرق الاردن ايضا ، الذي هو بالمناسبة تعبير ليس له تراث في التاريخ العربي ، بل هو ترجمة غير دقيقة للمصطلح الانجليزي Trans-Jordan وهذا المصطلح بدوره له جذور في التوراة والادبيات العبرية : « عبر ياردين » او « عبر الاردن » .

الكيان الاردني :

اننا نذهب خلافا لاي رأي اخر ، بما في ذلك عبد الحفيظ ، الى ان الكيان الاردني — **من حيث هو كيان** — له وظيفة محددة ضمن اللعبة الاستعمارية في المنطقة واهدافها ووسائلها . وان تغير النظام دون النظر في مكونات الكيان نفسه ومقومات وجوده سيكون جرحا في القشرة دون المس بجوهر الوظيفة . وان استعراض هذه الوظيفة تاريخيا يوضح ذلك .

كان من شروط اقامة الكيان برئاسة الامير عبدالله في العام ١٩٢١ ان يسهل وفاء بريطانيا بالتزاماتها في فلسطين ، التي تعني هنا انشاء وطن قومي يهودي حسب « التزام » بلفور . وفي تلك الفترة وقبلها بقليل جرى التفكير بان تكون شرق الاردن

ملاذا للفلسطينيين الذين سيطردون من اراضيهم نتيجة قيام « الوطن القومي اليهودي » . وانه لامر لافت للنظر ، وفي الوقت نفسه يؤكد صحة هذا الرأي الوارد في غير مصدر بريطاني ، ان بريطانيا مانعت الاستيطان اليهودي في شرق الاردن ، حتى انها هي التي كبحت الامير عبدالله في العام ١٩٣٣ عن تأجير اكثر من ستين الف دونم من اراضي الاغوار الى الوكالة اليهودية ، بعد ان كان عقد اتفاقا معها حول ذلك . والتفسير الذي يعطي هنا، بجانب اسباب اخرى طبعا تتعلق بمصلحة بريطانيا في ابقاء نفوذها في شرق الاردن من خلال الهاشميين، هو ابقاء شرق الأردن مكانا صالحا لاستيعاب عرب فلسطين بعد طردهم من اراضيهم . وقد تأكدت هذه الوظيفة الكيانية في العام ١٩٤٨ عندما استوعب الاردن معظم الذين طردوا من فلسطين المحتلة بعد قيام اسرائيل .

وفي تلك السنة والسنوات اللاحقة جرى استخدام **الكيان** لتصفية القضية الفلسطينية ، عندما ضمت الاجزاء الفلسطينية التي لم يستول عليها العدو الى **الكيان الاردني** ، وطمست بالتالي فلسطين من خارطة العالم ، وجرى نزع الهوية الفلسطينية عن الفلسطينيين بالحاقهم بالكيان الاردني وتجنيسهم بجنسيته . وقد كان هذا الامر مسؤولا عن طرح الاردن نفسه بصفته كيانا يضم الفلسطينيين ، **ممثلا للفلسطينيين وناطقا باسمهم** ، وهي **معركة سياسية** اتخذت لها هدفا مشخصا هو : من صاحب الحق في تقرير مصير الضفة الغربية .

هذه بعض ملامح الوظيفة الكيانية على صعيد القضية الفلسطينية ، ولن نتطرق هنا الى وظائفه الاخرى المتعلقة بحماية المصالح الاستعمارية في المنطقة . ولكن كيف يمكن ان يكون النظام والكيان متماثلين في الوظيفة ؟ من الصعب هنا ان نفحص فرضية تقول « لو » كان النظام في الاردن وطنيا فهل كان الكيان يؤدي الوظيفة نفسها التي اداها خلال نصف القرن الماضي ؟ ذلك اننا نؤمن بأن **الوظائف الكيانية للاردن كان يجب عليها وجوبا تاريخيا ان تفرز نظاما هو النظام الهاشمي او نظاما شبيها به** . ذلك ان الكيان الاردني اصطنع منذ البدء بوظائف محددة تطلبت نظاما صالحا لتنفيذ هذه الوظائف **تنفيذا اجرائيا** . وان الارادات الاستعمارية التي صنعت الكيان مهتمة (كانت منذ البداية ولا تزال) بتثبيت نمط من الحكم يجعل الوظائف الكيانية تتحقق تحققا امثل .

ولكن ان اسقطنا فرضية « لو » في الماضي ، ونظرنا الى الدعوى القائلة بان قيام نظام وطني في الاردن سوف ينهي هذه الوظيفة الكيانية ، فماذا سوف نجد ؟ ان النظام الوطني ، مهما كان وطنيا وتقدميا ، فانه سيواجه من جديد مسألة الكيانية في الاردن . فمع ابقاء الكيانية كما هي فان النظام سيكون **نظاما اردنيا** ، وسوف يكون مطلوبا منه ان يجيب على القضايا التالية :

١ — هل سيكون فلسطينيو الاردن جزءا من هذا الكيان ؟ ان الفلسطينيين هناك يمثلون اغلبية السكان وان اشتراكهم في « الاردنية » سوف يطرح سؤالا من هذا النوع : وكيانهم الفلسطيني ماذا نعمل به ؟ هل هم يتبعون الكيان الفلسطيني المعبر عنه تعبيرا مؤسسيا (من خلال منظمة التحرير الفلسطينية) والذي جرى الاعتراف به دوليا ، وبذلك هم فلسطينيون وليسوا اردنيين ، ام هل هم يتبعون الكيان الاردني وبذلك هم اردنيون وتزول عنهم هكذا صفتهم الفلسطينية ، ام هل هم فلسطينيون واردنيون في وقت واحد ؟

٢ — هل النظام الوطني جدا والتقدمي جدا في الاردن ، والذي يظل مع ذلك « نظاما اردنيا » من حقه ان ينطق باسم الفلسطينيين المقيمين في الاردن ويرعى مصالحهم وحقوقهم في وطنهم ، وفي الوقت نفسه حقوقهم ومصالحهم الزاهنة من حيث هم مواطنون في الكيان ، ام يعطي هذا الحق لمنظمة التحرير ، الممثلة الشرعية للفلسطينيين والناطقة باسم مصالحهم وحقوقهم ؟ واذا فعل ذلك وسلم لمنظمة التحرير برعاية حقوق الفلسطينيين فهل سيكون عند ذاك نظاما تشمل سلطته جميع المقيمين على ارضه سواء الشرق اردنيين ام الفلسطينيين المتجنسين بجنسية اردنية ، ام نظاما شرق اردني يمثل فقط مصالح الشرق اردنيين ويرعى حقوقهم دون سواهم ؟

٣ — مهما كان التعاون مثاليا بين سلطة الثورة وسلطة النظام الوطني والتقدمي جدا في الاردن ، فان ذلك لا ينفي وجود سلطتين اثنتين . والسؤال الذي يطرح هنا هو ما هي حدود كل سلطة في التعامل مع الفلسطينيين المقيمين في الاردن ؟ ان

سلطة الثورة تستهدف في الاساس ربط الجماهير بها ، ربط مصالحهم بمصالحها وتكييف حياتهم وطرائقها بحيث يغدو هناك تطابق كامل ما بين الثورة والجماهير (هذا اذا ارادت الثورة فعلا ان تحقق غاياتها في التحرير) . ولا يتم ذلك الا اذا حققت الثورة سيطرة كاملة على الجماهير وعلى حركتها اليومية ونوعا من « ادارة » امورهم الحياتية كي تصبح منسجمة مع اهدافها ووسائلها في النضال ، وبذلك تسحب البساط ، عن حسن نية طبعا ، من تحت اقدام النظام الذي يجد نفسه نظاما مجوفا من السلطة والسيطرة على جماهير الثورة . وبذلك فاما ان يرتد النظام الى نظام شرق اردني يكرس « ثوريا » هذه المرة ومن « موقع تقدمي » الشرخ الاقليمي ، واما ان يذوب في سلطة الثورة ، ان لم تكن له القدرة الموضوعية على الخيار الاول ، ويصبح في احسن الاحوال **تابعا شرق اردني** لسلطة الثورة **الفلسطينية** .

٤ — قضية اخرى ستواجه الكيان بنظامه التقدمي : ما هو مصير الاراضي الفلسطينية التي سوف تحرر بوسيلة او باخرى ؟ هل سيضمها الكيان الاردني التقدمي الى نفسه وبذلك فهي اردنية ، ام يتخلى عنها للفلسطينيين وهم «اردنيون» بحكم انتسابهم للكيان الاردني ، وبذلك فان انفصالها فلسطينيا يغدو بغير معنى ما دام الفلسطينيون في الاردن قد قبلوا ان يكونوا اردنيين — من منطلق تقدمي — فلم لا تكون هذه الاراضي اردنية ايضا ؟

حل المعادلة في شرق الاردن الفلسطينية

لقد طرحنا في محاولتنا الاولى الغاء الكيان الاردني الامر الذي جعل عبد الحفيظ يتخوف من ان تدفع هذه الدعوة « الاكثرية الساحقة من ابناء الشعب الاردني للتمسك بكل اظافرهم بالانتمائية الكيانية الخاصة بهم ويجعلهم سوطا طيعا في اجهزة الملك القمعية ضد ابناء الشعب الفلسطيني ، الامر الذي يتأتى عنه تأخير المسار الثوري لشعبنا وعرقلته . ومن هنا تكمن خطورة مقولة الكاتب » على حد تعبير عبد الحفيظ . ان هذا الخوف مبرر ومشروع ، على الرغم من اننا لا نغالي فيه ، اذا كنا نطرح بديلا للبنية الكيانية الاردنية كيانا فلسطينيا بحتا في شرق الاردن يتجاهل التطورات التي حدثت في الخمسين السنة الفائتة لجهة تبلور الانتماء الكياني لشعوب المنطقة . غير اننا طرحنا « **شرق الاردن الفلسطينية** » التي تحمل ضمنا جميع الاعتبارات الراهنة والتاريخية (الفلسطينية والشرق اردنية) ولكنها في الوقت نفسه تصوغ هذه الاعتبارات **من** جديد لتختلف في الوظيفة عما انيط بالكيان الاردني حتى الان . ان المقصود بالكيان الجديد ان يشترك في بنائه الفلسطينيون والشرق اردنيون دون عقد التفوق وبعيدا عن تحقيق امتيازات خاصة بأي من الطرفين . بمعنى اوضح **تجديد وحدة الشعبين مع الاخذ بعين الاعتبار مصالح كل منهما الخاصة به وفي الوقت نفسه مصالحهما المشتركة** . والهدف الاساسي في ذلك هو وضع الاسس لقيام الكيان — الثورة الذي يزاوج ما بين منطق الثورة ومنطق الدولة ، مما يضمن للثورة استمرارها ، ويمكنها من بناء القاعدة بـ المنطلق دون ان تتناقض استراتيجيتها (او ممارساتها التكتيكية وفعلها اليومي) مع استراتيجية الدولة او ممارساتها اليومية .

وليس « اختيار » شرق الاردن لتكون هذا الكيان الثورة ، نتيجة عوامل ذاتية او تفكير رغائبي، وانما تتحكم في ذلك المعطيات الموضوعية لشرق الاردن نفسها وهذه المعطيات ندرجها تحت العناوين الثلاثة التالية :

اولا : المعطيات التاريخية التي تجعل اعادة تصحيح التاريخ لجهة ان شرق الاردن انشئت وحدة ادارية ثم كيانا منفصلا على ارض فلسطين التاريخية عملية غير مستهجنة وتعتبر احد مكونات الطرح الجديد لأعطائه تفسيرا غير منبت عن تاريخ المنطقة وانما هو يوظف حقائق هذا التاريخ لخدمة هدف مشروع من اهداف الثورة العربية في التصدي للصهيونية والاستعمار . ان الاستفادة من حقائق التاريخ هنا هي التي تصنع الاطار الصالح لمضمون من الوقائع البشرية الراهنة والاهداف العملية المستقبلية (وهما صنفا العوامل التي سنتحدث عنها في فقرات لاحقة)، بحيث يصبح التاريخ لا جزءا من الذكرى فقط ، وانما الارضية التي ترتصف عليها العوامل الاخرى لصنع الحاضر والمستقبل. وبترجمة عملية ان كون شرق الاردن جزءا من فلسطين التاريخية يبيح التفكير بـ (ومن ثم الدعوة الى) تغيير التسمية وبالتالي **مدلول التسمية** بحيث تنسجم مع هذا الاطار التاريخي ؛ دون القفز من فوق المعطيات الراهنة وانما من خلال الاعتراف بها .

ثانيا : المعطيات السكانية : يشكل الفلسطينيون اغلبية السكان في شرق الاردن ، ويختلف وضعهم عن وضع اخوانهم في سائر الاقطار من حيث ان الفلسطينيين هنا يتمتعون بحقوق **المواطنية** الكاملة وبواجباتها (من ناحية نظرية على الاقل وبغض النظر عن التمييز الذي يمارسه النظام ضدهم) . ومن هنا — وبجانب الاطار التاريخي الذي تحدثنا عنه في الفقرة السابقة — فان شرق الاردن هي « وطن » الفلسطينيين بجانب انها وطن الشرق اردنيين . وبذلك فان اي تفكير في اسس اي كيان قادم في شرق الاردن يجب ان يأخذ هذه الحقيقة في الحساب . فهنا كتلة بشرية هي الاكثر عددا يجب ان تشارك في صنع الكيان ويجب ان يشملها الكيان ، ليس لجهة كونها اردنية بمعناها الشرق اردني ، وانما بما هي فلسطينية وبدون المساس بهذه الحقيقة . كذلك في المقابل هناك كتلة بشرية شرق اردنية يجب ايضا ان تشارك في صنع الكيان ويجب ان يشملها الكيان ، لكن ليس على حساب طمس الحقيقة الأولى ولا من خلال تجاهلها.

وهكذا فان حل المعادلة يتم فقط من خلال الاعتراف بعناصرها المكونة ، لا بتناسيها مهما كان هذا التناسي حسن النية ، ولا بتجاهلها مهما كان هذا التجاهل طيب القلب . وان مواجهة تكوين المعادلة بشجاعة وبصدق ثوري هي التي تفترض اولا الاعتراف بوجود عناصر التكوين هذه ، وتسعى ثانيا الى وضع الاسس التي يبنى عليها الحل بناء سليما، والاطر التي يجري من خلالها مزج هذه العناصر مزجا ينزع منها فتيل التفجير والتدمير . وبالاعتراف بعناصر المعادلة ، فان الحل الذي طرحناه (شرق الاردن الفلسطينية) هو الذي يكفل اشتراك جميع المواطنين اشتراكا متساويا وبكرامة انسانية في صنع كيان هو **مركب** وليس **مزيجا** (في لغة الكيمياء) مواصفاته الاساسية **محصلة** مواصفات مكوناته وليس تجميعها جنبا الى جنب دون أن يتم التفاعل فيما بينها .

ان « شرق الاردن الفلسطينية » بتعبير اكثر وضوحا هي الكيان الذي يأخذ في الاعتبار الفلسطينيين والشرق اردنيين ويعيد توحيدهم من جديد مراعيا في **البدء** كون هؤلاء فلسطينيين واولئك شرق اردنيين ، ولكنه مع وعي هذه الحقيقة والاعتراف بها ينطلق منها الى دمجهم في شعب واحد على اسس تتصادم جذريا مع الاسس التي قام عليها الكيان الاردني حتى الان ، بحيث تتوحد اهداف الشعب في الكيان الجديد وتطلعاته ومصالحه وحقوقه سواء في شرق الاردن الفلسطينية نفسها ام في الأجزاء الفلسطينية المحتلة في غربي النهر .

ان هذا التوحيد على هذا الأساس الجديد هو الذي يجعل الشرق اردنيين يشاركون في النضال من اجل تحرير الاجزاء الفلسطينية المحتلة لا بصفتهم « اخوانا » للفلسطينيين و « رديفا » لهم ، وانما من حيث انهم هم ايضا الطرف الرئيسي في الصراع والمعنيون مباشرة بمصير الارض والشعب .

أما الخوف الذي يشعر به عبد الحفيظ من « ان تندفع قوى انعزالية اقليمية في بعض اقطار المواجهة الى اقتفاء جولدا مئير حين تصحو من نومها كل صباح ليكون اول سؤال يرتسم في مخيلتها كم من الاطفال انجب الفلسطينيون هذه الليلة » ، فهذا خوف غير مبرر لأن وضع الفلسطينيين في اقطار المواجهة هو غير وضعهم في الاردن ، ولان اقطار المواجهة الاخرى هي غير شرق الأردن للاسباب التي ذكرناها سابقا والمتعلقة بالتاريخ والسكان . وهذا الخوف يغدو مبرره واضحا اذا كان في «نية» الفلسطينيين « استعمار » شرق الأردن وطرد سكانها منها والحلول محلهم . غير ان الفلسطينيين في اطروحتنا لا يريدون اكثر من ان يكونوا شركاء في الكيان الذي يقيمون فيه فعلا ، والذي في الوقت ذاته يتجاهل وجودهم من حيث هم فلسطينيون ويهتك هويتهم الوطنية ويلحقهم الحاقا به . هم يريدون ان يكونوا شركاء بعد ان يرفعوا الغبن الذي لحق بهم طوال ما يزيد عن ربع قرن منذ « ضمهم » الى الكيان الاردني وطمس معالمهم المميزة كشعب . ولكنهم في سعيهم الى ان يكونوا شركاء في الكيان ، يريدون — في هذه الاطروحة — ان يعترف بفلسطينيتهم : باهداف هذه الفلسطينية وبوسائل تحقيق هذه الاهداف . وفوق ذلك فان الخوف الذي يشعر به عبد الحفيظ يصبح جبنا ان لم تواجه الحقائق كما هي ، بواقعيتها وصلابتها . وهذه الحقائق تذهب الى ان هناك اكثرية سكانية فلسطينية في شرق الأردن يجب ان يحسب حسابها وينظر الى مصالحها وحقوقها .

ثالثا : العوامل العملية : لقد اوضحت في مقالي السابق معنى « الثورة الزاحفة من الخارج الى الداخل لتحرير الارض » والعوامل التي صنعت هذه السمة من سمات الثورة الفلسطينية . وقد

استتبع ذلك ان تنشد الثورة قواعد انطلاق لها في الارض المحيطة بفلسطين . وبتقييم موضوعي فان الأرض الصالحة اكثر من غيرها لتكون قاعدة الانطلاق هذه هي ارض شرق الأردن ، لجملة عوامل اهمها متاخمتها لاطول قطاع من الارض المحتلة ، ولوجود الكتلة الفلسطينية الاكثر عددا فيها ، مما يجعل هذه الكتلة المشتل الخصب للثورة من جهة والدرع التي تحمي قواعدها وقواتها من جهة ثانية .

ان التسليم باهمية هذه القاعدة بل بحتمية وجودها يفترض ان تبنى هذه القاعدة بناء اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا في شكل يضمن للثورة استمرارها ويمكنها من تحقيق اهدافها ويتيح لها استخدام جميع الوسائل الكفيلة بانجاز هذه الاهداف . ولن يتم ذلك كله الا اذا تمكنت الثورة من مقدرات هذه القاعدة وصنعت هي حاضرها ومستقبلها معا . والسؤال الذي يطرح هنا هو : هل يعني نظام وطني اردني يقام على انقاض النظام الحالي عن تحكم الثورة بمقدرات شرق الاردن ؟ ان هذا السؤال يفترض وجود طرفين : الثورة والنظام ، وفي حال وجودهما معا فان حالة من البدائل التالية ستنشأ :

١ ـ حالة من العلائق المتساوية والندية (التعايش المشترك على ارضية واحدة) . ولان التاريخ لا يصنع بالنيات الطيبة وحدها ولا بالارادات الذاتية فحسب ، فاننا نفترض انه ستنشأ من خلال الممارسات مصالح مستقطبة حول كل طرف من طرفي العلاقة ، لا تضمن « النية الطيبة » عدم تعارضها وبذلك فان عنصر التفجير ان كان سيظل كامنا في البداية بتأثير من « العواطف الوطنية » فان ظهور مصالح متعارضة سيعجل من بروز هذا العنصر الذي يهدد بنسف العلائق الندية . وان ما يجعل هذا الامر منظورا وقائما بالقوة (أو بالامكان) ومرشحا لان يكون موجودا بالفعل ، ما طرحناه في الصفحات السابقة عن الحدود التي تقف عندها سلطة الثورة على جماهيرها الفلسطينية ومدى تقاطع هذه الحدود مع سلطة النظام وسيطرته على حركة هذه الجماهير باعتبارها تتمتع بالمواطنية الاردنية .

٢ ـ ان تكون الثورة « ضيفة » على النظام تتقيد باداب الضيافة التي اول شروطها عدم التدخل بشؤون « البيت » الداخلية ، وبذلك فهي تظل خاضعة للنظام ليس في استراتيجيته العامة فحسب (والتي قد تلتقي مع استراتيجية الثورة) وانما في ممارساته التكتيكية وقراراته اليومية . عندها تفقد الثورة مبادراتها الخاصة وتدراتها على الخلق ، وتخنق بالتالي حريتها الحركية . واذا اخذنا بالاعتبار ما اوردناه في الفقرة السابقة عن احتمال تعارض المصالح التي ربما لن تكون تلك التي على المدى البعيد وانما مصالح المدى المنظور ، فان حرية الثورة هنا ستقف امام جدار مصالح النظام ولا تتخطاه . وبجانب ذلك فلان الثورة (في هذه الحالة) قامت في الأساس على ارض ليست لها ، ليست ملكها ، وانها هي مستعارة ، فان استرداد هذه الأرض المستعارة ، سيكون حقا للنظام لا ينازع ان نشأت مصلحة له تستوجب هذا الاسترداد .

٣ ـ البديل الثالث تكون فيه الثورة متحكمة بأعنة النظام ، قادرة على ان تفرض سلطتها هي متجاوزة في ذلك سلطة النظام نفسه . وفي هذه الحالة يتحول النظام الى هيكل شبحي ، وبذلك يفقد الحكم معناه وتنتفي عن النظام المسؤولية ما دام ليس هو صاحب القرار . ولان الثورة في هذه الحالة ليست مسؤولة مسؤولية دستورية فان حالة من الفوضى ستنشب ، تنعكس من قمة السلطة على اوسع الجماهير وتصبح الثورة والنظام كلاهما عبئا يصبح التخلص من احدهما مطلبا جماهيريا .

ان هذه البدائل الثلاثة التي اوردناها تقود الى نتيجة واحدة هي ان قيام النظام الوطني لن يحل المشكلة حلا جذريا ، ولا تعني هذه النتيجة اننا نعارض الدعوة الى اسقاط النظام الراهن في الاردن ، ولكن ما نريد ان نتوصل اليه هو ان اسقاط النظام (الذي هو واجب وطني للفلسطينيين والشرق اردنيين معا) يجب ان يكون هدفا مرحليا ، وخطوة نحو حل جذري نراه في قيام الكيان ـ الثورة الذي تتطابق فيه تخوم كل من المعنيين تطابق كليا دون ان يترك هامشا لاختلاف . وفي هذه الحالة الاخيرة فقط ينسجم منطق الدولة مع منطق الثورة وتتوفر من ثم الضمانات النظرية والعملية لان تكون استراتيجية الدولة هي استراتيجية الثورة وممارساتها اليومية بتفصيلاتها التكتيكية لا تسير على ضلعي زاوية وانما يحكمها المسار الواحد .

(٢)

كمقدمة لمعالجة الرد الذي تفضل بـه الاخ موسى بريزات في هذا العدد من المجلة ، والذي اطلعت عليه بعد انتهائي من مناقشة الاخ عبد الحفيظ محارب ، اجدني مضطر لتوضيح بعض القضايا التي تبدو في مظهرها ذاتية . فعندما كتبت محاولتي الاولى كنت منتظرا ان تثير الاطروحة المتضمنة فيها ردود فعل مختلفة ايجابية وسلبية . فقد كنت مدركا ان تلك الاطروحة فيها من الجديد ما يجعل رفضها متوقعا انطلاقا من فهم آلية الظاهرة الجديدة في المجتمع ، وهي آلية اصبحت معهودة لدى جميع دارسي الاجتماع . فالظاهرة الجديدة تمر بمراحل متعددة قبل ان تصبح مقبولة اجتماعيا. واول هذه المراحل ما يتم فيها الاحتكاك بين الظاهرة الجديدة وما سبقها من ظواهر من الطبيعة نفسها ، وفي هذه المرحلة تقابل الظاهرة الجديدة بنفور يتراوح بين الرفض الكلي والرفض الجزئي تبعا للمصالح المترتبة على وجود الظواهر القديمة التي ترفض الجديد حفاظا على مؤسساتها القائمة . ثم تأتي مرحلة اخرى يتم فيها التفاعل بين الجديد والقديم تثبت فيها الظاهرة الجديدة وجودها واستحقاقها الحياة . وفي المرحلة الثالثة يجري قبول **الظاهرة** الجديدة من خلال قناتين : الاولى قناة توافقية بين القديم والجديد يتغلب ، في مركبهما ، الجديد بحكم حيويته ، والثانية تكوين « اتجاه » حول الظاهرة الجديدة يستقطب قطاعات مؤثرة في المجتمع هي عادة القطاعات الاكثر حركية ، مما يجعل الظاهرة تسود وتدخل في المرحلة الرابعة عندما تتحول الى قانون او نظام عام .

كذلك كنت مدركا منذ البداية ان في الاطروحة التي قدمتها بعض فجوات تحتاج الى لبنات تسد بها والا لما سميتها « محاولة اولى » . وكنت مقتنعا بان سد هذه الفجوات يأتي فقط من خلال الحوار الذي به تخصب الافكار ، وبه فقط يمكن الوصول الى البناء الفكري المتكامل . مع هذه القناعة فقد كنت متوقعا ان يكون الحوار (او النفور اذا شئت حسب آلية الظواهر الجديدة) مبنيا على حد ادنى من معرفة الحقائق التاريخية والوقائع الراهنة وابرازها ، بدلا من الاسلوب الذي اتبعه الاخ بريزات في رده من صنف : « انني اعتقد لو ان الباحث ذهب ودرس ... » و « ليذهب الباحث وليدرس ... » ، و « يبدو ان الباحث غير ملم بحقيقة ... » ، واخيرا دعوته لي « باسم كل الاردنيين الفقراء » الى الذهاب الى الاردن لاتعرف ... ولأرى ... ولادخل البيوت .. وهذه الدعوة مقبولة (على الرغم من انني عشت في الاردن عشرين سنة) اذا ضمن لي الاخ بريزات ان اخرج من الاردن كما دخلت كي اجرب حظي في كتابة **محاولة ثالثة في اطروحة شرق الاردن الفلسطينية** . وبعد هذه المقدمة اتعرض لما طرحه الاخ بريزات .

الكيان والدولة والشعب :

لن ادخل هنا في جدل فلسفي حول هذه المفهومات الثلاثة ، على الرغم من الادراك الكامل ان تحديدها امر بالغ الاهمية ليس في موضوع بحثنا فحسب وانما في الفكر السياسي اجمالا . ان ما عنيته بالكيان في محاولتي الأولى هو : الوجود **السياسي** الذي تعبر ادوات واجهزة سياسية واجتماعية خاصة به من **وحدته وتمايزه** عن غيره . وليس شرطا ان يكون الكيان **دولة** ، فمنظمة التحرير الفلسطينية ، حسب المصطلح الفلسطيني والعربي هي **الكيان** بالنسبة للشعب الفلسطيني على الرغم من انها لا تتمتع بمواصفات الدولة . كذلك فان الكيان لا يعني الشعب ، فالشعب الفلسطيني « فقد كيانه الوطني » في العام ١٩٤٨ بمعنى واحد هو انه فقد الاجهزة والادوات السياسية المعبرة عن وحدته وتمايزه . وبقيام منظمة التحرير الفلسطينية استرجع الشعب الفلسطيني « كيانه الوطني » اي الوعاء الذي تتقولب فيه الوحدة والتمايز . ولكن الكيان يصبح الدولة اذا توفرت فيه اربع مواصفات ، وفقا للقانون الدولي ، تجعل من الكيان « دولة » . وهذه المواصفات هي : ١ ـ سكان دائمون . ٢ ـ اقليم محدد . ٣ ـ حكومة . ٤ ـ القدرة على اقامة علاقات مع الدول الاخرى (١)

أما بالنسبة للشعب People فيجب التمييز بين هذا المصطلح ومصطلح السكان Population فعلى الرغم من ان تعبير « الشعب » يطلق عادة على سكان دولة او قطر الا انه في المجتمعات التي يجري داخلها صراع سياسي واجتماعي يجب ان يكون لكل من المصطلحين معناه الحقيقي .

فـ « الشعب في المعنى العلمي المحدد هو الجمهور المتغير تاريخيا ، الذي يضم فئات وطبقات قادرة ، بفضل موقعها الموضوعي ، على ان تشارك مؤثلة في تطوير قطر معين في زمن معين » (٢) . وبذلك فان « الشعب » ، كمصطلح سياسي ، لا يتطابق مع « السكان » ، وانما هو حصر الطبقات وشرائح الطبقات التي لها مصلحة في التطوير . اما الطبقات التي تقف في وجه هذا التطوير ، او تستغل الطبقات المكافحة من اجل التطوير ، فهي ليست من « الشعب » وان كانت من « السكان ». عند هذا المفصل ، نعود الى الدولة وتعريفها علميا بانها «منظمة سياسية للطبقة المهيمنة اقتصاديا وان هدفها هو حماية النظام القائم ، وقمع مقاومة الطبقات الاخرى » (٣) . اذن فالدولة التي تسود فيها علاقات الانتاج الرأسمالية هي منظمة الطبقة الرأسمالية المستغلة التي تقمع وتضطهد الطبقات الاخرى (العمالية والفلاحية) . وهذه الطبقات الاخيرة هي التي لها مصلحة في التطوير ، وبالتالي هي « الشعب » . باختصار : الدولة في هذه الحالة تقمع الشعب والشعب هنا ضد الدولة، وان كان جزءا من سكانها .

اردت ان تكون هذه الامور واضحة لمعالجة موضوعنا في الكيان والدولة والشعب في الاردن .

قبل ١٩٢١ لم يكن هناك كيان بالمعنى الذي حددته قائم في شرق الاردن . وانا اعرف بلا شك (على الرغم من تشكيك الاخ بريزات بمعرفتي) ان البتراء كانت عاصمة مملكة عربية قديمة ، وان عمان هي ربة عمون، كذلك لم انس جرش ولا الكرك ولا مؤتة . ولكن مع هذا فانا لا اعرف في الحقيقة ما هي القضية التي يريد الاخ بريزات ان يبرهن عليها من ايراد اسماء هذه المدن . ان وجود هذه المدن ــ وغيرها كثير ــ لا يعني ان ما اصطلح عليه ابتداء من العقد الثالث من القرن العشرين باسم شرق الاردن ، كان انذاك ــ حتى عندما كانت هذه المدن مزدهرة ــ وحدة سياسية متميزة يجري التعبير عنها من خلال اجهزة وادوات خاصة بها . والمرة الاولى في التاريخ التي اصبحت فيها هذه المنطقة بحدودها الجغرافية الراهنة كيانا ، كانت بعد اتفاق تشرشل ــ عبدالله في القدس . وكل ادعاء غير ذلك هو حصد ريح لا يستند الا الى جهل في التاريخ ، في احسن النيات ، وفي معنى الكيانات السياسية . واذا حاول بعض مؤرخي النظام الهاشمي (امثال سليمان موسى ومنيب الماضي في كتابهما « تاريخ الأردن في القرن العشرين ») ان يرجعا اصول الكيان الاردني الى متصرفية الكرك، فتلك محاولة مردودة لاكثر من سبب : فالمتصرفية استحدثت قبل الحرب العالمية الاولى بسنوات قليلة باعتبارها جزءا من التقسيمات الادارية العثمانية ولم تحمل قط معنى سياسيا من قريب او بعيد ، وكانت تابعة ادارياً لولاية الشام . كذلك فان المتصرفية اقيمت على جزء فقط من ارض شرق الأردن التي كانت اجزاؤها الاخرى تخضع اداريا لتقسيمات ليست لها علاقة بمتصرفية الكرك .

اما من حيث السكان فبالتأكيد انني لا استطيع ان اقول انني عندما اتيت الى الاردن وجدتها « خالية من الناس سوى عائلات الشركس والهاشميين والنور » حسب تعبير الاخ بريزات وآسف لاتحام الاخ الناقد « النور » هنا هذا الأقحام الاستفزازي، على الرغم من ان الشاعر مصطفى وهبي التل الذي يستشهد به الأخ بريزات يعتبرهم اردنيين. او ليس هو الشاعر القائل :

يا مدعي عدم اللواء
وخير من منهم القضية
الهبر مثلي ثم مثلك
اردني التابعية

والهبر هنا هو النوري الرث الذي كان يتخذه عرار (مصطفى وهبي التل) مثالا للتمايز الاجتماعي في الاردن .

واعود الى الموضوع فأقول انه قبل قيام الكيان في ١٩٢١ كان هناك سكان في شرق الاردن (تعبير جغرافي هنا) ولكنهم لم يمثلوا وحدة كيانية . هم عرب وعرب اقحاح (ومن حادل في عروبتهم حتى يتسوق الاخ بريزات مقولة تدافع عن عروبتهم ؟) ولكنهم لم يكونوا « اردنيين » بمعنى انهم لم يتمتعوا بوجود سياسي مستقل موحد مميز ، وكذلك الفلسطينيون ، وليس في هذا عيب نخجل منه فنخفيه ، وانما يجب ان يكون فخرا ودلالة على وحدة امتنا القومية .

اكثر من ذلك نستطيع ان نقول ان طابع البداوة الذي ميز شرق الاردن في مطلع القرن العشرين كان عاملا اساسيا في ابراز انتماءات محلية وعشائرية تتغلب على الانتماء لوحدة الامة . وقد سهلت هذه الحقيقة قيام ثماني « دول » في العام ١٩٢٠ ومطلع

العام ١٩٢١ في بلاد شرق الاردن . والقصة معروفة تاريخيا ولكن لا بأس من ترديدها . فبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى في العام ١٩١٨ اصبحت منطقة شرق الاردن حسب التقسيمات التي اوجدها اللنبي (ادارة مناطق العدو المحتلة) تابعة الى ادارة فيصل في دمشق ولكن بعد سقوط مملكة فيصل في تموز ١٩٢٠ ودخول الفرنسيين دمشق في اعقاب معركة ميسلون ، شكل الضباط الانجليز المعتمدون في شرق الاردن عدة حكومات — « دول » وصلت في احدى المرات الى ثماني . فكان في منطقة عجلون وحدها اربع من هذه « الدول » الغاها الضابط الانجليزي سمرست ، مراكزها في اربد وسوف والمزار والكورة . اما في البلقاء فقد بقي متصرفها الذي عينته حكومة فيصل حاكما عليها بالاسم فقط، اذ ان سلطته الفعلية لم تتعد عمان التي شكلت بدورها حكومة . وفي الكرك وبتأثير من الضابط الانجليزي الك كيركبرايد ، تشكلت « دولة مؤاب العربية » وقد جرى اختلاف بين « دولة عمان » و « دولة مؤاب » على الحدود فيما بينهما استغفل الضابطان الانجليزيان المعتمدان في كل منهما معلوماتهما التوراتية لتخطيط الحدود والتوفيق فيما بين « الدولتين » . أما في الطفيلة فكان قد تشكل قبل ذلك مجلس حكومة كذلك ، بقائمقام و «وزراء» .

لم يكن هناك اذن كيان اردني قبل ١٩٢١ . وفي تلك السنة حدث تطور مهم في المنطقة اذ عقد مؤتمر القاهرة الذي افتتح رسميا في ١٢ اذار ١٩٢١ وكان الحاضرون اربعين خبيرا في السياسة البريطانية في الشرق الاوسط . وقد ترأس المؤتمر ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني الذي انتقلت اليه في مطلع العام نفسه مسؤولية المنطقة بعد ان كانت هذه المسؤولية من اختصاصات وزير الخارجية البريطاني . وقد بحث مؤتمر القاهرة في مسألة شرق الأردن وعلاقتها بفلسطين ومسألة قدوم عبدالله الى شرق الاردن . ولم يتخذ في المؤتمر قرار حاسم وملزم بالنسبة لهاتين المسألتين ، وان كان هذا القرار قد اتخذ في اجتماع القدس الذي عقده تشرشل مع عبدالله بعد ايام قليلة من مؤتمر القاهرة . ففي المحادثات التي تمت في الايام ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ من اذار ١٩٢١ قال تشرشل عن شرق الاردن « ان المنطقة اصغر من ان تستطيع الوقوف وحدها . لذلك يجب ان تبقى مع فلسطين اقتصاديا وجغرافيا وهو يقترح اعتبارها مقاطعة عربية يديرها حاكم عربي يرجع في مسؤولياته الى المندوب السامي على فلسطين ... وقال تشرشل انه يود ان يوضح بمزيد من التفصيل ماذا سيكون مركز الحاكم العربي ومسؤولياته ... من الطبيعي ان تتوقع الحكومة البريطانية من ذلك الحاكم ضمانا بان يتفادى القيام بنشاطات معادية لليهود في شرقي الاردن والا يسمح لقيام نشاطات من هذا النوع . ومن المفترض في ذلك الحاكم ان يتقبل السياسة البريطانية في فلسطين الى الغرب من نهر الاردن ... ومن المعتقد ان السيطرة يجب ان تكون حقيقية ، بقصد تأمين مصالح فلسطين وللحيلولة دون ان تصبح المنطقة مصدرا للمتاعب في وجه الفرنسيين ، ولتمكين الدولة المنتدبة من ان تفي بالتزاماتها الدولية ... وسيكون من المفيد ايضا فتح طريق جوي بين عمان وبغداد من اجل التقريب بين فلسطين والعراق ... واقترح تشرشل على الامير ان يبقى هو نفسه في شرقي الأردن مدة ستة اشهر بقصد تمهيد الامور لتعيين حاكم عربي تحت اشراف المندوب السامي في نهاية تلك المدة بموافقته [اي الامير] ... وقال تشرشل انه ابدى استعداده لان يقدم للامير ذلك القدر من التعضيد بالمال والقوى العسكرية في حدود الحاجات الضرورية ... ومقابل هذا التعضيد فانه سوف يطلب من الامير ان يضمن عدم قيام هياج ضد الفرنسيين وضد الصهيونية في البلاد ... وسيطلب منه ايضا ان يمنح كل مساعدة من اجل شق الطريق الصحراوي شرقا الى العراق ... وقد اجاب الامير عبدالله انه بعد النظر في مقترحات تشرشل قرر قبولها » (٤)

لقد تعمدنا ايراد هذا النص المطول من محادثات القدس لأظهار ان القصد من تشكيل الامارة كان واضحا لا لبس فيه ولا ابهام ، وفي الوقت نفسه كي اجيب على التساؤل الاستنكاري الذي طرحه الاخ الناقد بقوله « كيف يمكن لتشرشل وعبدالله ان ينشئا بجرة قلم كيانا يعيش ويقوم بالدور الذي اسنده اليه الباحث اعتسافا ؟ » ففي الحقيقة يظهر النص ان الكيان انشيء فعلا بـ « جرة قلم » ولكن في معنى واحد هو ان جرة القلم تلك ارست الأسس التي يستند عليها البنيان خلال السنوات اللاحقة من خلال اقامة المؤسسات السلطوية والادوات المعبرة عنه . هذا من جانب . ومن جانب اخر انا لم اسند الى الكيان هذا الدور « اعتسافا » وانما تشرشل هو الذي فعل ذلك .

ويظهر من النص الذي اثبته اعلاه ان هـذا « الدور » او ما اصطلح عليه شخصيا بتعبير الوظيفة هو ذو ثلاث شعب :

١ ــ ان يمكن بريطانيا من تنفيذ سياستها الصهيونية في فلسطين .

٢ ــ ان يمثل جسرا بين فلسطين والعراق وهذه مسألة ذات اهمية فائقة وتشعبات عديدة لا نستطيع هنا بهذه العجالة ان نوفيها حقها ، ولكنها ، باجمال تمثل جزءا من الاستراتيجية البريطانية في النصف الاول من القرن العشرين عندما كانت بريطانيا حريصة على تأمين خطوط مواصلاتها العسكرية بين قناة السويس والعراق امتدادا الى الخليج العربي ومستعمراتها في الهند ، وفي الوقت نفسه تأمين خطوط انابيب النفط بين منابعه في العراق ومصابه في ساحل البحر المتوسط .

٣ ــ موازنة سياستها مع الفرنسيين في سوريا ومن المعروفة ان العلاقة بين حليفتي الامس (فرنسا وبريطانيا) قد بدأت منذ انتهاء الحرب الاولى تأخذ اشكالا من التنافس ظهرت في المحادثات الثنائية بين الدولتين (لويد جورج وكليمنصو) وفي مؤتمر السلام الذي عقد في باريس . وكان مبعث التنافس في الدرجة الاساسية الأختلاف على تقسيم « غنائم الحرب » التي كانت بلادنا السورية من اهمها .

يبدو اننا توغلنا كثيرا في التاريخ ولكن العذر هنا هو احساس الباحث الحالي بان الأخ الناقد لم تتوفر له هذه المعطيات جميعا على الرغم من انها معروفة لجميع دارسي التاريخ العربي المعاصر . واعود مرة اخرى الى مسألة الكيان والدولة والشعب .

لقد ربطت في مقالي السابق الكيان بالدولة (ص ٢٣ من العدد ٤٩) بوعي أن بريطانيا من خلال المعاهدات والاتفاقات التي اجرتها بدءا من معاهدة شباط ١٩٢٨ وانتهاء بمعاهدة لندن اذار ١٩٤٦ التي « منحت » بريطانيا فيها الاستقلال لشرق الاردن وحولت لقب الامير الى ملك (٥) ، قد طورت الأسس الموضوعية للكيان لتنطبق عليه مواصفات الدولة . وهنا ان عدنا الى تعريف الدولة والشعب التعريف العلمي الذي اثبتناه في فقرة سابقة من هذه المناقشة نجد التفسير الحقيقي لمعاداة **الشعب** في الاردن لـ **الدولة** . فالشعب هو صاحب المصلحة في التطوير ، والدولة هي المنظمة السياسية للطبقات التي تقف في وجه التطوير حفاظا على مصالحها وامتيازاتها . كذلك من هذا المنطلق نجد التفسير الجذري والموضوعي لحقيقة ان الحركة الوطنية في الاردن كانت تتجه الى رفض وجود الدولة ككيان . وهذه الحقيقة ان لم يجر التعبير عنها تعبيرا لفظيا فان برامج الحركة الوطنية تكشف ذلك ضمنا من خلال تبنيها المضامين القومية في فكرها السياسي التي هي ضد الكيانية ــ الاقليمية ، ومن خلال ان هذه الحركة الوطنية كانت من ناحية تنظيمية امتدادا للحركات القومية التي ظهرت خارج الاطار الجغرافي للاردن (البعث وحركة القوميين العرب والاتجاهات الناصرية) بجانب التنظيمات « الاممية » المتمثلة في الشيوعية والاحزاب الاسلامية . واكثر من ذلك (وهذه الحقيقة تحتاج الى بحث مفصل) فان عددا من الرموز الوطنية في شرق الاردن رفضوا في السنوات الاولى من تشكيل الامارة فكرة الكيان الاردني . ويحتفظ سجل الحركة الوطنية في شرق الأردن باسم محمد سيف الدين العجلوني الذي كان يستخدم تعبير « الشرق العربي » عند الحديث عن شرق الاردن ، وظل لفترة طويلة يستخدم اصطلاح « بلاد » و « منطقة » للاشارة الى ذلك في ايحاء واضح بعدم تقبله فكرة الكيان والدولة (٦) ، وقد كان ذلك منسجما مع الاتجاهات الوطنية انذاك التي اعتبرت سوريا وحدة يجب الا تجزأ بكيانات اقليمية. وفي ضوء هذه الحقيقة تفسر واقعة ان «الاردنيين» لم يجدوا غضاضة ولا انتقاصا من وطنيتهم في ان اول « وزارة » الفت في شرق الأردن في ١١ نيسان ١٩٢١ كانت تضم « اردنيا » واحدا هو علي خلقي الشرايري ، مشاور الامن والانضباط ، الى جانب اربعة سوريين وحجازيين اثنين وفلسطيني . (كانت الحكومة ــ او ما عرف باسم مجلس المشاورين ــ برئاسة رشيد طليع من اركان حزب الاستقلال).

كانت الدولة كما ارست قواعدها بريطانيا ، قيدا اخترعه البريطانيون من عدم (كبقية الدول التي نشأت في المنطقة آنذاك) لوأد حركة **الشعب** نحو التطوير القومي والاجتماعي . اذن ، فان كل دعوة الى حل الكيان ــ الدولة كما هو حاليا ، انما هي دعوة تصب في طواحين حركة **الشعب** ، اعني الطبقات وشرائح الطبقات التي لها مصلحة في التطوير والتي هي هنا تحديدا ، وفي الاطار

التاريخي الراهن ، العمال والفلاحون والبرجوازية الصغيرة والجنود وصغار الضباط . **فالدولة الاردنية كما هي الان ليست دولة هذه الطبقات بل هي جلادها** . من هنا الدعوة الى انشاء الكيان — الثورة الذي اعترض عليه الاخ الناقد دون ان يفهم مدلوله . غير ان هذا الامر ، مرة اخرى ، يحتاج الى بعض توضيح ضمن اطارين اثنين :

الاطار الاول : ان الحركة الوطنية في الاردن لظروف موضوعية وذاتية تتعلق بها ولظروف خارجة عنها ، لم تتمكن حتى الان من ان تكون هذه **الثورة** التي تخلق الكيان — الدولة على صورة تصبح فيها **دولة الشعب** بالمعنى الذي حددناه سابقا . وفي المقابل فان الثورة الفلسطينية ، على الرغم من كل نقد يوجه الى ايديولوجيتها ، قدمت خلال تجربتها القصيرة نسبيا في الأردن حالة متقدمة ليس في النضال التحريري فحسب ، وانما حتى في الصراع الاجتماعي . فليس سرا ، وانما هو **امر يجب ان** يدرس بعناية وموضوعية ، ان المكاسب **المطلبية** التي حققتها العمال في الاردن خلال السنوات القليلة التي عاشتها الثورة هناك كانت علامة فارقة في تاريخ الصراع الاجتماعي في الاردن . ذلك ان ما تحقق من حيث النوع والحجم كليهما في هذه الفترة القصيرة ، ربما عادل ما تحقق خلال سنوات النضال جميعا .

ان هذه الحقيقة لها دلالتها الخاصة والمهمة . فالثورة مؤهلة ، بحكم ايديولوجيتها ، لان تعجل في قيام « دولة الشعب » او « الكيان — الثورة » حسب المصطلح الذي استخدمته . والثورة الفلسطينية ليست مغربة عن الشعب في الاردن ، فهي تمثل على الاقل ثلثيه (الفلسطينيين فيه) ، ومفروض بها ان ترعى مصالحهم . كذلك ، ومن جهة اخرى ، فانه عند التسليم باطروحتنا عن شرق الأردن الفلسطينية تصبح الثورة وحركة الجماهير الشرق اردنية ، بعلاقة جدلية بينهما ، كلا واحدا ، مركبا ، بحيث لا تعود الثورة « ثورة شقيقة » ، وانما يفرض ضمير المتكلم « نحن » نفسه لدى كل حديث عن الثورة من جانب الشعب في شرق الاردن الفلسطينية .

الاطار الثاني : لجملة اعتبارات اجملتها في المحاولة الاولى وفصلتها في الرد على الاخ عبد الحفيظ ، فان المكون الفلسطيني يجب ادخاله في الحساب لدى كل تفكير بمستقبل الاردن ، وان ذلك يعني امرين : الاول ان الفلسطينيين من حيث هم فلسطينيون يجب ان يسهموا في صنع مستقبل الاردن ، والثاني ان الاهداف الفلسطينية (بمعنى استمرار الثورة حتى تحقيق هدفها الاستراتيجي في تحرير كامل التراب الفلسطيني) يجب ان تكون اساسا رئيسيا من الاسس التي يبنى عليها الكيان الجديد . ولا يتم ذلك الا اذا تغيرت الاسس التي يقوم عليها الكيان الان والتي تطمس الهوية الوطنية للفلسطينيين فيه عندما يجري اعتبارهم اردنيين . ولان الثورة وممارستها هي التعبير الاكثر جذرية عن الوجود الوطني الفلسطيني والوسيلة الاكفأ لتكتيل قوى الشعب وترسيخ وحدته ولانها اصبحت التجسيد المادي لهويته الوطنية بعد ان استطاعت خلال ما يزيد عن عقد من الزمان ان تنحت في الجسم الفلسطيني نمطا من الوعي متميزا موضوعته الأساسية هي الشعب يساوي الثورة ، فان اي بديل في الاردن يدخل المكون الفلسطيني في الاعتبار سيعني حتما ان الثورة الفلسطينية هي المخاطبة بذلك ، وهي المعنية كطرف رئيسي وفاعل في بناء الكيان — الثورة ، **لكن** دون القفز من فوق حقائق الواقع الراهن المتعلقة بشرق الاردن — كما ذكرنا في الرد على الاخ عبد الحفيظ — وانما اخذها في الحساب عند بناء شرق الاردن الفلسطينية . اما الشرعية التي يتحدث عنها الاخ بريزات ، فان الثورة تحمل شرعيتها في بذور تكوينها ، وهي التي تحدد القيم ، هي سلم القيم ، وهي الشرعية المطلقة .

وبعد ، فربما يبدو ما طرحناه ترفا فكريا ، غير ان حجتنا فيه ان معطيات التجربة الماضية تجعل تجاوز الامها ومراجعتها دون التراجع عنها ، مبررا للتفكير بافضل الوسائل واكثرها كفاءة وجذرية لتقصير المسافة ما بين التشرد والتحرير ، وتؤكد هذه ان اقصر الطرق المؤدية الى فلسطين لا تمر عبر عمان ، كما كان الشعار ، وانما التي تنطلق من عمان .

الحواشي :

(١) - D.P. O'Connell, *International Law* (London: Stevens & Sons, 1965), Vol. I, p. 304.

(٢) - M. Rosental and P. Yadin (eds.), *A Dictionary of Philosophy* (Moscow: Progress Publishers, 1967), p. 335.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٣٢ .

(٤) سليمان موسى ، **تاسيس الامارة الاردنية ١٩٢١ ــ ١٩٢٥ : دراسة وثائقية** . (عمان ١٩٧١) ص ١٠٤ ــ ١٢٩ .

(٥) عقدت معاهدة « صداقة » بين شرق الاردن وبريطانيا في اذار ١٩٤٨ ، والغت الحكومة الوطنية (حكومة سليمان النابلسي) هذه المعاهدة في ١٩٥٧/٣/١٣ .

(٦) انظر كتابه : **معركة الحرية في الاردن واقوال رجال السياسة في سوريا الكبرى** ، وهو مجموعة مقالات كان الكاتب قد نشرها في سنوات مختلفة في الصحف الدمشقية والبيروتية ، وطبع الكتاب في العام ١٩٤٧ (مجهول دار النشر) .

عصام سخنيني

شهريات

ملاحظة :

بسبب اضطراب وتأخر مواعيد صدور المجلة (راجع افتتاحية العدد) فان التقارير الشهرية الواردة في هذا العدد تغطي الفترة ما بين أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) وأواخر كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٧٥ .

لذلك فمن المفروض في تقارير العدد المقبل الذي سيصدر في اذار (مارس) ان تغطي تقاريره الشهرية الفترة الممتدة ما بين أواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٥ وأواخر شباط (فبراير) ١٩٧٦ .

(١) المقاومة الفلسطينية

م.ت.ف في مجلس الامن

النضال السياسي الذي تخوضه م.ت.ف على الصعيد الدولي اوصلها هذه المرة الى مجلس الامن . فمنذ سنة كان وقوفها ، ممثلة برئيس لجنتها التنفيذية ، على منبر الجمعية العامة للامم المتحدة بداية الطريق نحو تكريس شرعيتها الدولية . وكان اعتراف الامم المتحدة بها تكريسا رسميا ومعلنا لاعتراف العالم بالحقيقة الفلسطينية التي لم يعد تجاهلها ممكنا بعد ان فرضت نفسها بكثافة وفاعلية على ضمير العالم وعقله ، وبعد أن اصبح اخذها بالاعتبار امرا محتما لدى صنع كل قرار لا يتناول شؤون المنطقة العربية فحسب، وانما كذلك علاقات الدول خارج المنطقة بعضها بالبعض الاخر . وكان لا بد لهذه الحقيقة ان تسطع على الامم المتحدة ، مجمع الدول ، التي تظل — مهما كان الرأي بقراراتها — احد ميادين الصراع من جهة ، ومرآة للعالم ، لحقيقة ما يجري في العالم ، من جهة اخرى .

وقبل ايام قليلة من دخول م.ت.ف الى الجمعية العامة في العام الفائت اجاب ابو عمار على سؤال عما اذا كانت مشاركة م.ت.ف ستجبرها على وقف العمليات الفدائية ، بقوله « يجب ان نعرف ما هي الثورة . الثورة عمل متكامل : عمل عسكري ، عمل سياسي ، عمل دبلوماسي ، عمل شعبي . وكل هذه تشكل الثورة ، لان البندقية منفردة لا تشكل شيئا . ولكن البندقية مع هذه الاشياء التي ذكرت تشكل الثورة بمجموعها . من هنا يجب ان نفهم ان العمل الدبلوماسي الذي نقوم به داخل الامم المتحدة انما هو فرع وجهد من الجهد الذي نقوم به في عملنا السياسي والدبلوماسي والعسكري الذي يشكل في مجموعه الثورة الفلسطينية . ومعنى هذا اننا لا يمكن ان نوقف عملياتنا العسكرية ، انما يجب ان نصعد هذه العمليات العسكرية اكثر فاكثر، كما نصعد عملنا الدبلوماسي والسياسي».

وكذلك كان . فبجانب الجهد المسلح الذي قامت به فصائل الثورة الفلسطينية في العام الماضي ، كان نضال م.ت.ف السياسي يصل ذرى متسامية في القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الاخيرة لجانب الحقيقة الفلسطينية وكفاح الشعب الفلسطيني . وكان على م.ت.ف ان تستفيد في هذا النضال من نتائج حرب تشرين الايجابية ، وتستثمر مترتباتها لتعزيز مواقعها في كفاحها السياسي . غير ان التحول المأساوي عن هذه النتائج من جانب مصر بتوقيع اتفاقية سيناء ، ابقى الجبهة السورية هي المكان الوحيد الصالح عربيا لتوظيف نتائج الحرب ، على الصعيد السياسي ، لمصلحة القضية الفلسطينية . فالتصلب السوري في

استثمار اثار حرب ١٩٧٣ استثمارا واسع المدى جعل سير المعركة السياسية يتخذ له مضمون يتجاوز في آفاقه مترتبات الحرب المباشرة الى ربط هذه الاخيرة بجوهر القضية الفلسطينية وجعلهما كلا واحدا .

وكانت المناسبة لاظهار هذا الترابط اظهارا عمليا مسألة التجديد للقوات الدولية على جبهة الجولان التي كان مقررا ان تنتهي فترة انتدابها في نهاية شهر تشرين الثاني الماضي . ولانه لم يكن ثمة في الافق السياسي والعسكري على مختلف الجبهات ما يوحي بان هناك بديلا للتجديد ، فقد اتخذت هذه المسألة ورقة ضاغطة للحصول على موقع متقدم في المعركة السياسية بهدف تحقيق مكسبين : الاول العودة ، من خلال نتائج الحرب وما ترتب عليها من مشكلات مستحدثة ، الى جذر المشكلة ، نعني القضية الفلسطينية، والثاني الانتقال بالقرار الذي اتخذته الجمعية العامة في دورتها التاسعة والعشرين (في ١٩٧٤/١٠/١٤) بدعوتها م.ت.ف « وهي ممثلة الشعب الفلسطيني للمشاركة في مناقشات الجمعية العامة حول مسألة فلسطين » ، الانتقال بهذا القرار خطوة اعلى في سلم التسليم للمنظمة بوصفها ممثلة الشعب الفلسطيني الذي هو « الفريق الرئيسي المعني بمسألة فلسطين » ، بدعوتها الى المشاركة في اعمال مجلس الامن ، بهذه الصفة ايضا ، بكل ما يترتب على القيام بمثل هذه الخطوة من نتائج سياسية ان لجهة تكريس حقيقة ان الفلسطينيين هم الطرف الاساسي في القضية ، ام لجهة احتمالات اعادة النظر بالقرارات السابقة التي اتخذها مجلس الامن والتي رفضها الفلسطينيون وتحديدا القرار ٢٤٢ للعام ١٩٦٧ .

وقد اسفرت المعركة السياسية التي خاضتها سوريا عن تحقيق هذين المكسبين ، ففجر الاول من كانون الاول الماضي اتخذ مجلس الامن قرارا ذا شقين مترابطين : الاول ان يعود الى الاجتماع يوم ١٢ كانون الثاني ١٩٧٦ لاستكمال مناقشاته حول مشكلة الشرق الاوسط بما في ذلك مشكلة فلسطين مع الاخذ في الاعتبار جميع القرارات الصادرة عن منظمة الامم المتحدة ، والثاني يجدد فترة بقاء القوات الدولية مدة ستة اشهر اخرى . وقد تلا جاكوب مالك ، رئيس مجلس الامن ، بيانا ملحقا بالقرار ، نص على انه من المتفق عليه بالنسبة لاغلبية اعضاء مجلس الامن انه عندما يجتمع مرة اخرى يوم ١٢ كانون الثاني فان مسؤولي م.ت.ف سوف يدعون الى الاشتراك في المناقشات .

ان اهمية القرار بالنسبة للقضية الفلسطينية مثلثة الزوايا . فمن جهة اولى يلزم القرار مجلس الامن ببحث القضية نفسها بعد ان كان الاطار الذي تبحث فيه القضية هو اطار مظاهرها ولواحقها او ما اصبح متعارف عليه بتعبير مشكلة الشرق الاوسط وهو من جهة ثانية يشرك م.ت.ف في مناقشات هذه القضية وبذلك يكرس الاعتراف بها فريقا اصيلا في الصراع . وهو من جهة ثالثة يدعو الى مناقشة المشكلة الفلسطينية مع الاخذ بعين الاعتبار جميع القرارات الصادرة عن منظمة الامم المتحدة ، بما في ذلك ضمنا القرار ٣٢٣٦ الذي اتخذته الجمعية العامة في ١٩٧٤/١١/٢٢ الذي اعاد تاكيد الحقوق الثابتة لشعب فلسطين التي لا يمكن التنازل عنها والتي حددها بانها حق تقرير المصير وحق الاستقلال والسيادة وحق عودة الفلسطينيين الى ممتلكاتهم ومنازلهم التي شردوا منها ، وان احترام هذه الحقوق شرط اساسي لتسوية قضية فلسطين واقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط وان الشعب الفلسطيني طرف رئيسي لتحقيق مثل هذا السلام، وحق الشعب الفلسطيني بان يسترد هذه الحقوق بجميع الوسائل وفقا لميثاق الامم المتحدة ، كما يوجه القرار المذكور نداء لجميع الحكومات والمنظمات الدولية لمساعدة الشعب الفلسطيني في كفاحه من اجل استرداد حقوقه .

ولا شك ان مناقشة قضية فلسطين في مجلس الامن مع اخذ مثل هذا القرار بالاعتبار ستفتح المجال وايسما لاعادة النظر بالقرار ٢٤٢ الذي تجاهل وجود الشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية.

كانت ردة الفعل الاسرائيلية على القرار همجية .. ففي ١٢/٢ قامت بغارة جوية على مخيمات الفلسطينيين في نهر البارد والبداوي والنبطية سقط نتيجتها عشرات الشهداء كان عدد كبير منهم من النساء ، والاطفال ، وكان احد اهداف الغارة ، بحكم اقترانها الزمني مع قرار مجلس الامن ، تضييع اثر القرار من جهة ، والتعبير بوسيلة اكثر وحشية عن موقف اسرائيل

من الفلسطينيين الذين دعا مجلس الامن الى بحث قضيتهم ، من جهة ثانية . كما كانت الغارة اشارة واضحة الى طريقة « استجابة » اسرائيل لقرارات المنظمة الدولية .

وعلى الرغم من الالام الكثيرة التي خلفتها الغارة التي وصفها الاعلام الفلسطيني بانها « ضربة اليأس التي يواجه بها العدو الصهيوني العنصري انتصارات شعبنا » ، فقد كانت احدى نتائجها السياسية انها ارتدت بمفعول عكسي على اسرائيل ، ومنحت الشعب الفلسطيني فرصة جديدة لتحقيق مكسب جديد على صعيد النضال السياسي . خلافا لجميع تاريخ مجلس الامن في معالجة الشكاوى العربية على الاعتداءات الاسرائيلية ، حدث هذه المرة تطور جديد عندما صوت مجلس الامن على قرار اجرائي بدعوة ممثلي م.ت.ف الى الاشتراك في مناقشة الاعتداء الاسرائيلي . وعلى الرغم من المقاومة العنيفة التي ابداها المندوب الاميركي ضد مشروع القرار واعتباره « اي قرار يصدر بدخول المنظمة هو قرار تخريبي وضد قضية السلام وينسف كل مساعي المفاوضات السلمية » ، فقد فاز القرار بتسعة اصوات هي اصوات العراق والاتحاد السوفياتي والصين الشعبية وروسيا البيضاء وتنزانيا والكاميرون وغويانا وموريتانيا والسويد. وصوتت ضده اميركا وبريطانيا وكوستاريكا ، وامتنعت فرنسا وايطاليا واليابان عن التصويت . وقد قام المندوب العراقي بدور كبير في التأثير في اصدار القرار مما جعل السيد ياسر عرفات يبرق الى الرئيس احمد حسن البكر مشيدا « بالموقف الذي اتخذه العراق في مجلس الامن الدولي وبالجهود الكبيرة التي بذلها رئيس الوفد العراقي في مجلس الامن لتأمين اشتراك م.ت.ف في مناقشات المجلس في اثناء مناقشة العدوان الصهيوني العنصري الوحشي على مخيمات الفلسطينيين والقرى اللبنانية » .

كان دخول م.ت.ف مجلس الامن في ١٢/٥ حدثا وتحولا تاريخيين فللمرة الاولى في تاريخ مجلس الامن يحضر مندوب المنظمة ويغيب مندوب اسرائيل « احتجاجا » على الحضور الفلسطيني . وجانب اخر مهم في القرار هو تصويت السويد ، الدولة الاوروبية الغربية ، الى جانبه . وقد اوضحت السويد موقفها ذلك بتصريح للناطق باسم وزارة الخارجية قال فيه ان السويد تعتبر منذ مدة طويلة م.ت.ف في مثابة « الحركة الاكثر تمثيلا لعرب فلسطين ... وانه من الطبيعي اذن ان تشترك م.ت.ف في مناقشات الامم المتحدة حول مستقبل الشرق الاوسط بعرضها وجهات نظر الفلسطينيين » . وقد ازعج هذا الموقف السويدي اسرائيل خاصة وان الصوت الذي رجح فوز القرار كان صوت السويد ، فاعلنت اسرائيل (« رويتر » ١٢/٨) انها استدعت سفيرها في ستوكهولم لاجراء مشاورات معه حول موقف السويد وقال ايجال الون ، وزير الخارجية الاسرائيلي ، ان اسرائيل اعربت عن استيائها العميق للحكومة السويدية .

في اي حال ، فان جولة اخرى تنتظر م.ت.ف على ارضية مجلس الامن في ١٢ كانون الثاني ، وهي جولة ستؤكد قدرة م.ت.ف ، الثورة الفلسطينية ، على التحكم بمصير القضية الفلسطينية . ووفقا للاخ ابو عمار « ان التطورات الاخيرة التي حدثت في الامم المتحدة ... تمثل ادراكا لاهمية الدور المركزي الذي تضطلع به م.ت.ف فيما يتعلق بمصير المنطقة ككل » . وستكون مهمة م.ت.ف غير سهلة بالتأكيد، خاصة ازاء الموقف الاميركي الذي يبدو حتى الان انه ينهج على محورين : الاول محاولة ابطال دعوة م.ت.ف الى الاشتراك في الجلسة القادمة لمجلس الامن . فقد نسب الى الفرد اثرتون ، مساعد وزير الخارجية الاميركي ، الذي غادر اسرائيل في ١٢/٢٣ عائدا الى الولايات المتحدة في اعقاب جولته في الشرق الاوسط قوله « ان الوقت ليس متأخرا حتى الان لالغاء الدعوة التي وجهها مجلس الامن الدولي الى م.ت.ف لحضور مناقشة الثاني عشر من الشهر المقبل » (« السفير » نقلا عن الوكالات ١٢/٢٤) والمحور الثاني مقاومة اميركا لايجاد ارضية لبحث القضية الفلسطينية غير ارضية القرار ٢٤٢ ، فقد صرح هنري كيسنجر، وزير الخارجية الاميركي ، (١٢/٩) بانه اقترح على اسرائيل عدم مقاطعة مناقشة مجلس الامن في ١٢ كانون الثاني بسبب اشتراك م.ت.ف في هذه المناقشة ، واعلن في الوقت ذاته ان حكومته تعارض اي تعديل في القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ ، وقال ان حكومته سترفض مناقشة القضية على اساس اي قرار اخر غير هذين القرارين اللذين يعترفان

لاسرائيل بحق البقاء في منطقة الشرق الاوسط .

مؤتمر جنيف :

ابرز التطورات في هذا الصدد كانت المذكرة السوفياتية الى الحكومة الاميركية في ١١/٩ التي دعت الى استئناف هذا المؤتمر في اقرب وقت ممكن باشتراك م.ت.ف فيه على قدم المساواة مع الاطراف المعنية الاخرى . وقد اقترحت الولايات المتحدة ، في مذكرة جوابية (النهار ١٢/٣) مقابل ذلك « مؤتمرا تحضيريا يشترك فيه اولئك الذين اشتركوا حتى الان في المفاوضات من اجل حل ضمن اطار مؤتمر جنيف ، اضافة الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . وهذا المؤتمر التحضيري يمكن ان يضم مصر والاردن وسوريا واسرائيل ، ويمكنه ان يعد جدول الاعمال والاجراءات وموضوع المشاركة في مؤتمر كامل من اجل وضع اسس للمفاوضات لايجاد حل شامل » . وعن هذا المؤتمر التحضيري علق اندريه غروميكو ، وزير الخارجية السوفياتي (في مأدبة اقيمت تكريما لوزير الخارجية الكويتي في ١٢/٣) بقوله « اما بصدد اقتراح الاتحاد السوفياتي بعقد مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط ، فهناك من يطرح فكرة ان من المناسب عقد اجتماع ابتدائي ما غير رسمي لبحث القضية. ولا يمكن النظر الى فكرة هذا الاجتماع سوى بكونها محاولة للتهرب من عقد المؤتمر ... ان عقد مؤتمر جنيف مع مشاركة ممثلي م.ت.ف بصفتهم اعضاء كاملي الحقوق هو اكثر السبل ثباتا لبحث قضية الشرق الاوسط » (« السفير» ١٢/٤) وقد اكد الاتحاد السوفياتي موقفه ذلك بمذكرة سلمها السفير السوفياتي في واشنطن الى وزير الخارجية الاميركي (في ١٢/١٩) والتي جاء فيها ان الاتحاد السوفياتي « يؤكد مجددا على ضرورة استئناف اعمال مؤتمر جنيف حول الشرق الاوسط بمشاركة م.ت.ف » . وجاء في المذكرة ايضا « ان جميع الاطراف المعنية مباشرة بما في ذلك ممثلو الشعب العربي الفلسطيني في شخص م.ت.ف التي حصلت على اعتراف واسع على الصعيد الدولي ، كذلك الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة بصفتهما الرئيسين المشاركين ، يجب ان تشترك في مؤتمر جنيف » واضافت « ان الاقتراح الاميركي الذي يدعو الى عقد مؤتمر تحضيري من دون اشتراك ممثلي م.ت.ف لا يمكن ان يفهم سوى كمحاولة لتفادي انعقاد المؤتمر ».

في اليوم نفسه اكد كيسنجر من جديد موقف حكومته من اشتراك م.ت.ف في المؤتمر واعلن للصحافيين ان واشنطن مستعدة لحضور مؤتمر جنيف ولكن ليس وفقا للمذكرة السوفياتية . واكد كيسنجر ان موقف الولايات المتحدة لم يتغير من م.ت.ف وقال « هناك البعض الذي لا يريد ان يأخذ كلمة (لا) كجواب » وتابع « لقد اعلنا تكرارا عن سياستنا بالنسبة لـ م.ت.ف وان تلك السياسة لم تتغير » .

في هذه الاثناء كانت الزيارة التي قام بها وفد من م.ت.ف في رئاسة الاخ ابو عمار الى موسكو تستهدف في جانب منها بحث التطورات المتعلقة بمؤتمر جنيف . وقد نسبت صحيفة « السياسية » الكويتية (« السفير » ١١/٢٠) الى ابو عمار قوله ان المباحثات (في موسكو) ستتركز اساسا على موضوع اشتراك م.ت.ف في مؤتمر جنيف في اطار الجهود الدولية المبذولة لهذا الغرض . وقد وصل الوفد الفلسطيني الى موسكو في ١١/٢٤ وفي اليوم نفسه نقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن مراقبين دبلوماسيين في موسكو قولهم ان المحادثات ستتناول خمس قضايا « ١ ــ الرسالة السوفياتية التي ارسلت يوم ٩ تشرين الثاني الى الولايات المتحدة بشأن استئناف مؤتمر جنيف . ٢ ــ نتائج رحلة الرئيس انور السادات الى الولايات المتحدة . ٣ ــ القرارات الاخيرة التي اصدرتها الجمعية العامة للامم المتحدة . ٤ ــ تطورات الازمة اللبنانية . ٥ ــ زيارة كورت فالدهايم الى منطقة الشرق الاوسط » .

وفي اثناء المحادثات اعلنت وكالة « تاس » السوفياتية للانباء (١١/٢٦) ان اندريه غروميكو استقبل السيد ياسر عرفات وذكرت ان الجانبين السوفياتي والفلسطيني « علقا في الاجتماع الذي انعقد في جو ودي اهمية خاصة على ابعاد تسوية القضية الفلسطينية . كما درسا النواحي الجديدة في النضال من اجل سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط » . واضافت ان عرفات « قدر تقديرا عاليا المبادرة السوفياتية الداعية الى استئناف مؤتمر جنيف للسلام فورا على ان يشترك فيه منذ البداية وعلى قدم المساواة مع الاطراف الاخرى المعنية مباشرة ، ممثلو م.ت.ف » .

وقد جرى التأكيد على هذه المبادرة في البيان الذي صدر في ختام الزيارة (١١/٢٨) والذي جاء فيه انه « تم ، ابان تبادل وجهات النظر ، الاشارة الى اهمية المبادرة التي قام بها الاتحاد السوفياتي في التاسع من هذا الشهر ، بخصوص عقد مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط » .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

على صعيد التطورات الدولية ، لا شك ان هذا الشهر كان شهر انتصارات القضية الفلسطينية في هيئة الامم المتحدة . وتمثلت هذه الانتصارات في سلسلة من القرارات الهامة الداعمة لقضية الشعب الفلسطيني والتي لم تكن محصورة ، هذه المرة في الجمعية العمومية وحدها بل شملت مجلس الامن أيضا . وسنراجع هنا مسيرة هذه القرارات والظروف التي احاطت باقرارها وتبنيها في المنظمة الدولية .

أول ما يجب الاشارة اليه هو قرار الجمعية العمومية بادانة الحركة الصهيونية وباعتبارها نوعا من انواع العنصرية التي لا تختلف بشيء عن الحركات العنصرية السائدة حاليا في بلدان مثل افريقيا الجنوبية وروديسيا . (راجع العدد السابق من « شؤون فلسطينية ») .

ويستمد هذا القرار اهميته من كونه خطوة متقدمة على طريق تحقيق مساعي منظمة التحرير وعدد من الدول العربية (بدعم من عدد كبير من دول العالم الثالث) لطرد اسرائيل من المنظمة الدولية على غرار ما حدث لجنوب افريقيا بعد ادانة تلك الدولة بالعنصرية . من هنا عنف ردة الفعل الصادرة عن الدول الغربية والمؤيدة لاسرائيل في التنديد بالقرار ومهاجمة المنظمة الدولية ودول العالم الثالث وكتلة الدول الاشتراكية المؤيدة للقرار ، حتى امين عام هيئة الامم فالدهايم ورئيس الجمعية العمومية لهذه الدورة جاستون ثورن لم يتمكنا من ضبط نفسهما وفقا لما تفرضه أصول ممارسة وظيفتهما فعلقا بصورة سلبية على قرار الجمعية العمومية بادانة الصهيونية .

وقد اصدر فالدهايم بلاغا عكس استياءه من النجاح الذي تحقق ، حيث اعتبر القرار « قرارا غير عادي » يعكس الانقسام العميق والمرير بين الدول الاعضاء .

واضاف قائلا بان الامم المتحدة مرت بلحظات حرجة في تاريخها وهي تجتاز وضعا حرجا مرة اخرى . ويشكل هذا التعليق ظاهرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المنظمة الدولية اذ انه لم يحدث ان ادلى امين عام المنظمة بتصريحات مشابهة حول اية عملية تصويت جرت في هيئة الامم . اما جاستون ثورن فقد تخطى الحدود التي يفرضها عليه منصبه كرئيس محايد للجمعية العمومية بدخوله طرفا في الجدل القائم حول عنصرية الصهيونية وذلك باتخاذه موقفا معارضا لرأي اغلبية الدول الاعضاء .

قال ثورن ان قرار الجمعية العمومية امر مؤسف للغاية ويخلف جراحا عميقة في المنظمة ولا يمكنه ان يوافق على هذه الادانة للصهيونية لانها تشكل خطأ بالغا . وبطبيعة الحال استاءت اغلبية الدول الاعضاء من هذه التصريحات وجرى في اوساطها تفكيرا بتوجيه توبيخ الى رئيس الجمعية العمومية لهذه الدورة . الا ان ثورن طوق هذه المحاولة باصداره بيان اعتذار قال فيه بانه هاجم قرار ادانة الصهيونية بصفته رئيسا لحكومة اللوكسمبورغ ووزيرا لخارجيتها وليس كرئيس للجمعية العمومية . وعبر عن اسفه

« لسوء الفهم والتفسيرات الخاطئة » التي نتجت عن تصريحه . اما على الصعيد الاميركي فلم تكن ردود الفعل على القرار اقل حدة وعنف ، فقد اذاع الرئيس فورد بيانا قال فيه بانه يندد بقرار الامم المتحدة الذي يعتبر الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية خاصة وان « تبنيه ينسف المبادىء التي قامت عليها الامم المتحدة » .واضاف فورد ان القرار كان عملا غير مبرر اطلاقا ولكن نفى ان تكون حكومته عازمة على الانسحاب من المنظمة الدولية .

وهاجم كيسنجر بشدة ايضا قرار الجمعية العمومية مؤكدا بان الولايات المتحدة « تفكر باتخاذ اجراءات انتقامية على اساس فردي ، ضد الدول التي صوتت الى جانب القرار وليس ضد المنظمة الدولية نفسها » . واضاف كيسنجر ان رد الفعل الاميركي تجاه الامم المتحدة يجب ان يكون «متوازنا » ويأخذ بعين الاعتبار الفوائد التي تجنيها الولايات المتحدة من المنظمة الدولية. كما اصدرت وزارة الخارجية الاميركية بيانا قالت فيه ان الحكومة الاميركية قد اتخذت قرارا بعدم الاشتراك باية صورة من الصور في الاجتماع الذي سيعقد في العام المقبل تحت اشراف الامم المتحدة من اجل مكافحة التمييز العنصري والعنصرية . ولا بد من الاشارة ايضا الى ان مجلس الشيوخ الاميركي ادان قرار الجمعية العمومية بالاجماع وذلك عبر قرار اصدره بهذا الشأن ودعا فيه لجان الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ ان تبدأ على الفور باعادة درس مسألة اشتراك الولايات المتحدة في الجمعية العمومية . اما الكونغرس فقد شهد تحركات تهدف الى الضغط على الامم المتحدة من خلال التهديد بقطع المساعدات الاميركية عن هيئة الامم والدول الغربية التي تتلقى — او يمكن ان تتلقى في المستقبل — مثل هذه المساعدات اما في اسرائيل فقد ثارت ثائرة المسؤولين بسبب القرار فوصفوه ، كما جاء في بيان حكومي ، بانه « معاد للسامية وموجه ضد الشعب اليهودي بأسره ». واضاف البيان قائلا ان القرار يلحق ضررا بالامم المتحدة التي تواجه خطر التفكك بسببه وليس باسرائيل . ودعا اسحق رابين الى عقد مؤتمر لزعماء اليهود في العالم في وقت قريب جدا لمواجهة الهجمات السياسية والدبلوماسية ضد الصهيونية . اما بالنسبة للاتحاد السوفياتي فقد اشاد بالقرار معتبرا اياه « ادانة منطقية وعادلة للعقيدة الصهيونية العسكرية القائمة على نظرية التفوق العنصري والتي تتجسد عمليا في سياسة اسرائيل التوسعية والعدوانية » . وتوسعت الصحافة السوفياتية في شرح الحيثيات التي تدعم صحة القرار وتصم الصهيونية بوصمة العنصرية، فذكرت على سبيل المثال طرد الشعب الفلسطيني من ارض وطنه والتفرقة العنصرية التي يعانيها العرب المقيمون في اسرائيل ومنع جميع المنظمات السياسية والاجتماعية والثقافية الفلسطينية من النشاط .

اما الانتصار الثاني الذي احرزته القضية الفلسطينية في هيئة الامم فيتعلق بالشروط التي اصرت عليها سوريا من اجل التمديد لقوات الطوارىء في الجولان . في الواقع لم يكن هذا النصر للقضية الفلسطينية وحدها بل ايضا للديبلوماسية العربية التي تقودها سوريا في مجابهة اتفاقية سيناء الساداتية — الاسرائيلية ونتائجها ، بدأ النشاط الديبلوماسي المكثف والصريح المتعلق بالتمديد لقوات الطوارىء في الجولان بزيارة فالدهايم للعواصم الرئيسية في الشرق الاوسط وذلك في الاسبوع الاخير من شهر تشرين الثاني ، وجدير بالذكر ان فالدهايم قابل كيسنجر عشية جولته من اجل التنسيق معه بالنسبة للعمل الديبلوماسي في المنطقة . وصرح الوزير الاميركي على اثر المقابلة بانه اجرى محادثات مطولة مع فالدهايم حول الشرق الاوسط وانه يشجع بقوة المهمة التي سيقوم بها الأمين العام في المنطقة .

كما اشار كيسنجر الى انه ابلغ فالدهايم افكارا اميركية حول كيفية تدعيم السلام هناك . وبطبيعة الحال كانت اهم محطة في جولة فالدهايم هي دمشق حيث اجرى محادثات مطولة مع الرئيس حافظ الاسد ورئيس منظمة التحرير ياسر عرفات كما قام بزيارة القوة الدولية في الجولان . وذكرت مصادر صحفية مطلعة ان مقابلة عرفا تبفالدهايم تناولت الوضع الراهن في المنطقة وامكانات انعقاد مؤتمر جنيف خصوصا بعد الدعوة السوفياتية الاخيرة لذلك . كما ذكرت ان عرفات اكد رفض منظمة التحرير الاشتراك في مؤتمر جنيف في ظل

قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ وانه اقترح رفع القضية الفلسطينية الى مجلس الامن على ضوء القرارات الاخيرة التي اقرتها الجمعية العمومية . وبعد وصول فالدهايم الى اسرائيل ذكرت المصادر الصحفية ان آلون أعرب عن خيبة أمل بلاده ، نتيجة اجتماع الامين العام بعرفات معتبرا مثل هذه المقابلة اهانة لاسرائيل وتشجيعا للفدائيين والتطرف ، ومعروف ان محور المباحثات التي اجراها في اسرائيل كانت مسألة الشروط السورية من اجل التمديد لقوات الطوارىء .

وكان هذا واضحا من المؤتمر الصحفي الذي عقده الامين العام حيث اكد : (أ) — ان سوريا تريد ان تكون المشكلة الفلسطينية جزءا من المفاوضات الجارية حول تمديد مدة انتداب قوة الطوارىء في الجولان . (ب) — ان سوريا تريد ربط مدة التمديد بتحقيق تقدم كبير باتجاه حل المشكلات الاساسية في قضية الشرق الاوسط بما في ذلك القضية الفلسطينية . (ج) — ان سوريا تريد اجراء مناقشة عامة في مجلس الامن تتناول ازمة المنطقة وليس مجرد التمديد لقوة الطوارىء وبهدف الوصول الى تعديل القرار رقم ٢٤٢ . (د) — ان سوريا تريد من مجلس الامن فرض تسوية شاملة في المنطقة في حين تعارض اسرائيل هذه المواقف السورية باجمعها . وعلى اثر انتهاء جولته رفع فالدهايم تقريرا الى مجلس الامن ذكر فيه : (أ) — ان سوريا ستوافق على التمديد لقوات الطوارىء في الجولان ستة اشهر اخرى شريطة ان يجتمع مجلس الامن مرة اخرى في كانون الثاني المقبل لاجراء مناقشة لجوهر مشكلة الشرق الاوسط بما فيها المسألة الفلسطينية وبمشاركة منظمة التحرير في المناقشة . (ب) — ان الرئيس الاسد اعرب عن خيبة امله لعدم احراز اي تقدم في مساعي السلام منذ تشكيل قوات الطوارىء الدولية . (ج) — ان سوريا ترفض الدخول في اية مفاوضات تتناول اجراءات جزئية، ولا يمكن ان تقبل بتمديد فترة انتداب قوات الطوارىء بدون احراز تقدم حقيقي في مساعي السلام . (د) — ان اسرائيل على استعداد للتفاوض في اية لحظة مع سوريا ولكن دون اشتراك منظمة التحرير . (هـ) — ان اسرائيل على استعداد للاشتراك في اجتماع جديد لمؤتمر جنيف شريطة ان يقتصر على الدول التي اشتركت في الجلسات السابقة .

وبناء على هذا التقرير عقد مجلس الامن اجتماعات عدة شهدت محاولات تمييع الشروط السورية او نسفها ان امكن ، الا ان تشدد سوريا في موقفها ادى في النهاية الى صدور قرار عن المجلس ينسجم مع الشروط السورية . قبل عدة ساعات فقط من انتهاء مدة انتداب قوة الطوارىء وافق مجلس الامن باكثرية ثلاثة عشر صوتا — بمافيها الولايات المتحدة — مقابل لا شيء وامتناع الصين والعراق عن التصويت على التمديد لقوات الطوارىء في الجولان على ان يعود المجلس الى الاجتماع في الثاني عشر من كانون الثاني ١٩٧٦ لاستكمال مناقشاته حول مشكلة الشرق الاوسط .

وصدر ملحق لهذا القرار تلاه رئيس المجلس — ممثل الاتحاد السوفياتي — وقال فيه بان غالبية الاعضاء متفقة على دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في المناقشات التي ستبدأ في الثاني عشر من شهر كانون الثاني المقبل . وفيما يلي اهم فقرات هذا القرار الهام الصادر عن مجلس الامن :

(١) — الاجتماع في ١٢ كانون الثاني ١٩٧٦ لمواصلة المناقشة حول مشكلة الشرق الاوسط بما فيها المسألة الفلسطينية آخذا بعين الاعتبار جميع قرارات هيئة الامم المتعلقة بالموضوع .

(٢) — تجديد انتداب قوة مراقبي فك الارتباط لفترة ستة اشهر اخرى .

(٣) — الطلب الى الامين العام ابقاء مجلس الامن على اطلاع بما يجد من تطورات .

شنت اسرائيل حملة عنيفة جدا على قرار مجلس الامن بسبب ربطه بين التمديد لقوات الطوارىء واجتماعه في الشهر القادم بحضور منظمة التحرير . وعقدت الحكومة الاسرائيلية اجتماعا طارئا اصدرت على اثره بيانا رفضت فيه قرار مجلس الامن باعتباره يشكل « استسلاما للابتزاز السوري » ويربط بين التجديد لقوات الطوارىء « وعناصر سياسية لا صلة لها بهذا التجديد على الاطلاق »

واضاف البيان بان القرار سيعرقل التقدم نحو التسوية . وينسف الجهود التي تبذل من اجل السلام ، كما هدد بان اسرائيل لن تحضر اي محفل دولي تشترك فيه منظمة التحرير بما في ذلك المناقشة التي قرر مجلس الامن اجراءها في الشهر المقبل .

كما حمل البيان سوريا مسؤولية اي نشاط « ارهابي » ينطلق من اراضيها واعلن بان اسرائيل قررت تنفيذ التوصيات الداعية الى انشاء اربع قرى جديدة في الجولان . وجدير بالذكر ان الرئيس فورد طمأن اسحق رابين الى ان موقف حكومته لم يتغير ازاء منظمة التحرير . واكد فورد بان بلاده سوف تعارض اية محاولة من جانب مجلس الامن لفرض اية تسوية لازمة المنطقة على اسرائيل .

تحقق شرط سوريا باشراك منظمة التحرير في مناقشات مجلس الامن باسرع مما كان يمكن ان يحلم به اكثر الاشخاص تفاؤلا في هذا الميدان . وهنا يكمن الانتصار الثالث الذي احرزته القضية الفلسطينية في الفترة الاخيرة .

ردت اسرائيل على قرار مجلس الامن بشن غارات في غاية العنف والتدمير على المعسكرات الفلسطينية في لبنان ، مما دعا لبنان وغيره من الدول العربية الى طلب انعقاد مجلس الامن مجددا للبحث في العدوان الاسرائيلي الجديد على لبنان والشعب الفلسطيني . وقد اصرت الدول العربية على ضرورة مشاركة منظمة التحرير في المناقشات في حين عارضت الولايات المتحدة هذه الدعوة معارضة شديدة .

تقدمت بعض الدول الاعضاء في المجلس بمشروع قرار يقضي بدعوة منظمة التحرير الى الاشتراك بشكل كامل في مناقشة الاعتداء الاسرائيلي على لبنان . وبما ان التصويت على هذا القرار لا يخضع للفيتو الاميركي — بسبب كونه قضية اجرائية — فقد حاولت الولايات المتحدة مدعومة من بعض الدول الاوروبية الغربية تمييع المطلب العربي على اساس دعوة ممثل منظمة التحرير الى مجلس الامن للادلاء بوجهة نظره لكن بدون ان يكون له حق حضور المناقشات . وقد فاز مشروع القرار باغلبية ٩ اصوات من اصل ١٥ صوتا في المجلس .

الاصوات المؤيدة : الصين والاتحاد السوفياتي والعراق وروسيا البيضاء وتانزانيا والكاميرون وغيانا وموريتانيا والاسوج في حين امتنعت كل من فرنسا وايطاليا واليابان عن التصويت وعارضت الولايات المتحدة وبريطانيا وكوستاريكا. عندئذ احتل ممثل منظمة التحرير مكانه في مجلس الامن وانسحبت اسرائيل احتجاجا على حضوره ، وهذه هي المرة الاولى التي يرتفع فيها الصوت الفلسطيني الرسمي في اهم جهاز من اجهزة الامم المتحدة ، وللمرة الاولى في تاريخ المجلس يحضر مندوب المنظمة ويغيب المندوب الاسرائيلي احتجاجا . وكان رد الفعل الاسرائيلي عنيفا وصل الى حد التهديد « باجراء مراجعة شاملة لسياسة اسرائيل تجاه الامم المتحدة » لان المنظمة الدولية لم تعد قادرة على القيام بدور ايجابي في النزاع في المنطقة بعد دعوة منظمة التحرير للمشاركة في مناقشات مجلس الامن . وشددت الصحافة الاسرائيلية على ان الفرصة اصبحت سانحة الان للقيام بعمليات استيطان واسعة النطاق في كل الاراضي المحتلة وبعمليات مكثفة « ضد قواعد الفدائيين في لبنان » .

وصرح اسحق رابين بهذا الصدد قائلا بان اسرائيل لن تتفاوض مع منظمة التحرير او اية مجموعة فلسطينية اخرى لان ذلك يعني قبول اسرائيل بقيام دولة فلسطينية بينها وبين الاردن. كما ذكر رابين ان قرارات مجلس الامن المعنية « ستلحق ضررا مباشرا بالمصالح الاميركية في الشرق الاوسط كما سيكون لها تأثيرا سلبيا على الموقف المصري » . وفي مجلس الامن جرى طرح مشروع قرار يدين العدوان الاسرائيلي على لبنان فيما يلي اهم ما جاء فيه :

(١) — اعراب المجلس عن قلقه الخطير من الوضع المتدهور في المنطقة نتيجة انتهاك اسرائيل حرمة سيادة لبنان وحرمة اراضيه وقرارات مجلس الامن .

(٢) — ان المجلس مقتنع بان الغارات الجوية الاسرائيلية كانت مدبرة ومتعمدة .

(٣) — ان المجلس يدين بشدة حكومة اسرائيل بسبب غاراتها الجوية المدبرة على لبنان والتي تشكل انتهاكا لالتزاماتها بموجب ميثاق الامم المتحدة وقرارات مجلس الامن .

(٤) — ان المجلس يدعو اسرائيل للامتناع عن شن اية هجمات عسكرية على لبنان .

(٥) — ان المجلس يحذر اسرائيل تحذيرا جديا جديدا بانه قد يضطر ، في حال تكرار هذه التهجمات ، الى النظر في اتخاذ الخطوات والاجراءات المناسبة لوضع قراراته موضع التنفيذ . وعلى الرغم من ان ١٣ دولة من اصل ١٥ في مجلس الامن صوتت الى جانب مشروع القرار ، الا ان الولايات المتحدة ابطلت مفعوله باستخدامها حق الفيتو . وكانت الدولة المعارضة الاخرى هي كوستاريكا . وابدت اسرائيل ارتياحها للفيتو الاميركي ، كما اعلن مسؤول حكومي اسرائيلي ان حكومة بلاده لن تتفاوض ابدا مع منظمة التحرير حتى لو اعترفت المنظمة بوجود اسرائيل وقبلت قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨.

واضاف المتحدث قائلا بان اسرائيل ستعالج المسألة الفلسطينية بالتفاوض مع الملك حسين كما انه يجب على العرب ان يدركوا بان استمرار التقدم في تحقيق التسوية في المنطقة يتوقف على طرح منظمة التحرير جانبا ودعوة الملك حسين مجددا لتمثيل الفلسطينيين في المفاوضات مع اسرائيل .

في اواخر شهر تشرين الثاني بدأت الجمعية العمومية للامم المتحدة مناقشة مشكلة الشرق الاوسط كبند منفصل عن المناقشة التي اجرتها قبل ذلك حول القضية الفلسطينية . وقد اقرت المنظمة الدولية ولجانها عددا من القرارات ومشاريع القرارات المؤيدكليا للقضية الفلسطينية. وكانت اهم هذه القرارات :

(١) — موافقة اللجنة السياسية التابعة للامم المتحدة على مشروع قرار يحث اسرائيل على السماح للاجئين العرب خلال حرب ١٩٦٧ بالعودة الى ديارهم ويدعوها لانهاء هجماتها على «مخيمات اللاجئين الفلسطينيين » .

كما دعا القرار اسرائيل الى اتخاذ الخطوات الفورية اللازمة لعودة السكان المشردين الى ديارهم والامتناع عن القيام باية اعمال تعرقل عودة النازحين بما فيها الاعمال التي من شأنها تبديل التكوين الطبيعي والسكاني للاراضي المحتلة . كما دعاها لاعادة اللاجئين الذين نقلوا من مخيماتهم في غزة وتوفير مساكن مناسبة لاقامتهم والامتناع عن القيام باية عمليات تهجير اخرى للسكان او تدمير مساكنهم .

(٢) — وافقت اللجنة السياسية كذلك على مشروع قرار يحث اسرائيل على وقف محاولاتها الرامية الى تغيير حقوق العبادة في الحرم الابراهيمي في الضفة الغربية . كما اقرت مشروع قرار اخر يدين انتهاك اسرائيل المستمر لميثاق جنيف وذلك بسبب قيام اسرائيل بضم اجزاء من الاراضي العربية المحتلة واقامة مستوطنات فيها وسلب الممتلكات الثقافية والاثرية .

(٣) — موافقة الجمعية العمومية على قرار جاء فيه : (أ) رفض المنظمة الدولية مبدأ الاستيلاء على الاراضي بالقوة وضرورة اعادة جميع الاراضي العربية المحتلة . (ب) — التنديد المستمر بالاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية . (ج) — الاعراب عن اسف المنظمة الدولية لموقف الولايات المتحدة وقيامها بتزويد اسرائيل بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية الكبيرة ومطالبة جميع الدول بالتوقف عن امداد اسرائيل بمثل هذه المساعدات ما دامت ترفض تنفيذ قرارات الامم المتحدة . (د) — مطالبة مجلس الامن باتخاذ الاجراءات الضرورية من اجل تطبيق جميع القرارات التي اتخذتها الجمعية العمومية والمجلس نفسه حول ازمة الشرق الاوسط وضمن حدود فترة زمنية معينة . (هـ) — الدعوة لتحقيق تسوية شاملة تقر سلاما دائما وعادلا في المنطقة بمشاركة كل الاطراف المعنية بما فيها منظمة التحرير والاعتراف الكامل بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني . (و) — مطالبة الامين العام بابلاغ كل الاطراف المعنية بما في ذلك الدولتان اللتان ترأسان مؤتمر جنيف للسلام ، بما يستجد على صعيد متابعة تنفيذ القرار الحالي ورفع تقارير بذلك الى مجلس الامن والجمعية العمومية خلال دورتها المقبلة .

اقرت الجمعية العمومية هذا القرار باكثرية ٨٤ صوتا ومعارضة ١٧ دولة وامتناع ٢٧ عن التصويت . وكان بين ابرز الدول المعارضة الولايات المتحدة وبريطانيا وهولندة والمانيا الغربية . وعلى اثر فوز القرار بهذه الاكثرية اعلن المندوب الاسرائيلي بان بلاده لن تلتزم

بالقرار لانه يعرقل عملية التفاوض في الشرق الاوسط ويدعو عمليا الى فرض حل للازمة مما لا يمكن لاسرائيل ان تقبل به على الاطلاق .

على صعيد اخر صدرت وثيقة هامة عن وزارة الخارجية الاميركية — دعيت بوثيقة ساوندرز — تطرقت الى موقف الولايات المتحدة من قضية الشرق الاوسط عموما والشعب الفلسطيني على وجه التخصيص ، وتتألف محتويات هذه الوثيقة من الشهادة التي ادلى بها مساعد وزير الخارجية الاميركي لشؤون الشرق الاوسط — هارولد ساوندرز — امام لجنة العلاقات الدولية التابعة للكونغرس الاميركي . واتسم كلام ساوندرز بشيء من الليونة والمرونة الظاهرتين على اقل تقدير في معالجته لموقف اميركا من الشعب الفلسطيني .

ويتلخص اهم ما قاله ساوندرز بالنقاط التالية: (أ) — الاعتراف بانه لا بد من الاخذ بعين الاعتبار المصالح المشروعة للفلسطينيين العرب في اية مفاوضات عربية اسرائيلية لاقرار السلام. (ب) — الاعتراف بان البعد الفلسطيني هو في صميم النزاع العربي الاسرائيلي وبانه لا يمكن ايجاد حل نهائي للمشاكل الناجمة عن تقسيم فلسطين قبل التوصل الى اتفاق « يحدد وضعا عادلا ودائما للمواطنين العرب الذين يعتبرون انفسهم فلسطينيين » (ج) — الاعتراف بان مشكلة الفلسطينيين لا تقتصر على « تلبية حاجاتهم الانسانية » بل تتعدى ذلك الى مصالح من نوع اخر تابعة في « اعتبار الفلسطينيين لانفسهم بصورة متزايدة كأصحاب هوية خاصة وكشعب يرغب في ان يكون له صوتا في تقرير وضعه السياسي » . (د) — التأكيد على انه لا يوجد هناك حتى الان اتفاق حول ما هو المقصود بعبارة حقوق الشعب الفلسطيني مع الاشارة الى وجود تفسيرات عديدة لمعنى هذه العبارة تتراوح بين انشاء الدولة الفلسطينية الديمقراطية العلمانية وقيام الفلسطينيين بالتعبير عن هويتهم السياسية ومطامحهم الوطنية من خلال الاردن مرورا بمطلب اقامة الدولة الفلسطينيةفي الضفة الغربية وغزة. (هـ) — التأكيد على ان اهداف الفلسطينيين غير واضحة حتى الان وهذا ينطبق على منظمة التحرير « لانها غير مستقرة على رأي دقيق ومحدد » . (و) — الاستنتاج بان المطلوب هو ايجاد تعريف معقول لمصالح الفلسطينيين يمكن ان تنطلق منه المفاوضات . « بحيث يتوفر اساس مشترك يستطيع ان يقبله الفلسطينيون والاسرائيليون معا » وبالامكان تحقيق تلك الخطوة بقبول الطرفين لقراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ على الرغم من انهما لا يعالجان الناحية السياسية من المشكلة الفلسطينية . (ز) — ان الولايات المتحدة ما زالت تتمسك بسياسة « الخطوة خطوة » وتعتقد بان هذا الاسلوب في حل المشكلات يمكن ان يتناول مشكلة الفلسطينيين ايضا في المستقبل .

وجدير بالاشارة هنا ان رابين انتقد وثيقة ساوندرز ووصف ما جاء فيها بانه « تضليل وتحريف » في حين اغدقت الصحافة المصرية المديح على الوثيقة معتبرة اياها دليلا على التبدل في موقف الولايات المتحدة من منظمة التحرير . لكن على الرغم من بعض المرونة التي لاحظناها في تعابير ساوندرز عاد الموقف الاميركي المعروف من منظمة التحرير لتأكيد نفسه مجددا . فقد اعلن كيسنجر في مؤتمر صحفي رفض بلاده حضور مؤتمر جنيف وفقا للصيغة التي اقترحها الاتحاد السوفياتي والداعية لاشتراك منظمة التحرير كعضو يتمتع بالحقوق والواجبات ذاتها التي تتمتع بها بقية الاطراف .

واكد كيسنجر بعبارات مشددة ان سياسة حكومته تجاه منظمة التحرير لم تتغير . في الواقع اعتبر كيسنجر صراحة ان العقدة الاساسية في الاقتراح السوفياتي حول مؤتمر جنيف هي اشتراك منظمة التحرير . لذلك اقترح الوزير الاميركي عقد مؤتمر غير رسمي موازي لمؤتمر جنيف يضم الفرقاء المعنيين في نزاع الشرق الاوسط باستثناء منظمة التحرير .

وقد رفض وزير خارجية الاتحاد السوفياتي هذا الاقتراح الاميركي باعتباره محاولة للتهرب من عقد مؤتمر جنيف .

(٣) المناطق المحتلة

محاولة الاستيطان في سبسطية

جرت في الاول من شهر كانون الاول (ديسمبر) محاولة لاستيطان سبسطية ، قامت بها مجموعات من جوش ايمونيم المرتبطة بحزب المفدال المشارك بالائتلاف الحكومي في اسرائيل . وليست هذه هي المحاولة الاولى التي تقوم بها جوش ايمونيم لاستيطان هذا الموقع القريب من نابلس . فقد جرت عدة محاولات لاقامة مستوطنة في هذا الموقع باسم ايلون موريه خلال عامي ٧٤ ، ١٩٧٥ . غير ان الحكومة الاسرائيلية ولأسباب متعددة كانت تحول في النهاية دون الاقامة الدائمة لمجموعات المستوطنين في هذا المكان بحجة علنية هي : ان هذا الموقع (السامرة) لم يدرج بعد في نطاق خطة الحكومة لاقامة المستوطنات الدائمة .

الا أن محاولة المستوطنين الاخيرة في سبسطية ، يمكن اعتبارها عملية استيطان مختلفة عما سبقها من محاولات جرت في تلك المنطقة . وذلك ليس لانها أكثر تنظيما أو انها حظيت بأكبر تأييد من جانب المعارضة والحزب الديني ، او انها استمرت أياما أطول مما عداها من محاولات ، بل لمسألتين محددتين هما :

أولا : الظروف السياسية التي سبقت ورافقت هذه العملية ، حيث أصدر مجلس الامن الدولي في نهاية شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي قرارا بتمديد فترة قوة الطوارىء الدولية في الجولان لمدة ستة أشهر أخرى على أن يعقد المجلس اجتماعا خاصا لمناقشة أزمة الشرق الاوسط في ١٢/١/ ١٩٧٦ بحضور منظمة التحرير الفلسطينية ، الامر الذي أثار حفيظة اسرائيل وجعلها تقرر الرد على قرار مجلس الامن بتعزيز الاستيطان في المناطق المحتلة على أن تبدأ ذلك فورا باقامة أربعة مستوطنات في الجولان .

ثانيا : الطريقة التي عالجت بها الحكومة الاسرائيلية مسألة الاستيطان هذه ، والتي اتسمت بالحيرة والتردد والمواقف المبيتة من قبل رئيس الحكومة الاسرائيلية نفسه . فقد استمرت المحاولة مدة عشرة أيام أقيمت خلالها المباني وشقت الطرقات دون ان تحرك الحكومة ساكنا بالرغم من الصفة التي تطلقها الحكومة الاسرائيلية على مثل هذه المحاولات تحت اسم : « عمليات الاستيطان غير الرسمي » . وفي تلك الاثناء حدث نقاش داخل الحكومة الاسرائيلية امتد الى المؤسسات الحزبية والشارع ، دار فيه تساؤل حول موقف رئيس الحكومة الاسرائيلية من عملية الاستيطان من قبل صحف ونواب في الكنيست بعضهم ينتمي الى حزب رئيس الحكومة وبعضهم ينتمي الى حزب مابام المشارك في الائتلاف الحكومي .

غير ان كل ذلك — على أهميته — يبدو قليل الاهمية بالمقارنة مع الطريقة التي « انهت » بها الحكومة الاسرائيلية عملية الاستيطان هذه . اذ ان الحكومة بدل أن تقوم كعادتها في المرات السابقة بترحيل المستوطنين عن طريق الجيش وبآلياته الخاصة ، عمدت هذه المرة وفي ظل الظروف التي سبق الاشارة اليها ، الى اجراء « مفاوضات » مع المستوطنين انتهت الى « حل وسط » كما تدعي السلطات الاسرائيلية ، وذلك بنقل المستوطنين وعائلاتهم الى معسكر تابع لجيش الاحتلال الاسرائيلي قريب من المنطقة .

واذا كانت هذه التسوية قد جاءت منسجمة مع النوايا المبيتة لرئيس الحكومة الاسرائيلية بشكل خاص وغالبية وزرائه ، فانها لم تكن مفاجئة لمتتبعي السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، تلك السياسة التي اتسمت ، في ظل الانتصارات السياسية المتوالية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بعدم التوازن من جهة والاستجابة الكلية لغلاة المتطرفين الصهاينة من جهة أخرى . فلقد فهم سلفا ، ان اقامة المستوطنين في معسكر لجيش الاحتلال قريب من سبسطية ، هي مقدمة لاقامة مستوطنة دائمة في هذه المنطقة ، وان ما جرى في كريات اربع قرب الخليل قبل سنوات قليلة ، يجري الآن بحذافيره تقريبا قرب مدينة نابلس .

من ناحيتها ادركت جماهير الشعب الفلسطيني خطورة التسوية التي انتهت اليها مفاوضات الحكومة الاسرائيلية مع مستوطني سبسطية ، وتنبهت مبكرا لمخاطر النتائج التي ستسفر عنها اقامة هؤلاء المستوطنين في معسكر تابع للجيش الاسرائيلي في تلك المنطقة . فقد قامت جماهير نابلس ورام الله على وجه الخصوص بتسيير مظاهرات صاخبة للاحتجاج على التواطؤ بين الحكومة الاسرائيلية والمستوطنين والسماح لهم بالاقامة في معسكر للجيش بالمنطقة . كما عقدت اجتماعات ضمت بعض أصحاب الفاعليات الاقتصادية وأعضاء المجلس البلدي في نابلس للتباحث في هذه المسألة ، صرح على اثرها الحاج معزوز المصري رئيس بلدية نابلس بأن سكان نابلس واللواء على استعداد لاقتحام معسكر الجيش الذي يقيم فيه المستوطنون بالقوة اذا لم تطرد السلطات الاسرائيلية هؤلاء المستوطنين.

وبالرغم من محاولات التعتيم الاعلامية على المظاهرات الشعبية الواسعة في الضفة الغربية ، فان ما أوردته الانباء الاولى التي اذاعتها وسائل الاعلام الاسرائيلية ذاتها تعطي صورة واضحة عن حجم وعنف هذه المظاهرات . فقد قالت الاذاعة العبرية يوم ٧٥/١٢/١٨ انه في نابلس وخاصة في منطقة القصبة وبرج الساعة في وسط المدينة لا يزال الطلبة يتجمعون حتى هذه الساعة ويرجمون قوات الامن بالحجارة ويحرقون دواليب المطاط ويحملون يافطات ضد الاستيطان في الضفة الغربية ، « وقد هرعت قوات الامن الى نابلس للحفاظ على النظام » . وأصيب مراسل وكالة س.بي.اس الذي حاول تصوير التظاهرة كما أصيب عدد من السيارات . وكذلك في رام الله أوقف طلبة كلية بيرزيت دراستهم وخرجوا للتظاهر ضد الاستيطان . وقالت الاذاعة ان « قوات الامن أطلقت بعض الطلقات النارية في الهواء لتفريق المتظاهرين كما رشت المتظاهرين بالمياه المضغوطة » .

وعقب هذه التظاهرات وجه الحاكم العسكري لمدينة نابلس تحذيرا لمجلس البلدية والغرفة التجارية بالمدينة ، بأنه قد يغلق جسور نهر الاردن في وجه الحركة التجارية للمدينة اذا ما استمرت التظاهرات . الا ان هذا التهديد لم يحل دون استمرار مظاهرات الاحتجاج الصاخبة . وقد زارت دار البلدية يوم ١٩٧٥/١٢/١٧ وبعد عشرة أيام على انطلاق المظاهرات ، وفود من القرى المجاورة للتعبير عن تضامن أبناء هذه القرى مع أبناء نابلس ولتأكيد معارضتها لاستمرار بقاء المستوطنين حيث هم في المعسكر (ر.ا.ا ١٩٧٥/١٢/١٨) .وقالت الاذاعة ان رئيس بلدية غزه الحاج رشاد الشوا بعث أيضا ببرقية الى رئيس بلدية نابلس باسم مجلس بلدية غزه لتأييد نابلس في وقفتها ضد الاستيطان . واعتبر الشوا في برقية عملية الاستيطان بأنها ماسة بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني التي اعترفت بها الامم المتحدة (المصدر نفسه) .

وكانت السلطات الاسرائيلية عقب انفجار المظاهرات قد أمرت باغلاق المدارس قبل العطلة المقررة لها في عيد الاضحى ، كما انها منعت الاتصال بين هذه المدينة وسائر المناطق الاخرى في الضفة الغربية .

ووصفت صحيفة الاتحاد التي تصدر باللغة العربية في حيفا مظاهرات الضفة الغربية هذه بأنها « عاصفة لم يسبق لها مثيل وخصوصا في مدينة نابلس والمدن الكبرى الاخرى . فخلال الايام الاخيرة تحولت مدينة نابلس الى مسرح لمختلف أشكال الاحتجاج الشعبي على بقاء المستوطنين الاسرائيليين في سبسطية » . ونقلت عن الحاج معزوز المصري قوله : « ان المدينة هي أشبه بساحة قتال » وانه لم يشاهد مثل ذلك « لا أيام الانجليز ولا أيام الاردن » . وأضافت « الاتحاد » في وصفها للتظاهرات بأنها كانت عنيفة وانه تخللها اشتباكات بين المتظاهرين من جهة ورجال البوليس وحرس الحدود من جهة أخرى أسفرت عن وقوع عدد من الجرحى . وقالت ان سلطات الحكم العسكري استخدمت المجنزرات في محاولة منها لتفريق المسيرات الشعبية ومحاصرتها .

ونقلت « الاتحاد » عن صحيفة الفجر التي تصدر في القدس قولها ان طلاب جامعة بيرزيت قاموا هم أيضا بالاضراب وخرجوا في مسيرة الى دار البلدية حيث اجتمعوا برئيس البلدية ونقلوا اليه احتجاجهم على الاستيطان الكولونيالي . فتدخلت قوات الاحتلال واقتحمت حرم الجامعة .

وفي سبسطية نفسها قامت مظاهرة جماهيرية احتجاجا على الغزو الاستيطاني الذي تعرضت له

بادئتهم . وفي البيرة اعتصم طلاب المدرسة الهاشمية في ساحة المدرسة احتجاجا على الغزو الاستيطاني وقابلوا رئيسي بلديتي رام‌الله والبيرة وسلموهما مذكرة احتجاج على الاستيطان الاسرائيلي في سبسطية . وقالت صحيفة الاتحاد التي اوردت هذه التفاصيل ان نقل المستوطنين من سبسطية الى معسكر قريب كان تابعا للجيش الاردني في المنطقة ، يعيد الى الاذهان ما حدث في « كربات اربع » قرب الخليل حيث اقام المستوطنون في البداية في مركز البوليس فيها (الاتحاد ١٢/١١/ ١٩٧٥) .

تعيينات في الادارة المدنية

ذكرت صحيفة الشعب انه تم تعيين عددا من الاشخاص في عدة وظائف هامة في الضفة الغربية . وقالت « الشعب » ان هؤلاء الاشخاص هم الدفعة الاولى في سلسلة التعيينات التي ستتم لاحقا ، ضمن مشروع الادارة المدنية التي تخطط له سلطات الحكم العسكري في المناطق المحتلة . وهؤلاء هم : ١ — الدكتور عصام كمال مديرا عاما لدوائر الصحة في الضفة الغربية . ٢ — كمال ياسين مدير دائرة الزراعة في نابلس ، وقد عين مديرا عاما لدائرة الزراعة في الضفة الغربية واعطي صلاحيات واسعة . ٣ — ابراهيم الغني مديرا عاما لدائرة الآثار في الضفة الغربية . ٤ — نزار البسطامي مديرا عاما لادارة المستشفيات في الضفة الغربية . ٥ — سليم النـاشف مدير مدرسة خضوري الزراعية ، وقد عين مديرا عاما لدوائر التربية والتعليم في الضفة الغربية .

وقالت « الشعب » ان أحد رؤساء البلديات ايضا سيشغل منصبا هاما في اطار هذه التعيينات ، الا انها لم تذكر اسمه .

ومن الجدير بالذكر ان اغلب اصحاب هذه التعيينات هم من الاشخاص الذين شغلوا هذه الدوائر منذ عام ١٩٦٧ . (الشعب ١٠/٢٨/ ١٩٧٥) .

الا ان الدكتور عصام كمال نشر اعلانا في الصحف المحلية في الضفة الغربية نفى فيه النبأ وأعلن انه متوقف عن العمل في ادارة الصحة العامة ، ومقرها في رام‌الله ، منذ آذار (مارس) ١٩٧٥ .

كما وجه عدد من الاشخاص الذين وردت اسماؤهم في الخبر الذي نشرته « الشعب » كتابا مفتوحا جاء فيه : « اننا ننفي نفيا قاطعا ما جاء في هذا الخبر جملة وتفصيلا فيما يتعلق بنا ، وليس لدينا أي علم بما جاء فيه ، وانه لم يتم تعييننا في المناصب المذكورة او خلافها في الادارة المدنية بناتا ، ولا يزال كل منا في مركزه الذي كان يشغله قبل حزيران عام ١٩٦٧ » . ووقع الكتاب كل من : نزار البسطامي وكيل ادارة المستشفى الحكومي في طولكرم . كمال ياسين مدير زراعة نابلس ، والدكتور سليم الناشف عميد المعهد الزراعي في طولكرم (الشعب ١١/٢/١٩٧٥) .

« لبنة » الضفة الغربية .. محاولة فاشلة

في محاولة منها لاستغلال الاحداث التي تجري في لبنان منذ أشهر ، وترتدي طابعا طائفيا ، حاولت اسرائيل نقل التجربة اللبنانية الى الضفة الغربية ، بترويجها لأنباء مفادها ان المسيحيين العرب في الضفة المحتلة ، وخاصة في منطقة بيت لحم ، يرغبون في اقامة وضع خاص لهم . الا ان هذه المحاولة الخبيثة سرعان ما ووجهت برفض قاطع من قبل الجماهير الفلسطينية في الضفة الغربية ، وخاصة في منطقة بيت لحم . فقد نشرت صحيفة الشعب بيانا صادرا عن مجالس بلديات بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ، استنكرت فيه ما روجت له وسائل الاعلام الاسرائيلية وغيرها . وكانت وكالة الصحافة الفرنسية قد نسبت الى بعض الاعيان المسيحيين في منطقة بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ، انهم يهدفون الى انشاء منطقة مسيحية في الضفة الغربية . وجاء نص البيان الذي كذبت فيه المجالس البلدية المعنية تلك الانباء كما يلي :

« لقد اذهل مجالس بلديات بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور الخبر المنسوب اليها الذي نشر في الخارج والمنسوب لمراسل وكالة الانباء الفرنسية في القدس . والذي تلقفته بشر لئيم جميع الجهات المعادية لوحدة الامة العربية بصورة عامة والشعب الفلسطيني بمسيحييه ومسلميه بصورة خاصة ، عن محاولة مزعومة لنفر ممن دعاهم ملفق الخبر بالاعيان المسيحيين في هذه البلاد لانشاء منطقة مسيحية ، واحتمال عرض مشروع مزعوم كهذا

على السلطات الاسرائيلية ، وعن خشية مزعومة من المسيحيين على مستقبلهم كذا الى آخر ما ورد في النبأ اياه ..

« ان المجالس البلدية في مدن بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ، التي هالها تلفيق وتزوير هذا الخبر في هذا الظرف بالذات وفي حمى النشاط الاستعماري المعادي للأمة العربية والرامي الى فرض مذبحة طائفية على شعبنا العربي في لبنان الشقيق لتستنكر هذا النبأ العاري عن الصحة وتعلن ان عربيا مسيحيا واحدا في هذه المنطقة او في غيرها من الوطن الفلسطيني لم يقم ولن يقوم بأية محاولة من هذا النوع وان نشر هذا النبأ بالذات في هذه الظروف بالذات لم يقصد منه سوى شق الصف المتلاحم لشعبنا بمسيحييه ومسلميه وتحويل قضيتنا عن مسيرتها الطبيعية باعتبارها قضية شعب يطالب بممارسة حقه المشروع في تقرير مصيره الى قضية طائفية بل الى قضية شعبين وطائفتين متحاربتين تبريرا لتدخل خارجي او لفرض مشاريع استعمارية قديمة ـ حديثة أصبحت مفضوحة للقاصي والداني .

« اننا نحذر ابناء شعبنا الفلسطيني بصورة عامة وابناء هذه المنطقة بصورة خاصة من خطورة الانخداع بتلك الاساليب الدنيئة التي يلجأ اليها اعداء شعبنا في محاولة فاشلة لتحطيم وحدته الوطنية التي هي سلاحه الاساسي في نضاله المشروع ، نعلن للملأ بكل صراحة ان شعبنا كان ولا يزال وحدة متماسكة متراصة لا مكان فيها مطلقا لأي خلاف او نزاع طائفي بغيض . كما نعلن ان النبأ المستنكر الذي أشرنا اليه وأمثاله لن يزيدنا الا ايمانا بقضيتنا ووحدتنا الوطنية المقدسة »
(الشعب ١٩٧٥/١٠/٢٦) .

من ناحية اخرى ، بثت الاذاعة الاسرائيلية في برنامجها باللغة العبرية يوم ١٩٧٥/١١/٨ ما يمكن اعتباره استفتاء مخيب لآمال الاسرائيليين حول حقيقة مشاعر عرب الارض المحتلة المسيحيين تجاه ما يجري في لبنان . فقد أجرت الاذاعة مقابلات مع عدد من الاشخاص سائلة اياهم : هل هم مسيحيون أم عرب ؟!!. فكانت الاجابات بأنهم عرب أولا وقبل كل شيء وبعد ذلك مسيحيون . فقالت فتاة من قرية معليا اسمها جانيت متى : « ... لا اشعر بمسيحيتي على الرغم من ان جميع ابناء القرية مسيحيون . فأنا مسيحية ولكني قبل كل شيء عربية . ولهذا السبب ان ما يؤلمني في احداث لبنان هو ان الحرب هناك طائفية بين العرب » . وكانت اجابة مسعد عبد المدرس في قرية معليا وزميل جانيت ، مطابقة لاجابة زميلته .

وقال جميل شلهوب عضو مجلس بلدية حيفا عن المعراخ وهو مسيحي كاثوليكي ، بأن اي موقف طائفي لعرب الارض المحتلة يدعم الرأي السائد في أوساط اسرائيلية متعددة بوجوب تقديم اسرائيل الدعم لاستمرار الازمة اللبنانية . أما الدكتور بطرس أبو منه محاضر بمادة تاريخ الشرق الاوسط في جامعة حيفا فقال : ان الامر يؤلمني كعربي ... ولكني أنظر الى القضية من نقطة أخرى ، فينبغي اعتبار الامر بمثابة صراع سياسي طبقي . ويحتمل ان الامر ينطوي على التقسيم الطائفي ، ويحتمل ان الصراع هو بين اولئك الذين لديهم أموال وبين اولئك الفقراء . أما المحامي علي رافع فقال ان احداث لبنان ليست حربا طائفية بل طبقية وان هناك مسيحيون ومسلمون فقراء يكافحون معا . وقال رافع ان اسرائيل تساعد احد أطراف النزاع في لبنان .

عيسى الشعيبي

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٧٥/١٢/١ — ١٩٧٦/١/١٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة قتيل	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
١	١١/٣٠	١٥,٠٠	موديعيم/شرق رام‌الله	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		—	—	—	—	٧٥/٣٤٠	١٢/١
٢	١٢/٢	١٧,٣٠	كريات شمونة	قصف	صواريخ ثقيلة	١ وعدد آخر		تدمير برج الضغط العالي للكهرباء وعدد من المنازل والسيارات	—	—	—	٧٥/٣٤١	١٢/٢
٣	١٢/٢	٢٠,٠٠	صفد ونهاريا ومسكاف عام	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدد		اصابة منشآت	—	—	—	٧٥/٣٤٢	١٢/٢
٤	١٢/٣	٦,٠٠	منطقة البيارات/شمال غزة	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غير محدد		تدمير آلية نصف مجنزرة وسيارة جيب واعطاب آلية وسيارة	١	—	—	٧٥/٣٤٣	١٢/٤
٥	١٢/٣	٧,٠٠	رفح	القاء قنابل	قنبلتان يدويتان	غير محدد		اعطاب سيارتين عسكريتين	—	—	—	٧٥/٣٤٤	١٢/٤
٦	١٢/٤	١٥,٠٠	عين كارم	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غير محدد		اعطاب ناص يقل جنوداً للعدو	—	—	—	٧٥/٣٤٥	١٢/٤
٧	١٢/٨	٢,٠٠	مجدال هعيمق/غرب‌الناصرة	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير عدد من السيارات واصابة المبنى باضرار	—	—	—	٧٥/٣٤٦	١٢/٨
٨	١٢/٨	١,٠٠	رفح	هجوم	قنابل يدوية	غير محدد		—	—	١	—	٧٥/٣٤٧	١٢/٩
٩	١٢/١٠	٦,٠٠	الرامة/بين عكا وصفد	كمين	أسلحة رشاشة	١	٢	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	٧٥/٣٤٨	١٢/١٦
١٠	١٢/١١	١,٠٠	بئر السبع	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تصدع مبنى من طابقين واصابة المباني المجاورة باضرار	—	—	—	٧٥/٣٤٩	١٢/١٦

١١ — ١٢/١٢	—	المجدل	تنجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير واحراق مكتب ضابط المدينة في شارع هنسمون	—	—	—	٧٥/٣٥٠ ١٢/١٦
١٢ — ١٢/١٥	١٢,٣٠	بين بارعام وسعسع قرب قسوطة	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	٥	—	—	—	—	—	٧٥/٣٥١ ١٢/١٦
١٣ — ١٢/١٩	١١,٣٠	بارعام/الجليل الاعلى	هجوم	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غير محدد		اعطاب آلية نصف مجنزرة	—	—	—	٧٥/٣٥٢ ١٢/٢٠
١٤ — ١٢/١٩	٢٢,٠٠	حيفا	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	—	٢	اصابة بعض المحلات في سوق الخضار بأضرار	—	—	—	٧٥/٣٥٣ ١٢/٢٠
١٥ — ١٢/٢٠	١,٠٠	بين الخضيرة والعفولة	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غير محدد		تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	٧٥/٣٥٤ ١٢/٢٠
١٦ — ١٢/٢٢	١٨,٠٠	تل أبيب	اطلاق نار	مسدس	١	—	اغتيال أحد ضباط المخابرات داخل محل تجاري في شارع في ريشون — ليتسيون	—	—	—	٧٥/٣٥٥ ١٢/٢٣
١٧ — ١٢/٢٣	—	ايلات	هجوم	أسلحة رشاشة	غير محدد		هجوم على ناد يرتاده ضباط جيش العدو	—	—	—	٧٥/٣٥٦ ١٢/٢٣
١٨ — ١٢/٢٣	١٦,٣٠	يفتاح/الجليل الاعلى	هجوم	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غير محدد		اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	٧٥/٣٥٧ ١٢/٢٣
١٩ — ١٢/٢٥	١٣,٠٠	تل أبيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير أجزاء كبيرة من أبنية المعرض المركزي للطبوعات في ساحة ديزنكوف	—	—	—	٧٥/٣٥٨ ١٢/٢٥
٢٠ — ١٢/٢٥	٢٠,٠٠	ايلات	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اندلاع النيران داخل مخازن الاخشاب وأحد مخازن الادوات الكهربائية والاقمشة	—	—	—	٧٥/٣٥٩ ١٢/٢٦

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٢١	١٢/٢٨	٢٢,٠٠	يفتاح/الجليل الاعلى	كمين	أسلحة رشاشة وقذائف صاروخية	غير محدد		تدمير سيارة دورية عسكرية	—	—	—	٧٥/٣٦٠	١٢/٢٩
٢٢	١٢/٢٩	٤,٠٠	تل أبيب	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غير محدد		تدمير أجزاء كبيرة من مصنع للأثاث واشعال النيران فيه	—	—	—	٧٥/٣٦١	١٢/٢٩
٢٣	١٢/٢٩	—	المنارة	اشتباك	أسلحة رشاشة ومضادة للآليات	غير محدد		تدمير احدى سيارات العدو	—	—	—	٧٥/٣٦٢	١٢/٢٩
٢٤	١٢/٢٩	٢٠,٣٠	تل أبيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اشعال النيران في بنك العمال الصهيوني في شارع اللنبي واتلاف واحراق معظم محتوياته	—	—	—	٧٥/٣٦٣	١٢/٢٩
٢٥	١٢/٢٩	٢١,٠٠	تل أبيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير معظم المكاتب الحكومية في مبنى بشارع دوريانوف واشعال النيران فيها	—	—	—	٧٥/٣٦٣	١٢/٢٩
٢٦	١٢/٢٩	٢٣,٠٠	تل أبيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تصدع مبنى يقع فيه أحد مكاتب مخابرات العدو	—	—	—	٧٥/٣٦٣	١٢/٢٩
٢٧	١٢/٢٩	٢٣,٠٠	مرجليوت/الجليل الاعلى	هجوم	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غير محدد		تدمير آلية نصف مجنزرة	—	—	—	٧٥/٣٦٤	١٢/٣٠
٢٨	١٢/٢٩	٢٣,٠٠	مرجليوت	قصف	أسلحة ثقيلة	غير محدد		اصابة بعض المنشآت الحيوية في المستوطنة	—	—	—	٧٥/٣٦٤	١٢/٣٠

٢٩ — ١٢/٢٩	٢٣,١٥	زرعيت	هجوم	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غير محدد	تدمير أجزاء كبيرة من مركز شرطة العدو	—	—	—	٧٥/٣٦٤ ١٢/٣٠
٣٠ — ١٢/٣١	٠٠,١٥	تل أبيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير معظم آلات مصنع الاثاث (فيرد رقم ١٥٦) واشعال النيران فيه	—	—	—	٧٥/٣٦٥ ١٢/٣١
٣١ — ١٢/٣١	١٠,٠٠	رعنانا/شمال شرق ناتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير جزء كبير من مقهى يرتاده ضباط وعملاء العدو واتلاف محتوياته	—	—	—	٧٥/٣٦٦ ١٢/٣١
٣٢ — ١/١	١٤,٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير عدد من السيارات في أحد كراجات العدو العسكرية بمنطقة كريات يوفيل	—	—	—	٧٦/١ ٧٦/١/١
٣٣ — ١/١	١١,٣٠	العريش	تفجير	لغم أرضي مسيطر عليه فنيا	غير محدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	٧٦/٢ ١/١
٣٤ — ١/١	٢٠,٤٥	نهاريا	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدد	اصابة عدد من المنشآت الحيوية داخل المدينة	—	—	—	٧٦/٣ ١/٢
٣٥ — ١/٢	٥,٠٠	تل أبيب	هجوم	أسلحة رشاشة	غير محدد	اصابة نادي الشرطة في المنطقة الشمالية من المدينة بأضرار	—	—	—	٧٦/٤ ١/٢
٣٦ — ١/٢	١٢,١٥	تل أبيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	اشعال النيران في أكبر مستودعات الورق وفي صالة عرض للأثاث ونسف أحد المتاجر واعطاب معظم الآلات فيه وتدمير مستودع للأغذية وذلك في شارع شوكيد في منطقة كريات هملاخا	—	—	—	٧٦/٥ ١/٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة البشرية قتيل	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٣٧	١/٤	٢,١٥	تل أبيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير واشعال النيران في منجرة وأحد مخازن الاثاث وتصدع مبنى مصنع المواد الكيماوية وذلك في شارع بن بشتي في المنطقة الجنوبية	—	—	—	٧٦/٦	١/٥
٣٨	١/٣	—	عين الفشخة/البحر الميت	—	—	٢	—	تم تصفية اثنين من أفراد مخابرات العدو والحصول على وثائق منهما	—	—	—	٧٦/٧	١/٥
٣٩	١/٦	—	بات يام/جنوب تل أبيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تدمير أجزاء من كاراج شاميبون لصيانة السيارات واحراق عدد من السيارات	—	—	—	٧٦/٨	١/٦
٤٠	١/٦	٢٢,٠٠	تل أبيب	تفجير	عبوات حارقة	—	—	اشعال النيران في مصنع للورق في منطقة كفار شاليم	—	—	—	٧٦/٩	١/٧
٤١	١/٧	٠٠,١٥	تل أبيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		اشعال النيران في مقهى بشارع اتل في حي هتكفا	—	—	—	٧٦/٩	١/٧
٤٢	١/٩	١١,١٥	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		اصابة مبنى في رمات اشكول بأضرار جسيمة	—	—	—	٧٦/١٠	١/٩
٤٣	١/١١	١٢,٠٠	المجدل	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غير محدد		اصابة النسادي الليلي (اكسودوس) بأضرار	—	—	—	٧٦/١١	١/١٢